المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة البحث العلمي



سلسلة الرسائل الجامعية
- ١١٤ -

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي

(ت ٤٦٨ هـ)

من سورة النجم إلى سورة الطلاق

تحقيق
د. فاضل بن صالح بن عبدالله الشهري

أشرف على طباعته وإخراجه

د. عبدالعزيز بن سطام آل سعود   أ.د. تركي بن سهو العتيبي

الجزء الحادي والعشرون

التَّفْسِيرُ البَسِيْط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي

(ت ٤٦٨ هـ)

[٢١]

ⓒ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الواحدي، علي بن أحمد

التفسير البسيط لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ)./ فاضل بن صالح بن عبدالله الشهري، الرياض ١٤٣٠هـ.

٢٥مج. (سلسلة الرسائل الجامعية)

ردمك: ٤- ٨٥٧- ٠٤- ٩٩٦٠- ٩٧٨ (مجموعة)

٩- ٨٧٨- ٠٤- ٩٩٦٠- ٩٧٨ (ج٢١)

١. القرآن تفسير　　٢. الواحدي، علي بن أحمد

أ. العنوان　　ب. السلسلة

ديوي ٢٢٧.٣　　٨٦٨/ ١٤٣٠

رقم الإيداع: ٨٦٨/ ١٤٣٠هـ

ردمك: ٤- ٨٥٧- ٠٤- ٩٩٦٠- ٩٧٨ (مجموعة)

٩- ٨٧٨- ٠٤- ٩٩٦٠- ٩٧٨ (ج٢١)

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة البحث العلمي



سلسلة الرسائل الجامعية
- ١١٤ -

التَّفْسِيرُ البَسِيطْ

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمَّد الواحدي

(ت ٤٦٨ هـ)

من سورة النجم إلى سورة الطلاق

تحقيق
د. فاضل بن صالح بن عبدالله الشهري

أشرف على طباعته وإخراجه

د. عبدالعزيز بن سطام آل سعود   أ.د. تركي بن سهو العتيبي

الجزء الحادي والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النَّجم

تفسير سورة النجم

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ اختلفت الروايات عن ابن عباس في تفسير هذه الآية، فقال في رواية الكلبي: أقسم بالقرآن إذا نزل نجوما على رسول الله ﷺ أربع آيات وثلاث آيات، والسورة، وكان بين أوله وآخره عشرون سنة.

ونحو هذا روي عن عطاء[١]، وهو قول مقاتل، والضحاك، ومجاهد في رواية الأعمش عنه، واختيار الفراء[٢].

وعلى هذا القول سُمي القرآن نجمًا لتفريقه في النزول، والعرب تسمي التفريق تنجيمًا، والمفرق نجومًا ومنه نجوم الدين ونجوم الكتابة،

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٩٠، و«الوسيط» ٤/ ١٩٢، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٤.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٠ أ، و«معاني القرآن» للفراء ٣/ ٩٤، و«جامع البيان» ٢٧/ ٢٤. قال الشنقيطي: أظهر الأقوال عندي وأقربها للصواب في نظري أن المراد بـ ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ هنا في هذه السورة و ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ في الواقعة هو نجوم القرآن التي نزل بها الملك نجمًا فنجمًا، وذلك لأمرين:

أحدهما: أن هذا الذي أقسم الله عليه بالنجم إذا هوى أن النبي ﷺ على حق، وأنه ما ضل وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إ لا وحي يوحى موافق في المعنى لما أقسم عليه بمواقع النجم، وهو قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾.

والثاني: أن كون المقسم به المعبر عنه بالنجوم هو القرآن العظيم، وهو أنسب لقوله بعده: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾.

انظر: «أضواء البيان» ٧/ ٧٠٠- ٧٠١.

وتقول: جعلت مالي على فلان نجومًا منجمة يؤدي كل نجم في شهر كذا.

وأصل هذا أن العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيتًا لحلول ديونها، فيقول إذا طلع النجم وهو الثريا: حل عليك مالي، وكذلك سائرها، ومن هذا قول زهير في ديات جعلت نجومًا على العاقلة[١]:

يُنَجِّمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةً ... ولَمْ يُهريقُوا بَيْنَهُمْ مِلءَ مِحْجَمِ[٢]

هذا الذي ذكرنا هو الأصل ثم جعل كل تنجيم تفريقًا وإن لم يكن مؤقتًا بطلوع نجم.

ويدل على صحة هذا التأويل الذي ذكرنا في الآية قوله ﷻ: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥]. قال عبد الله: يعني القرآن. فلما ذكر القسم به ها هنا ذكر أيضًا هناك.

وقوله: (هَوَى) معناه على هذا القول: نزل.

قال الأصمعي: هَوَى يَهْوِي هَوِيًّا إذا سقط من علو إلى أسفل، وقال أبو زيد: هَوت العقاب تَهْوي هَويًّا بالفتح إذا انقضّت على صيد أو غيره. فهذان ذكرا المصدر بفتح الهاء، ونحو ذلك قال ابن الأعرابي، وفرق بين الهَويّ والهُوي، فقال: بالفتح في السريع إلى أسفل والضم في السريع إلى فوق، وأنشد:

والدَّلْوُ في إِصْعادِها عَجْلَى الهُويّ[٣]

---

(١) العاقلة: قبيلة الرجال، ولا يُحملون من الدية ما لا يطيقونه. «اللسان» ٢/ ٨٤٥ (عقل).

(٢) انظر: «ديوان زهير» ص١٧، و«تهذيب اللغة» ١١/ ١٢٩، و«اللسان» ٣/ ٥٨٩ (نجم)، و«شرح المعلقات السبع» للزوزني ص٦٤.

والمِحجم: آلة الحجام، والمعنى أنهما لم يريقوا مقدار ما يملأ محجمًا من الدماء.

(٣) لم أجده منسوبًا. وانظر: «الأضداد» لقطرب ص١٢٠، وفيه: (إتراعها) بدل (إصعادها).

بالضم. وقال الليث: العامة تقول: الهُوِيُّ في مصدر هَوَى يَهْوِي هُوِيًّا. وأما الهَوِيُ فالحين من الزمان، يقال: جلست عنده هَوِيًّا. هذا كلام أهل اللغة[١].

وبان أن معنى (هَوَى) سقط كسقوط النجم في مغاربه من الأفق، ولما سمي القرآن نجمًا سمي نزوله هويًا ليتجانس اللفظ.

وقال في رواية علي بن أبي طلحة، وعطية: يعني والثريا إذا سقطت وغابت وهو قول مجاهد في رواية ابنه، ومنصور، وابن أبي نجيح عنه[٢].

والعرب تطلق اسم النجم على الثريا خاصة.

قال ساجعهم[٣]:

طَلَعَ النجْمُ غُدَيَّه ابتَغَى الرَّاعي شُكَيَّه[٤]

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ٦/ ٤٨٨ (هوى)، و«اللسان» ٣/ ٨٤٨ (هوا).

(٢) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٢٧، و«تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٥٠، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٤٦.

وقال ابن جرير: (والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله مجاهد من أنه عنى بالنجم في هذا الموضع الثريا ...) «جامع البيان» ٢٧/ ٢٥.

(٣) (ك): (سابعهم).

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ١١/ ١٢٧، ولم ينسبه لقائل، و«شواهد الكشاف» ص٦، و«التفسير الكبير» ٢٨/ ٢٧٩، و«البحر المحيط» ٨/ ١٥٧، وفي «ارتشاف الضرب» ١/ ١٧٠:

طَلَعَ النجم غدية وبع لراعي كُسيَّه

وفي «الأضداد» لابن الأنباري ٦٢:

إذا الثريا طلعت غديه فبع لراعي غنم كسيهْ

وفيه:

إذا الثريا طلعت عشاءً فبع لراعي غنم كساءً

وقال أيضًا:

طَلَعَ النَجْمُ عشيا ابتَغَى الراعي شُكَيَّا

يعني الثريا. ومنه قول الراعي يصف قدرًا كثيرة الدسم:

فَبَاتَتْ تَعُدُّ النَّجْمَ فِي مُسْتَحِيرَةٍ سَرِيعٍ بأَيْدِي الآكِلِينَ جُمُودُهَا[1]

يريد: تعد أنجم الثريا.

قال ابن دريد: وهي سبعة أنجم ستة منها ظاهرة، وواحد منها خفي، يمتحن الناس به أبصارهم[2].

وقوله: فباتت تعد النجم، يدل على أن هذا كان في وسط الشتاء حين تحلق الثريا في وسط السماء، وذلك في ليالي الشتاء؛ لأنها لو كانت في أفق لم يكن عدها في القِدْر.

وقال في رواية عكرمة: يعني الرجوم من النجوم، وهي ما يرمى به الشياطين عند استراق السمع[3].

وهذا القول ظاهر ونحن نشاهد هوي النجم إذا رمى به.

وهذا قول الحسن[4]. وقال أبو حمزة الثمالي: يعني النجوم إذا

= وفي «الأضداد» للأصمعي ٣٠:

إذا الثريا طلعت عشيه فبع لراعي غنم كسيه

(١) انظر: «ديوان الراعي» ص١٩٤، و«الحماسة» لأبي تمام ٢/ ٢٠٧، و«مجاز القرآن» ٢/ ٢٣٥، و«اللسان» ٣/ ٥٩٠ (نجم). والمستحيرة: هي المتحيرة في امتلائها، أي في مرقها. «اللسان» ١/ ٧٦٧ (حير).

(٢) انظر: «اللسان» ٣/ ٥٨٩ (نجم)، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٨٢.

(٣) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٩٢، و«معالم التنزيل»» ٤/ ٢٤٤.

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٨٢.

انتثرت يوم القيامة[١].

هذا الذي ذكرنا أقوال المفسرين.

وقال أبو عبيدة: النجم بمعنى النجوم. أقسم بالنجم إذا سقط في المغرب، كأنه يخصص الثريا دون غيرها، واحتج ببيت الراعي، وجعل النجم فيه نجوم السماء عامة[٢].

وعلى هذا أقسم بالنجم ليدل على ما فيها من العبرة بتصريف من يملك طلوعها وغيوبها، ولا يملكه إلا الله وحده.

وقال الأخفش: النجم ها هنا معناه: النبت الذي ليس له ساق، وهوى سقط على الأرض[٣]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦] وسنذكر الكلام في النجم بمعنى النبت إذا انتهينا إلى هذه الآية إن شاء الله. ثم ذكر جواب القسم فقال:

٢- قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ يعني النبي ﷺ يقول: ما ضل عن طريق الهدى وما غوى.

قال مقاتل: يعني ما تكلم بالباطل[٤].

٣- ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ أي وما ينطق محمد بالقرآن من هوى نفسه. قال الكلبي: قالت قريش: إن محمدًا ﷺ يقول القرآن من تلقاء نفسه،

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٤.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٣٥، وذكره الشوكاني ونسبه لجماعة المفسرين، ورجحه. «فتح القدير» ٥/ ١٠٤.

(٣) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٤، «فتح القدير» ٥/ ١٠٥، شرحه ثم قال: وأما على قول من قال إنه الشجر الذي لا ساق له. فلا يظهر للهوي معنى صحيح.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٠ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٥.

فنزلت هذه الآيات[١] .

قال أبو إسحاق: أي ما الذي يأتيكم به مما قاله بهواه

٤- ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٌ يُوحَىٰ﴾ إنْ بمعنى ما[٢].

قال الكلبي ومقاتل: ما القرآن إلا وحي من الله ﷻ يأتي به جبريل، فذلك قوله:

٥- ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾[٣] قال ابن عباس والمفسرون: يعني جبريل[٤] عليه السلام، والقوى جمع قوة

٦- ﴿ذُو مِرَّةٖ﴾. قال الكلبي: ذو شدة[٥]، وقال مقاتل: ذو قوة[٦].

ومعنى المِرَّة في اللغة شدة الفتل وشدة أسر الخلق، ومنه الحديث: «**لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مِرَّة سَوي**»[٧] .

وأصل المرة من أمررت الحبل أي: شددت فتله، وكل قوة من قوى الحبل مرة، وجمعها مِرر[٨]. وتم الكلام عند قوله: ﴿ذُو مِرَّةٖ﴾[٩] وهو من

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٧٠.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٧٠.

(٣) انظر:«تفسير مقاتل» ١٣٠ أ، و«الوسيط» ٤/ ١٩٣.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٩١، و«جامع البيان» ٢٧/ ٢٥، و«ابن كثير» ٤/ ٢٤٧.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٩١، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٥.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٠ أ، و«جامع البيان» ٢٧/ ٢٥، عن ابن زيد، ومجاهد، وسفيان.

(٧) حديث صحيح، أخرجه الإمام أحمد في «المسند» ٢/ ١٦٤، ١٩٢ والترمذي في الزكاة، باب ما جاء من لا تحل له الصدقة ٣/ ٤٢، وأبو داود في الزكاة، باب من يعطى من الصدقة وحد الغنى ١/ ٤٠٧، وابن ماجه في الزكاة ١/ ٥٨٠ (٢٦).

(٨) انظر: «تهذيب اللغة» ١٥/ ١٩٦ (مر).

(٩) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٨٧.

نعت ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾[١].

ثم قال: ﴿فَاسْتَوَى﴾ قال صاحب النظم: ﴿فَاسْتَوَى﴾ لا يحسن انتظامه بما قبله؛ لأن دخول الفاء لو كان متصلًا بما قبله لوجب أن يكون ما قبله للاستواء، وهو متصل بما بعده على تأويل ﴿فَاسْتَوَى﴾ أي جبريل ﴿وَهُوَ﴾ أي النبي ﷺ، وعلى هذا عطف بقوله ﴿وَهُوَ﴾ على الضمير المرفوع في ﴿اسْتَوَى﴾ من غير تأكيد.

قال الفراء: وأكثر كلام العرب إذا نسقوا على المكنى المرفوع أن يؤكدوه[٢] قبل أن ينسقوا عليه فيقولون: استوى هو وأبوه ولا يكادون يقولون: استوى وأبوه، وربما فعلوا ذلك كقول الشاعر:

ألم تر أن النبع يصلب عوده ولا يستوي والخروع المتقصف[٣]

قال أبو إسحاق: وهذا عند أهل اللغة لا يجوز مثله إِلَّا في الشعر، وإنما المعنى: استوى جبريل وهو بالأفق الأعلى على[٤] صورته الحقيقية فاستوى لأنه كان يتمثل للنبي ﷺ إذا هبط عليه بالوحي في صورة رجل فأحب رسول الله ﷺ أن يراه على حقيقته فاستوى في أفق المشرق فملأ الأفق، فالمعنى: فاستوى جبريل في الأفق الأعلى على صورته[٥].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٩٥.

(٢) في (ك): (يؤكده، فيقول).

(٣) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ٩٥، و«القطع والائتناف» ص٦٨، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٨٥، ولم أجد البيت منسوبًا.

(٤) في (ك): (على) ساقطة.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٧٠.

وشرح أبو علي الفارسي هذا الفصل فقال: قوله:

٧- ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ مرتفع ﴿هُوَ﴾ فيه بالابتداء وليس هو وهو، وكان قوله: ﴿بِٱلْأُفُقِ﴾ ظرفًا لـ(استوى)، وليس كذلك، ولكنه من استوى الذي هو يقتصر فيه على فاعل واحد، كقوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القصص: ١٤] و﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] فقوله: ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ تأويلنا في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ، وفيه ضمير للمبتدأ، وقد تبينت أنه لا دلالة لمن احتج بهذه الآية على جواز عطف الظاهر المرفوع على المضمر المرفوع من غير أن يؤكد، ولكن يجيء في الشعر كقوله:

قُلْتُ إذْ أَقْبَلَتْ وزُهْرٌ تَهادَى كَنِعاجِ الْمَلا تَعَسَّفْنَ رَمْلا[١]

انتهى كلامه[٢].

وعلى ما قالا: الواو في ﴿وَهُوَ﴾ واو الحال لا العطف، والضمير لجبريل.

وقول الفراء كما هو خطأ في العربية، ولم يقله أيضًا أحد من المفسرين الذين يعتمدون فيما أعلم، إنما جعلوا ﴿هُوَ﴾ ضميرًا لجبريل.

قال عطاء عن ابن عباس: رأى رسول الله ﷺ جبريل وهو بالأفق الأعلى في صورته له ستمائة جناح، ونحو هذا ذكر الكلبي عنه[٣].

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة كما في «ديوانه» ص١٧٧، و«الكتاب» ١/ ٣٩٠، و«الخصائص» ٢/ ٢، و«الإنصاف» ص٤٧٥.

(٢) لم أجده.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٩٣، وفي صحيح البخاري: كتاب التفسير، سورة =

وقال مقاتل ﴿وَهُوَ﴾ يعني جبريل ﴿بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ يعني من قبل المطلع[(١)].

وقال الكلبي: يعني مطلع الشمس[(٢)]، وهذا قول الجميع في الأفق الأعلى. يعني: أفوق المشرق[(٣)]. وذكرنا تفسير الأفق عند قوله: ﴿ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ﴾[(٤)].

قال المفسرون: إن جبريل كان يأتي رسول الله ﷺ في صورة الآدميين فسأله رسول الله ﷺ أن يريه نفسه على صورته التي جعل عليها فأراه نفسه مرتين. مرة في الأرض، ومرة في السماء، فأما في الأرض ففي الأفق الأعلى، وذلك أن محمدًا[(٥)] ﷺ كان بحراء[(٦)] فطلع له جبريل من المشرق فسد الأفق إلى المغرب، فخر رسول الله ﷺ مغشيًّا عليه، فنزل جبريل في صورة الآدميين وضمه إلى نفسه، وجعل يمسح الغبار عن وجهه، ومثل هذا[(٧)] قوله: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣] وأما في

= النجم ٦/ ١٧٦، عن ابن مسعود بلفظ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾ ... رأي جبريل له ستمائة جناح.

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٠ أ.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٩١.

(٣) انظر: «تفسير عبد الرزاق ٢/ ٢٥٠، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٨٨.

(٤) عند تفسيره لآية (٥٣) من سورة فصلت. حيث قال: واحد الآفاق أفق وهو الناحية من نواحي الأرض، وكذلك آفاق السماء أطرافها ونواحيها.

(٥) قوله: (وذلك أن محمدًا) زيادة من «الوسيط» حيث لم تظهر في (ك).

(٦) حراء بالكسر والتخفيف والمد: جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال.
انظر: «معجم البلدان» ٢/ ٢٣٣.

(٧) في (ك): (ومثل هذا) لم تظهر ولعل ما أثبته يقيم العبارة.

السماء فعند سدرة المنتهى، ويأتي بيانه بعد ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾.

هذا، ولم يره أحد من الأنبياء[١] على تلك الصورة إلا محمد ﷺ[٢].

وقوله: ﴿ٱلْأَعْلَىٰ﴾ ليس المراد به الأعلى في السماء، وإنما المراد بالأعلى جانب المشرق، وهو فوق جانب المغرب، فهو أعلى منه في صعيد الأرض لا في الهواء. وقد يقال لما استعلى من البلاد آفاق تشبيهًا بآفاق السماء ومنه قول امرئ القيس:

فقد طوفتُ بالآفاق حتى   رضيتُ من الغنيمةِ بالإياب[٣].

ويجوز أن يكون المراد بالأفق الأعلى طرف السماء، ويدل على صحة هذا التفسير الذي ذكرنا وهو أن جبريل كان بالأفق الأعلى دون محمد ﷺ.

٨- ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ التدلي مطاوع التدلية[٤] يقال: دليت الشيء في مهواه فتدلى، فمعنى التدلي الامتداد إلى جهة السفل، يقال: تدلى العذق تدليًا. هذا هو الأصل، ثم يستعمل في القرب من العلو، وهذا قول الفراء[٥].

وقال صاحب النظم: هذا من التقديم والتأخير؛ لأن المعنى: ثم تدلى فدنا، لأن التدلي سبب الدنو[٦].

---

(١) في (ك): (الأنبياء) مطموسة.

(٢) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٢ أ- ب، و«الوسيط» ٤/ ١٩٣، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٥، و«زاد المسير» ٨/ ٦٥.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) انظر: «التفسير الكبير» ٢٨/ ٢٨٥، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٤٧، و«تفسير القاسمي» ١٥/ ٥٥٥٧.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٩٥.

(٦) انظر: «التفسير الكبير» ٢٨/ ٢٨٦، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٨٩.

قال ابن الأعرابي: تدلى إذا قرب بعد علو، وتدلى تواضع، ويقال: تدلى فلان علينا من أرض كذا، أي: أتانا، يقال: من أين تدليت علينا. قال أسامة الهذلي[(١)]:

تَدَلَّى عَلَينا وهْوَ زُرْقٌ جِمَامُهُ ... له طِحْلِبٌ في مُنْتَهى القَيْضِ هَامِدُ[(٢)]

وقال لبيد:

فَتَدَلَّيْتُ عليه قَافِلًا ... وعلى الأرضِ غَيَايَاتُ الطَّفَل[(٣)]

أراد أنه نزل من مر بابه وهو على فرسه راكب. ولا يكون التدلي إلا من علو إلى أسفل[(٤)]. قال الكلبي: ثم دنا جبريل من محمد فتقرب منه[(٥)].

وقال الحسن، وقتادة: ثم دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض فنزل إلى محمد ﷺ[(٦)].

وقال أبو صالح: جبريل الذي دنا فتدلى[(٧)].

---

(١) أسامة بن الحارث الهذلي، يكنى أبا سهم، كان من بني عمرو بن الحارث، عاش في الجاهلية وصدر الإسلام. انظر: «الشعر والشعراء» ٤١٩، الإصابة ١/ ٢٠، و«ديوان الهذليين» ٢/ ١٥٢، و«معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين» ص١٤.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» ١٤/ ١٧٣ (دال)، و«اللسان» ١/ ١٠٠٩ (دلا)، وروايتهما: زرق حمامةٍ، وكذا ذكرها المؤلف، وفي زيادات «ديوان الهذليين» ٣/ ١٣٥١: زرقٌ جمامهُ، وهو الصواب. ومعناه الماء الصافي الكثير.

(٣) انظر: «ديوان لبيد» ص١٤٥، غيايات الطفل: هو ظل الشمس بالعشي. «اللسان» ٢/ ٥٩٩ (طفل)، ١/ ١٠٣٩ (غيا).

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ١٤/ ١٧٣ (دال)، و«اللسان» ١/ ١٠٠٨ (دلا).

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٩٢، و«معاني القرآن» للفراء ٣/ ٩٥.

(٦) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٥٠، و«الوسيط» ٤/ ١٩٣، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٦.

(٧) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٩٣، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٨٨.

قال أبو إسحاق: معنى (دنا فتدلى) واحد، لأن المعنى أنه قرب، وتدلى زاد في القرب كما تقول: قد دنا مني فلان وقرب، ولو قلت: قرب مني ودنا جاز(١).

قال أبو بكر بن الأنباري: معنى الآية: ثم تدلى جبريل فدنا من محمد ﷺ، فقدم (دَنَا) على (تدلى) لأن الفعلين المصطحبين اللذين إذا وقع أحدهما موقع الآخر كان تقدم المتقدم كتأخره، كقولك: دنوت فقربت، وقربت فدنوت، لا فرق بينهما، وكذلك ظلمتني فأسأت، بمنزلة: أسأت فظلمتني، ومنه قوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]. معناه انشق القمر واقتربت الساعة(٢).

٩- ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ القاب من القوس ما بين المقبض والسية(٣). ولكل قوس قابان، والقاب في اللغة أيضًا القَدْر.

قال أبو عبيدة: قدر قوسين، ونحو ذلك قال الفراء والزجاج(٤).

وقال ابن السكيت: يقال: قاب قوس وقيب، وقاد رمح، وقيد رمح. كله بمعنى القدر(٥). وهذا هو المعنى بما في الآية لا الأول وهو قول

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٧٠.

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٨٩، و«فتح القدير» ٥/ ١٠٦، وهو قول الفراء أيضًا. انظر: «معاني القرآن» ٣/ ٩٥.

(٣) سية القوس: ما عطف من طرفيها، ولها سيتان، وقيل: رأسها، وقيل: ما اعوج من رأسها. «اللسان» ٢/ ٢٥٥ (سيا).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٣٦، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٧١، و«اللسان» ٣/ ١١ (قوب).

(٥) انظر: «إصلاح المنطق» ص٨٩، ولفظه: قاب قوس وقيب قوس، وقيس رمح وقاس رمح..، و«تهذيب اللغة» ٩/ ٢٤٧ (قاد).

المفسرين جميعًا[١].

قال الكسائي: وهي لغة حجازية، يقال: كان مني قاب قوسين، وقاد قوسين، وقيد قوسين[٢]، وانتصب قاب على خبر كان.

قال الزجاج: المعنى كان ما بينه وبين رسول الله ﷺ مقدار قوسين[٣].

وقال الكلبي: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ قدر قوسين من القسي العربية، وهو قول مجاهد، ورواية عكرمة عن ابن عباس، وعطاء قالوا: قدر قوسين[٤].

وقال الكلبي، والحسن، وقتادة: قيد قوسين[٥].

والمراد بالقوس هي التي ترمى منها في قول هؤلاء وخصت بالذكر على عادتهم كما ذكره الكسائي[٦].

وقال عبد الله: قدر ذراع أو ذراعين[٧].

وروى عاصم عن أبي رزين قال: القاب: القيد، والقوس: الذراع. وهذا قول شقيق[٨] بن سلمة، وسعيد بن جبير، وأبي إسحاق الهمداني قالوا: قدر ذراعين[٩]، وعلى هذا معنى القوس: ما يقاس به الشيء، أي:

---

(١) انظر: «جامع البيان» ٢٧/٢٧، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٦، و«القرطبي» ١٧/ ٨٩.
(٢) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٥ ب.
(٣) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٧١.
(٤) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٩٢، و«الوسيط» ٤/ ١٩٤، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٦، و«زاد المسير» ٨/ ٧٦.
(٥) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٥٠، و«جامع البيان» ٢٧/ ٢٧.
(٦) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٩٤. (٧) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٢٧.
(٨) في (ك): (سفيان) والصواب ما أثبته.
(٩) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٢٧، و«الوسيط» ٤/ ١٩٤، و«القرطبي» ١٧/ ٩٠. =

يقدر كالذراع.

قال ابن السكيت: قاس الشيء يَقُوسُه قوسًا لغة في قاسه إذا قدرته، يقال قِسْتُه وقُسْتُه[(١)].

والقوس مصدر كالقيس، ثم سُمِّي ما يقاس به الشيء قوسًا، وهي لغة أهل الحجاز.

وروى الشعبي عن مسروق قال: قلت لعائشة رضي الله عنها في قوله[(٢)]: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ قال: ذاك جبريل[(٣)]، وهو قول ابن عباس، والحسن، وقتادة، والربيع[(٤)].

وقوله: (أَوْ أَدْنَى) أو أقرب بنصف القوس، وقال مقاتل: بل أقرب من ذلك[(٥)].

قال أبو إسحاق: خاطب الله تعالى العباد على لغتهم ومقدار فهمهم، والمعنى: أو أدنى فيما تقدرون أنتم كما تقول في الشيء تقدره: هذا قدر رمحين، أو نقص، أو أرجح، والله تعالى عالم بمقادير الأشياء من غير

= قال ابن حجر: وينبغي أن يكون هذا القول هو الراجح، فقد أخرج ابن مردويه بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: القاب القدر، والقوسان الذراعان، ويؤيده أنه لو كان المراد به القوس التي يرمى بها لم يمثل بذلك ليحتاج إلى التثنية، فكان يقال مثلًا: قاب رمح أو نحو ذلك. «فتح الباري» ٨/ ٦١٠.

(١) انظر: «إصلاح المنطق» ١٣٧، و«تهذيب اللغة» ٩/ ٢٢٥ (قاس).

(٢) في (ك): (في قوله) ساقطة.

(٣) انظر: «صحيح مسلم»، كتاب الإيمان، باب قوله ﷻ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ١/ ١٥٩، و«جامع البيان» ٢٧/ ٢٧، و«الوسيط» ٤/ ١٩٤.

(٤) انظر: «تفسير عبد الرزاق ٢/ ٢٥١، و«ابن كثير» ٤/ ٢٤٩، و«فتح الباري» ٨/ ٦٠٨.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٠ أ.

شك، ولكنه يخاطبنا على ما جرت به عادة المخاطبة فيما بيننا(١)، وقد مر مثل هذا في قوله: ﴿إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾(٢).

ومعنى الآية أن جبريل مع عظمه وكثرة أجزائه حتى سد الأفق بجناحه دنا من النبي ﷺ في غير تلك الصورة حتى قرب منه بعدما رآه على الصورة الأولى، وفي ذلك بيان قدرة الله تعالى.

١٠-١١- قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء والكلبي: أوحى جبريل إلى النبي ﷺ ما أوحى الله إليه(٣).

وقال قتادة: يوحي الله إلى جبريل ويوحي جبريل إلى محمد ﷺ، هذا قول الحسن، وابن زيد(٤)، واختيار الفراء، والزجاج، وابن الأنباري(٥).

قوله: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ يقال: كذبني فلان بالتخفيف، أي: قال لي الكذب ولم يصدقني، وهذا فعل يتعدى إلى مفعول واحد، يدل

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٧١.

(٢) من آية (١٤٧) من سورة الصافات. قال: ﴿أو يزيدون﴾ قال أبو عبيدة: أو ها هنا ليست شك، وقالوا هي في موضع الواو.. وهو قول قطرب واختيار ابن قتيبة، ومثله (أَوْ أَدْنَى) ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ وبعضهم يذهب إلى أنها بمعنى (بل)، وبه قال الفراء وهو قول مقاتل والكلبي... وقال الأخفش: كانوا كذلك عندكم.. وبه قال الزجاج.

(٣) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٩٥، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٦.

(٤) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٢٨، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٦ أ، و«الوسيط» ٤/ ١٩٥، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٦.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٩٥، و«معاني القرآن»، للزجاج ٥/ ٧١.

عليه قول الأخطل:

كَذَبَتْكَ عَيْنُكَ أم رَأيتَ بواسِطٍ غَلَسَ الظَّلامِ من الرَّبابِ خَيَالاً[(١)]

أي أرتك ما لا حقيقة له، كما أنك إذا قلت كذبتني عيني، معناه: رأت ما لا حقيقة له، ومعنى الآية: كانت رؤيته صحيحة غير كاذبة.

قال المفسرون: هذا إخبار عن رؤية النبي ﷺ ربه ليلة المعراج.

قال ابن عباس في رواية عطاء: رأى ربه بقلبه[(٢)].

وقال في رواية باذان: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ﴾ يعني فؤاد رسول الله ﷺ، وإنما رأى محمد ربه بفؤاده ولم يره بعينه[(٣)].

وقال في رواية عكرمة: رآه بقلبه[(٤)].

وقال في رواية أبي العالية: رآه بفؤاده[(٥)]، ونحو هذا روي عن أبي ذر[(٦)]، وإبراهيم التيمي. وعلى هذا القول: رأى النبي ﷺ ربه بفؤادِهِ رؤية

---

(١) انظر: «ديوان الأخطل» ١/ ١٠٥، و«الكتاب» ٣/ ١٧٤، و«الخزانة» ٦/ ٩، و«مغني اللبيب» ص٤٥، و«المقتضب» ٣/ ٢٩٥.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب قول الله ﷻ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ١/ ١٥٨، بلفظ (رآه بقلبه).

قال ابن حجر: وأصرح من ذلك ما أخرجه ابن مردويه من طريق عطاء أيضًا عن ابن عباس قال: لم يره رسول الله ﷺ بعينه، إنما رآه بقلبه. «فتح الباري» ٨/ ٦٠٨.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٩٢، و«الدر» ٦/ ١٢٥، وزاد نسبة تخريجه لابن جرير وعبد بن حميد.

(٤) أخرجه الترمذي في التفسير، سورة النجم، ٥/ ٣٦٩، وقال: هذا حديث حسن، وابن جرير في «جامعه» ٢٧/ ٢٨، وعبد الرزاق في «تفسيره» ٢/ ٢٥١.

(٥) انظر: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ١/ ١٥٨ ولفظه: (رآه بفؤاده مرتين)، و«مسند الإمام أحمد» ٢/ ٢٢٣، و«الطبري» ٢٧/ ٢٩.

(٦) رواه ابن خزيمة بلفظ: (رآه بقلبه ولم يره بعينه)، و«فتح الباري» ٨/ ٦٠٨.

صحيحة، وهو أن الله تعالى جعل بصره في فؤاده، أو خلق لفؤاده بصرًا حتى رأى به رؤية غير كاذبة كما يرى بالعين(١).

ومذهب جماعة من المفسرين أنه رآه بعينه، وهو قول أنس(٢)، وعكرمة، والحسن، وكان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه(٣)، ونحو ذلك قال الربيع(٤).

وروى عكرمة أنه قال: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد ﷺ(٥).

وروى عبد الله بن الحارث عن ابن عباس أنه قال: أما نحن بنو هاشم فنقول إن محمدًا رأى ربه مرتين(٦).

---

(١) انظر: «شرح النووي على مسلم» ٣/ ٦، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٦، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٩٢.

(٢) رواه ابن خزيمة بلفظ: (رأى محمدٌ ربه)، و«فتح الباري» ٨/ ٦٠٨.

(٣) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٥٣.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ٣/ ٧-٦، و«فتح الباري» ٨/ ٦٠٨، وزاد نسبة هذا القول لعروة بن الزبير وكعب الأحبار، والزهري، ومعمر، والأشعري، وغالب أتباعه، وسائر أصحاب ابن عباس، والإمام أحمد.

(٥) أخرجه الحاكم في «مستدركه»، كتاب التفسير، تفسير سورة النجم ٢/ ٤٦٩ وقال: حديث صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه. وانظر: «فتح الباري» ٨/ ٦٠٦.

(٦) أخرجه الترمذي في كتاب «التفسير» ٥/ ٣٦٨، من كلام كعب، حيث قال: فقال كعب: وإن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى، فكلم موسى مرتين، ورآه محمد مرتين.

وابن جرير في «تفسيره» ٢٧/ ٣١، وذكر عبد الرزاق في «تفسيره» ٢/ ٢٥٢ قول ابن عباس ثم قال: فكبر كعب حتى جاوبته الجبال، ثم قال.. وذكر كلام كعب.

وكل هؤلاء أثبتوا رؤية صحيحة إما بالعين والبصر، وإما بالفؤاد على ما بينا[١].

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله: ومن روى عنه -أي: عن ابن عباس- بالبصر فقد أغرب، فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة رضي الله عنهم، وقول البغوي في تفسيره: وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه، وهو قول أنس، والحسن، وعكرمة، فيه نظر والله أعلم. «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٥٠.
قلت: وما ذكره ابن كثير -رحمه الله- عن البغوي هو كلام الواحدي، وإنما نقله البغوي عنه.
والخلاف في هذه المسألة مشهور، وبقول كلٍّ قال أناس من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، والنصوص الواردة في هذا الباب لا تؤيد وجهة أحدهما، ولهذا نقل القاضي عياض عن بعض مشايخه التوقف ورجحه القرطبي.
انظر: «فتح القدير» ٨/ ٦٠٨، و«روح المعاني» ٢٧/ ٥٣.
وحكى عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة على أنه لم يره.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وليس قول ابن عباس «أنه رآه» مناقضًا لهذا، ولا قوله (رآه بفؤاده) وقد صح عنه أنه قال: (رأيت ربي تبارك وتعالى) ولكن لم يكن هذا في الإسراء، ولكن كان في المدينة لما احتبس عنهم في صلاة الصبح.
وأما الرؤية فالذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال: (رأى محمد ربه بفؤاده مرتين) وعائشة أنكرت الرؤية. فمن الناس من جمع بينهما فقال: عائشة أنكرت رؤية العين، وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد... والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة أو مقيدة بالفؤاد تارة.. ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه. وكذلك الإمام أحمد.. لكن طائفة من أصحابه سمعوا بعض كلامه المطلق ففهموا منه رؤية العين، كما سمع بعض الناس مطلق كلام ابن عباس ففهم منه رؤية العين. «مجموع الفتاوى» ٦/ ٥٠٧، ٥٠٩. قلت: وبهذا الكلام النفيس يتبين اتفاق الصحابة -رضوان الله عليهم- على أنه لم يره بعينه، والله أعلم. وانظر: «زاد المعاد» ٣/ ٣٧، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٥٠-٢٥١، و«شرح العقيدة الطحاوية» ٢/ ٢٢٢-٢٦، و«تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة» ٢/ ٨٣٥-٨٤١.

قال المبرد: ومعنى الآية أنه رأى شيئًا فصدق فيه[١].

وقال أبو الهيثم: أي لم يكذب الفؤاد رؤيته و (مَا رَأَى) بمعنى الرؤية. يقال: ما أوهمه الفؤاد أنه رأى ولم[٢] ير، بل صدقه الفؤاد رؤيته[٣]، وعلى هذا (مَا رَأَى) مصدر في موضع النصب؛ لأنه مفعول كذب.

وقرأ ابن عامر (مَا كَذَّبَ) بالتشديد[٤]، قال المبرد: ومعناه أنه رأى شيئًا بقلبه. قال: وفي هذه القراءة بعد، لأنه إذا رأى بقلبه فقد علمه أيضًا بقلبه، وإذا وقع العلم فلا تكذيب معه، لأن القلب يكذب ويصدق فإذا كان الشيء في القلب معلومًا فكيف يكون معه تكذيب، وهذا على ما قال المبرد إذا جعلت الرؤية للفؤاد، فإن جعلتها للعين زال هذا الإشكال وصح هذا المعنى، فيقال: ما كذب فؤاده ما رآه ببصره[٥].

---

(١) انظر: «التفسير الكبير» ٢٨/ ٢٨٩.

(٢) في (ك): (أي لم) والصواب ما أثبته.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ١٠/ ١٧٠، و«اللسان» ٣/ ٢٣٣ (كذب).

(٤) قرأ أبو جعفر، وابن عامر في رواية هشام: (ما كَذَّب) مشددة، وقرأ ابن عامر في رواية ابن ذكوان وبقية العشرة (ما كَذَبَ) مخففة. انظر: «حجة القراءات» ص٦٥، و«النشر» ٢/ ٣٩، و«الإتحاف» ص٤٠٢.

(٥) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٩٥، و«إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٢٦٤، قال ابن جرير في معنى قراءة التشديد: إن الفؤاد لم يكذب الذي رأى، ولكنه جعله حقًّا وصدقًا، وقد يحتمل أن يكون معناه إذا قرئ كذلك ما كذب صاحب الفؤاد ما رأى.. لذا هو أولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ بالتخفيف لإجماع الحجة من القراء عليه، والأخرى غير مدفوعة صحتها لصحة معناها. «جامع البيان» ٢٧/ ٢٩.
قلت: وإذا أمكن توجيه القراءة وحملها على وجه صحيح فلا مجال لردها، كيف وقد صحت عن رسول الله ﷺ وعندها فلا قبول لقول أحد بعد صحتها عن أفصح العرب ﷺ مهما بلغت درجته ومنزلته ونسأل الله له المغفرة.

وأنكرت عائشة رضي الله عنها رؤية محمد ﷺ ربه ليلة المعراج، وكانت تخالف ابن عباس في مذهبه وتذهب بهذه الرؤية إلى رؤية جبريل(١). وظاهر الآية مع ابن عباس، وقد قال معمر: ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس(٢).

ثم هذا الاختلاف من أدل دليل على أن البارئ جائز الرؤية؛ لأن ما لا تجوز رؤيته لا يختلف في رؤيته، وعائشة أنكرت الرؤية في الدنيا وقبل الموت، واحتجت بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾(٣) [الأنعام: ١٠٣] الآية.

١٢- قوله تعالى: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ قال الكلبي وغيره من المفسرين: لما نزل ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ الآيات، أتى عتبة بن أبي لهب رسول الله ﷺ فقال: يا محمد هو يكفر بالنجم إذا هوى وبالذي دنا فتدلى، فنزلت هذه الآية(٤).

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» كتاب التفسير ٥/ ٣٦٨، عن مسروق، عن عائشة، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٤٩، وبهذا قال ابن مسعود وأبو ذر، وأبو هريرة.

(٢) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٥٢.

(٣) قلت: تقدم الكلام على هذه المسألة. وفي قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وفي الأخبار الصحيحة المشهورة ما يثبت وقوعها للمؤمنين في الآخرة، وإذا جازت في الآخرة جازت في الدنيا لتساوي الوقتين بالنسبة إلى المرئي.
وقال الإمام مالك: إنما لم يُرَ سبحانه في الدنيا، لأنه باق، والباقي لا يرى بالفاني، فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصارًا باقية رأوا الباقي بالباقي. انظر: «فتح الباري» ٨/ ٦٠٧-٦٠٨.

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٨٣، و«تخريجات الكشاف» ١٦٠، وقال: أخرجه أبو نعيم في «الدلائل».. ورواه البيهقي في الدلائل، والطبراني من طريق سعيد. عن قتادة مطولًا نحوه، ورواه الحاكم في «الدلائل» أيضًا، وقال البيهقي: هكذا قال عباس بن الفضل الأزرق، وليس بالقوى، وأهل المغازى يقولونه عتبة أو عتيبة. وانظر: «دلائل النبوة» للبيهقي ٢/ ٣٣٩.

وقرئ (أَفَتُمَارُونَهُ)[(١)] قال عامة المفسرين وأهل التأويل[(٢)] (أَفَتُمَارُونَهُ) أفتجادلونه و(أفتمرونه) أفتجحدونه، تقول العرب: مريت الرجل حقه إذا جحدته. قال الشاعر:

لئن هجرت أخا صِدقٍ ومَكْرُمَةٍ لقد مَرَيْتَ أخًا ما كان يَمْرِيكا[(٣)]

قال المبرد: (أفتمرونه) أي أتدفعونه عما يرى، قال: و(على) في موضع عن[(٤)]، و(أَفَتُمَارُونَهُ) أي: أتدفعونه وتمارونه، كأنه أغلب في هذا الموضع للإنكار عليهم، أي: تجادلونه فيما رأى وعلم، وأما الجحود منهم فقد كان ذلك عامًا فيما يأتيهم به الرسول ﷺ والجدال في هذا الموضع كأنه أغلب، والمعنيان يتقاربان؛ لأن مجادلتهم جحود فيجتمع فيه الجحود والمجادلة، وقد كانت من المشركين مجادلة النبي ﷺ حين أسري به قالوا: صف لنا مسجد بيت المقدس[(٥)]، وأخبِرنا عن عيرنا التي في

---

(١) قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، ويعقوب (أَفَتَمْرُونَهُ) مفتوحة التاء بغير ألف. وقرأ الباقون: (أَفَتُمَارُونَهُ) بألف. انظر: «حجة القراءات» ٦٨٥، و«النشر» ٢/ ٣٧٩، و«الإتحاف» ٤٠٢.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٩٦، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٧٢، و«جامع البيان» ٢٧/ ٢٩، و«الوسيط» ٤/ ١٩٧.

(٣) ورد البيت غير منسوب في «الكشاف» ٤/ ٣٨، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٩٣، و«البحر المحيط» ٨/ ١٥٩، و«تخريجات الكشاف» ٤/ ٨٧.
ومعناه: لئن ذممت أخا صدق ومكرمة، فقد غلبته في الجدال وأنفدت ما عنده أو جحدت حقه كأنك أخذت منه أو تسببت في إخراجه ما عنده فيذمك كما ذمته.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ١٥/ ٢٨٣ (مرى).

(٥) بيت المقدس. يطلق على الأرض المباركة وعلى الطور الذي كلم الله موسى عليه. والمراد به عند الإطلاق المسجد الأقصى.
انظر: «معجم البلدان» ٥/ ١٩٣.

طريق الشام[١]، وغير ذلك مما جادلوه به[٢].

واختار أبو عبيد (أفتمرونه) قال: وذلك أن المشركين إنما كان شأنهم الجحود لما كان يأتيهم من الوحي، فهذا أكثر من المماراة[٣].

قال أبو علي: من قال: (أَفَتُمَارُونَهُ) فمعناه: أفتجادلونه جدالًا ترومون به دفعه عما هو[٤] عليه وشاهده الوحي، ويقوي هذا الوجه قوله: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ [الأنفال: ٦]، ومن قال: (أفتمرونه) كان المعنى: أفتجحدونه، والمجادلة كأنه أشبه في هذا؛ لأن الجحود كان منهم في هذا وفى غيره، وقد جادله المشركون في الإسراء به فكان مما قالوا: صف لنا عيرنا في طريق الشام ونحو ذلك[٥].

وقد صح المعنيان عند[٦] المبرد، وأبي علي، على[٧] أن الوجه قراءة

---

(١) الشام: سميت بذلك لأن قومًا من كنعان بن حام خرجوا عند التفريق فتشاءموا بها إليها. وقيل غير ذلك طولها من الفرات إلى العريش نحو شهر، وعرضها نحو عشرين يومًا. انظر: «معجم البلدان» ٣/ ٣٥٣.

(٢) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٩٧، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٧، و«القرطبي» ١٧/ ٩٣.

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٩٣، و«فتح القدير» ٥/ ١٠٦.
قال النحاس: غير أن أبا حاتم حُكي أنه قال: لم يماروه وإنما جحدوه. قال وفي هذا طعن على جماعة من القراء تقوم بقراءتهم الحجة... والقول في هذا أنهما قراءتان مستفيضتان قد قرأ بهما الجماعة، غير أن الأولى من ذكرنا من الصحابة، فأما أن يقال لم يماروه فعظيم؛ لأن الله جل وعز قد أخبر أنهم قد جادلوا، والجدال هو المراءَ ولا سيما في هذه القصة.. «إعراب القرآن» ٣/ ٢٦٥.

(٤) (هو) ساقطة.

(٥) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٣٠.

(٦) (عند) ساقطة من (ك) وبها يستقيم الكلام.

(٧) (على) ساقطة من (ك) وبها يستقيم الكلام.

العامة لا ما اختاره أبو عبيد، وذلك أن الجحود كان عامًا منهم في كل ما يأتي به الرسول ﷺ والجدال كان في هذا خاصًا على ما ذكرا[١].

وأيضًا فإنه لا مجادل إلا وهو جاحد، وقد يجحد الشيء من لا يجادل فيه، فالجدال إذًا أعم.

١٣- معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ أكثر العلماء على أن المعنى أنه رأى جبريل في صورته مرتين على ما ذكرنا[٢].

وقال ابن عباس: رأى ربه على ما ذكرنا في قوله: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾.

وعلى هذا معنى قوله: (نَزْلَةً أُخْرَى) يعود إلى محمد ﷺ، وقد روي أنه كانت له عرجات في تلك الليلة لما استحط ربه من أعداد الصلوات المفروضة، فيكون لكل عرجة نزلة، فيحتمل أنه رأى ربه ﷻ في بعض تلك النزلات[٣].

---

(١) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٩٧، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٩٣.

(٢) وفي «صحيح مسلم» أن عائشة سألت النبي ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ وقوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ فقال: إنما هو جبريل. لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطًا من السماء سادًّا عظم خلقه ما بين السماء والأرض. كتاب: الإيمان، باب ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ١/ ١٥٩.

(٣) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٧، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٩٤.

قال ابن حجر: وأبدى بعض الشيوخ حكمة لاختيار موسى تكرير ترداد النبي ﷺ فقال: لما كان موسى قد سأل الرؤية فمنع وعرف أنها حصلت لمحمد ﷺ قصد بتكرير رجوعه تكرير رؤيته ليرى من رأى.

قال الشيخ ابن باز في تعليقه على هذه الحكمة: «ليست بشيء، والتحقيق أن النبي ﷺ لم ير ربه..» فتح الباري ١/ ٤٦٣.

(وهو) أي محمدًا ﷺ.

١٤- ﴿عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾، والسدر في اللغة: ضرب من شجر النبق[(١)].

قال عطاء عن ابن عباس: وإنما سميت سدرة المنتهى؛ لأن علم الملائكة ينتهي إليها[(٢)]. ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ حين تدلى إليه الرفرف[(٣)].

وقال الكلبي، ومقاتل: هي شجرة عن يمين العرش فوق السماء السابعة إنتهى إليها علم كل ملك[(٤)].

---

(١) في (ك): (البر). والنَّبِق: بتشديد النون وكسر الباء ثمر السدر. «اللسان» ٣/ ٥٧٠ (نبق).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» ١٣/ ١٥٠ عن ابن عباس قال: سألت كعبًا...، وانظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٩٣، و«جامع البيان» ٢٧/ ٣١ عن كعب، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٨ ب، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٩٥ عن كعب أيضًا.

(٣) لم أجد من قال بأن النبي ﷺ تجاوز سدرة المنتهى، وقد نقله النووي عن الواحدي في شرحه على مسلم ٢/ ٢١٤، ونسبه لابن عباس والمفسرين، والذي في الصحيح: (ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى، وغشيها ألوان لا أدري ما هي، ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبايل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك).
والرفرف هو المذكور في الصحيح حيث قال: (رأى رفرفًا أخضر قد سد الأفق).
يوضحه ما أخرجه النسائي، والحاكم، عن ابن مسعود قال: (أبصر نبي الله ﷺ جبريل ﵇ على رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض).
انظر: «صحيح البخاري»، كتاب: الصلاة، باب: كيف فرضت الصلوات في الإسراء ١/ ٩، وكتاب التفسير، باب ﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ ٦/ ١٧٦، و«فتح الباري» ٨/ ٦١١، و«المستدرك» ٢/ ٤٦٩.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٠ أ- ب، و«تنوير المقباس» ٥/ ٢٩٣.

وقال عبد الله: سميت سدرة المنتهى؛ لأنه ينتهي إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله تعالى لا يعدوها[١].

وقال أبو هريرة: لما أسري بالنبي ﷺ انتهى إلى السدرة فقيل له: هذه السدرة ينتهي إليها كل أحد من أمتك على سنتك وإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء إلى قوله: ﴿عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥] وهي شجرة يسير الراكب في ظلمها مائة عام لا يقطعها والورقة منها مغطية للأمة كلها[٢].

وقال عبد الله: هي شجرة عليها فضول السندس والإستبرق[٣].

وروى قتادة عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «**لما عرج بي إلى السماء السابعة رفعت إلى سدرة المنتهى في السماء السابعة وإذا نبقها مثل قلال[٤] هجر[٥] وورقها مثل أذن الفيلة، يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان، فقلت: يا جبريل: ما هذا؟ قال: أما النهران الباطنان ففي الجنة - قال مقاتل: هما السلسبيل والكوثر[٦]- وأما النهران الظاهران فالنيل والفرات**»[٧].

---

(١) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٣١، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٨ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٨.

(٢) أخرجه ابن جرير والثعلبي. انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٣٢، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٨ ب، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٩٥، ٩٦.

(٣) أخرجه ابن جرير والفريابي، وابن أبي شيبة، والطبراني. انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٣٢، و«الدر» ٦/ ١٢٥.

(٤) القلال: جمع قلة، والقلة الحب العظيم، وقيل: الجرة العظيمة، وقيل: الكور الصغير. انظر: النهاية ٣/ ٢٧٥.

(٥) هَجَر: قرية قريبة من المدينة وليست هجر البحرين، وكانت تعمل بها القلال. «النهاية» ٣/ ٢٧٥، و«معجم البلدان» ٥/ ٤٥٢.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٠ ب (٧) لم أجده.

وروى عكرمة عن ابن عباس قال: سألت كعبًا: ما سدرة المنتهى؟ قال: سدرة ينتهي إليها علم الملائكة وعندها يجدون أمر الله لا يجاوزها علمهم(١).

فهذا ما ذكره المفسرون ورووه في سدرة المنتهى(٢).

ومعنى المنتهى موضع الانتهاء، وهذه الشجرة هناك وعندها تنتهي الملائكة والنبيون، فلذلك أضيفت السدرة إلى المنتهى.

١٥- قوله تعالى: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد الجنة التي يأوي إليها جبريل والملائكة(٣).

وقال مقاتل، والكلبي: هي جنة تأوي إليها أرواح الشهداء(٤).

وروى عكرمة عن ابن عباس عن كعب قال: جنة المأوى فيها طير خضر ترتع فيها أرواح الشهداء. وهذا قول أكثر المفسرين(٥). وقالت عائشة رضي الله عنها هي جنة من الجنان(٦)، وهو قول زر بن حبيش.

١٦- قوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ إذ متعلق بقوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ واختلفوا في الذي كان يغشى السدرة في ذلك الوقت فروي

---

(١) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٣١، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٨، و«القرطبي» ١٧/ ٩٥.

(٢) المنتهى: بمعنى الانتهاء - على اختيار ابن جرير- فكأنه قيل عند سدرة الانتهاء، وجوز العموم في كل ما روي عن المفسرين في هذا المعنى حيث لم يرد خبر يقطع العذر بأنه قيل ذلك لها لبعض ذلك دون بعض فلا قول فيه أصح من القول الذي قال ربنا جل جلاله، وهو أنها سدرة المنتهى. «جامع البيان» ٢٧/ ٣١.

(٣) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٩٨، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٨.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٠ أ، «المصنف» لابن أبي شيبة ١٣/ ١٥٠، و«الحلية» ٥/ ٣٨١، و«تنوير المقباس» ٥/ ٢٩٣.

(٥) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٥٣، و«جامع البيان» ٢٧/ ٣٣، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٨.

(٦) لم أجده.

أن النبي ﷺ سئل ما غشيها؟ قال: «**فراش من ذهب**»[(١)] وهو قول عبد الله، وسعيد بن جبير، ورواية عكرمة عن ابن عباس[(٢)].

وروى الضحاك عنه: قال رسول الله ﷺ: «**رأيتها حتى استثبتها ثم حال دونها فراش من ذهب**»[(٣)] وهو قول مسروق وأبي العالية[(٤)].

وقال مقاتل: غشيتها الملائكة[(٥)]، وروي عن الحسن: غشيتها الملائكة مثل الغربان حين يقعن على الشجر[(٦)].

وروي أن النبي ﷺ قال: «**رأيت على كل ورقة من ورقها ملكًا قائمًا يسبح الله ﷻ**»[(٧)].

---

(١) قلت: الذي عند الترمذي في كتاب التفسير ٥/ ٣٦٧ (٣٢٧٦) قال ابن مسعود: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ قال: السدرة في السماء السادسة، قال سفيان: فراش من ذهب..) الحديث. قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح.
وتقدم في الحديث الذي رواه البخاري وغيره أنه ﷺ قال: (وغشيها ألوان لا أدري ما هي.). والأقوال المروية عن الأئمة إن صحت نسبتها إليهم في تفسير الآية اجتهادات منهم، ربما لم يبلغهم الحديث الصحيح، والله تعالى أعلم.

(٢) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٣٣، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٩ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٨، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٥٢.

(٣) أخرجه ابن جرير، انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٣٣.

(٤) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٣٣، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٨.

(٥) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٤٨، و«القرطبي» ١٧/ ٩٦، ولم أجده في «تفسير مقاتل».

(٦) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٩٨، وذكر غيره من المفسرين هذا القول منسوبًا للربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي هريرة. وذكروا قول الحسن بلفظ: (غشيها نور رب العالمين فاستنارت). انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٩ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٨، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٩٦، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٥٢.

(٧) قال ابن حجر: أخرجه الطبري من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، قال: قيل يا رسول الله: أي شيء رأيت يغشى تلك الشجرة، فذكره وأتم منه. وعبد الرحمن ضعيف، وهذا معضل. «تخريجات الكشاف» ٤/ ٣٣٥، وأخرجه الثعلبي بلفظ: =

وقال إبراهيم، ومجاهد: رفرف أخضر(١).

وقال السدي: غشيها طيور من فوقها(٢).

وروي مرفوعًا: «**غشيها نور من الله حتى ما يستطيع أحد ينظر إليها**»(٣).

١٧- قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد النبي ﷺ؛ لأن الله تعالى أعطاه من القوة ما قوي به على النظر إلى الآيات(٤).

فعلى هذا القول معنى الآية ما ملَّ بصره من رؤية الآيات خوفًا وجزعًا.

وروى مسلم عن ابن عباس: ما زاغ البصر يمينًا ولا شمالًا ولا جاوز ما أمر به(٥). ونحو ذلك روى الكلبي، وهو قول مجاهد، والمفسرين، قال الكلبي: ما قلب بصره يمينًا ولا شمالًا، وما جاوز ما رأى(٦).

وعلى هذا معنى الآية وصف أدب النبي ﷺ في ذلك المقام إذ لم يلتفت جانبًا ولم يمد بصره إلى غير ما أري من الآيات واستقبله من

= ويروى أن رسول الله ﷺ... بدون سند. «الكشف والبيان» ١٢/ ٩ ب.
وانظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٣٣، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٥٢.

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٩٧، و«فتح القدير» ٥/ ١٠٧.

(٢) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٨.

(٣) لعل مراد المؤلف رحمه الله ما ورد في الصحيح وقوله ﷺ: «**فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها..**» «صحيح مسلم»، كتاب: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ.. ١/ ١٤٦.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٣٤، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٩٧، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» ٢/ ٤٦٩ عن مجاهد عن ابن عباس وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، وزاد الذهبي وعلى شرط مسلم أيضًا.

(٦) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٩٣، و«الوسيط» ٤/ ١٩٨، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٩، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٥٢.

العجائب، فمعنى زيغ البصر: التفاته من الجانبين وطغيانه أنه يمد بصره أمامه إلى حيث ينتهي يقول: لم يفعل ذلك.

١٨- قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ يجوز أن تكون الكبرى من صفة الآيات وحدت لتوافق الفواصل، ويجوز نعت الجماعة بنعت الأنثى الواحدة، كقوله: (مَآرِبُ أُخْرَى) [طه: ١٨] وهذا معنى قول عطاء، والكلبي[١]، يعني الآيات العظام التي رآها تلك الليلة، وقال مقاتل: يعني ما رأى تلك الليلة[٢]. ويدل على صحة التأويل قوله: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١].

ويجوز أن تكون ﴿ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ نعت محذوف على تقدير: لقد رأى من آيات ربه الكبرى[٣].

واختلفوا في تلك الآية فروى أبو صالح عن ابن عباس قال: رأى جبريل قد طبق الأفق في صورته التي خلق فيها له ستمائة جناح[٤]، وهذا قول ابن زيد، وابن حيان، ومحمد بن كعب، قالوا: جبريل من آيات ربه الكبرى[٥].

قال عبد الله: رأى رفرفًا أخضر[٦].

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٩٤، و«التفسير الكبير» ٢٨/ ٢٩٥، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٩٨.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٠ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٩.

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٩٩. ولعل في العبارة سقط واستقامتها: لقد رأى من آيات ربه الآية الكبرى. والله أعلم.

(٤) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٩٨، و«فتح القدير» ٥/ ١٠٧.

(٥) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٣٤، و«الكشف والبيان» ١٢/ ١٠ أ، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٩٨.

(٦) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب: التفسير، باب ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ ٦/ ١٧٦، و«جامع البيان» ٢٧/ ٣٤، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٩، وروى النسائي=

وقال الضحاك: هي سدرة المنتهى[(١)].

١٩- قال أبو إسحاق: لما قص الله هذه الأقاصيص قال للمشركين: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ كأن المعنى والله أعلم: أخبرونا عن هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله، هل لها من هذه القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة شيء[(٢)].

ومعنى: ﴿أَفَرَءَيْتُم﴾ على ما ذكر السؤال والاستفتاء كقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ﴾ وقد مر[(٣)].

وتنتظم الآية بما قبلها على المعنى الذي ذكره.

قال صاحب النظم: معنى الآية أفرأيتم هذه الآلهة التي تعبدونهن أأوحَين شيئًا إليكم كما أوحي إلى النبي ﷺ[(٤)]؟ والتقديران اللذان ذكراهما

= والحاكم عن ابن مسعود قال: (أبصر نبي الله ﷺ جبريل عليه السلام على رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض). قال ابن حجر: فيجتمع من الحديثين أن الموصوف جبريل، والصفة التي كان عليها. «فتح الباري» ٨/ ٦١١، و«المستدرك» ٢/ ٤٦٩.

قلت: وبهذا تجتمع الأقوال في أن المراد بالآيات الكبرى، هو جبريل عليه السلام، حين رآه النبي ﷺ في حلة من رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض. وانظر: «سنن الترمذي» ٥/ ٣٧٠، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(١) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ١٠ أ، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٩٨، و«فتح القدير» ٥/ ١٠٧.

قلت: لعل ما ذكر عن السلف في تفسير هذه الآية هو من باب ذكر بعض ما رآه ﷺ.

قال القرطبي: وقيل: هو ما رأى تلك الليلة في مسراه في عوده وبدئه، وهو أحسن، دليله ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ «الجامع» ١٧/ ٩٨.

ونحوه ذكر ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٢٥٢ وحمل الآية على عموم ما رآه أولى.

قال ابن جرير: لقد رأى محمد هنالك من أعلام ربه وأدلته الأعلام والأدلة الكبرى. «جامع البيان» ٢٧/ ٣٤.

(٢) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٧٢.

(٣) من آية (٥٠) من سورة يونس.

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٩٩.

يستدل عليهما بفحوى الكلام، وقد قال أبو إسحاق أيضًا: أفرأيتم هذه الإناث أَلله هي وأنتم تختارون الذكران وذلك قوله: ألكم الذكر وله الأنثى[(١)]، وهذا الوجه أجود الثلاثة وسنزيده وضوحًا عند قوله: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ﴾ إن شاء الله.

قال أبو علي الفارسي: أرأيتم هنا بمنزلة أخبروني لتعدي أرأيت إلى المفعول ووقوع الاستفهام في موضع المفعول الثاني، والمعنى: أرأيتم جعلكم اللات والعزى بنات الله، ألكم الذكر؟ وجاز الحذف لأن هذا قد تكرر في القرآن كقوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ﴾ [النحل: ٥٧] ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩] فكان الحذف بمنزلة الإثبات، ألا ترى أن سيبويه جعل كُلًّا في قوله:

ونـارٍ تـوقَّـدُ بـالـلـيـلِ نَـارا[(٢)]

بمنزلة المذكور في اللفظ للعلم به وإن كان محذوفًا وقد دل قوله: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ على المحذوف، وادعوا هذا في هذه الآلهة كما ادعوه في الملائكة[(٣)].

فأما اللات فروى عطاء عن ابن عباس قال: هي صنم[(٤)].

قال قتادة: هي بالطائف[(٥)]، قال الكلبي: هي صخرة كانت بالطائف

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٧٢، و«إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٢٦٨.

(٢) البيت لأبي دواد الإيادي، وهو جارية بن الحجاج.
انظر: «ديوانه» ٣٥٣، و«الكتاب» ١/ ٦٦، و«الكامل» ١/ ٢٨٧، و«الإنصاف» ٧٤٣، و«أمالي ابن الشجري» ٢/ ٢١، و«الأصمعيات» ١٩١. وصدره:

أكـل امـرئ تـحـسـبـيـن أمـرأً

(٣) انظر: «المسائل الحلبيات» ص٧٨- ٧٩، و«الكتاب» ١/ ٦٦.

(٤) لم أقف على هذه الرواية، والجميع على أن اللات اسم لصنم.

(٥) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٥٣، «الكشف والبيان» ١٢/ ١٠أ.

لثقيف[١] يعبدونها[٢].

وقال ابن زيد: اللات بيت بنخلة[٣] كانت قريش تعبده[٤].

وقال أبو عبيدة: هي صنم في جوف الكعبة لقريش[٥].

واختلفوا في اشتقاق اللات، فأكثر المفسرين[٦] ذكروا أنه بتشديد التاء من اللَّت، وهو خلط السويق بالسمن ودلكه به.

روى أبو الجوزاء، عن ابن عباس قال: اللات رجل كان يلت السويق للمشركين فمات فعكفوا على قبره فعبدوه[٧]، ونحو ذلك روى

---

(١) ثقيف: بطن من هوازن من العدنانية، اشتهروا باسم أبيهم فيقال لهم ثقيف، وكانت منازلهم بالطائف على مرحلتين من مكة. انظر: «نهاية الأرب» ص١٨٦.

(٢) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ١٠ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٩، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٠٠.

(٣) نخلة: موضع بين مكة والطائف. قال البكري: على ليلة من مكة وهي التي ينسب إليها بطن نخلة.
انظر: «معجم البلدان» ١/ ٤٤٩، و«فتح الباري» ٨/ ٦٧٤.

(٤) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٣٥.

(٥) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٣٦، ولفظه (أصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها). قال ابن حجر: (وكانت اللات بالطائف، وقيل بنخلة، وقيل بعكاظ، والأول أصح).
«فتح الباري» ٨/ ٦١٢.

(٦) ومنهم ابن عباس، ومجاهد، والربيع بن أنس، وأبو صالح، والكلبي. انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٣٥، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٩، و«الجامع» للقرطبي ١٧/ ١٠٠.

(٧) «صحيح البخاري»، كتاب التفسير، باب ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ ٦/ ١٧٦ ولفظه: (كان اللات رجلًا يلت سويق الحاج).
قال ابن حجر: وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء =

السدي، وذكر أنه كان بالطائف(١).

وزاد الكلبي بيانًا فقال: كان رجل من ثقيف يقال له صِرمة بن غنم كان يسلأ(٢) السمن فيضعه على صخرة ثم تأتيه العرب فيلت به أسوقتهم فلما مات الرجل حولت ثقيف تلك الصخرة إلى منازلها فعبدتها(٣).

ويدل على صحة هذا التأويل قراءة ابن عباس، ومجاهد، وأبي صالح: (اللَّاتَّ) بتشديد التاء(٤).

ووجه قراءة العامة على هذا الاشتقاق ما ذكره الفراء قال: القراءة بالتخفيف، والأصل بالتشديد؛ لأن الصنم إنما سمي باسم اللَّاتِ الذي كان يلت السويق عنده، وجعل اسمًا للصنم، وعلى هذا الوقف على اللات يكون بالتاء(٥) وهو اختيار أبي إسحاق، قال: لاتباع المصحف فإنها كتبت

= عن ابن عباس، ولفظه فيه زيادة (كان يلت السويق على الحجر فلا يشرب منه أحد إلا سمن فعبدوه) «فتح الباري» ٨/ ٦١٢.

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٩٤، و«الكشف والبيان» ١٢/ ١٠ أ.

(٢) قال الأصمعي: سَلأْتُ السَّمْنَ أسْلأُه سَلأً. قال: والسِّلاء الاسم وهو السَّمن. «تهذيب اللغة» ١٣/ ٧٠ (سلأ).

(٣) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ١٠ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٩، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٠٠.

(٤) قرأ رويس (اللَّاتَّ) بتشديد التاء وبمدٍ للساكنين، وهي قراءة ابن عباس، ومجاهد، ومنصور ابن المعتمر، وطلحة، وأبي الجوزاء. والقراءة المتواترة (اللَّاتَ) بالتخفيف. انظر: «النشر» ٢/ ٣٧٩، و«الإتحاف» ٤٠٣، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٠٠، و«البحر المحيط» ٨/ ١٦٠.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٩٧، و«تهذيب اللغة» ١٤/ ٢٥٣ (لت)، و«اللسان» ٣/ ٣٤٠ (لتت).

بالتاء[١].

وقال جماعة من المفسرين: اللات من الله، وكان المشركون يسمون أوثانهم بأسماء الله فقالوا: من الله اللات، ومن العزيز العزَّى[٢]، وهو اختيار الأزهري قال: كأن المشركين الذين عبدوها عارضوا باسمها اسم الله تعالى علوًا كبيرًا عن إفكهم ومعارضتهم وإلحادهم في اسمه العظيم، ويدل على صحة هذا التأويل أن الكسائي كان يختار الوقف عليها بالهاء، وهذا يدل على أنه لم يجعلها من اللَّت[٣].

قال أبو علي الفارسي: اشتقاق اللات من لويت على الشيء، أي: أقمت عليه، ولذلك أنهم كانوا يلوون على آلهتهم ويعكفون عليها عبادة لها وتقربًا إليها، ولذلك تواصوا فيما بينهم فيما أخبر الله به عنهم في قوله: ﴿وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ [ص: ٦] فاشتق اسمها من هذا المعنى الذي كانوا يعتقدون فيها ويتدينون به لها، فهو على هذا مثل شاه وذات، والتاء للتأنيث في قول من خفف، ومعنى التأنيث فيها تأنيث اللفظ، إذ التأنيث الحقيقي لا يصح فيها؛ لأنها جماد، والدليل على صحة هذا أن سيبويه قال في النسبة إليها لاي[٤]، فحذف التاء، فدل على أنها للتأنيث، وذلك أن تاء التأنيث تحذف في النسبة، ولما حذف التاء شبه بقلة التصرف الحروف فزاد على الحرف حرفًا مثله كما فعل ذلك بـ(ذا) إذا سُمي به رجل فقال: ذآء، فلما

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٧٣.

(٢) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٣٤، و«الوسيط» ٤/ ١٩٩، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٩.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ١٤/ ٢٥٣ (لت).

(٤) انظر: «الكتاب» ١/ ٣٧١.

زيدت همزة على (ذا) لما سمي به كذلك زيدت هاهنا همزة، وكذلك يفعلون بـ (ما) و (لا) عند التسمية بهما، والوقف على هذا بالهاء كما اختاره الكسائي.

وقول أبي إسحاق الأجود الوقف بالتاء لا تباع المصحف. فيجوز أن تكون كتبت فيه بالتاء على الوصل دون الوقف كما كتب ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ [الشورى: ٢٤] ونحوه بغير الواو، فلما كتب هذا ونحوه على الوصل كذلك يجوز أن يكون كتب في المصحف على الوصل، انتهى كلامه[١].

وأما الألف واللام في اللّات والعزّى فذهب أبو الحسن[٢] إلى أن اللام فيهما زائدة.

والذي يدل على صحة مذهبه أن اللّات والعزَّى[٣] علمان بمنزلة يغوث[٤] ويعوق[٥] ونسر[٦] ومناة[٧] وغير ذلك من أسماء الأصنام. فهذه كلها أعلام وغير محتاجة في تعريفها[٨] إلى اللام، وليست من باب الحارث والعباس من الأوصاف التي نقلت فصارت أعلامًا وأقرت فيها لام

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/١٥٨.

(٣) (والعزى) ساقطة من (ب).

(٤) يغوث: صنم كان لمذحج. وهو اسم صنم كانن لقوم نوح كما هو في سورة نوح.

(٥) يعوق: اسم صنم لكنانة. وقيل: كان لقوم نوح.

(٦) نسر: صنم كان لذي الكلاع بأرض حمير. وهذه الأصنام ذكرها الله تعالى في سورة نوح فهي بلا شك لقومه. وأخذ المشركون منها أسماء آلهتهم.

(٧) مناة: صنم كان لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة.

(٨) في (ك): (تعرفها).

التعريف على ضرب من توهم روائح الصفة فيها فيحمل على ذلك، فوجب أن تكون اللام فيها زائدة كما ذكرنا في الذي وبابه، وهذا الذي ذكرنا كلام أبي الفتح الموصلي[١].

وأما العُزّى قال عطاء: هي صنم[٢]، وقال مجاهد، والكلبي: هي سمرة من الشجر كانت بنخلة لغطفان[٣] يعبدونها، وهي التي بعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها ويقول:

يا عز كفرانك لا سبحانكِ إني رأيت الله قد أهانكِ

فخرجت منها شيطانة تجر شعرها واضعة يديها على رأسها تدعو بالويل فضربها خالد بالسيف حتى قتلها ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: «**تلك العزى ولن تعبد أبدًا**»[٤].

---

(١) انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٥٩، و«الكتاب» ١/ ٢٦٧.

(٢) انظر: «فتح القدير» ٥/ ١٠٨، و«روح المعاني» ٢٧/ ٥٥، ولم ينسباه لقائل.
وقيل العزى: شجرة قديمة قدسها العرب في بلدة نخلة الشامية إلى الشمال من مكة، وكانت قريش وبعض قبائل الحجاز مثل غني، وباهلة تعظمها.
انظر: «أطلس تاريخ الإسلام».
وقال ابن كثير: كانت بيتًا بنخلة يعظمه قريش وكنانة ومضر، و«البداية والنهاية» ٤/ ٣١٦.

(٣) غطفان: بطن عظيم متسع، كثير الشعوب والأفخاذ، من قيس عيلان من العدنانية، كانت لهم منازل بنجد مما يلي وادي القرى، وجبل طيىء.
انظر: «معجم البلدان» ٣/ ٨٨٨.

(٤) اقتصر البيهقي في «دلائل النبوة» ٥/ ٧٧ على قوله ﷺ: «**تلك العزى**». وفي «الطبقات» ٢/ ١٤٦ بلفظ: «**نعم تلك العزى وقد يئست أن تعبد ببلادكم أبدًا**»، وكذا الواقدي في «المغازي» ٣/ ٨٧٤.

وقال قتادة: كانت العزى لقريش[١]، وهو قول الحسن واختيار أبي عبيدة قالوا: هذه أصنام من حجارة كانت قريش توجه إليها العبادة[٢].

وقال الضحاك: هي صنم من حجر لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفاني[٣].

وأما تفسير العزى فإنها تأنيث الأعز مثل الكبرى والأكبر، والأعز يكون بمعنى العزيز والعزى بمعنى العزيزة[٤].

٢٠- قوله تعالى: ﴿وَمَنَوٰةَ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: أصنام المشركين[٥]. يعني هذه وما ذكر قبلها، وهو اختيار أبي عبيدة على ما ذكرنا.

وقال قتادة: وكانت مناة للأنصار[٦]، وقال الضحاك والكلبي: مناة صنم كانت لهذيل وخزاعة[٧].

---

(١) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٥٣، و«الدر» ٦/ ١٢٧.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٣٦، و«روح المعاني» ٢٧/ ٥٥.

(٣) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ١٠ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٤٩.

(٤) انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٦١- ٣٦٣.

(٥) لم أقف على هذه الرواية. وانظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٥٠.

(٦) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٥٣، و«فتح الباري» ٨/ ٦١٣.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للفراء، ٣/ ٩٨، و«الكشف والبيان» ١٢/ ١١ ب، و«الوسيط» ٤/ ١٩٩، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٥٠.

وهذيل: ابن مدركة بطن من مدركة بن إلياس، من العدنانية، كانت ديارهم بالسروات، وسراتهم متصلة بجبل غزوان المتصل بالطائف، ثم تفرقوا بعد الإسلام. انظر: «معجم قبائل العرب» ٣/ ١٢١٣. =

ولم يذكروا لمناة اشتقاقًا[١]. وكان ابن كثير يقرؤها بالمد والهمز[٢].

قال أبو علي الفارسي: لعل (مناءة) بالمد لغة ولم أسمع بها من أحد من رواة اللغة، وقد سمّوا زيد مناة، وعبدمناة ولم أسمع بالمد، قال جرير:

أزيدَ مناةَ توعِدُ يابْنَ تيم تَبَيَّنْ أَيْنَ تَاهَ بكَ الوَعيدُ[٣]

﴿ٱلثَّالِثَةَ﴾ نعت لمناة؛ يعني الثالثة للصنمين اللذين ذكرهما، وهذه ثالثتهما في الذكر، و﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ نعت لمناة أيضًا.

٢١- قوله تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ مذهب جماعة من المفسرين أن هذه الآية وما بعدها معترضة بين قصة الأصنام، فإن هذه لا تعلق لها بما قبلها[٤]، ومعناها الإنكار عليهم حيث جعلوا الملائكة بنات الله.

قال عطاء عن ابن عباس: وذلك أن المشركين قالوا: الملائكة بنات

= وخزاعة: قبيلة من الأزد من القحطانية، وكانوا بأنحاء مكة في مر الظهران وما يليه من جبالهم الأبواء، وهو جبل شامخ مرتفع ليس عليه شيء من النبات. «معجم قبائل العرب» ١/ ٢٣٨.

(١) وفي «الصحاح».. من قولك منوت الشيء. «اللسان» ٣/ ٥٤١ (مني).
وقال النحاس: من مَنَى الله ﷻ عليه الشيء: أي قدَّره. «إعراب القرآن» ٣/ ٢٦.
وقيل: من منى يمني: صب؛ لصب دماء النحائر عندها. «الإتحاف» ص٤٠٣.
وانظر: «الكشاف» ٤/ ٣٩، و«محاسن التأويل» ١٥/ ٥٥٧١.

(٢) قرأ ابن كثير (ومَنَاءَةَ) بهمزة مفتوحة بعد الألف فيمد مدًا متصلًا. وقرأ الباقون «مناة» انظر: «حجة القراءات» ص٦٨٥، و«النشر» ٢/ ٣٧٩، و«الإتحاف» ص٤٠٣.

(٣) انظر: «ديوان جرير» ١/ ٣٣٢، و«الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٣٢، «البحر المحيط» ٨/ ١٦١، و«المُحرر» ١٥/ ٢٦٧.

(٤) قال النحاس: يجوز أن يكون مقدمًا ما ينوي به التأخير. «إعراب القرآن» ٣/ ٢٦٨.

الله، وجعلوا لأنفسهم البنين كما قال: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [النحل: ٦٢] وهذا مذهب السدي ومقاتل(١).

قال الكلبي: قال مشركو مكة: الأصنام والملائكة بنات الله فنحلوه البنات، وكان الرجل منهم إذا بشر بالأنثى كره ذلك، فقال الله تعالى منكرًا عليهم ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ﴾ يعني البنين، (وَلَهُ الْأُنثَى) يعني ما نحلوه من الأصنام -وهي إناث في أسمائها- والملائكة(٢)، وهذا اختيار الزجاج والفراء وابن قتيبة(٣).

٢٢- قوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾. القراء على ترك الهمز من (ضِيزَى)، وقرأ ابن كثير (ضِئزى) بالهمز(٤).

قال ابن السكيت: يقال: ضِزْتُه حَقَّه أي نقصته.

وقال أبو زيد: (ضِيزى) جائرة، يقال: ضاز يضيز ضيزًا، قال: وضأز، يضأز مثله. وأنشد أبو زيد فقال:

إن تَنْأَ عنَّا نَنتَقِصْك، وإن تُقِم فحظُّك مَضْؤزُ وأنفُكَ راغِمُ(٥)

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٩٥، و«تفسير مقاتل» ١٣٠ ب.

(٢) انظر: «الوسيط» ٤/ ١٩٩، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٥٠.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٩٨، و«تفسير غريب القرآن» ٤٢٨، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٧٢- ٧٣.

(٤) قرأ ابن كثير (ضِئْزَىَ) بهمزة ساكنة، وقرأ الباقون (ضيزى) بياء مكان الهمزة. انظر: «حجة القراءات» ص٦٨٥، و«النشر» ٢/ ٣٧٩، و«الإتحاف» ص٤٠٣.

(٥) البيت للقطامي كما في «جامع البيان» ٢٧/ ٣٦، و«المذكر والمؤنث» ص١٧٥، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٠٢، و«تهذيب اللغة» ١٢/ ٥٣، (ضاز)، و«اللسان» ٢/ ٥٠٣ (ضأز).

وقال أبو الهيثم: ضِزْتُ فلانًا أضيزه ضيزا: جُرت عليه.

وقال ابن الأعرابي: تقول العرب: قسمةٌ ضُؤْزَى بالضم والهمز وضُوزى بلا همزٍ وضِيئِزَى بالكسر والهمز(١).

قال الفراء: ضيزى فعلى وإن رأيت أولها مكسورًا وهي مثل بيض وعين، كان أولها مضمومًا فكرهوا أن يترك على ضمته فيقال: بوضٌ وعونٌ، والواحدة بيضاء وعيناء فكسروا أولها ليكون بالياء ويتألف الجمع والاثنان والواحد، كذلك كرهوا أن يقولوا ضُوزى فتصيرُ بالواو وهي من الياء وإنما قضيت على أولها بالضم لأن النعوت للمؤنث تأتي إما بفتح أو بضم نحو سَكْرى وعطشى وحُبْلى، والمكسور يكون اسما ولا يكون نعتًا كالذكرى والدِّفْلى(٢) والشِّعْرَى، انتهى كلامه(٣).

وقال أبو إسحاق: أجمع النحويون أن أصل ضيزى ضوزى فنقلت من فُعْلَى إلى فِعْلَى لتسلم الياء كما قالوا أبيض وبيضٌ، وأصله بُيْضُ فنقلت الضمة إلى الكسرة، وإنما لم يقل النحويون إنها على أصلها لأنهم لم يعرفوا الكلام فُعْلَى صفةً، ونظير ضيزى في الكلام قولهم: مِشْيِةً حيكى، وهي مشية يحيك فيها صاحبها. فحِيكى عندهم فُعْلَى أيضًا(٤).

وشرح أبو علي الفارسي هذا الفصل فقال: قولهم قسمة ضيزى

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ١٢/ ٥٣ (نضم).

(٢) في (ك): (الدفري) والصواب ما أثبته. والدِّفْلىَ: شجر مر أخضر حسن المنظر يكون في الأودية. «اللسان» ١/ ٩٩٤ (دفل).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٩٨- ٩٩، و«اللسان» ٢/ ٥٥٩ (ضيز).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٧٣، و«المذكر والمؤنث» ص١٧٥.
ومشية حيكىَ إذا كان فيها تبختر. «اللسان» ١/ ٧٧١ (حيك).

ومشية حِيكَى فإن النحويين يحملوه على أنه في الأصل فُعْلَى وإن كان اللفظ على فِعْلَى كما أن البيوت والعِصيَّ في الأصل فعولٌ وإن كانت الفاء مكسورة وإنما حملوها على أنها فُعْلى دون ما عليه اللفظ، لأنهم لم يجدوا في الصفات شيئًا على فُعلى وكان القياس أن يقال ضوزى وأن لا يُحْفَل بانقلاب الياء إلى الواو وكأنهم آثروا الكسرة والياء على الضمة والواو من حيث كانت الكسرة والياء أخف عليهم، ولم يخافوا التباسًا حيث لم يكن في الصفة شيء على فِعْلى فإن قلت: كيف قالوا: إن فِعلى لا تكون في أبنية الصفات وقد قال أحمد بن يحيى: رجل كِيصى إذا يأكل وحده، وقد كاص طعامه إذا أكله وحده؟ قيل إن سيبويه قال: لم تجئ فِعْلَى صفة[1]. والذي حكاه أحمد بن يحيى[2] بالتنوين فليس هو ما قاله سيبويه ولا يمتنع أن يجئ الألف آخرًا للإلحاق بِهجرَع[3] ونحوه، وأما قراءة ابن كثير فلا ينبغي أن يكون أراد بضيزى فُعْلى، لأنه لو أراد ذلك لكان ضوزى ولم يرد به أيضًا فِعلى صفة؛ لأن هذا البناء لم يجئ صفة ولكن ينبغي أن يكون أراد به المصدر مثل: الذِّكرَى فكأنه قال: قسمة ذات ظلم، فعلى هذا يكون وجه قراءته[4].

وأما التفسير فقال ابن عباس في رواية عطاء، والكلبي، وقتادة:

---

(١) انظر: «الكتاب» ٢/ ٣٧١.

(٢) انظر: «مجالس ثعلب» ٢/ ٣٢٣-٣٢٤، و«تهذيب اللغة» ١٠/ ٣٠٩، و«اللسان» ٣/ ٢٠ (كأص).

(٣) الهِجْرَعَ: من صنف الكلاب السلوقية الخفاف، والهِجْرَعَ، الطويل الممشوق. «اللسان» ٣/ ٧٧٤ (هجرع).

(٤) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٣٤، و«التكملة» لأبي علي ص٣١٧-٣١٨.

ضيزى جائرة[١]. وقال مجاهد، ومقاتل: عوجاء[٢].

وقال الحسن: غير معتدلة[٣]، وقال الضحاك: ناقصة[٤]، وقال سفيان: منقوصة[٥].

والمعنى: تلك القسمة التي قسمتم من نسبة البنات إلى الله وإيثاركم بالبنين قسمة غير عادلة.

٢٣- قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ﴾ أخبر الله تعالى أن هذه الأصنام سموها بهذه الأسامي لا معاني تحتها، لأنه لا ضر عندها ولا نفع فهي تسميات ألقيت على جمادات.

قوله: ﴿إِنْ هِيَ﴾ يعني اللات والعُزّى ومناة. يقول: ما هي إلا أسماء، أي أنها لا تنبئ عن معنى ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ تسمية باطلة لم يقم بها حجة، وهو قوله: ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾، ويجوز أن يكون المعنى: ما أنزل الله بعبادتها من سلطان، قال مقاتل: لم ينزل بذلك كتابًا لكم فيه حجة بما تقولون إنها آلهة[٦].

ثم رجع عن الخطاب إلى الخبر فقال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ يقول: ما لهم من علم أنها آلهة إلا ظنًا يتبعون في عبادتها الظن وهوى النفس،

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٩٥، و«جامع البيان» ٢٧/ ٣٦، و«البغوي» ٤/ ٢٥٠.

(٢) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٣١، و«تفسير مقاتل» ١٣٠ ب.

(٣) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ١١ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٥٠.

(٤) (ك): (ناقة) ولعل الصواب ما أثبته، وأخرج عبد بن حميد عن الضحاك قال: جائرة. «الدر» ٦/ ١٢٧، و«الكشف والبيان» ١٢/ ١١ ب.

(٥) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٣٦، و«روح المعاني» ٢٧/ ٥٧.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٠ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٥١.

وهو ما زين لهم الشيطان ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ أي البيان والرشاد بالكتاب والرسول.

وهذا تعجيب من حالهم حيث لم يتركوا عبادتها مع وضوح البيان.

ثم أنكر على الكفار تمنيتهم شفاعة الأصنام فقال:

٢٤- ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ﴾ يعني الكافر (مَا تَمَنَّىٰ) من شفاعة الأصنام[(١)].

٢٥- ﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ أي لا يملك فيهما ولا منهما أحد شيئًا إلا بإذنه؛ لأنهما[(٢)] له. وفي هذا إبطال ما يتمنى الكافر.

ثم أكد هذا بقوله تعالى:

٢٦- ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ﴾ جمع الكناية لأن المراد بقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ﴾ الكثرة، وذلك أن كم يخبر بها عن العدد الكثير فدل ﴿كَمْ﴾ على أنه أراد جمعًا، قاله الفراء، والزجاج[(٣)].

قوله: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ﴾ في الشفاعة ﴿لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ يعني أنهم لا يشفعون إلا لمن يرضى الله من أهل التوحيد.

---

(١) ذكر بعض المفسرين هذا القول ومنهم من فسر التمني بما كانوا يشتهونه من نزول القرآن على رجل من إحدى القريتين عظيم، وقيل غير ذلك.
قال الألوسي: ويفهم من كلام بعض المحققين أن المراد السلب الكلي، والمعنى: لا شيء مما يتمناه الإنسان مملوكًا له مختصًا به يتصرف فيه حسب إرادته، ويتضمن ذلك نفي أن يكون للكفرة ما ذكر وليس الإنسان خاصًا بهم كما قيل. «روح المعاني» ٢٧/ ٥٨.
وانظر: «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٥٤، و«البحر المحيط» ٨/ ١٦٣.

(٢) في (ك): (كأنهما) والصواب ما أثبته.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٩٩، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٧٣ -٧٤.

قال ابن عباس: يريد لا تشفع الملائكة إلا لمن رضي الله عنه[(١)]، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

قال أبوعلي: قوله: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ المعنى: لمن يشاء شفاعته على إضافة المصدر إلى المفعول به الذي هو مشفوع له، ثم حذف المضاف فصار اللفظ لمن شاءه، أي: يشاء شفاعته، ثم حذف الهاء من الصلة[(٢)].

ثم ذم الله تعالى صنيع الكفار.

٢٧- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ قال ابن عباس: لا يصدقون بالثواب والعقاب[(٣)].

﴿لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ حين زعموا أنهم بنات الله، والأنثى تسمى بنتًا فإذا وصفوا الملائكة بالبنات فقد سموها تسمية الإناث، وتسمية الأنثى من باب إضافة المصدر إلى المفعول.

٢٨- ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ﴾ ذلك التسمية: ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ قال مقاتل: ما يستيقنون بأنها إناث[(٤)].

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ قال ابن عباس: يريد ظنًا ليس بيقين[(٥)].

﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ قال عطاء: يريد لا ينتفعون به[(٦)].

---

(١) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٠٠، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٥١.

(٢) انظر: «التفسير الكبير» ٢٨/ ٣٠٧.

(٣) وفي «تنوير المقباس» ٥/ ٢٩٧، قال: (بالبعث بعد الموت، يعني كفار مكة) والمعنى متقارب.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣١ أ.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٩٧.

(٦) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٣٧، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٥٥، وهو المعتمد عندهما ولم ينسباه لقائل.

والمعنى لا يقوم مقام الحق ولا يغني من العلم فمعنى الحق ها هنا العلم. وهذا يدل على أن الظان غير عالم، وأن من بنى على الظن لم يبن على أساس[(١)].

وقال الكلبي: أي لا يدفع من عذاب الله شيئًا، وهو اختيار الفراء[(٢)]. والحق على هذا القول معناه العذاب.

ثم أمره بالإعراض عنهم:

٢٩- قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ قال ابن عباس: يريد القرآن[(٣)]، وهذا مما نسخته آية القتال[(٤)].

ثم صغر رأيهم وأزرى بهم.

٣٠- فقال: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ أي لم يبلغوا من العلم إلا ظنهم أن الملائكة بنات الله وأنها تشفع لهم فاعتمدوا ذلك وأعرضوا عن القرآن. هذا معنى قول مقاتل[(٥)].

---

(١) قال الشوكاني رحمه الله: وهذا من الأمور التي يحتاج فيها إلى العلم، وهي المسائل العلمية، لا فيما يكتفى فيه بالظن، وهي المسائل العلمية... فإن دلالة العموم والقياس وخبر الواحد ونحو ذلك ظنية، فالعمل بها عمل بالظن، وقد وجب علينا العمل به في مثل هذه الأمور... «فتح القدير» ٥/ ١١٢.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٩٧، و«معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٠٠.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٩٧، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٥١، و«القرطبي» ١٧/ ١٠٥.

(٤) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٠١، و«نواسخ القرآن» ٢٣٣.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣١ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٥١.

ومعنى الآية على ما ذكر ابن كثير ورجحه الشوكاني، والآلوسي: أن التولي وقصر الإرادة على الحياة الدنيا هو مبلغهم من العلم ليس لهم غيره، ولا يلتفتون إلى سواه من أمر الدين. انظر: «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٥٥، و«فتح القدير» ٥/ ١١٢، و«روح المعاني» ٢٧/ ٦٠.

وقال أبو إسحاق: أي إنما يعملون ما يحتاجون إليه في معايشهم، وقد نبذوا أمر الآخرة وراء ظهورهم(١)، وهذا معنى قول الكلبي، وذكر الفراء القولين(٢).

ثم عزّى نبيه ﷺ، قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي أنه عالم بهم فهو يجازيهم بما يستحقون ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾، قال ابن عباس: يريد قبل أن يخلق الخلائق(٣). والمعنى أنه أعلم بالفريقين لأنه علمهما قبل خلقهما فلا يذهب عليه جزاؤهما.

ثم أكد هذا المعنى بقوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قال صاحب النظم: هذا فصل معترض.

قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ متعلق بمعنى الآية وهو قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ الآية. والمعنى أنه أعلم بهم فإذا كان أعلم بهم جازى كلًّا بما يستحقه.

واللام في قوله: ﴿لِيَجْزِىَ﴾ لام العاقبة(٤)، وهو أن علمه بالفريقين أدى إلى جزائهم باستحقاقهم.

٣١- وقوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إخبار عن قدرته وسعة ملكه؛ وهذا فيما يؤكد الجزاء، لأنه إنما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء إذا كان كثير الملك واسع المقدرة، ثم أدت هذه المعاني، وهي

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٧٤.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٢٩٧، و«معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٠٠.

(٣) لم أجده.

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٠٥.

علمه وقدرته وسعة ملكه إلى جزاء المطيع بطاعته والمسيء بإساءته، فلذلك قلنا إن اللام في ﴿لِيَجْزِيَ﴾ لام العاقبة، هذا معنى ما ذكره صاحب النظم[(١)].

قال ابن عباس، ومقاتل: ليجزي في الآخرة ﴿ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ قالوا لا إله إلا الله (بِالْحُسْنَى) بالجنة[(٢)]. ثم نعت المحسنين.

٣٢- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ وقد تقدم الكلام في تفسير الكبائر في سورة النساء[(٣)].

قال مقاتل: كبائر الإثم، يعني: كل ذنب ختم بالنار، والفواحش يعني: كل ذنب فيه الحد[(٤)].

---

(١) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٥-٦.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٥/٢٩٨، و«تفسير مقاتل» ١٣١ أ.

(٣) عند تفسيره لآية (٣١) من سورة النساء.

ومما قال: اختلفوا في الكبائر ما هي... قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير: كل شئ عصي الله فيه فهو كبيرة... وقال في رواية علي بن أبي طلحة: هي كل ذنب ختمه الله ﷻ بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب، وهذا قول الحسن وسعيد بن جبير والضحاك. والصحيح أنه ليس لها حد يعرفه العباد وتتميز به الصغائر تميز إشارة ولو عرف ذلك لكانت الصغائر مباحة ولكن الله تعالى يعلم ذلك وأخفاه عن العباد ليجتهد كل أحد في اجتناب ما نهى عنه رجاء أن يكون مجتنب الكبائر.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣١ أ. وفي «شرح العقيدة الطحاوية» ٢/ ٥٢٥ قال: واختلف العلماء في الكبائر على أقوال.. وقيل إنها ما يترتب عليها حد، أو تُوعِّدَ بالنار، أو اللعنة، أو الغضب، وهذا أمثل الأقوال.

قال الألوسي: والفواحش ما عظم قبحه من الكبائر فعطفه على ما تقدم من عطف الخاص على العام. وقيل: الفواحش والكبائر مترادفان. «روح المعاني» ٢٧/ ٦١. وانظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ١٨٨، و«اللسان» ٢/ ١٠٥٦ (فحش).

وقرأ حمزة والكسائي: (كبير الإثم)[١].

وفعيل قد جاء يعني به الكثرة كما أن فعولا كذلك في قوله: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ﴾ [النساء: ٩٢]، وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢].

ومن فعيل الذي أريدَ به الكثرة قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠١]، وقوله: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، وقوله: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧]، وقول الشاعر[٢]:

وَمَا ضَرَّنَا أَنَّا قَلِيلٌ .. .. .. البيت[٣]

فمن حيث كان لفظ الإفراد والمراد به الكثرة في هذا الموضع كذلك أفرد فعيل في قوله: (كبير الإثم) وإن كان المراد به الكبائر.

ويحسن الإفراد من وجه آخر، وهو أن المصدر المضاف فعيل إليه واحد في معنى الكثرة، ألا ترى أنه[٤] ليس يراد به إثم بعينه، إنما يراد به

---

(١) قرأ حمزة، والكسائي، وخلف (كبير) بكسر الباء من غير الألف ولا همزة على التوحيد. وقرأ الباقون (كَبَائِرَ) بفتح الباء والف وهمزة مكسورة بعدها.
انظر: «حجة القراءات» ص٦٨٦، و«النشر» ٢/ ٣٦٧، و«الإتحاف» ص٤٠٣.

(٢) الشاعر هو السموأل بن غريض بن عادياء اليهودي، وهو صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء.
انظر: مقدمة «ديوانه» ص٦٧، و«الأعلام» ٣/ ١٤٠، و«الأصمعيات» ص٨٢، و«معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين» ص١٥٦.

(٣) والبيت ورد في «ديوانه» ٩٠، و«الحماسة» لأبي تمام ١/ ٨٠، و«شرح حماسة المرزوقي» ١/ ١١٢، و«الحجة» ٦/ ٢٣٥ والبيت بتمامه:
وما ضرنا أنا قليلٌ، وَجَارُنَا عَزِيزٌ، وَجَارُ الأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ

(٤) (أنه) زيادة من «الحجة».

الآثام، فكذلك يكون المراد بالمضاف الكثرة، وإذا كان كذلك فالإفراد فيه يفيد ما يفيد الجمع.

فإن قيل: فهلا أُفْردا في النساء كما أفردا في هذه السورة؟ قيل: إذا أتيا به على قياس ما جاء في التنزيل في غير هذا الموضع لم يكن لقائل مقال، ألا ترى أنه قد جاء ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ﴾ [النساء: ٩٢] وقال: ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [الكهف: ٥٠]، فأفرد، وجمع في قوله: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ﴾ [فصلت: ١٩]، و﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾ [الممتحنة: ٢] فلم صنع من إفراد ذلك جمعه في المواضع التي جمع فيها[١]، كذلك الإفراد ها هنا لا يمنع الجمع في سورة النساء، وأما من جمع فقال: ﴿كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾ فلأنه في المعنى جمعٌ، والإثم يراد به الكثرة إلا أنه أفرد كما تفرد المصادر وغيرها من الأسماء التي يراد بها الكثرة والأجناس[٢].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ اختلفوا فيه على قولين:

أحدهما: أن اللمم صغار الذنوب، مثل النظرة والغمزة والقبلة.

قال عطاء، عن ابن عباس: إلا ما كان دون الزنا[٣]. وقال الكلبي عنه: اللمم النظرة عن غير تعمد، فإن أعاد النظر فليس بلمم وهو ذنب[٤].

---

(١) (فيها) ساقطة من (ك).

(٢) من قوله: «وفعيل قد جاء يعني به الكثرة...» إلى هنا من كلام أبي علي. انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٣٥-٢٣٧.

(٣) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٠١، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٥٢.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٠٠، و«تهذيب اللغة» ١٥/ ٣٤٨، و«الكشف والبيان» ١٢/ ١٤ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٥٣، عن الحسين بن الفضل.

وعن نافع بن جبير بن مطعم: هو ما دون الوقاع، وهذا قول ابن مسعود، وأبي هريرة، ومسروق، والشعبي، وطاووس، قالوا: ما دون الزنا(١).

واحتجوا بما روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: «**إن الله ﷻ كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدركه ذلك لا محالة، فزنا العينين النظر، وزنا اللسان المنطق، وزنا الشفتين التقبيل، وزنا اليدين البطش، وزنا الرجلين المشي، والنفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه**»(٢).

فإن تقدم فرجه كان زانٍ وإلا فهو اللمم.

وقال ابن الزبير، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، ومقاتل: هو ما بين الحدين، حد الدنيا، وعذاب الآخرة، وكل ذنب ليس فيه حد في الدنيا ولم يتوعد عليه بعذاب في الآخرة فهو اللمم، وهي رواية العوفي، والحكم عن ابن عباس، وهؤلاء قالوا: اللمم تكفره الصلوات وهو مغفور لمن اجتنب الكبائر(٣).

القول الثاني في اللمم: أنه الذنب يلم به الرجل ثم يتوب، روى عمرو بن دينار عن عطاء، عن ابن عباس في قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ قال: يلم

---

(١) انظر: «جامع البيان» ١٧/٣٩، و«الكشف والبيان» ١٢/١٣ أ، و«الوسيط» ٤/٢٠١، و«معالم التنزيل» ٤/٢٥٢، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/٢٥٥.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب زنا الجوارح دون الفرج ٤/٦٧، ومسلم في كتاب القدر، باب: قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره ٤/٢٠٤٦، وعبد الرزاق في «تفسيره» ٢/٢٥٣، والإمام أحمد في «المسند» ٢/٣١٧.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣١ أ، و«جامع البيان» ٢٧/٤٠، و«الكشف والبيان» ١٢/١٣ أ، و«معالم التنزيل» ٤/٢٥٢.

بالذنب مرة ثم يتوب منه ولا يعود[١]. قال: وكان النبي ﷺ يقول:

«إنْ تَغْفِرِ اللَّهمَّ تَغْفِرْ جَمّا وأيُّ عَبْدٍ لكَ لا أَلَمَّا»[٢]

وقال الحسن: هو الرجل يلم المرة ثم ينزع[٣].

وروى السدي عن أبي صالح، قال: سألني رجل عن اللمم، فقلت: هو الرجل يلم بالذنب ثم[٤] لا يعاود، قال: فحدثت بذلك ابن عباس فقال: لقد أعانك عليها ملك كريم[٥]، وهذا قول مجاهد والسدي[٦].

ومعنى اللمم على هذا القول ما تيب منه وإن عظم وكبر، وأصل معنى

---

(١) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٤٠، و«الكشف والبيان» ١٢/ ١٢ ب، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٠٧.

(٢) رواه ابن جرير في «جامعه» ٢٧/ ٣٩، والترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب (ومن سورة النجم) ٥/ ٣٧٠، وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق. وقال ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٢٥٦، وكذا قال البزار: لا نعلمه يروى متصلًا إلا من هذا الوجه، وساقه ابن أبي حاتم والبغوي من حديث أبي عاصم النبيل، وإنما ذكره البغوي في تفسير سورة المزمل، وفي صحته مرفوعًا نظر. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ١١٥، رواه البزار ورجاله رجال الصحيح. وقال القرطبي: قال النحاس: هذا أصح ما قيل فيه وأجلها إسنادًا. «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٠٧.

والبيت لأمية بن أبي الصلت، كما في «تهذيب اللغة» ١٥/ ٣٤٧، و«اللسان» ٣/ ٣٩٧ (لمم)، و«الخزانة» ٢/ ٢٩٥، و«المقتضب» ٤/ ٢٤٢، و«الأغاني» ٣/ ١٨٣، وليس في «ديوانه».

(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٣٩، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٥٦.

(٤) في (ك): (اللمم الخطيئة ثم) ولا معنى لها هنا.

(٥) أخرجه عبد بن حميد. انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٥٢، و«الدر» ٦/ ١١٨.

(٦) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٣١، و«الوسيط» ٤/ ٢٠٢.

القولين في اللغة واحد.

وقال المبرد: يقال: أَلَمَّ فلان بكذا إذا قاربه ولم يخالطه[١]، وأَلَمَّ به إذا لم يمعن فيه ولكن نال منه حظًا، وهما من أصل واحد؛ لأنه يقال ذلك لمن لم يستحوذ على الشيء.

فعلى ما ذكر اللمم ما قارب به من الكبيرة كالنظر والقبلة واللمس، واللمم ما ألم به مرة من زنا وشرب خمر، ثم لم يمعن فيه وتاب منه والعرب تقول: ألممت بفلان إلمامًا، وما يزورنا إلا لمامًا.

قال جرير:

بنفسي من تجنبه عزيزٌ علَيَّ ومن زيارته لمام[٢]

قال أبو عبيدة: معناه الأحيان على غير مواظبة ولا وقت معلوم، قال الأزهري: والعرب تستعمل الإلمام في المقاربة والدنو، يقال: أَلَمَّ بفعل كذا، في معنى كاد يفعل، قال أبو زيد: كان ذلك منذ شهرين أو لمامهما، ومنذ شهر أو لممه، أي قراب شهر، ومنه قوله ﷺ: **«وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يُلِمَّ»**[٣] قال أبو عبيدة: معناه أو يقرب إليه.

---

(١) انظر: «فتح القدير» ٥/ ١١٣.

(٢) «ديوانه» ص٥١٢، و«القطع والائتناف» ص٦٩١، و«البحر المحيط» ٨/ ١٥٥.

(٣) جزء من حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد، باب: فضل النفقة في سبيل الله ٤/ ٣٢، وكتاب: الرقاق، باب: ما يحذر من زهرة الدنيا والمتنافس فيها ٨/ ١١٣، ولفظه: **«.. وإن كل ما أنبت الربيع يقتل حبطًا أو يُلمُّ»** وفي لفظ: «.. **وإنه كلُّ**..» ومسلم في كتاب: الزكاة، باب: تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا ٢/ ٧٢٧، وأحمد في «المسند» ٣/ ٧، ٢١. والحبط أن تأكل الماشية فتكثر حتى تنتفخ لذلك بطونها، ولا يخرج عنها ما فيها.

وقال أبو زيد: في أرض بني فلان من الشجر المُلِمّ كذا وكذا، وهو الذي قارب أن يَحْمل.

وقال المبرد: فلان ميت أو ملم، أي قد قارب الموت، ونخل مُلِمٌّ قد قارب الإطعام وأنشد:

وزَيْـدٌ مَـيّـتٌ كَـمَـدَ الـحُـبَـارَى إِذَا بَـانَـتْ لَـطِـيـفَـةُ أَو مُـلِـمٌّ[1]

قال: يعني أو مدانٍ للموت، واللمة من الشعر التي ألمت أن تبلغ أذن، أي قاربت[2].

وقوله: أَلْمِم، معناه اجعل لنا من زيارتك أدنى حظ، ومنه قول الشاعر:

أَلْـمِـمْ بِـسَـلُّـومَـةَ أَلْـمِـمْ أَلْـمِـم خَلونَهَا مِن الخَليلِ والحَمِي[3]

وأمَّا الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ فهو على القولين جميعًا استثناء خارج.

قال أبو عبيدة: لم يؤذن لهم في اللمم وليس اللمم من الفواحش ولا من كبائر الإثم، وقد يستثنى الشيء من الشيء وليس منه، والتقدير: إلا أن يلم ملم بشيء من الفواحش[4]، فهذا على القول الأول.

وقال المبرد: لم يبحهم اللمم، ومعناه استثناء ليس من الأول،

---

(١) ورد في «الجمهرة» لابن دريد ١/ ١٢١، و«مقاييس اللغة» ٢/ ١٢٨، و«الحيوان» ٥/ ٤٥٥. وهو لأبي الأسود الدؤلي.

(٢) لم أقف على كلام المبرد.

(٣) لم أجده.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٣٧.

وتفسيره: لكن إن ألموا تابوا كما قال: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [الليل: ١٩- ٢٠]. فابتغاء وجه ربه من نعمة لأحد.

والمعنى، ولكنه يبتغي، قال: وقال ابن أحمر -وأراد أن يخدع من يخاطبه- فقال:

قد قلتُ في بعضِ مَا أَقولُ لَهَا قَولَةَ نَزْرِ الكَلامِ مُحْتَشِمِ
قَد حَرَّمَ اللهُ كلَّ فَاحِشَةٍ ورَخَّصَ اللهُ منكِ في اللَّمَمِ

قال: وإنما قال ذلك بخلاعته لا لأنه لم يعرف أن اللمم لم يرخص فيه، الدليل على ذلك أنه قال:

فأنكرت ذاك وهي صالحةٌ مِنْ نِسوةٍ لا يَجُدْنَ بالتُّهَمِ

انتهى كلامه[1].

وقال قوم: اللَّمَمُ على القول الثاني من جنس الفواحش والاستثناء وقع من الجنس، ومعنى الآية: إلا أن يلم بالفاحشة ثم يتوب، ويقع الوقعة ثم ينتهي، واسم اللممِ يدل على التوبة والانتهاء، لأنه إنما يسمى لمما إذا لم يمعن فيه، والصحيح هو الأول، لأن هذا يؤدي إلى إباحة اللمم[2].

وذكر في الآية قولان آخران:

---

(١) لم أقف على كلام المبرد هذا. ولا على أبيات ابن أحمر.

(٢) قال ابن جرير: (وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: إلا بمعنى الاستثناء المنقطع، ووجه معنى الكلام: إلا الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم بما دون كبائر الإثم، ودون الفواحش الموجبة للحدود في الدنيا والعذاب في الآخرة...) «جامع البيان» ٢٧/ ٤١. وانظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٢٧١، و«فتح القدير» ٥/ ١١٣، ونسبه للجمهور.

أحدهما: أن اللمم ما سلف في الجاهلية من الذنوب، وذلك أن المشركين قالوا للمسلمين، إنما كنتم بالأمس تعملون معنا ما نعمل، فأنزل الله هذه الآية، وهو[١] قول زيد بن ثابت، وزيد بن أسلم، ورواية عن علي ابن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ إلا ما قد سلف في الجاهلية[٢]، واللمم على هذا القول ما ألموا به من الذنوب والفواحش في الجاهلية.

القول الثاني: هو قول عبد الله بن عمرو قال: اللمم ما دون الشرك[٣]، وعلى هذا القول: الكبائر والفواحش موجبات الشرك.

والناس على القولين الأولين، واختار أبو إسحاق الثاني منهما، قال: اللمم هو أن يكون الإنسان قد ألم بالمعصية ولم يصر ولم يُقم على ذلك، والإلمام في اللغة يوجب أنك تأتي الشيء في الوقت ولا تقيم عليه. فهذا معنى اللمم في هذا الموضع[٤] يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾ قال ابن عباس: لمن فعل ذلك وتاب[٥]، وتم الكلام ها هنا[٦].

ثم قال قوله: ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ قال ابن عباس:

---

(١) (ك): (على) والصواب ما أثبته.

(٢) انظر: «جامع البيان» ٢٧/٣٨، و«الكشف والبيان» ١٢/١٢ ب، و«معالم التنزيل» ٤/٢٥٢.

(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٤٠، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/١٠٨.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٧٥.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ٥/٢٩٨، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٥٣.

(٦) انظر: «القطع والائتناف» ص٦٩٢ قال: والتمام عند يعقوب وجماعة معه بعد قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾، و«المكتفى في الوقف والابتداء» ص٥٤٣.

هو أعلم بكم قبل أن يخلقكم: ﴿إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ قال: يريد ما كان من خلق آدم من تراب[١].

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ أجنة جمع جنين، وهو الولد ما دام في البطن، سمي جنينًا لأنه مستور، ومنه سمي المدفون جنينًا لأنه مستور بالتراب، قال عمرو:

وَلاَ شَمْطَاءُ لم يترك شقَاها لَهَا من تسعةٍ إلا جَنينا[٢]

أي إلا دفينًا في قبره.

قال الحسن: علم الله من كل نفس ما هي عاملة وما هي صانعة وإلى ما هي صائرة[٣]، وقال الفراء: هو أعلم أولًا وآخرًا[٤].

﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ قال الكلبي، ومقاتل: كان ناس يقولون: صلينا وصمنا وفعلنا، فأنزل الله ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾[٥]، قال الفراء: لا يقولن أحدكم عملت كذا وفعلت كذا[٦]، فعلى هذا معناه النهي عن الاعتداد بالأعمال.

وقال آخرون: معناه لا تبرؤوها ولا تمدحوها، يدل على هذا ما روى أن زينب بنت أبي سلمة[٧] قالت: سميت برة فقال النبي ﷺ: **«لا تزكوا**

(١) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٠٢، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٥٣.

(٢) ورد في «ديوانه» ٣٦٧، و«شرح المعلقات السبع» للزوزني ص٩٨.

(٣) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٥٣، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١١٠.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ١٠٠.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣١ ب، و«الكشف والبيان» ١٢/ ١٤ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٥٣.

(٦) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ١٠٠.

(٧) زينب بنت أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومية، ربيبة النبي ﷺ وأخت عمر،=

أنفسكم، الله أعلم بالبر منكم. قالوا: ما نسميها؟ قال: سموها زينب»[١].
والمعنى: لا تزكوها بما ليس فيها. ويجوز أن يكون المعنى على العموم وذلك أنه أقرب إلى النسك والخشوع وأبعد من الرياء والعجب ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ أي بر وأطاع.

وقال الحسن: أخلص العمل[٢].

٣٣- قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ الَّذِى تَوَلَّىٰ﴾، قال ابن عباس في رواية عطاء: نزلت في الوليد بن المغيرة وهو قول مجاهد، ومقاتل، وابن زيد، قالوا: كان قد اتبع رسول الله ﷺ فعيره بعض المشركين وعاتبه على الإسلام فقال: إني خشيت عذاب الله، فقال: إني أضمن لك أن أتحمل عنك عذاب الله إن أنت أعطيتني كذا وكذا من مالك، فارجع إلى ما كنت عليه، فرجع إلى الشرك وأعطى الذي عاتبه بعض المال الذي شرط إذ هو أعطاه أن يتحمل عنه العذاب ومنعه تمام ذلك، فأنزل الله فيه[٣] ﴿أَفَرَءَيْتَ الَّذِى تَوَلَّىٰ﴾ قال ابن عباس، ومقاتل: أدبر عن الحق والإسلام[٤].

= ولدتهما أم المؤمنين بالحبشة، ماتت سنة (٧٣هـ) وحضر ابن عمر جنازتها.
انظر: «طبقات ابن سعد» ص٤٦١، و«الإصابة» ٤/ ٣١٧، و«أسد الغابة» ٥/ ٤٦٨، و«تقريب التهذيب» ٢/ ٦٠٠، و«أعلام النساء» ٢/ ٦٧.

(١) «صحيح البخاري»، كتاب: الآداب، باب: تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه ٨/ ٥٣، و«صحيح مسلم» كتاب: الأدب، باب: استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن ٣/ ١٦٨٨.

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١١٠، و«فتح القدير» ٥/ ١١٣.

(٣) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٣١، و«تفسير مقاتل» ١٣١ب، «جامع البيان» ٢٧/ ٤٢.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣١ ب، و«الوسيط» ٤/ ٢٠٣.

٣٤- ﴿وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا﴾ يعني أعطى صاحبه الذي عاتبه (وَأَكْدَى) قال الفراء: أمسك من العطية وقطع[١].

روى عمرو عن أبيه: أكْدى مَنَعَ وأكْدى قطع، وأكْدَى إذا انقطع، وأكْدى إذا حفر فبلغ الكُدى وهي الصخور[٢].

والمفسرون قالوا في (أَكْدَى) قطع وانقطع وأمسك، وذكر سعيد بن جبير الأصل فيه فقال: ألا ترى إلى القوم إذا حفروا الوهدة فأفضوا إلى الصخرة قالوا: أكدينا[٣].

قال أبو إسحاق: معنى (أَكْدَى) قطع، وأصله من الحفر في البئر، يقال للحافر إذا بلغ إلى حجر لا يمكنه الحفر معه قد بلغ إلى الكدية، وعند ذلك يقطع الحفر[٤].

وقال المبرد: (أَكْدَى) أي منع منعًا شديدًا[٥]. وذكر مثل قول أبي إسحاق.

وقال ابن قتيبة: أكدى من كدية الركِّية وهي الصلابة فيها وإذا بلغها الحافر يئس من حفرها فقطع الحفر فقيل لكل من يطلب شيئًا فلم يبلغ آخره أو أعطى ولم يتم أكدى ومعنى أكدى هاهنا منع صاحبه تمام ما ضمن له؛ وقال عطاء ومقاتل إن الوليد بن المغيرة كان قد مدح القرآن ثم أمسك عنه

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ١٠١.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» ١٠/ ٣٢٤، و«اللسان» ٣/ ٢٣٢ (كذا).

(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٤٢ عن أبي زيد. والوهدة الحفرة وهي النقرة المنتقرة في الأرض أشد دخولًا في الأرض من الغائط وليس لها حرف.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٧٥.

(٥) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٠٣، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٥٣.

فنزل فيه ﴿وأعطى قليلا﴾ أي: من الخير بلسانه، وأكدى أي قطع ذلك وأمسك عنه[١]. وهذا تعيير له. ثم زاد في التعيير والتوبيخ فقال:

٣٥- ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ﴾ يعني ما غاب عنه من أمر العذاب ﴿فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ أن صاحبه يتحمل عنه عذابه.

قال الزجاج: (فهو يرى) معناه فهو يعلم، والرؤية تكون بمعنى العلم كالمكفوف، يقول: رأيت زيدًا عاقلًا، فلو كان من رؤية العين لم يجز ذلك[٢]، والمعنى فهو يعلم علم الغيب حتى علم أنه غير معذب بتحمل صاحبه عنه العذاب.

٣٦- ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ﴾ لم يحدَّث ولم يخبر ﴿بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ يعني: أسفار التوراة.

٣٧- ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ يعني: وفي صحف إبراهيم ﴿ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ معنى التوفية في اللغة الإتمام والإكمال، يقال: وفيته أجره، قال الله تعالى: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ [فاطر: ٣٠].

واختلفوا في معنى (وفى) هاهنا. فقال ابن عباس في رواية عطاء والكلبي: بلغ ما أُمر به قومه، وهو قول مقاتل، واختيار الفراء، وابن قتيبة، وهو قول سعيد بن جبير، وإبراهيم، ومجاهد، وأبي العالية، وعكرمة[٣] كل هؤلاء قالوا: بلغ قومه وأدى إليهم عن الله هؤلاء الكلمات، وهي قوله تعالى:

---

(١) انظر: «تفسير غريب القرآن» ص٤٢٩.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣١ ب، و«الكشف والبيان» ١٢/ ١٤ ب، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١١١.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٧٥.

٣٨- ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وأَنْ على هذا القول في محل النصب بقوله: (وفى)[١].

وقال آخرون: معنى: (وفى) أكمل ما يجب لله تعالى عليه بالطاعة في كل ما أمر وامتحن به من ذبح الولد والإلقاء في النار والكلمات التي ابتلي بها في قوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ١٢٤] الآية، والاختتان، ومناسك الحج التي أمر بها، وفاها كلها وأتمها بالطاعة والصبر، فأثنى الله تعالى عليه لقيامه بجميع ذلك بقوله: (وفى)، وهذا قول جماعة من المفسرين[٢]، وهو اختيار أبي إسحاق، وعلى هذا موضع أَنْ في قوله: ﴿أَلَّا تَزِرُ﴾ خفض على البدل من قوله: ﴿بِمَا فِى صُحُفِ﴾، والمعنى: ألم ينبأ بأن لا تزر، وقال: يجوز أن يكون في موضع رفع على إضمار هو، كأنه لما قيل: بما في صحف موسى، قيل: ما هو؟ فقيل: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ومعناه: أن لا تؤخذ نفس بإثم غيرها[٣].

قال عكرمة عن ابن عباس: لا يؤخذ الرجل بذنب غيره[٤]، وفي هذا إبطال لقول من قال للوليد بن المغيرة: أعطني شيئًا وأحمل عنك ذنوبك. أخبر الله تعالى أنه لا يؤخذ أحد بجناية غيره، وأن هذا مما أنزل على

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٠٠، و«تفسير مجاهد» ٢/ ٦٣٢، و«تفسير مقاتل» ١٣١ ب، و«جامع البيان» ٢٧/ ٤٢-٤٣، و«معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٠١، و«تفسير غريب القرآن» ص٤٢٩.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٠١.

(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٤/ ٤٣ عن ابن عباس، وإبراهيم النخعي والقرظي، و«الكشف والبيان» ١٢/ ١٥ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٥٤، و«الدر» ٦/ ١٢٩.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٧٥، و«إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٢٧٣، و«مشكل إعراب القرآن» ٢/ ٦٩٤.

إبراهيم وموسى[(١)].

وذكره[(٢)] المفسرون[(٣)] فقالوا: كان من لدن نوح إلى زمان إبراهيم يؤخذ الرجل بذنب أخيه وابنه حتى بلّغهم إبراهيم ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، وهذا عام في الدنيا والآخرة، وقد أخبر الله تعالى بذلك[(٤)]، وذكره رسولنا محمد ﷺ أن من دعا إلى ضلالة كان عليه مثل أوزار من اتبعه، وذلك في قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾ [النحل: ٢٥].

قوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣] وهذا في رؤساء الكفر والضلالة يزاد لهم الوزر بسبب إضلالهم، فأما أن تحمل نفس ذنب أخرى حتى يصير المحمول منها كأنها لم تأت بذنب، فليس ذلك في شريعة.

٣٩- قوله: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ عطف على قوله: ﴿أَلَّا تَزِرُ﴾ وهذا أيضًا مما في صحف إبراهيم وموسى، والمعنى: ليس للإنسان في الآخرة إلا ما عمل في الدنيا، قاله مقاتل[(٥)].

قال أبو إسحاق: معناه: ليس له إلا جزاء سعيه، إن عمل خيرًا أُجزي

---

(١) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٤٢، و«الدر» ٦/ ١٢٩.

(٢) في (ك): (وذكر).

(٣) وهو المروي عن ابن عباس، وعمرو بن أوس، والنخعي.
انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٤٢، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٥٤.

(٤) (بذلك) ساقطة من (ك).

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣١ ب.

خيرًا، وإن عمل شرًا أُجزي شرًا[١]. هذا معناه في الظاهر.

ثم المفسرون مختلفون في حكم الآية، فروى الوالبي عن ابن عباس أن هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾ [الطور: ٢١] الآية، أدخل الله تعالى الأبناء بصلاح الآباء الجنة[٢]، ورفع درجاتهم وإن لم يستحقوها بأعمالهم، ونحو هذا قال عكرمة: كان ذلك لقوم إبراهيم وموسى، فأما هذه الأمة فلهم ما سعى غيرهم نيابة عنهم[٣]، بدليل حديث المرأة التي قالت لرسول الله ﷺ: إن أبي مات ولم يحج، قال: «**فحجي عنه**»[٤]. وقال العلماء من أصحابنا: هذه الآية تدل على منع النيابة في الطاعات إلا ما قام عليه الدليل كالحج[٥]، وهذا إذا قلنا إنه غير منسوخ الحكم، وعلى ما ذكر الوالبي وعكرمة: الآية منسوخة الحكم في شرعنا.

وقال الحسين بن الفضل[٦]: هذا من طريق العدل ليس للإنسان إلا ما سعى ولله أن يتفضل عليه بما يشاء من تضعيف الحسنات[٧].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٧٦.

(٢) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٤٤، و«الكشف والبيان» ١٢/ ١٦ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٥٤.

(٣) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ١٦أ، و«الوسيط» ٤/ ٢٠٣، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٥٤.

(٤) جزء من حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب: الحج عمن لا يستطيع الثبوت على الراحلة، وباب: حج المرأة عن الرجل ٣/ ٢٣، ومسلم في كتاب: الحج، باب: الحج عن العاجز لزمانة وهرم ونحوهما أو للموت ٢/ ٩٧٤.

(٥) انظر: «الأم» ٢/ ١٠٤، و«الحاوي الكبير» ٤/ ١٧.

(٦) تقدمت ترجمته في سورة البقرة.

(٧) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ١٧ أ، و«البحر المحيط» ٨/ ١٦٨، و«روح المعاني»=

٤٠- قوله: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ يُرَى من أريته الشيء، والمعنى أن سعيه يرى يوم القيامة حتى ينظر إليه، أي يرى عمله في ميزانه؛ وهذا قول مقاتل والزجاج[(١)]، وقال ابن قتيبة ﴿يُرَىٰ﴾ يعلم، والمعنى يعلمه الناس[(٢)].

٤١- ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ﴾ أي يجزى الإنسان سعيه، والضمير للسعي يقال: جزيت فلانًا عمله وسعيه، أي قضيته.

قال الشاعر[(٣)]:

إن أزِ علقمة بن سعد سعيه ... لا أجزه ببلاء يوم واحد

و﴿ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ الأكمل والأتم، قال أبو إسحاق: أي يجزى عمله أوفى جزاء[(٤)].

٤٢- قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ أي إليه منتهى العباد ومرجعهم، هذا قول المفسرين. وروي تفسير آخر لهذه الآية مرفوعًا إلى النبي ﷺ قال: «لا فكرة في الرب»[(٥)].

= ٦٦/٢٧. قال مكي: والبين في هذا الذي يوجبه النظر وعليه أكثر العلماء أنه ليس بمنسوخ وأنه محكم «الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» ص٤٢٣.
وانظر: «نواسخ القرآن» لابن الجوزي ص٢٣٣، و«الجامع لأحكام القرآن» ١١٤/١٧، و«فتح القدير» ٥/ ١١٤.

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣١ ب، و«معاني القرآن» للزجاج ٧٦/٥.
(٢) انظر: «تفسير غريب القرآن» ص٤٢٩.
(٣) لم أجده.
(٤) انظر: «معاني القرآن» ٧٦/٥.
(٥) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» ٢١٨/١ عن سفيان الثوري في قوله ﷻ: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ قال: لا فكرة في الرب عز وجل، وأخرجه الدارقطني في الأفراد، =

ومعنى هذا أن الإنسان يتفكر في كل شيء فيحيط به علمًا ويقف على كنهه وكيفيته حتى ينتهي إلى الله تعالى فلا يحيط به علمًا ولا يدركه بفكرته، فإليه المنتهى من هذا الوجه، ويؤكد هذا المعنى ما روى أنس أن النبي ﷺ قال: **«إذا ذكر الله فانتهوا»**(١).

وقال ﷺ: **«تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق»**(٢).

والمنتهى معناه الانتهاء.

= والبغوي في «تفسيره» ٤/ ٢٥٥ مرفوعًا.
وأورده ابن كثير، وذكر رواية البغوي له ثم عقب عليه بقوله: وليس بمحفوظ بهذا اللفظ، وإنما الذي في الصحيح: يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟.. وذكر الحديث ثم قال: والحديث الآخر الذي في «السنن»: (تفكروا في مخلوقات الله ولا تفكروا في ذات الله..)، «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٥٩، وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» ٤/ ٣٩٦.

(١) أخرجه الثعلبي في «تفسيره» ١٢/ ١٧ب، وذكره بعض المفسرين عن أنس بدون سند، وفي بعض الألفاظ: **«إذا ذكر الله تعالى فانته»**.
انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١١٥، و«البحر المحيط» ٨/ ١٦٨، و«روح المعاني» ٢٧/ ٦٨.

(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» ٤/ ٢٥٥، وعقب عليه ابن كثير بما سبق ذكره.
وأخرجه أبو الشيخ في «العظمة» ١/ ٢١٦، وزاد فيه «فإنكم لا تقدرون قدره» وأخرجه أبو القاسم الأصفهاني في «الترغيب والترهيب» ٢/ ١٧٤، بسندين فيهما انقطاع، وأورده السيوطي في «الجامع الصغير» ١/ ١٣٢، وعزاه إلى أبي الشيخ ورمز له بالضعف، وفي تخريجات «إحياء علوم الدين» قال: أخرجه أبو نعيم في الحلية بالمرفوع منه بإسناد ضعيف، ورواه الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» من وجه آخر أصح منه، ورواه الطبراني في «الأوسط»، والبيهقي في «الشعب» من حديث ابن عمر وقال: هذا إسناد فيه نظر. قلت: فيه الوازع بن نافع متروك. انظر «الإحياء» ٤/ ٤٢٤، و«ضعيف الجامع» ٣/ ٣٨ (٢٤٦٩).

٤٣- قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ﴾ أكثر المفسرين على أن هذا عام في كل ضحك وبكاء، يدل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: مر النبي ﷺ على قوم يضحكون فقال: «**لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرًا ولضحكتم قليلًا**» فنزل عليه جبريل فقال: إن الله ﷻ يقول: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ﴾ فرجع إليهم، فقال: «**إن الله هو أضحك وأبكى**»[1].

وهذا يدل على أن كل ما يعمله الإنسان بقضائه وإرادته وخلقه حتى الضحك والبكاء، وكذلك ما روي عن جبار الطائي[2] قال: شهدت جنازة أم مصعب[3] وفيها ابن عباس، وابن الزبير، وابن عمر، وابن عباس يقاد على أتان له، فمرا وفي الجنازة صوارخَ فقلت: يا أبا عباس: تفعل هذا؟ قال: دعنا منك يا جبار فإن الله هو أضحك وأبكى[4].

ومن المفسرين من خصَّ؛ وهو قول الكلبي. قال: أضحك أهل الجنة وأبكى أهل النار[5]، ومنهم من حمل الضحك والبكاء على المجاز، وهو قول عطاء بن أبي مسلم قال: معناه أفرح وأحزن؛ لأن الضحك يجلبه

---

(١) أخرجه الثعلبي في «تفسيره» ١٢/ ١٨ أ، والواحدي في «أسباب النزول» ص٤٦١. وأخرجه ابن مردويه عنها. انظر: «إحياء علوم الدين» ٤/ ٤٥٠، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١١٦، و«الدر» ٦/ ٣٠٠.

(٢) جبار بن القاسم الطائي، روى عن ابن عباس، وعنه أبو إسحاق، ضعفه الأزدي وذكره ابن حبان في «الثقات» بروايته عن ابن عباس. انظر: «لسان الميزان» ٢/ ١٢٠.

(٣) هي الرباب بنت أنيف الكلبية. انظر: «طبقات ابن سعد» ٥/ ١٨٢، و«سير أعلام النبلاء» ٤/ ١٤١.

(٤) لم أجده.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٠١، و«جامع البيان» ٢٧/ ٤٤، و«البغوي» ٤/ ٢٥٥.

السرور والفرح، والبكاء يوجبه الحزن والنزح[(١)]، ومنهم من حمل الآية على الاستعارة وهو قول الضحاك.

قال: المعنى أضحك الأرض بالنبات وأبكى السماء بالمطر[(٢)].

٤٤- قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ المتقدمون من المفسرين حملوا هذا[(٣)] على الإماتة في الدنيا والإحياء للبعث[(٤)]، والمتأخرون منهم ذكروا وجوهًا أخرى، منها: أنه أمات الآباء، وأحيا الأبناء، كما ذكرنا في قوله: ﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [الجاثية: ٢٤] ومنها أنه أمات النطفة وأحيا النسمة، وأمات الكافر بالكفر وأحيا المؤمن بالإيمان، والوجهان ذكرا في قوله: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [الروم: ١٩]. ويدل على الوجه الثاني قوله: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

٤٦- قوله تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد الجماع، وقال في رواية الكلبي: تهراق في الرحم، وهو قول الضحاك، قال: تصب في الرحم، ويقال: منى الرجل، وأمنى من المني[(٥)]، وقيل في منى[(٦)] مكة سميت منى؛ لما يمنى من الدماء أي:

---

(١) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ١٨ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٥٥.

(٢) (بالمطر) ساقطة من (ك)، والتصحيح من «الوسيط».
انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ١٨ ب، و«الوسيط» ٤/ ٢٠٤، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٥٥، قلت: وهذا التفسير يخالف ما يفهم من ظاهر الآية، وحمله على الضحك والبكاء المعروفين أولى، والله أعلم.

(٣) في (ك): (على هذا).

(٤) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٥٥، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١١٧.

(٥) انظر: المراجع السابقة.

(٦) مِنَى: المكان المعروف من مهبط العقبة إلى محسر. سميت بذلك لما يمنى من الدماء. وقيل لأن الكبش مُني بها أي ذبح. انظر: «معجم البلدان» ٥/ ٢٢٩.

يراق[١]، وقال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ [الواقعة: ٥٨] هذا قول المفسرين. وقال أبو عبيدة، والمبرد، وابن قتيبة: ﴿تُمْنَىٰ﴾ أي تقدر، ويقال: إنك لا تدري ما يَمني لك الماني أي ما يقدر لك المقدر[٢]، والقولان أصلهما واحد وهو التقدير، يقال: منى الله لك ما يسرك أي قدر، والاسم من المنى.

وأنشد الفراء فقال:

ولا تقولنَّ لشيء سوف أفعله حتى تبين ما يَمني لك الماني[٣]

والمني الماء الذي يخلق ويقدر منه الولد، ثم يقال منه: منى وأمنى إذا أصب ذلك الماء.

فمعنى قوله: ﴿إِذَا تُمْنَىٰ﴾ إذا تُصَب وتلقى على تقدير ولد في الرحم، هذا هو الأصل، ثم يقال: أمنى ومنى بمعنى صب من غير تقدير[٤]. قوله تعالى: ﴿يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ﴾[٥].

٤٨- قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ أي أغنى الناس بالأموال ومولهم (وأقنى) اختلفوا فيه، فقال أبو صالح: أعطى القنية وأصول الأموال التي تقتنى[٦].

---

(١) قاله الليث، وقال ابن شميل: سمي منى؛ لأن الكبش مُنِي به، أي: ذبح. وانظر: «تهذيب اللغة» ١٥/ ٥٣٠ (منا).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٣٨، و«تفسير غريب القرآن» ص٤٢٩.

(٣) البيت لأبي قلابة الهذلي، وقيل: لأبي المثلم الهذلي، كما في «ديوان الهذليين» ٣/ ٣٩، ولم أجده عند الفراء.
وانظر: «تهذيب اللغة» ١٥/ ٥٣٠، و«اللسان» ٣/ ٥٣٨ (منى).

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ١٥/ ٥٣١، و«اللسان» ٣/ ٥٣٨ (منى).

(٥) عند تفسيره لآية (٢٠) من سورة العنكبوت. انظر: «البسيط» ٤/ ١٢١ أ حيث قال: أي ثم الله الذي خلقها وبدأ خلقها ينشئها نشأة ثانية...

(٦) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٤٥، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٥٦.

والاكثرون قالوا: أقنى قنّع ورضّى بما أعطى الفقير، وهو قول مجاهد، ومقاتل، ورواية عكرمة عن ابن عباس[١]، والقول الأول اختيار أبي عبيدة، والمبرد، وابن الأعرابي، قال أبو عبيدة، والمبرد: أغنى أقوامًا وجعل لهم قنية وهي أصل المال[٢] من أي مال كان.

وقال ابن الأعرابي: أقنى أعطاه ما يدخر بعد الكفاية[٣]، وأبو إسحاق ذكر القولين[٤]، وهما يرجعان إلى أصل واحد.

قال الليث: يقال: قنيت به، أي: رضيت، وأقنيت لنفسي مالًا، أي: جعلته قنية أرتضيه، وأنشد للمتلمس:

وألقيته بالثّني من جَنْبِ كافرٍ كذلك أقْنُو كلَّ قِطٍّ مُضَلِّلِ[٥]

قال: أقنو بمعنى أرضى. وقال غيره: أقنو ألزم وأحفظ[٦]، فالاقتناء يتردد بين أصلين.

أحدهما: الرضا، وذلك أن الإنسان لا يقتني إلا ما يرتضيه، فعلى هذا أصل القولين الرضا، والآخر: الحفظ واللزوم، ومنه يقال: قنا الحياء، إذا لزمه، ومنه قول الشاعر:

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٠١، و«تفسير مجاهد» ٢/ ٦٣٢، و«تفسير مقاتل» ١٣٢ أ. وفي «صحيح البخاري» قال: ابن عباس: (أغنى وأقنى) أعطى وأرضى، و«كتاب التفسير» سورة النجم ٦/ ١٧٥.
قال ابن حجر: وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة، و«فتح الباري» ٨/ ٦٠٦.

(٢) في (ك): (مال) وانظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٣٨.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ٩/ ٣١٣، و«اللسان» ٣/ ١٧٧ (قنا).

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٧٦.

(٥) البيت ورد في «تهذيب اللغة» ٩/ ٣١٢، و«اللسان» ٣/ ١٧٧ (قنا)، و«الخزانة» ٣/ ٢٣، و«المذكر والمؤنث» ص٤١٦.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» ٩/ ٣١٤ (قنا).

فأقْنَى حياءَكَ لا أبالَكِ إنني   في أرض فارس موثقٌ أحوالًا[١]

والقنية ما يلزمها الإنسان ويحفظها. وعلى هذا الأصلان مختلفان.
قال الضحاك، والحسن، وقتادة: أغنى في المال وأقنى في الخدم[٢]، وهؤلاء خصوا الاقتناء بإعطاء الخدم.

وأما ما روي عن ابن زيد أنه قال: أغنى أكثر وأقنى أقل[٣]، ولا وجه لقوله أقنى أقل في اللغة، إلا أن يقال: معناه رضي بالفليل كما ذكره الأكثرون فترك ذلك الرضا واقتصر على القلة.

٤٩- قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ قال جماعة المفسرين: هي كوكب خلف الجوزاء يقال لها مرزم الجوزاء، وهي الشعرى العبور، وكانت خزاعة تعبدها، فقال الله: أنا رب الشعرى فاعبدوني، وإنما سميت العبور لأنها عبرت المجرة فقطعت عرضًا وهما الشعرتان، يقال لأحدهما: العبور وللأخرى الغميصاء، وسميت الغميصاء؛ لأن العرب تقول: إن سهيلًا والشعرتين كانت مجتمعة فانحدر سهيل فصار يمانيًا فتبعته الشعرى العبور فعبرت المجرة وأقامت الغميصاء فبكت لفقد سهيل حتى غمضت عيناها فسميت الغميصاء[٤].

---

(١) انظر: «اللسان» ٣/ ١٧٧ (قنا) وقال أنشده ابن بري ولم ينسبه لقائل.
(٢) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٥٤، و«جامع البيان» ٢٧/ ٤٥.
(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٤٥، وفي «معالم التنزيل» ٤/ ٢٥٦، و«الجامع» للقرطبي ١٧/ ١١٩، نسبه للأخفش وهو قول الحضرمي أيضًا.
وقال ابن كثير معقبًا على هذا القول: وهما بعيدان من حيث اللفظ، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٥٩. وقال أبو حيان في «البحر المحيط» ٨/ ١٦٩: وقد تكلم المفسرون على ذلك فقالوا اثني عشر قولًا كقولهم: أغنى نفسه وأفقر خلقه إليه، وكل قول منها لا دليل على تعيينه، فينبغي أن تجعل أمثلة.
(٤) انظر: «الجمهرة» ٢/ ٣٤٢، و«الكشف والبيان» ١٢/ ١٩أ- ب، قال الآلوسي في=

٥٠- قوله ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾ ذكر أبو إسحاق وغيره من النحويين في (الأولى) ثلاث لغات:

أحدها: (الأولى) بسكون لام المعرفة.

والثانية: (الُولَى) على تخفيف الهمزة ونقل حركتها إلى لام المعرفة.

الثالثة: (لولى) بطرح همزة الوصل؛ لأن اللام تحركت فاستغني عنها[(١)].

ومثله الأحمر والحمر ولحمر، وقراءة العامة (عادًا الأولى)[(٢)] أجود اللغات الثلاثة، وذلك أن التنوين اجتمع مع لام المعرفة وهما ساكنان فحرك التنوين بالكسر.

وقرأ أبو عمرو (عادًا لولى)، قال أبو عثمان: أساء عندي أبو عمرو في قراءته (عادًا لولى)؛ لأنه أدغم النون في لام المعرفة، واللام إنما تحركت بحركة الهمزة، وليست بحركة لازمة، والدليل على ذلك أنك تقول: اَلَحْمَر. فلا تحذف ألف الوصل وإن حركت اللام؛ لأنها ليست بحركة لازمة، قال: ولكن كان أبو الحسن روى عن بعض العرب أنه يقول هذا لَحْمَر قد جاء، بحذف ألف الوصل لحركة اللام[(٣)].

= «روح المعاني» ٢٧/ ٦٩: وقيل زعموا أن سهيلًا والشعرى...- وذكر ما هاهنا ثم قال-: وكل ذلك من تخيلاتهم الكاذبة التي لا حقيقة لها والمتبادر عند الإطلاق وعدم الوصف: العبور؛ لأنها أكبر جرمًا وأكثر ضياء، وهي التي عبدت من دون الله في الجاهلية.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٧٧.

(٢) قرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب (عادًا لولى) موصولة مدغمة، وذلك بإدغام التنوين في اللام بعد نقل حركة الهمزة إليها وصلًا. وقرأ الباقون (عادًا الأولى) بكسر التنوين وسكون اللام وتخفيف الهمزة من غير نقل. انظر: «حجة القراءات» ص٦٨٧، و«النشر» ١/ ٤١١-٤١٢، و«الإتحاف» ص٤٠٣-٤٠٤.

(٣) قلت: قول أبي عثمان -المازني: أساء أبو عمرو في قراءته.. إلى أن قال: ولكن

قال أبو علي: الإساءة التي نسبها أبو عثمان إلى أبي عمرو في قراءة: (عادًا لولى) لا تلزمه من وجهين:

أحدهما: أنه يقول: (لُوْلَى) قبل الإدغام على لغة من يقول لَحْمَرْ فيحذف همزة الوصل، وعلى هذا القول اللام في حكم المتحرك، وخرجت من حكم السكون بدلالة حذف همزة الوصل وإذا خرجت من حكم السكون حسن الإدغام كما حسن في مَنْ لك؟ ومَنْ لُوهُ؟[1] فالإدغام في حرف متحرك غير ساكن.

والوجه الآخر: أن يكون أدغم على قول من يقول (الُولى) الحَمْرَ، فلم يحذف همزة الوصل مع إلقاء الحركة على لام المعرفة؛ لأنه في تقدير السكون فلا يمتنع أن يدغم فيه، وإن كان في حكم السكون كما لم يمتنع أن يدغم في نحو رُدَّ وفِرَّ وغَضَّ، وإن كانت لاماتهن سواكن، وتحركها للإدغام، وإذا جاز الإدغام في الوجهين جميعًا ثبتت صحته.

وروي عن نافع (عاد لؤلَى) بالإدغام والهمز، ووجه الإدغام ما ذكرنا، ووجه الهمز أن الضمة لقربها من الواو وأنه لم يحجز بينهما شيء صارت كأنها عليها فهمزها كما يهمز الواو إذا كانت مضمومة نحو أدؤُر والغؤور[2]، وما أشبه ذلك، وهذه لغة قد رويت وحكيت وإن لم تكن بتلك

= كان أبو الحسن -أي الأخفش- فيه إساءة وتجاوز، فالقراءة تواترها عن أفصح العرب ﷺ وكان الأولى إثباتها وإن خالفت ما وضعه النحاة من قواعد، وما أثر عن العرب من لغتهم، أما أن تصوب القراءة لنقل الأخفش أو غيره وجهًا لها عن العرب فرأي مردود على صاحبه وإن بلغ ما بلغ من علم وفهم كالمازني، وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا الصادق المصدوق ﷺ، والله أعلم.

(١) (ك): (لزم) والتصويب من «الحجة».

(٢) أدؤر جمع دار، والهمز لكراهة الضمة على الواو. يقال: ثلاث أدؤر: همزت لأن الألف التي كانت في الدار صارت في أَفْعُل في مواضع تحرك فأُلقِي عليها =

الفاشية.

قال أبو عثمان: ومن قرأ (عادًا لولى) فأظهر النون فقد أخطأ؛ لأن النون لا تظهر على اللسان إلا مع حروف الحلق[١].

قال المفسرون: عاد الأولى، قوم هود، وهم أولى عاد أهلكوا بريح صرصر، وكان لهم عقب، وكانوا عادًا الأخرى.

٥١- قوله تعالى: ﴿وَثَمُودَاْ﴾ أهلك الله ثمود وهم قوم صالح بالصيحة ﴿فَمَآ أَبۡقَىٰ﴾ منهم أحدًا.

٥٢- ﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ﴾ أهلك الله قوم نوح من قبل عاد وثمود.

﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ﴾ قال ابن عباس وقتادة ومقاتل، وغيرهم: إنما وصف بأنهم كانوا أظلم وأطغى من غيرهم لطول دعوة نوح إياهم، وعتوهم على الله في المعصية والتكذيب، ولم يطل مقام أحد من الأنبياء في دعوة قومه كما طال مقامه[٢]، وقد ذكر الله تعالى ذلك في قوله: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا﴾ [العنكبوت: ١٤] وكان الرجل منهم يأخذ ابنه فينطلق به إلى نوح فيقول له: احذر هذا فإنه كذاب، وإن أبي قد مشى بي إلى هذا وأنا مثلك فاحذره فيموت الكبير على الكفر، وينشأ الصغير على وصية أبيه[٣].

= الصرف ولم ترد إلى أصلها. وغار القوم غورًا وغؤورًا، أتوا الغور، وغار في الشيء غؤورً دخل. وغار الماء غؤورًا. ذهب في الأرض. انظر: «تهذيب اللغة» ٨/ ١٨٠، و«اللسان» ٢/ ١٠٢٦ (غور).

(١) من قوله: قال أبو عثمان. إلى هنا: نقله من كتاب «الحجة» لأبي علي مع تصرف يسير. انظر: «الحجة» ٦/ ٢٣٧-٢٤٠، و«البغداديات» ص١٩٠-١٩٤.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٢ أ، و«تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٥٤، و«جامع البيان» ٢٧/ ٤٦.

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٢٠، و«الدر» ٦/ ١٣١.

٥٣- قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ قال الفراء: كل شيء انهوى وانخسف فقد ائتفك[١].

وقال أبو عبيدة: المؤتفكة المخسوف بها ائتفكت بأهلها[٢]، وقد تقدم تفسير المؤتفكات[٣].

وهي قرى قوم لوط رفعها جبريل بجناحه إلى السماء حتى سمعت ملائكة سماء الدنيا أصوات الدجاج ونباح الكلاب، ثم قلبها فهوت من السماء إلى الأرض مقلوبة[٤]، فذلك قوله: (أهوى) أي: أهلك، وتفسيره: أسقط، هوى إذا سقط، وأهواه أسقطه[٥]، وقد مر في قوله: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾، والمعنى: أهواها جبريل إلى الأرض بعد أن رفعها، وقال المبرد: جعلها تهوي[٦].

وقال الفراء: رفعها إلى السماء، ثم أهواها وأتبعهم الله بالحجارة، فذلك قوله تعالى:

٥٤- ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾[٧]، أي: فغشاها الله وألبسها ما غشى، يعني: الحجارة في قول جميع المفسرين.

---

(١) لم أقف عليه في «معاني القرآن» للفراء، وما قاله أبو عبيدة يؤيده.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٣٩.

(٣) عند تفسيره لآية (٧٠) من سورة التوبة. ومما قال: المؤتفكات، قال المفسرون: يعني قرى قوم لوط وهي جمع مؤتفكة، ومعنى الائتفاك في اللغة: الانقلاب. وتلك القرى ائتفكت بأهلها أي انقلبت فصار أعلاها أسفلها.

(٤) انظر: «تاريخ الأمم والملوك» ١/ ١٨٠، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٧٧، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٢٠.

(٥) انظر: «تفسير غريب القرآن» ص٤٣٠.

(٦) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٢٠، و«فتح القدير» ٥/ ١١٧.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٠٣.

وأبهم ذكر ما غشاهم؛ لأنه ذكر ذلك في قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤].

وقال ابن الأنباري[١]: تأويله فغشى الله المؤتفكات الذي غشي غيرهم من الأمم السالفة؛ لأنه قد تقدم ذكر عاد وثمود، وقوم نوح ممن أهلك بالعذاب، وكأن التأويل ما غشى الأمم السالفة، فحذف الأمم لتقدمهم وبيان معناهم.

٥٥- قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ قال أبو إسحاق: هذا خطاب للإنسان، لما عدد الله عليه ما فعله مما يدل على وحدانيته قال: بأي نعم ربك التي تدلك على أنه واحد تتشك؛ لأن المرية الشك[٢].

قال أهل المعاني: وإنما قيل بعد تعديد النقم ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ﴾؛ لأن النقم التي تحدث نعم علينا لما لنا فيها من المزاجر، مع أنه نالهم بكفر النعم[٣]، والمعنى: فبأي نعم ربك أنت أيها المخاطب تتمارى حتى تكون مقارنًا لهم في سلوك بعض مسالكهم[٤]، وهذا معنى قول قتادة: بأي نعم ربك تتمارى[٥] يا ابن آدم[٦].

وقال ابن عباس: يريد تكذب يا وليد[٧]، يعني: الوليد بن المغيرة الذي نزل فيه قوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾ وهذه الآيات كلها نزلت في شأنه،

---

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٢١، و«فتح القدير» ٥/ ١١٧.
(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٧٨.
(٣) انظر: «الكشاف» ٤/ ٤٣، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٥، و«فتح القدير» ٥/ ١١٧.
(٤) في (ك): (مسالكه) والصواب ما أثبته.
(٥) (تتمارى) ساقطة من (ك).
(٦) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٥٥، و«جامع البيان» ٢٧/ ٤٧.
(٧) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٠٥.

إلى قوله:

٥٦- ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ﴾ يعني: محمدًا ﷺ ﴿مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ من الرسل قبله.

قال قتادة: يقول أنذر محمد ﷺ كما أنذر الرسل من قبله[١].

قال أبو إسحاق: أي النبي ﷺ مجراه في الإنذار مجرى من تقدمه من الأنبياء عليهم السلام، وذكر قولًا آخر هو قول أبي مالك، ومقاتل، وهو أن يكون النذير مصدرًا بمعنى الإنذار كالنكير بمعنى الإنكار، والمعنى: هذا إنذار لكم كما أنذر من قبلكم وقد أعلمتم ما قص الله عليكم من حال من كذب بالرسل وما وقع بهم من الإهلاك[٢]، وهذا معنى قول مقاتل، يقول: هذا خبر من خبر هلاك الأمم الخالية[٣].

٥٧- قوله تعالى: ﴿أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ﴾ قال المفسرون: دنت القيامة واقتربت الساعة، وقد ذكرنا ما في هذا عند قوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ﴾[٤] قال أبو إسحاق والمبرد: معناه: قربت القريبة[٥]، وهذا كما يقال: قتل القاتل، وضرب الضارب، والآزفة من أسماء القيامة، سميت بذلك لدنوها من الناس؛ لأن كل ما هو آت دان، وإن استبعدت.

---

(١) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٥٤.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٧٨.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٢ أ.

(٤) عند تفسيره لآية (١٨) من سورة غافر. ومما قال: يقال أزف الشيء يأزف أزفًا إذا دنا، ومنه يقال للقصير: متأزف؛ لتداني أعضائه بعضها من بعض... قال عامة المفسرين الأزفة القيامة. قال ابن عباس: أزف أمرها. وقال مقاتل: يعني: اقتربت الساعة. وهذا معنى قول الضحاك سميت آزفة لقربها. قال أبو إسحاق: قيل لها آزفة لأنها قريبة وإن استبعد الناس مداها وما هو كائن قريب... انظر: «البسيط» ص١٧٢ بتحقيق السحيباني.

(٥) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٧٨.

٥٨- قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ ذكر المفسرون فيه قولين: قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد ليس أحد من شركائكم من يرد ذلك، ونحو هذا قال الضحاك: ليس من دون الله من آلهتهم كاشفة(١).

ومعنى الكشف في اللغة رفع الشيء عما يواريه، والمعنى على هذا القول أن القيامة إذا غشيت الخلق بشدائدها وأهوالها لم يكشفها أحد من آلهتهم، أي: أنها لا تنجيهم منها، ويدل على صحة هذا المعنى أن القيامة سميت غاشية فلما كانت في غاشية كان ردها كشفًا كما يقال في الدعاء: اللهم اكشف عنا الهموم والأحزان، والكاشفة على هذا القول نعت مؤنث محذوف على تقدير: نفس كاشفة، أو جماعة كاشفة، وهذا معنى قول قتادة: ليس لها من دون الله راد(٢).

ويجوز أن تكون الكاشفة مصدرًا كالخائنة والعاقبة والعافية، فإذا قدرتها مصدرًا كان المعنى ليس لها من دون الله كشف، أي: لا يكشف عنها غيره. بمعنى لا يبديها ولا يظهرها ولا يزيل عنها ما يسترها، وهو معنى قول مقاتل: لا يكشفها أحد إلا الله، قال: يعني الساعة الله الذي يكشفها.

ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] وهذا القول اختيار الزجاج(٣) والفراء، وهو قول الكلبي، قال: ليس لها من يكشف عن علمها إلا الله(٤)، وإذا كشف عن علمها فقد كشف عنها.

---

(١) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٠٥، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٥٧، و«الدر» ٦/ ١٣١.

(٢) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٢٠ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٥٧، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٢٢.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٧٨.

(٤) لم أجد هذا القول، وهو ظاهر المعنى.

قال الفراء: وتأنيث كاشفة كقولك له: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾[(١)] يريد من بقاء. والعافية والعاقبة، كل هذا في معنى المصدر[(٢)].

٥٩- قوله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ قال جماعة المفسرين: يعني: القرآن.

قال أبو إسحاق: أي مما يتلى عليكم من كتاب الله تعجبون[(٣)].

قال مقاتل: تعجبون تكذيبًا به[(٤)]، والمعنى: تعجبون من إنزاله على محمد ﷺ فتكذبون به كما قال: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ ...﴾ الآية [ق: ٢].

وقال أهل المعاني: يجوز أن يكون معنى الحديث هاهنا ما ذكر من حديث القيامة[(٥)]، والكفار كانوا يكذبون بها ويعجبون من وقوعها، أي: وقعت عندهم يدل على هذا قوله:

٦٠- ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ أي: تستهزئون ولا تبكون خوفًا منها. وعلى قول المفسرين: ولا تبكون مما فيه من الوعيد.

روى أبو الخليل[(٦)] أن النبي ﷺ ما رئي ضاحكًا إلا تبسمًا بعد نزول هذه الآية[(٧)].

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء: ما لفلان باقية، وما ذكره المؤلف هو قوله تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [سورة الحاقة: ٨٠].

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٠٣.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٧٨.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٢ ب.

(٥) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٧.

(٦) هو صالح بن أبي مريم الضبي، أبو الخليل، وثقه ابن معين، والنسائي، وأغرب أبو عبد الله بن عبد البر فقال: لا يحتج به. انظر: «تقريب التهذيب» ١/ ٣٦٣، و«سير أعلام النبلاء» ٤/ ٤٧٩، و«طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٣٧، و«تهذيب التهذيب» ٤/ ٤٠٢.

(٧) رواه الإمام أحمد في «الزهد»، وابن أبي شيبة في «المصنف» ١٣/ ٢٣٤، =

٦١- قوله ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ قال الليث: السمود في الناس الغفلة والسهو عن الشيء، وهذا قول المبرد، قال: السمود الاشتغال عن الشيء يكون لهم أو فرح يتشاغل به وأنشد فقال:

رَمى الحِدْثانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ ... بمقدارٍ سَمَدْنَ له سُمودا[(١)]

وروى عكرمة عن ابن عباس قال: السمود الغناء في لغة حمير[(٢)]، يقال: اسمدي لنا، أي غني لنا[(٣)]، ومنه قول أبي زبيد أنشده أبو عبيدة فقال:

وكأن العَزِيفَ فِيهَا غِنَاءً ... لِلنَدَامَى مِنْ شَارِبٍ مَسْمُودِ[(٤)]

فالمسمود الذي غني له، والسامد أيضًا القائم في تحير، قال المبرد: ومما يأثر العرب من أشعار عاد[(٥)]:

= والثعلبي في «الكشف والبيان» ١٢/ ٢١ أ، وابن مردويه من طريق سعيد بن جبير، عن ابن العباس بإسناد ضعيف، و«تخريجات الكشاف» ٤/ ١٦١، ورواه وكيع بن الجراح في «الزهد» ١/ ٢٦٦. قال محققه: إسناده ضعيف ومعناه غريب أيضًا؛ لأن الآية نزلت في مكة، وقد ثبت ضحك النبي ﷺ وتبسمه في أحاديث كثيرة.

(١) البيت لعبد الله بن الزبير بن الأشيم الأسدي، أو للكميت بن معروف. انظر: «الحماسة» لأبي تمام ١/ ٤٦٤، و«أمالي القالي» ٣/ ١١٥، و«الأضداد» ص٣٦، و«مجالس ثعلب» ص٤٣٩، و«تهذيب اللغة» ١٢/ ٣٧٧، و«اللسان» ٢/ ١٩٨ (سمد). ونسبه ابن كثير في «البداية والنهاية» ٨/ ١٤٤ لأيمن بن خريم.

(٢) حمير: بطن عظيم من القحطانية ينسب إلى حمير بن سبأ، من بلادهم في اليمن شام، وذمار، ورفع.. قدم رسول ملوك حمير سنة تسع من الهجرة على رسول الله ﷺ: انظر: «معجم قبائل العرب» ١/ ٣٠٤- ٣٠٥.

(٣) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٥٥، و«جامع البيان» ٢٧/ ٤٨، و«المصنف» لابن أبي شيبة ١٠/ ٤٧١.

(٤) انظر: «الأضداد» لابن الأنباري ص٣٦، و«الأضداد» للسجستاني ص١٤٤.

(٥) عاد بن عوص من العرب العاربة البائدة، يقال لهم عاد الأولى، وكانت منازلهم =

قَـيْـلُ قُـمْ فَـانْـظُـر إِلَـيْـهِـمْ ثُـمَّ دَعُ عَـنْـكَ الـسُّـمُـودَا[١]

ومنه حديث علي ﷺ أنه دخل المسجد والناس ينتظرون الصلاة، فقال: مالي أراكم سامدين[٢].

قال أبو عبيدة: يعني: القيام، وكل رافع رأسه فهو سامد، قال ابن الأعرابي: السامد اللاهي، والسامد الغافل، والسامد الساهي، والسامد المتكبر، والسامد القائم، هذا كلام أهل اللغة في السمود[٣].

والمفسرون قالوا: لاهون غافلون معرضون، ونحو هذا روي عن ابن عباس في جميع الروايات[٤] إلا ما روى عكرمة أنه الغناء، قال: وكانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا.

وروى شمر بإسناد عن ابن عباس أنه قال: مستكبرون. قال: ويقال

= بالأحقاف وهو الرمل ما بين عمان إلى الشحر إلى حضرموت إلى عدن أبين. انظر: «معجم قبائل العرب» ٢/ ٧٠٠.

(١) من شعر هزيلة بنت بكر، وهي تبكي قوم عاد. انظر: «الأضداد» لابن الأنباري ص٣٦، و«الأضداد» للسجستاني ص١٤٤، و«الدر» ٦/ ١٣٢، وعزاه للطستي في «مسائله»، و«روح المعاني» ٢٧/ ٧٢، و«تهذيب اللغة» ١٢/ ٣٧٨، و«اللسان» ٢/ ١٩٩ (سمد).

(٢) أخرجه عبد الرزاق، وابن جرير، وعبد بن حميد، وذكره المهدوي. انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٤٩، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٢٣، و«الدر» ٦/ ١٣٢، و«الأضداد» لابن الأنباري ص٣٦- ٣٧.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ١٢/ ٣٧٧، و«اللسان» ٢/ ١٩٧ (سمد).

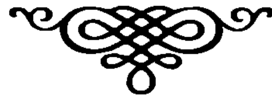
(٤) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٠٣، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٥٧، و«زاد المسير» ٨/ ٨٥، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٦٠.

للفحل إذا اغْتَلم: قد سمد[١]، وهذا معنى قول الضحاك: أشرون بطرون، وقول مجاهد: غضاب مبرطمون[٢].

٦٢- قوله: ﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ﴾، قال الكلبي ومقاتل: صلوا لله، يعني: الصلوات الخمس.

﴿وَٱعْبُدُواْ﴾ قال مقاتل: يعني وحدوا الرب، وقال الكلبي: أطيعوه فيما يأمركم به[٣].

وقال أبو إسحاق: معنى الآية: فاسجدوا للذي خلق السموات والأرض، ولا تعبدوا اللات والعزى ومناة والشعرى؛ لأنه قد ذكر معبوداتهم في هذه السورة[٤].



---

(١) قال ابن كثير: وفي رواية عن ابن عباس: تستكبرون، وبه يقول السدّي، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٦٠، وانظر: «تهذيب اللغة» ١٢/ ٣٧٧ (سمد). والمراد باغتلام الفحل هيجانه للضراب.

(٢) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٤٩، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٥٧.
والبرطمة هي: الانتفاخ من الغيظ والغضب.
قال ابن القيم بعد ذكره لما تقدم في معنى الغناء: فالغناء يجمع هذا كله ويوجبه.
فهذه أربعة عشر اسمًا سوى اسم الغناء.
انظر: «إغاثة اللهفان» ١/ ٢٥٨.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٢ ب.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٧٩.

سورة القمر

تفسير سورة القمر

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ قال ابن عباس: اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن كنت صادقًا فشق لنا القمر فرقتين، نصف على أبي قبيس، ونصف على قعيقعان، فقال لهم رسول الله ﷺ: إن فعلت ذلك تؤمنون؟ قالوا: نعم، وكانت ليلة بدر[١]، فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما قالوا فانشق القمر فرقتين، ورسول الله ﷺ ينادي المشركين يا فلان يا فلان اشهدوا[٢]، ونحن على هذا، قاله عامة المفسرين، إلا ما روى عثمان بن عطاء[٣] عن أبيه أنه قال: معناه وسينشق القمر[٤]، وهو محجوج بإجماع المفسرين على خلافه، وبالأخبار المتظاهرة في انشقاق القمر، فقد روى جبير بن مطعم، وأنس، وابن عباس، وحذيفة، وابن مسعود، وهؤلاء الخمسة[٥] رووا أن القمر انشق على عهد رسول الله ﷺ: قال

---

(١) مراد المؤلف (بليلة بدر) أن القمر انشق ليلة أربع عشرة كما ورد في بعض الروايات.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس بلفظ أقرب من هذا. انظر: «الدر» ٦/ ١٣٣.

(٣) في (ك): (عطية) والصواب ما أثبته. وهو عثمان بن عطاء بن أبي مسلم. أبو مسعود المقدسي، ضعيف، مات سنة (١٥٥هـ). انظر: «تقريب التهذيب» ٢/ ١٢.

(٤) انظر: «الكشف والبيان»، ١٢/ ٢١ ب، و«الوسيط» ٤/ ٢٧.

(٥) قال ابن كثير رحمه الله قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ كما ورد ذلك في الأحاديث=

عبد الله: فرأيت الجبل بين فلقتيه، إحداهما خلف الجبل، والأخرى فوقه[١].

ولأن قوله ﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ﴾ يدل على أن هذا قد مضى وتقدم، وإنما ذكر اقتراب الساعة مع انشقاق القمر، لأن انشقاقه من علامات نبوة محمد ﷺ، ونبوته وزمانه من أشراط اقتراب الساعة، قال أبو إسحاق منكرًا لقول عطاء: زعم قوم عَندوا عَنِ القصد وما عليه أهل العلم أن تأويله أن القمر ينشق يوم القيامة، والأمر بين في اللفظ، وإجماع[٢] أهل العلم؛ لأن قوله:

٢- ﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ فكيف يكون هذا في القيامة[٣]. قال المفسرون: لما انشق القمر قال المشركون: سحرنا محمد، فقال الله تعالى ﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً﴾[٤] يعني انشقاق القمر ﴿يُعْرِضُواْ﴾، أي: عن التصديق والإيمان بها.

﴿وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ فيه قولان:

أحدهما: ذاهب، وهو قول أنس، ومجاهد، ومقاتل، والكلبي،

= المتواترة بالأسانيد الصحيحة، وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات. «تفسير القرآن العظيم» ٥/ ٢٦١، وانظر: «فتح القدير» ٥/ ١٢، و«روح المعاني» ٢٧/ ٧٤-٧٥.

(١) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب: التفسير، سورة القمر، باب: وانشق القمر، وإن يروا آية يعرضوا ٦/ ١٧٨، «صحيح مسلم»، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: انشقاق القمر، و«مسند الإمام أحمد» ١/ ٣٧٧، و«المستدرك»، كتاب: التفسير، سورة القمر، و«سنن الترمذي»، كتاب: «التفسير» ٥/ ٣٧ (٣٢٨٥).

(٢) في (ك): (والإجماع) والصواب ما أثبته.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٨١

(٤) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٧، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٥٨، و«فتح القدير» ٥/ ١٢.

وقتادة، واختيار الفراء والزجاج[١]، وأصله من قوله: مر الشيء على وجهه واستمر، أي: ذهب.

القول الثاني: أن معنى المستمر: القوي الشديد، وهو معنى قول ابن عباس: يريد يعلو كل سحر، وهو قول أبي العالية، والضحاك، ورواية شيبان، عن قتادة، قالوا: محكم شديد غالب قوي[٢]، واختاره أبو عبيدة، والمبرد وابن قتيبة، فقال أبو عبيدة: (مستمر) شديد[٣]، وقال المبرد: هو من قولك: ذو مرة أي: قوة، ومنه أمررت الحبل إذا شددت فتله، واستمر فلان على كذا إذا قوي واستحكم معرفته، قال: ومر فلان، هو من هذا؛ لأن معناه على الحقيقة بَعُد ولم يرتدع، كقولك: مر السهم[٤]، ونحو هذا ذكر ابن قتيبة[٥]، وقول الربيع بن أنس، ويمان بن رباب: نافذ ماضٍ[٦] يعود إلى هذا؛ لأن نفوذه ومضاءه من قوته.

٣- ثم ذكر تكذيبهم فقال ﴿وَكَذَّبُوا﴾ قال ابن عباس: كذبوا النبي ﷺ وما عاينوا من عظمة الله وقدرته.

﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ قال: ما زين لهم الشيطان من الباطل الذي هم

(١) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٣٥، و«تفسير مقاتل» ١٣٢ ب، و«تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٥٧، و«معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٤، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٨٢.

(٢) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٢٢ ب، ٢٣ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٥٨، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٢٧.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٤.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ١٥/ ١٩٥، و«اللسان» ٣/ ٤٦٦ (مرر) ولم أجده منسوباً للمبرد.

(٥) انظر: «تفسير غريب القرآن» ٤٣١.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» ١٥/ ١٩٦، ولم ينسبه لقائل، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٢٧.

عليه[١]، وقال الكلبي: يعني عبادة الأوثان[٢].

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾ قال الكلبي: لكل أمر حقيقة، ما كان منه في الدنيا فسيظهر، وما كان منه في الآخرة فسيعرف[٣]. ومعنى هذا ما ذكره مقاتل قال: هذا وعيد لهم. يقول: لكل حديث منتهى، يعني العذاب بعضه يقع بهم ببدر، وبعضه في الآخرة[٤]. وعلى هذا معنى الآية: وكل أمر مما قضاه الله من العذاب يستقر بهم في الوقت الذي قضاه، وقال قتادة: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾ فالخير[٥] يستقر قرار تكذيبهم، وقرار قول المصدقين حتى يعفروا حقيقته بالثواب والعقاب.

٤- وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾ يعني أهل مكة ﴿مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ أي: من أخبار الأمم المكذبة في القرآن ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ يقال: زجرته وأزدجرته وهو كالنهي عن السوء للإنسان، ومنه قوله (وازدجر) وقد يوضع الازدجار موضع الازجار فيكون لازمًا، والدال في ازدجر مقلوب عن التاء وذلك أن الدال أقرب إلى الزاي من التاء لأنهما مجهوران والتاء مهموس.

قال أبو الفتح الموصلي: فالافتعال إذا كان زايًا قلبت التاء دالًا نحو ازْدَجَرَ، وازْدهى، وازدار، وازدان، وازدلف، ونحو ذلك، وأصل هذا كله التاء ولكن الزاي لما كانت مجهورة، وكانت التاء مهموسة، وكانت

---

(١) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٧، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٥٨.

(٢) لم أجده.

(٣) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٥٨، و«فتح القدير» ٥/ ١٢١.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٢ ب.

(٥) كذا في (ك) وفيه سقط، وصوابه: أي بأهل الخير الخير وبأهل الشر الشر. وقال الفراء: يقول فالخير. انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٤، جامع البيان ٢٧/ ٥٢، و«الوسيط» ٤/ ٢٧.

الدال[١] أخت التاء في المخرج وأخت الزاي في الجهر قربوا بعض الصوت من بعض فأبدلوا من التاء أشبه الحروف من موضعها بالزاي وهي الدال فقالوا: ازدجر[٢].

والمزدَجَر هاهنا بمعنى الازدجار الواقع في المعنى ما قيه ازدجار لهم ووعظ ونهي، وليس بمعنى الانزجار، لأنه لو كان لهم فيه انزجار لكانوا قد انزجروا واتعظوا.

قال مقاتل: يعني موعظة لهم وهو النهي عن المعاصي[٣]، وقال السدي: ما فيه عظة[٤].

وجماعة من أهل التفسير والمعاني حملوا المزدجر هاهنا على المطاوع لأنهم قالوا في تفسيره منتهي ومتناهي ومتعظ، وهو قول الكلبي، ومجاهد، والفراء، والزجاج[٥]، وعلى هذا لابد من تقدير محذوف كأنه قيل ما فيه انزجار لهم لو انزجروا، ومنتهى لو انتهوا.

٥- ثم قال: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ قال مقاتل، والكلبي: يعني القرآن[٦].

قال أبو إسحاق: رفعت حكمة بدلًا من (ما) في قوله ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾، المعنى: ولقد جاءهم حكمة بالغة، وإن شئت رفعت بإضمار

---

(١) في (ك): (الدال).

(٢) انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٨٥-١٨٦.

(٣) انظر: تفسير مقاتل ١٣٢ ب.

(٤) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٥٩.

(٥) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٣٦، و«معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٤، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٨٥.

(٦) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٤، «تفسير مقاتل» ١٣٢ ب.

هو ﴿حِكْمَةٌ بَٰلِغَةٌ﴾[(١)]، أي تامة قد بلغت الغاية في كل ما توصف به.

قوله ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ ذكر الفراء، والزجاج أن (ما) يجوز أن تكون نفيًا على معنى، فليست تغني النذر، ويجوز أن يكون استفهامًا بمعنى التوبيخ ويكون المعنى فأي شيء تغني النذر إذا لم تؤمنوا[(٢)]، وهذا كقوله ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١١] فإن قدرت ما استفهاما كان في موضع النصب بتغني.

٦- ثم أمره بالإعراض عنهم فقال ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ وهذا مما نسخ[(٣)]، وهاهنا وقف التمام[(٤)].

قوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ قال الزجاج: يوم منصوب بقوله ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾[(٥)] وقال المبرد: (يوم) ظرف لقوله ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ * يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾[(٦)] قال مقاتل: هو إسرافيل ينفخ قائمًا على صخرة بيت المقدس[(٧)] ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ قال إلى أمر فظيع.

قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد يوم القيامة ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٨٥.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٥، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٨٥.

(٣) انظر: «الكشف والبيان»، ١٢ /٢٣أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٥٩، و«فتح القدير» ٥/ ١٢١. قال مكي: وليس في سورة القمر، وسورة الرحمن، والواقعة شيء، وكذلك الحديد الإيضاح: ٤٢٤، وقال ابن الجوزي: وقد زعم قوم أن هذا التولي منسوخ بآية السيف، وقد تكلمنا على نظائره وبينا أنه ليس بمنسوخ. «نواسخ القرآن»: ٢٣٤.

(٤) انظر: «المكتفى»: ٥٤٥، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٨٦، و«زاد المسير» ٨/ ٩.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٨٦.

(٦) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٢٩، و«البحر المحيط» ٨/ ١٧٤.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٢ ب.

شدة العذاب وفظاعته[١].

وقال الكلبي: يعني حين يدعى أهل النار إلى النار[٢].

و(نكر) معناه منكر، وهو الذي تأباه النفس من جهة نفور الطبع، وذلك أنهم لم يروا مثله قط فينكرونه استعظامًا له، وهو صفة على فُعُل، مثل: جُنب، وجُزر، وأُحد، ويجوز فيه التخفيف[٣]، وإنما وصف بأنه نكر لغلظه على النفس.

٧- قوله تعالى ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ وقرئ خاشعًا[٤]، قال الفراء والزجاج: يجوز في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة التوحيد نحو (خاشعًا أبصارهم) و التأنيث نحو ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ وهو قراءة عبد الله، والجمع نحو ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾، ويقول: مررت بشباب حسن أوجههم، وحسان أوجههم، وحسنة أوجههم، وأنشدا:

وشباب حسن أوجههم ... من إياد بن نزار بن معد[٥]

---

(١) في (ك): (فظاطته) ولم أجد الرواية عن ابن عباس، ولعل وضوح المعاني حال دون نسبة التفسير لقائل.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٤.

(٣) يشير المؤلف بقوله هذا إلى قراءة ابن كثير (نُكْر) بإسكان الكاف، والباقون بضمها انظر: «حجة القراءات» ص٦٨٨، و«الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٤١، و«النشر» ٢/ ٣٨، و«الإتحاف» ص٤٤.

(٤) قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف ﴿خَٰشِعًا﴾ بفتح الخاء وألف بعدها وكسر الشين مخففة بالإفراد، وقرأ الباقون ﴿خُشَّعًا﴾ بضم الخاء وفتح الشين مشددة من غير ألف. انظر: «حجة القراءات» ص٦٨٨، و«النشر» ٢/ ٣٨، و«الإتحاف» ص٤٤.

(٥) البيت للحرث بن دوس الأنصاري، ويروى لأبي دؤاد الأنصاري. =

وأنشد الفراء:

يرمي الفجاج بها الركبان معترضًا أعناق بُزَّلها مُرْخَى لها الجُدُلُ

فلو قال معترضات أو معترضة ومرخاة أو مرخيات كان صوابا[١].

قال أبو إسحاق: و(خشعًا) منصوب على الحال، المعنى: يخرجون من الأجداث خشعًا أبصارهم[٢].

قال المفسرون: يعني ذليلة خاضعة أبصارهم عند معاينة العذاب[٣].

وقال أهل المعاني: وصفت الأبصار بالخشوع؛ لأن ذلة الذليل وعزة العزيز تتبين في نظره[٤] كما قال عز ذكره: ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥].

قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ قال المفسرون: يريد القبول واحدها جدث، وبنو تميم[٥] تقول بالفاء جدف[٦].

= انظر: ديوان أبي دؤاد ص٣٥، و«اللسان» (خشع)، و«البحر المحيط» ٨/ ١٧٥، و«المحرر» ١٥/ ٢٩٦، و«شرح الأبيات» للفارسي ص٣٩٨.

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٥، ١٦، و«جامع البيان» ٢٧/ ٥٣، و«البحر المحيط» ٨/ ١٧٥، والجدُل: جمع الجديل وهو الزمام. ولم أجد البيت منسوباً لقائل.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٨٦.

(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٥٣، و«معالم التنزيل» ٤/ ٥٣.

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٢٩، و«فتح القدير» ٥/ ١٢٢.

(٥) بنو تميم: قبيلة عظيمة من العدنانية، تنتسب إلى تميم بن مرة، منازلهم بأرض نجد، تمتاز هذه القبيلة بتاريخها الحربي في الجاهلية والإسلام. انظر: «معجم قبائل العرب» ١/ ١٢٧، و«نهاية الأرب» ص ١٧٧.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٦٣٤، و«اللسان» ١/ ٤١٢ (جدث).

قوله تعالى ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ تفسير الجراد قد تقدم في سورة الأعراف[(١)].

قال مقاتل: فيكثرون من الكثرة كأنهم جراد حين انتشر من موضعه[(٢)].

وقال الكلبي: ينبث بعضهم في بعض[(٣)].

قال أهل المعاني: المعنى أنهم يخرجون فزعين لا يهتدون فيدخل بعضهم في بعض لا جهة لأحد منهم يقصدها، فشبههم في هذا الوقت بالجراد، لأن الجراد لا جهة لها فتكون أبدًا مختلفة بعضها في بعض[(٤)].

٨- قوله تعالى: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ قال ابن عباس: مقبلين إلى الصوت، وقال مقاتل: مقبلين سراعًا إلى صوت إسرافيل[(٥)].

وذكر في تفسير مهطعين قولان: **أحدهما**: مسرعين. والآخر: ناظرين مديمي النظر[(٦)]، وقد ذكرنا ما فيه عند قوله ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٤٣].

قوله تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ قال ابن عباس: يوم القيامة عسر على الكافرين، وعلى المؤمنين سهل يسير[(٧)].

قال مقاتل: يهون على المؤمنين الحشر، والكفار ينكبون على

---

(١) عند تفسيره الآية ١٣٣ من سورة الأعراف.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٢ ب.

(٣) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٨، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٥٩.

(٤) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٨، و«البحر المحيط» ٨/ ١٧٦، و«روح المعاني» ٢٧/ ٨.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٢ ب، و«الكشف» ٢٣ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٦.

(٦) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٥٣، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٣، و«تهذيب اللغة» ١/ ١٣٤، و«اللسان» ٣/ ٨١١.

(٧) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٨.

وجوههم فلا يقومون مقامًا إلا عسر عليهم[١]، ويقال: عَسِرَ يَعْسَر عَسَرا فهو عَسِيرٌ، وهذا كقوله ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾. [المدثر: ٩، ١٠].

٩- قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ ظاهر إلى قوله (وازدجر) قال ابن عباس: وانتهر، وقال الكلبي: زجر عن مقالته، وقالوا: مستطار الفؤاد[٢]. يعني أنهم اتهموه بالجنون وقالوا: إنه لا عقل له، وزجروه عن دعوته.

قال ابن زيد: توعدوه بالقتل[٣]، وقال الفراء: زجروه بالشتم[٤]. وتفسير الازدجار قد مر قبيل.

والأفعال في هذه الآية مسندة إلى الفاعلين وبني ازدجر للمفعول لوفاق الفواصل، وإن كان للفاعلين الذين جرى ذكرهم.

قوله ﴿مُّنْهَمِرٍ﴾ يقال: همر الماء وانهمر فهو هامر منهمر إذا سال وانصب، قال المفسرون: منصب انصبابًا شديدًا لم ينقطع أربعين يومًا[٥].

١٢- قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ قال المفسرون: يعني ماء الأرض وماء السماء، قال الفراء: ولا يجوز التقى إلا للاثنين فما زاد، وإنما جاز في الماء لأنه يكون جمعًا وواحدًا[٦]. يعني أنه اسم الجنس فهو يجمع ماء الأرض وماء السماء.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٢ب.
(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٥، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٦.
(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٥٤.
(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٦.
(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٣ أ، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٢٤ أ، ونسبه لابن عباس والقرطبي، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٦.
(٦) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ١٦.

قوله تعالى ﴿عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ﴾ فيه قولان. قال الكلبي: على أمر قد مضى عليهم[(١)]، وهو قول محمد بن كعب قال: كان القدر قبل البلاء[(٢)]. وقال مقاتل: إن ماء السماء وماء الأرض قدرهما الله تعالى أن يكونا سواء فذلك قوله ﴿عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ﴾[(٣)]، والقولان ذكرهما الفراء، والزجاج[(٤)].

١٣- قوله تعالى: ﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ﴾ يعني على سفينة ذات ألواح وهي خشباتها العريضة التي منها هيئت وجمعت.

وقوله ﴿وَدُسُرٖ﴾ معنى الدَّسْر في اللغة: الدفع الشديد، يقال دَسَرَه بالرمح ودسر جاريته بهنها عند النكاح، ومنه قول ابن عباس في العنبر: إنما هي شيء دسره البحر[(٥)]، أي: دفعه.

وقال أبو إسحاق: الدُّسُر: المسامير والشروط[(٦)] التي تشد بها الألواح، وكل شيء كان نحو السَّمْرُ وإدخال شيء في شيء بقوة وشدة فهو الدُّسُر، يقال: دَسَرْت[(٧)] المسمار في الخشبة أدْسُرُه وأدسِرُه دَسْرًا، والدُّسُرُ واحدها دِسَار، نحو حِمَار وحُمُر[(٨)].

قال ابن عباس ومقاتل والكلبي وجماعة المفسرين: يعني المسامير

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٥.
(٢) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٥٥، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٢٤ ب.
(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٣ أ.
(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٦، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٨٧.
(٥) انظر: «الكشف والبيان»، ١٢ / ٢٤ ب، و«تهذيب اللغة» ١٢/ ٣٥٥، و«اللسان» ١/ ٩٧٦ (دسر).
(٦) الشروط: جمع شريطة وهي حبال يُربط بها.
(٧) في (ك): (جرست) والصواب ما أثبته.
(٨) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٨٧، ٨٨.

والشروط، وكل ما شدت به السفينة[1].

وذُكِر في الدسر قولان آخران.

أحدهما: أن الدسر هو دفعها الماء بكلكلها[2]، حكاه أحمد بن يحيى، ورواه معمر عن الحسن، قال: تدسر الماء بصدرها[3]. والدسر على هذا يجب أن يكون مصدرًا.

والثاني: أن الدسر هو صدرها الذي ترفع به الماء وتدسر وهو جؤجؤها[4]. وهذا القول يروى عن شهر بن حوشب، ورواه عطيه عن ابن عباس[5]. والقول هو الأول[6].

١٤- قوله تعالى: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾. قال المفسرون وأهل المعاني: بمنظر ومرأى منا وحفظ. وهذا كقوله ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: **٣٧**] وقد مر.

قوله تعالى: ﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ قال مقاتل: يعني نوحا؛ لأنه المكفور به[7].

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٥، و«تفسير مقاتل» **١٣٣** أ، و«معاني القرآن» للفراء **٣/ ١٦**، و«جامع البيان» **٢٧/ ٥٥**.

(٢) الكَلْكَل: الصدر من كل شيء، وقيل: هو ما بين التَّرْقُوَتَيْن، وقيل: هو باطن الزَّوْرِ. «اللسان» **٣/ ٢٩** (كلل).

(٣) انظر: «تفسير عبد الرزاق» **٢/ ٢٥٨**، و«تهذيب اللغة» **١٢/ ٣٥٥** (دسر) .

(٤) الجؤجؤ: عظام الصدر وجمعه الجآجئ، وجُؤْجُؤ السفينة والطائر: صدرهما. اللسان (جأجأ).

(٥) انظر: «جامع البيان» **٢٧/ ٥٥**، و«الكشف والبيان» **١٢/ ٢٤** ب، و«معالم التنزيل» **٤/ ٢٦**.

(٦) قال ابن كثير: قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، والقرظي، وقتادة، وابن زيد: هي المسامير، واختاره ابن جرير... «تفسير القرآن العظيم» **٤/ ٢٦٤**.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» **١٣٣** أ.

قال الفراء: يقول فعلنا به وبهم ما فعلنا من إنجائه وإغراقهم لما صنع بنوح، قال: وفي (لمن) معنى ما، ألا ترى أنك تقول: غرقوا لنوح ولما صنع بنوح[١]، هذا كلامه، والمعنى: فعلنا ذلك ثوابًا لمن كفر به وجحد أمره، وهو نوح عليه السلام.

١٥- قوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً﴾ ذكر في الضمير في (تركناها) قولان:

أحدهما: أنها للسفينة المذكورة في قوله ﴿ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾؛ لأن المراد بها السفينة، وهو قول قتادة، قال: أبقى الله سفينة نوح على الجودي حتى أدركتها أوائل هذه الأمة.[٢]

الثاني: قال أبو إسحاق: المعنى تركنا هذه الفعلة وأمر سفينة نوح آية، أي علامة ليعتبر بها[٣]، يدل على صحة هذا المعنى قوله ﴿حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ * لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ [الحاقة: ١١، ١٢]، والتذكير يكون بالحمل في الجارية، والمعنى: لنجعل تلك الفعلة التي فعلنا.

قوله تعالى ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ قال مقاتل: فهل من متذكر يعلم أن ذلك حق فيعتبر ويخاف.[٤]

قال أبو إسحاق: وأصله مُذْتَكِر، ولكن التاء أبدل منها الدال، والذال من موضع التاء، وهي أشبه بالدال من التاء، وأدغمت الذال في الدال[٥]. هذا كلامه، وإنما فُعل ذلك؛ لأن التاء مهموس، والدال مجهور، وهي من

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٧.

(٢) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٥٨.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٨٨.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٣ أ.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٨٨، و«سر صناعة الإعراب» ١/ ١٨٧، ١٨٨.

مخرج التاء، والدال أيضًا مجهور، والمجهور بالمجهور أشبه، فصار كما ذكرنا في (مزدجر).

قال أبو علي الفارسي: وقالوا الذكر بالذال، حكاه سيبويه، وكذلك روي بيت ابن مقبل: من بعض ما يعتري قلبي من الذِّكر.(١)

وذلك لما كثر تصرف الكلمة بالدال نحو ادَّكر، وهل من مدكر أشبهت تقوى وتقية وتقاة.

١٦- قوله تعالى ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى﴾ **كيف استفهام عن تلك الحالية، ومعناه التعظيم لذلك العذاب. والتعجب منه للسامعين.**

قوله تعالى: ﴿ونذر﴾ **النذر اسم من الإنذار يقوم مقام المصدر، قال الفراء: النذر ها هنا مصدر معناه: فكيف كان إنذاري(٢).**

وقال أبو علي: النذر والنذير مثل النكر والنكير وهما جميعًا مصدران، ومنه قوله ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾(٣) [المرسلات: ٦] ونذكر الكلام هناك إن شاء الله، والمعنى: كيف كان إنذاري إياهم، إذ دعاهم نوح إلى الإيمان فلم يؤمنوا، وفي هذا تخويف للمشركين.

١٧- قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ **اختلفوا في هذا على قولين:**

أحدهما: أن المراد بالذكر ها هنا الحفظ والقراءة، وهو قول سعيد بن جبير، وليس من كتب الله كتاب يقرأ كله ظاهرًا إلا القرآن(٤).

---

(١) انظر: «الكتاب» ٤/ ٤٢١، و«ديوان ابن مقبل» ص٨١، و«سر صناعة الإعراب» ١/ ١٨٨، و«الخصائص» ١/ ٣٥١، و«المنصف» ٣/ ١٤.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٧.

(٣) انظر: «الحجة» ٦/ ٣٦٣، و«البسيط» ١٦١ أ، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٣٤.

(٤) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٢٥ أ، و«الوسيط» ٤/ ٢٩، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٦١، و«زاد المسير» ٨/ ٩٤.

وقال مقاتل: لولا أن الله يسر القرآن ما استطاع أحد أن يتكلم بكلام الله، ولكن الله يسره على خلقه(١).

وقال الزجاج: قيل: إن كتب أهل الأديان نحو التوراة والإنجيل إنما يتلوها أهلها نظرًا، ولا يكادون يحفظون كتبهم من أولها إلى آخرها كما يحفظ القرآن(٢).

وعلى هذا القول معنى قوله ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي هل من ذاكر يذكره، وقارئ يقرأه، ومعناه الحث على قراءة القرآن ودرسه وتعلمه وتفهم معانيه، وهذا معنى قول مطر الوراق: هل من طالب علم فيعان عليه(٣).

القول الثاني: أن معنى الذكر ها هنا الاعتبار والتفكر، قال مقاتل: يعني ليتذكروا ما فيه(٤)، والمعنى: هونّاه بأن جعلنا ألفاظه سهلة مفهومة لا صعبة متعقدة كما قال ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، وبينا فيه المواعظ والمزاجر، فهذا معنى ﴿يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ﴾.

وقوله ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي من متعظ معتبر خائف، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء، قال: يريد سهلنا القرآن لكل متعظ(٥).

١٩- قوله تعالى ﴿رِيحًا صَرۡصَرًا فِي يَوۡمِ نَحۡسٍ مُّسۡتَمِرٍّ﴾ ذكرنا تفسيره في قوله ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحًا صَرۡصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ [فصلت: ١٦]. قال ابن عباس:

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٣ أ، ورواه البيهقي في «الأسماء والصفات» ٢/ ٨، عن ابن عباس بسند ضعيف.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٨٨.

(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٥٧، و«الكشف والبيان»، ١٢ / ٢٥ أ، و«الدر» ٦/ ١٣٥.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٣ أ.

(٥) لم أجد هذا القول منسوباً. وانظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٢٥ أ.

كانوا يتشاءمون بذلك اليوم(١).

وقال الكلبي: كان شؤم ذلك اليوم عليهم(٢).

قال أبو إسحاق: قيل في يوم أربعاء في آخر الشهر لا يدور(٣)، ومعنى مستمر دائم الشؤم.

قال الفراء: استمر عليهم بنحوسته(٤)، وتفسير المستمر قد مر في هذه السورة(٥).

ومعنى ﴿نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ﴾ قوي يأتي عليهم فيهلكهم حتى لا يبقى منهم أحدًا.

وروي عن قتادة أنه قال: استمر بهم إلى نار جهنم(٦)، وفي هذا نحتاج إلى تقدير محذوف.

---

(١) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢١، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٣٥.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٧.

(٣) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٨٩، قال الألوسي: على معنى أن ابتداء إرسال الرياح كان فيه فلا ينافي آيتي فصلت، والحاقة. «روح المعاني» ٢٧/ ٨٥.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ١٨ قال ابن كثير: ومن قال إن اليوم النحس المستمر هو يوم الأربعاء وتشاءم به لهذا الفهم فقد أخطأ وخالف القرآن، فإنه قال في الآية الأخرى ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ﴾ ومعلوم أنها ثمانية أيام متتابعات فلو كانت نحسات في أنفسها لكانت جميع الأيام السبعة المندرجة فيها مشؤومة. وهذا لا يقوله أحد، وإنما المراد في أيام نحسات أي عليهم. انظر: البداية والنهاية ١/ ١٢٨.

(٥) ذكر المؤلف معنيين لقوله تعالى ﴿وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾، أحدهما: ذاهب، والآخر: قوي شديد، وهذا المعنى يفسر به الاستمرار هنا دون الأول، والله أعلم.

(٦) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٥٨، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٦٤، و«روح المعاني» ٢٧/ ٨٣-٨٤، وفيه زيادة بيان وإيضاح.

٢٠- قوله تعالى ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ أي تقلعهم، قال ابن عباس: اقتلعتهم الريح من تحت أقدامهم[(١)]، وقال السدي: تنزع الناس من البيوت[(٢)].

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**انتزعت الريح الناس من قبورهم**»[(٣)].

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ على تقدير فتتركهم كأنهم أعجاز نخل، وذلك أنهم إنما أشبهوا أعجاز النخل عند سقوطهم لا عند نزعهم، وقال الزجاج: كأنهم ها هنا في موضع الحال، والمعنى تنزع الناس مشبهين النخل المنقعر وهو المقطوع من أصوله[(٤)]، وعلى ما ذكر لا إضمار في الآية.

وأعجاز جمع عَجُز، وهو مؤخر الشيء، وشبههم بأعجاز النخل؛ لأن الريح قلعت رؤوسهم أولا ثم كبتهم لوجوههم[(٥)].

وقوله: ﴿منقعر﴾ قال ابن السكيت: يقال: قعرت النخلة: إذا قلعتها من أصلها حتى تسقط، وقد انقعرت هي أي: انقلعت وسقطت[(٦)]، قال الفراء: يقول أَسَافِلَ نخل مصرع[(٧)]، وقال أبو عبيدة: منقلع[(٨)]، قال

---

(١) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢١، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٣٦.

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٣٦، و«فتح القدير» ٥/ ١٢٥.

(٣) وأورده الثعلبي في «تفسيره» ٢٥ ب، والقرطبي في «جامعه» ١٧/ ١٣٦ وقال الشوكاني في «تفسيره» ٥/ ١٢٥ «وقيل من قبورهم لأنهم حفروا حفائر ودخلوها».

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٨٩.

(٥) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٥٨ -٥٩، عن قتادة، ومجاهد، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٦٤.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٢٢٨ (قعر).

(٧) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ١٨.

(٨) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٤١.

مجاهد: سقطت رؤوسهم أمثال الأخبية وتفردت أعناقهم، فشبههم بأعجاز نخل منقعر[١].

قال المفسرون: شبههم لطول قاماتهم حين صرعتهم الريح وكبتهم على وجوههم بالنخيل الساقطة على الأرض التي ليست لها رؤوس[٢]، والعرب تشبه الرجال إذا انكبوا على وجوههم على الأرض بالنخيل الساقطة، ومنه قول الشاعر يزيد بن عمرو[٣] يرثي قومه:

ألا من رأى قومي كأن رجالهم   نخيل أتاها عاضد فأمالها[٤]

وتذكير المنقعر للفظ النخل وهو من الجمع الذي يذكر ويؤنث، وتأنيثه قد جاء في قوله عز ذكره ﴿نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧].

٢٣- ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ﴾ قال ابن عباس: يريد ما جاءهم به صالح[٥]، وعلى هذا معنى النذر: الإنذار، كما ذكرنا في قوله ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ وقال مقاتل: يعني بالرسل[٦]، وعلى هذا النذر: جمع نذير، وتكذيبهم صالحًا تكذيب لجميع الرسل، لأن الإيمان بالجميع واجب.

ثم أنكروا أن يكونوا تبعًا لواحد منهم، وهو قوله:

٢٤- ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ أي هو آدمي مثلنا وهو واحد فلا

---

(١) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٥٩.

(٢) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٢٥ ب، و«الوسيط» ٤/ ٢١، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٦١، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٣٧.

(٣) لم أجد له ترجمة.

(٤) انظر: «الحماسة» لأبي تمام ٢/ ٤٧٣، وفيها: (قومي) بدلا من قوماً. و(عاضد) بدلا من (عاصف).

(٥) ذكره المفسرون لبيان المعنى ولم ينسب لقائل.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٣ ب.

نكون له تبعًا ﴿إِنَّآ إِذًا﴾ إن فعلنا ذلك ﴿لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ قال الكلبي: خطأ وذهاب عن الحق[١].

﴿وَسُعُرٍ﴾ قال أبو عبيدة: جمع سُعْر[٢]. والمفسرون وأهل المعاني ذكروا في السعر معنيين.

قال مقاتل: يعني شقاء وعناء، وهو قول قتادة، والكلبي[٣]، واختيار الفراء، قال: أراد بالسعر العناء للعذاب[٤]، وهو قول الحسن، قال: أراد شدة العذاب[٥]، ويكون المعنى على هذا القول: إنا إن اتبعناه فنحن في ضلال وفي عذاب مما يلزمنا.

وقال عطاء عن ابن عباس: وجنون[٦]. وأصل هذا من قولهم: ناقة مسعورة، إذا كانت كأن بها جنونًا، ومنه قول الشاعر:

تخال بها سُعْرا إذا العيس هزها ذميل وإيضاع من السير متعب[٧]

وذكر أبو إسحاق القولين[٨]، والمبرد ذكرهما وجمع بينهما فقال:

---

(١) انظر: «الكشف والبيان» ١٢ /٢٦ أ، و«الوسيط» ٤/ ٢١، و«البغوي» ٤/ ٢٦١.

(٢) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٥٩، و«فتح القدير» ٥/ ١٢٦ ونسبه الثعلبي في «تفسيره» ٢٦/١٢ أ إلى سفيان ابن عيينة.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٣ ب، و«جامع البيان» ٢٧/ ٥٩، و«الكشف والبيان»، ١٢ /٢٦/أ.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ١٨.

(٥) انظر: «الكشف والبيان» ١٢ /٢٦ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٦١ - ٢٦٢.

(٦) انظر: «زاد المسير» ٨/ ٩٦، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٣٨.

(٧) لم أجده منسوباً، وقد ورد في «تخريجات الكشاف» ص١٥، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٣٨، و«البحر المحيط» ٨/ ١٨، وفي الألفاظ اختلاف يسير، والذميل ضرب من سير الإبل. «اللسان» (ذمل).

(٨) انظر: معاني القرآن ٥/ ٨٩

سعر جمع سعير، وهو لهب النار، ويقال: سُعُر: جنون، من قولهم: ناقة مسعورة، وجمل مسعور، ويذهبون إلى أن هذا من ذلك، وأنه يقال للمجنون مسعور؛ لأنه لا يستقر يذهب كذا وكذا لما يلتهب فيه من الحدة فتنزيله مرة كذا ومرة كذا[١]. ثم أنكروا أن يكون الوحي يأتيه فقالوا:

٢٥- ﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ قال أبو عبيدة: يعنون أجاء الذكر، كما يقول: ألقيت عليه المسألة، وألقيت عليه حسابًا[٢].

قال ابن عباس، والكلبي: يقولون: أجاءته النبوة وخص بها من بيننا[٣]، وقال مقاتل: يعني الوحي[٤].

﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ﴾ افتعل ما يقول. ﴿أَشِرٌ﴾. قال أبو عبيدة: الأشر: المرح والتجبر والكبرياء، وربما كان من النشاط[٥].

وقال المبرد: الأشر البطر، يقال: أشر يأشر أشرًا إذا طغى وعلا متبجحًا فرحًا[٦].

وقال الأزهري: الأشَر المَرح، ورجل أَشِر وأشْران، وقوم أُشَارَى، ورجل مئشِر، وكذلك امرأة مِئْشِر بغير هاء[٧].

---

(١) لم أجده عن المبرد. وانظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ٨٧، و«اللسان» ٢/ ١٤٨ (سعر).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٤١.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٧، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٣٨.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٣ ب، انظر: «الكشف والبيان» ١٢ / ٢٦ ب.

(٥) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٤١.

(٦) لم أجده عن المبرد، وانظر: «اللسان» ١/ ٦٥ (أشر).

(٧) انظر: «تهذيب اللغة» ١١/ ٤١ (وشر).

وقال الكسائي، والفراء: الأشِر والأشُر بكسر الشين وضمها نحو الحذِر والحَذُر، والفطِنُ والفطُن، والعجِلُ والعَجُلُ، والضم قراءة مجاهد[١].

قال المفسرون: أشر: بطر مرح متكبر يريد أن يتعظم علينا بالنبوة.

قال ابن عباس: وكان صالح بن عبيد شريفًا سيدًا من أشرف بطن فيهم، فقال الله تعالى:

٢٦- ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ يعني عند نزول العذاب، وهو تهديد لهم وإنما قال (غدًا)[٢] للتقريب على عادة الناس، كقوله تعالى: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]، واسم الغد يقع على ما بعد يومك الذي أنت فيه قرب أو بعد، ولكن العادة جرت إطلاقه على القريب، وغد من الأسماء الناقصة كاليد والفم، وأصله غدو، وربما يستعمل على الأصل، قال الشاعر:

وما النَّاسُ إلا كالدِّيار وأهلِها   بها يوْمَ حَلُّوها وَغَدْوًا بَلاقِعُ[٣]

ويقال في المثل إن مع اليوم أخاه غدوا[٤].

ومعنى (غدًا) ها هنا يجوز أن يكون اليوم الذي نزل بهم العذاب، هددوا بذلك اليوم.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٨، و«جامع البيان» ٢٧/ ٥٩، و«الكشاف» ٤/ ٤٧، و«البحر المحيط» ٨/ ١٨، وزاد نسبة القراءة لأبي قيس الأودي، و«روح المعاني» ٢٧/ ٨٩.

(٢) (غداً) ساقطة من (ك).

(٣) البيت للبيد، كما في «ديوانه» ص١٦٩، و«الكتاب مع شرح شواهده» للأعلم ٢/ ٨، و«شرح المفصل» ٦/ ٤، و«أمالي ابن الشجري» ٢/ ٣٥، و«المنصف» ١/ ٦٤.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ٨/ ١٧، و«اللسان» ٢/ ٩٦٢ (غدا).

هذا معنى قول مقاتل[١]، وقال الكلبي: يعني يوم القيامة[٢].

وقرئ (ستعلمون) بالتاء[٣]، وعلى هذا هو من كلام صالح أجابهم بهذا، فقال (ستعلمون غدًا من الكذاب الأشر) منا.

٢٧- قوله تعالى ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ قال ابن عباس[٤] وذلك أنهم تعنتوا على صالح فسألوه أن يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء تضع، ثم ترد ماءهم فتشربه، ثم تغدو عليهم بمثله لبنًا، فقال الله تعالى ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ أي باعثوها بإنشائها، فتكون هي مرسلة ولا تكون رسولًا؛ لأن الرسول من حمل الرسالة وكلف أداءها.

﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ أي، محنة واختبارا. قال أبو إسحاق: فتنة مفعول له. المعنى لنفتنهم[٥].

قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ أي انتظر ما هم صانعون، ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ على ما يصيبك من الأذى، قال الكلبي: أمره بالصبر لما سبق في علمه أنهم سيكذبونه[٦].

٢٨- قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ يعني بين ثمود وبين

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٣ ب، انظر: «الكشف والبيان»، ١٢ /٢٦ أ.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٨، و«جامع البيان» ٢٧/ ٥٩، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٦٢.

(٣) قرأ ابن عامر، وحمزة: (ستعلمون) بالتاء، وقرأ الباقون ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ بالياء. انظر: «الحجة» ٦/ ٢٤٣، و«حجة القراءات» ص٦٨٩، و«النشر» ٢/ ٣٨، و«الإتحاف» ص٤٥.

(٤) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٦، و«الوسيط» ٤/ ٢١١، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٦٢، و«زاد المسير» ٨/ ٩٧.

(٥) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٨٩.

(٦) لم أجده.

الناقة، يوم لها ويوم لهم، كما قال ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥] هذا قول الجميع، وإنما لم يقل بينهم وبين الناقة؛ لأن الناقة داخلة في قوله (بينهم) وذلك أن العرب إذا أخبرت عن البهائم، وعن بني آدم غلبوا بني آدم على البهائم.

قال ابن عباس: كان يوم شربهم لا تشرب الناقة فيه شيئًا من الماء وتسقيهم لبنًا، وكانوا في شيء من النعيم لا يعرف قدره، وإذا كان يوم الناقة شربت الماء كله فلم تبق لهم شيئًا(١)، فذلك قوله ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ يحضر القوم يومًا وتحضر الناقة يومًا، فيحضر الشرب من كانت نوبته، وحضر واحتضر واحد.

٢٩- قوله: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ يعني عاقر الناقة قدار بن سالف(٢)، ويقال له أحمر ثمود.

﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ تفاعل من العطو، وهو التناول باليد ومنه:

كأن ظبية تعطو إلى ناضر السلم

ومنه الإعطاء، والمعاطاة، والتعاطي، غير أن بعضهم ذكر في التعاطي أنه تناول ما لا يحل(٣).

قال المفسرون: تعاطى الناقة وتناولها بالسيف فعقرها، ومضى تفسير العقر(٤).

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٦٢، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٤.

(٢) في (ك): (سالم) والصواب ما أثبته.

وانظر: «المعارف» ص٢٩، و«تاريخ الأمم والملوك» ١/ ١٣٩.

(٣) انظر: «اللسان» ٢/ ٨١٥-٨١٦ (عطا).

(٤) عند تفسيره الآية (٧٧) من سورة الأعراف.

٣١- قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةً وَٰحِدَةً﴾ يعني الصاعقة التي أخذتهم وهي مذكورة في مواضع من التنزيل، وقال عطاء: يريد صيحة جبريل(١).

﴿فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ﴾ قال أبو عبيدة: الهشيم ما يبس من الشجر أجمع(٢).

وقال المبرد: الهشيم حطام البقل(٣).

وقال أبو إسحاق: هو ما يبس من الورق وتكسر وتحطم(٤)، ومضى تفسير الهشيم عند قوله ﴿فَأَصۡبَحَ هَشِيمًا﴾ [الكهف: ٤٥].

والمحتظر مفتعل من الحظير، ومعنى المحتظر في كلام العرب: المنع، ذكرنا ذلك عند قوله ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا﴾ [الإسراء: ٢] ويقال: احتظر على نَعَمِهِ وحظر إذا جمع الشجر ووضع بعضه فوق بعض ليمنع برد الريح عن النَعَم، ويقال لذلك المانع حَظَارٌ بفتح الحاء وكسره، وكذلك الحطب الرطب الذي يحظر به حظر، ومنه قول الشاعر:

ولم يَمْشِ بينَ الحَيِّ بالحَظِرِ الرّطْبِ(٥)

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٦٢، و«زاد المسير» ١/ ٩٧، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٤٢.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٤١.

(٣) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢١١.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٩.

(٥) البيت لمالك بن أبي كعب. وصدره:

من البيض لم تصطد على خيل لأمة

وانظر: تهذيب اللغة ٤/ ٤٥٥، و«اللسان» ١/ ٦٦٦ (حظر)، و«الكشاف» ٤/ ٢٩٧، و«تفسير الماوردي» ٤/ ٥٤٢.

قال أبو عبيدة، والمبرد، والزجاج: المحتظر صاحب الحظيرة[١].

واختلفوا في (هشيم المحتظر) ما هو؟ فقال الكلبي: وذلك أن الرجل كان يجعل لغنمه حظيرة يحظرها فيها دون السباع[٢] من الشجر، فما سقط من ذلك الشجر وداسته الغنم فهو هشيم، فشبه القوم به حين تفرقت لحومهم وعظامهم[٣]، وهذا القول اختيار الزجاج، فقد قال: كانوا كالهشيم الذي يجمعه صاحب الحظيرة[٤].

وهذا يحتمل أنه أراد الذي صار هشيمًا مما جمعه، ويحتمل أنه أراد أن صاحب الحظيرة، وهو صاحب الماشية يجمع الهشيم لعلف ماشيته، وقد صرح المبرد بهذا فقال: المحتظر هو الذي يجمع الهشيم لغنمه، فأضيف إليه؛ لأنه يجمعه. ونحو هذا قال ابن قتيبة: يعني الذي يجمع الحشيش في الحظيرة لغنمه[٥].

وقال مقاتل: شبههم في الهلاك بالهشيم البالي، وهو الحظيرة من قصب يصيبها ماء السماء وحر الشمس فتبلى من طول الزمان[٦].

وقال الفراء: معنى قولهم: كهشيم المحتظر، أي كهشيم الذي يحتظر على غنمه[٧].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٤١، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٩.
(٢) في (ك): (الشمال).
(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٦١، عن الضحاك، انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٢٧أ، عن ابن عباس، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٦٢، عن ابن عباس.
(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٩.
(٥) انظر: «تفسير غريب القرآن» ص٤٣٤.
(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٣ ب.
(٧) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٨.

قال الأزهري: أراد أنه حظر حظارًا رطبًا على حظار قديم قد يبس[(١)]. والمعنى أنهم بادوا وهلكوا فصاروا كيابس الشجر إذا تحطم. وقال عطاء عن ابن عباس: يريد مثل القمح الذي قد يبس وهشم[(٢)]. وعلى هذا المحتظر الذي يتخذ حظيرة على زرعه، والهشيم فتات السنبل وقصب القمح إذا ديس. وذكر في الآية قولان فاسدان.

أحدهما: كالتراب الذي يتناثر من الحائط[(٣)]، وذلك لا يسمى هشيمًا. والآخر: كالعظام المحترقة[(٤)]، وهذا بعيد.

٣٤- قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا﴾ معنى الحصب في اللغة الرمي، ذكرنا ذلك في قوله: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، والحاصب الرامي، ويكون الذي يرمى به، قال النضر: الحاصب الحصباء في الريح، كان يومنا ذا حاصب، وريح حاصبةٌ وحَصِبَة فيها حصباء، قال ذو الرمة:

حَفِيفُ نافجةٍ عُثْنونُها حَصِبُ[(٥)]

وقال أبو عبيدة: الحاصب الحجارة، وقد تكون من الجليد، وأنشد

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٤٥٤ (حظر).

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٤٣.

(٣) قاله سعيد بن جبير. انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٦١، انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٢٧ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٦٢.

(٤) قاله قتادة. انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٥٩، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٤٢.

(٥) انظر: «ديوان ذي الرمة» ١/ ١٢٦، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٢٦١، و«اللسان» ١/ ٦٤٩ (حصب) وصدر البيت:

يَرْقُدُ في ظِلِّ عراض ويَطْرُدُهُ

والنافجة: كل ريح تبدأ بشدة، وقيل: أول كل ريح تبدأ بشدة. «اللسان» ٣/ ٦٨٣ (نفج).

للفرزدق[١]:

مستقبلين شمال الشام تضربنا بحاصب كنديف القطن منثور

قال المبرد: يعني الثلج، لأن الريح ترميهم به في قصدهم الشام، قال: ومنه المحصب لأن فيه الحصى الذي قد رمي به، وأنشد قول العامري:

ولم أر ليلى غير موقف ساعة ببطن منى ترمي جمار المحصب

ويروى المحصب بكسر الصاد نسب إلى الرامي.

قال ابن عباس: يريد ما حصبوا به من السماء من الحجارة[٢]، وقال مقاتل: يعني الحجارة من فوقهم، ونحو هذا قال الضحاك[٣]، والحاصب على هذا القول الحجارة التي يحصب بها. أي يُرمى.

وقال آخرون: يعني عذابًا يحصبهم، أي: يرميهم بحجارة من سجيل. وعلى القول الأول سمي ما يحصب به حاصبا؛ لأنه كأنه يرمي نفسه كالثلج لا يرى له رام، فكأنه هو فاعل الرمي، وكذلك حجارة قوم لوط لم ير لها رام، فسمي ما حصبوا به حاصبا على هذا المعنى.

قوله تعالى: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ يعني لوطًا وابنتيه.

﴿نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ قال أبو إسحاق: سحر إذا كان نكرة يراد به سحر من الأسحار انصرف، تقول: أتيت زيدًا سحرًا، فإذا أردت يومك، قلت: أتيته سَحَرَ يا هذا، وأتيته بسحر[٤].

قال الفراء: إنما ترك إجراؤه لأن كلامهم كان فيه بالألف واللام

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٤١.

(٢) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢١١.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٣ ب، و«الثعلبي» ١٢/ ٢٧ ب، و«البغوي» ٤/ ٢٦٣.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٩.

تقول العرب: ما زال عندنا مذ السحر. لا يكادون يقولون غيره، فلما حذفت منه الألف واللام وفيه نيتهما لم يصرف[١].

٣٥- قوله تعالى: ﴿نِّعۡمَةً مِّنۡ عِندِنَاۚ﴾ منصوب مفعول له، المعنى: نجيناهم للإنعام عليهم ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أنعمنا عليهم ﴿نَجۡزِي مَن شَكَرَ﴾ قال مقاتل: يعني من وحد الله لم يعذب مع المشركين في الدنيا كقوله ﴿وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥] يعني الموحدين[٢].

٣٦- قوله: ﴿وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا﴾ قال ابن عباس: عذابنا[٣].

والمعنى: أَخْذَتنا إياهم بالعذاب.

﴿فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ﴾ قال مقاتل: شكوا في العذاب أنه غير نازل بهم[٤]، وقال قتادة: لم يصدقوه[٥].

وقال الفراء: كذبوا بما قال لهم[٦]، وقال ابن قتيبة: شكوا بالإنذار[٧].

٣٧- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ﴾ ذكرنا تفسير المراودة في سورة يوسف[٨]، والمعنى: طلبوا أن يخلي بينهم وبينهم، ﴿فَطَمَسۡنَآ

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٩.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٤ أ.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣١، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٤٤.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٤ أ.

(٥) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٦٢، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٦٣.

(٦) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ١٧.

(٧) انظر: تفسير غريب القرآن» ص٤٣٤.

(٨) عند تفسيره الآية (٢٣) من سورة يوسف، والمراودة بمعنى الإرادة، تقول: راودته على كذا مراودة ورِواداً. أي أردته. «اللسان» ١/ ١٢٥٤ (رود).

أَعْيُنَهُمْ﴾ تفسير الطمس مذكور عند قوله ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [يونس: ٨٨][١].

قال عامة المفسرين: صفق جبريل أعينهم بجناحيه صفقة فأذهبتها[٢].

وهذه القصة مذكورة في سورة هود [آية: ٧٦، ٨٣]. وتم الكلام عند قوله ﴿أعينهم﴾[٣].

ثم قال ﴿فَذُوقُواْ﴾ أي: فقلنا لهم ذوقوا ﴿عَذَابِى﴾ وهو خطاب لجميع قوم لوط الذين أرسل عليهم الحاصب.

قوله تعالى (ونذر) أي وما أنذركم به لوط من العذاب، سمي ذلك بالمصدر.

٣٨- قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم﴾ يقال صَبَحتُ فلانًا وصَبَّحتُه، أتيته صباحًا، والخيل المصبح الذين أتوا صباحًا[٤].

قوله تعالى: ﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾، قال ابن عباس: يعني نزول العذاب بهم، وقال مقاتل: يعني استقر بهم العذاب بكرة[٥]، وقال الفراء: عذاب لاحق[٦].

والعذاب المستقر على ما ذكروا ذلك العذاب الذي نزل بهم. وقال

---

(١) والطمس هو الدروس والانمحاء، وطَمَسَ الطريق وطَمَسَ يَطْمِسُ طُمُوساً، درس وامحَّى أثره. «تهذيب اللغة» ١٢/ ٣٥١ (طمس).

(٢) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٢٨ أ، و«الوسيط» ٤/ ٢١٢، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٤٤.

(٣) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢١٢.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٢٦٣، و«اللسان» ٢/ ٤١ (صبح).

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٤ أ، و«الوسيط» ٤/ ٢١٢.

(٦) في (ك): (لاحق)، وانظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٩.

غيرهم: معنى المستقر أي: ذلك العذاب استقر فيهم حتى أفضى بهم إلى عذاب الآخرة[١].

٤١- قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ﴾ يعني القبط.

وفي النذر ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المراد به موسى وهارون، وهذا قول ابن عباس، ومقاتل، والمفسرين[٢]، وهو على تسمية الاثنين باسم الجماعة، لأنه جمع نذير.

والثاني: أن المراد به الآيات التي أنذرهم بها موسى، وكل آية منها نذير.

والآخر: أن المراد به الإنذار[٣].

ويدل على القول الثاني قوله:

٤٢- ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا﴾ يعني الآيات التسع في قول المفسرين (فأخذناهم) (بالعذاب) (أخذ عزيز) غالب في انتقامه (مقتدر) قادر على هلاكهم.

٤٣- ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ قال ابن عباس: أكفاركم يا معشر العرب[٤]، وقال مقاتل: يعني كفار أمة محمد ﷺ[٥].

قوله تعالى: ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ﴾ قال ابن عباس: يريد أشد من

---

(١) قاله ابن عباس في رواية الكلبي، وقتادة. انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣١، و«جامع البيان» ٢٧/ ٦٣، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٢٨ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٦٣.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣١، و«تفسير مقاتل» ١٣٤ أ، و«القرطبي» ١٧/ ١٤٥.

(٣) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢١٢، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٦٣، و«ابن كثير» ٤/ ٢٦٦.

(٤) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢١٣، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٤٥.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٤ أ.

أولئكم[١]، وقال مقاتل: يقول أليس أهلكناهم بتكذيبهم فليسوا خيرًا منهم[٢]، وهذا استفهام معناه الإنكار. أي: ليس الكفار خيرًا من قوم نوح وثمود وعاد وقد أهلكناهم.

ومعنى الخير يجوز أن يراد به الشدة والقوة كما ذكر ابن عباس، وعليه دل سائر الآي، كقوله ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ [ق: ٣٦] ومثله كثير، ويجوز أن يكون معناه أن كفر هؤلاء ليس دون كفرهم فليسوا خيرًا منهم.

ثم خاطب الكفار فقال ﴿أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ قال ابن عباس: يريد أم لكم في اللوح المحفوظ براءة من العذاب[٣].

وقال مقاتل: يقول ألكم براءة من العذاب في الكتب أنه لن يصيبكم من العذاب ما أصاب الأمم الخالية[٤].

وقال أبو إسحاق: أم أتاكم في الكتب أنكم مبرأون مما يوجب عذابكم[٥].

٤٤- ثم عاد إلى الخبر عنهم فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ قال ابن عباس: يريد جماعة ينصر بعضنا بعضًا[٦]، وقال الكلبي: نحن جميع أمرنا ننتصر من أعدائنا[٧]، والمعنى: بل أيقولون نحن واحدة على من

---

(١) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢١٣، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٦٤.
(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٤ أ.
(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٤٥.
(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٤/أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٦٤.
(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٩١.
(٦) لم أقف عليه.
(٧) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢١٣، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٦٤.

خالفنا ننتصر ممن عادانا فيدلون بقوة واجتماع عليك، ووحد المنتصر بلفظ الجميع، وهو واحد في اللفظ وإن كان اسمًا للجماعة كالرهط والجيش.

٤٥- قال الله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾ يعني جمع كفار مكة ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ أي ينهزمون فيولونكم أدبارهم في الهزيمة، والمراد بالدبر الإدبار، وهي من اسم الجنس الذي يؤدي عن الجميع كالدرهم والدينار، قاله الفراء(١).

قال أبو إسحاق: أعلم الله نبيه ﷺ أنه يظهره عليهم وجاعل كلمته العليا، فكانت هذه الهزيمة يوم بدر(٢).

قال المفسرون: ضرب أبو جهل فرسه يوم بدر فتقدم في الصف وهو يقول: نحن اليوم جميع منتصر من عدونا. والنبي ﷺ يثب في درعه ويقول ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ فما كان بأسرع من أن قتل ابن مسعود أبا جهل بسيف أبي جهل، وولوا منهزمين(٣).

وقال عمر ﷺ: لما نزلت هذه الآية جعلت أقول: أي جمع يهزم؟ فلما كان يوم بدر عرفت أنه هو(٤).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ١١.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٩٢.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٤ أ، و«الكشاف» ٤/ ٤٨.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم، وعبد الرزاق، وابن جرير، والثعلبي، عن سعيد بن المسيب، عن عمر، وذكر ابن حجر، تخريج عبد الرزاق له في شرح حديث باب «سيهزم الجمع ويولون الدبر» عن ابن عباس، وقال: فكأن ابن عباس حمل ذلك عن عمر، وكأن عكرمة حمله عن ابن عباس عن عمر. انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٥٩، و«جامع البيان» ٢٧/ ٦٤، و«الدر المنثور» ٦/ ١٣٧، و«فتح الباري» ٨/ ٦١٩

قال عطاء عن ابن عباس: كان بين نزول هذه الآية وبين بدر سبع سنين.[(١)]

٤٦- ثم قال ﷻ: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ يعني أن موعد الجميع للعذاب القيامة.

ثم ذكر فظاعتها فقال: ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ﴾ أي أعظم في الضر. قال ابن عباس: أعظم عذابًا[(٢)]، وقال مقاتل: أفظع[(٣)]، و(أدهى) من الدهاء، وهو النكر والشدة والفظاعة، والدَّاهيةُ: الشديدة من شدائد الدهر، ودهاه أمر كذا، إذا أصابه دَهْوًا ودَهْيا ودَاهية دَهْيَاء ودَهْواء. ذكر ذلك ابن السكيت[(٤)].

قوله تعالى: ﴿وَأَمَرُّ﴾ أي أشد مرارة من قولهم: مَرَّ الشيء وأَمَرّ إذا اشتدت مرارته[(٥)].

قال أبو إسحاق: أي ليس ما نزل بهم من القتل والأسر بمخفف عنهم من عذاب الآخرة شيئًا، ومعنى (أمَرُّ): أشد مَرَارَة من القتل والأسر[(٦)].

٤٧- ثم أخبر عنهم فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ فقال عطاء، عن ابن عباس: يريد بالضلال الخسران، والسُّعُر الجنون[(٧)].

---

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٤٦.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣١١.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٤ أ.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ٦/ ٣٨٦، و«اللسان» ١/ ١٣ (دها).

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ١٥/ ١٩٨ (مر).

(٦) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٩٢.

(٧) تقدم معنى السعر عند قوله تعالى ﴿لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ ولم أجد هذه الرواية عن ابن عباس، وفي «تنوير المقباس» ٥/ ٣١١ عنه: في خطأ بين في الدنيا وتعب وعناء في النار.

وقال الكلبي: وهو قول المفسرين: في كفرٍ بعبادتهم الأصنام وعناء من العذاب[١].

والمعنى على هذا: في ضلال في الدنيا وسعر في الآخرة. وإن حملت السعر على الجنون جاز أن يكونوا في الضلال والسعر في الدنيا، والكلام في السعر قد مر في هذه السورة.

قال أهل المعاني: (في ضلال) أي ذهاب عن طريق الجنة في الآخرة، وفي نار مسعرة.

٤٨- قوله ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ﴾ يجوز أن تتعلق هذه الآية بما قبلها على تقدير: إن المجرمين في سعر يوم يسحبون، ويجوز أن لا تتعلق ويكون العامل في الظرف ما يقدر من القول مع ذوقوا؛ لأن التقدير: يوم يسحبون في النار على وجوههم يقال لهم ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾[٢].

ومس سقر إصابتها إياهم بعذابه وحره، وهذا كما يقال: ذق من الضرب وقاس مس الحمى.

قال الليث: سقر اسم معرفة للنار غير منصرف، وكذلك لظى وجهنم[٣]، ولم يصرف لاجتماع التأنيث والمعرفة، وكذلك كل اسم مؤنث معرفة لا يُجرى وإن لم يكن فيه الهاء؛ لأن فيه معنى الهاء، وإن لم تظهر إلا أسماء معدودة خفت فجاز إجراؤها نحو هند ووعد وجُمْل، والأصل

---

(١) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٦١، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٢٩ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٦٤، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٤٧.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٩٢، و«إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٢٩٨.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ٨/ ٤٢ (سقر).

أن لا يجرى، ذكر ذلك الفراء[١].

قال عطاء: سقر الطبق السادس من جهنم[٢].

وقال الكلبي: إذا ألقوا فيها لا تُبْقي لهم عظمًا ولا لحمًا فيعادون خلقًا جديدًا[٣]، وتم الكلام.

٤٩- ثم ابتدأ كلامًا آخر فقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ قال الكلبي عن ابن عباس: إنا كل شيء جعلنا له شكلًا يوافقه ويصلح له، فالمرأة للرجل، والأتان للحمار، والرمكة للفرس، وثياب الرجال للرجال لا تصلح للنساء، وثياب النساء للنساء لا تصلح للرجال، وكذلك ما شاكلها على هذا[٤].

وقال الحسن: قدر الله لكل شيء من خلقه قدره الذي ينبغي كقوله: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣] وهذا قول الربيع[٥].

وقال مقاتل: يعني أنه قدر لهم العذاب[٦]، وعلى هذا التفسير الآية متصلة بما قبلها، وروى محمد بن عياد المخزومي[٧] عن أبي هريرة أن

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ١١.

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٤٧.

(٣) لم أجده، ومعناه: نفى توهم خفة عذاب النار وأنه مجرد مس فوضح أن مسها يصل إلى العظم واللحم ثم يعاد كما بدأ كما في قوله تعالى: ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب..﴾ [النساء: ٥٦].

(٤) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٢٩ أ، ب، ذكره عن ابن عباس من غير سند.

(٥) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٢٩ أ.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٤ ب.

(٧) محمد بن عياد بن جعفر المخزومي، المكي، ثقة.
انظر: «تقريب التهذيب» ٢/ ١٧٤.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ نزلت في القدرية[(١)]، وذلك أن مشركي قريش جاءوا إلى النبي ﷺ يخاصمونه في القدر فنزلت هذه الآيات[(٢)]، وهذا قول محمد بن كعب القرظي قال: نزلت تعييرًا لأهل القدر[(٣)].

وعلى هذا القول المراد بالمجرمين القدرية المشركون وإخوانهم من قدرية هذه الأمة، يكونون في حكمهم. يدل على ذلك ما روى زرارة[(٤)] أن النبي ﷺ قرأ هذه الآيات وقال: **«إنها نزلت في ناس يكونون في آخر أمتي يكذبون بقدر الله»**[(٥)].

---

(١) سموا بذلك لقولهم في القدر، زعموا أن العبد هو الذي يخلق فعله استقلالاً فأثبتوا خالقاً مع الله، ولذا سماهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة، لأن المجوس قالوا بإثبات خالقين: النور والظلمة، وهم يزعمون أن الله لا يقدر على مقدرات غيره. وهذا هو مذهب المعتزلة في القدر. انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني ١/ ٥٤، و«البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان» ص ٢٦.

(٢) رواه مسلم في كتاب القدر، باب: كل شيء بقدر، وأحمد في «مسنده» ٢/ ٤٤٤، والترمذي في كتاب التفسير، تفسير سورة القمر، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والثعلبي في «تفسيره» ١٢/ ٢٩ ب، والواحدي في «أسباب النزول» ص٤٢٥.

(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٦٥.

(٤) في (ك): (زراة) وهو زرارة بن أوفى العامري، أبو حاجب، قاضي البصرة، ثقة، عابد، قرأ في الصبح ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ فخر ميتاً سنة (٩٣هـ). انظر: «طبقات ابن سعد» ٧/ ١٥، و«أخبار القضاة» ١/ ٢٩٢، و«تاريخ البخاري» ٣/ ٤٣٨، و«صفة الصفوة» ٣/ ٢٣، و«سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥١٥.

(٥) رواه ابن أبي حاتم، والطبراني. قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه. «مجمع الزوائد» ٧/ ١١١.

وانظر: «أسباب النزول» للواحدي ص٤٦٤، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٦٧.

وروي عن أبي ذر قال: قدم وفد نجران على النبي ﷺ فقالوا: الأعمال إلينا والآجال بيد غيرنا؟ فأنزل الله هذه الآيات. فقالوا: يا محمد يكتب علينا الذنب ويعذبنا؟ فقال: «**أنتم خصماء الله يوم القيامة**»(١).

ويؤكد هذا ما روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**ينادي مناد يوم القيامة ليقم خصماء الله، وهم القدرية**»(٢).

ويزيد وضوحًا هذه الجملة ما روي عن كعب أنه قال: نجد في التوراة أن القدرية يسحبون في النار على وجوههم، وهو قول عطاء عن ابن عباس أن الآيات نزلت في القدرية من المشركين الذين جادلوا رسول الله ﷺ(٣).

وعلى هذا معنى قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ أي كل ما خلقناه فمقدور مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه، يدل على هذا قوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ ذكر ذلك أبو إسحاق(٤).

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي ص٤٦٤، عن عطاء، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/١٤٨، بدون سند وأخرجه الثعلبي عن سيار بن الحكم.. إلى قوله: فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ إلى آخر السورة، ولم ينسبه، يذكره من قول النبي ﷺ.

(٢) رواه ابن أبي عاصم في «كتاب السنة» ١/١٤٨، باب إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم خصماء الله تعالى. وقال عنه الألباني: إسناده ضعيف، ورواه الطبراني في الأوسط من رواية بقية، وهو مدلس، وحبيب بن عمرو مجهول. انظر: «مجمع الزوائد» ٧/٢٦ وقال الألباني- بعد ذكره للحديث وتخريج الهيثمي وحكمه على بقية وحبيب بن عمرو - قلت: قد صرح بقية بالتحديث عند المصنف فزالت شبهة تدليسه وانحصرت في شيخه.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٥/٣١١، قال ابن حجر: واشتهر على ألسنة السلف والخلف أن هذه الآية نزلت في القدرية. انظر: «فتح الباري» ١١/٤٧٨.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٥/٩٢.

وروى الوالبي عن ابن عباس قال: خلق الله الخلق كلهم بقدر، وخلق لهم الخير والشر، فخير الخير السعادة، وشر الشر الشقاوة[١].

٥٠- قوله تعالى ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد أن قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر[٢].

وقال الكلبي عنه: وما أمرنا بمجيء الساعة في السرعة (إلا واحدة) كطرف البصر[٣]، وهذا قول مقاتل، يقول: مرة واحدة كرجوع الطرف[٤]. وهذا القول هو اختيار الفراء وأبي عبيد[٥].

وعلى هذا يختص الكلام بأمر الساعة.

ومعنى اللمح في اللغة: النظر بالعجلة، يقال: لمح البرق ولمح البصر، ولمحه ببصره[٦].

والأحسن في معنى الآية أن هذا عام في كل ما يخلقه الله تعالى ويريد تكوينه. يقول: إذا أردنا أن نفعل شيئًا فمرة واحدة لأنه ليس منا معاناة ولا علاج ولا توصل بالآلات والأسباب فيكون بمرات كما تكون أفعال العباد، إنما هو كن فيكون.

٥١- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾ يعني أشباهكم

---

(١) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٦٥، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٢٩ ب.

(٢) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢١٦، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٦٥، و«زاد المسير» ٨/ ١٢.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٧، و«الوسيط» ٤/ ٢١٦، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٦٥.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٤ ب.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١١.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» ٥/ ٩٧، و«اللسان» ٣/ ٣٩٨، و«مفردات الراغب» ص٤٥٤ (لمح).

ونظراءكم في الكفر من الأمم الخالية، ومضى تفسير الأشياع[(١)].

﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ متعظ يعلم أن ذلك حق فيخاف ويعتبر.

ثم أخبر أن جميع ما فعله الأمم قبلهم كان مكتوبًا عليهم فقال:

٥٢- ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ قال مقاتل: يعني الأمم الخالية[(٢)] ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ مكتوب عليهم في اللوح المحفوظ- وهذا قول عطاء[(٣)]، وقال الكلبي: محصى عليهم في الكتب[(٤)]، يعني كتب أعمالهم.

٥٣- ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الخلق والأعمال (مستطر) مكتوب بمعنى مسطور، قال أبو إسحاق: مكتوب على فاعليه قبل أن يفعلوه ومكتوب لهم وعليهم إذا فعلوه للجزاء[(٥)].

٥٤- قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ أكثر أهل التفسير والمعاني[(٦)] على أنه أراد وأنهار. يعني أنهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل،

---

(١) عند تفسيره الآية (٦٥) من سورة الأنعام. قال: الشيع جمع شيعة. وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة. والجمع شيع وأشياع ... ومعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضًا. انظر: البسيط (فيلم ٣٧٣١). والتَّشيُعُ: مقدار من العدد كقولهم: أقمت عنده شهراً أو سَيْعَ شهر، وتشايع القوم: صاروا شيعاً وأشياعكم: أمثالكم من الأمم الماضية، ومن كان مذهبه مذهبكم. يقال: هذا شَيْعٌ هذا. أي مِثْله.انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٦، و«اللسان» ٢/ ٣٩٣ (شيع).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٤ ب.

(٣) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٦٦، وهو قول مقاتل أيضاً. «تفسير مقاتل» ١٣٤ ب.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣١٢، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٤٩.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٩٢.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١١١، و«مجاز القرآن» ٢/ ٢٤١، و«جامع البيان» ١٧/ ٦٧، و«زاد المسير» ٨/ ١٢.

ووحد لأنه قابل الفواصل فصار كقوله ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ والواحد قد ينبى عن الجميع فيخبر به كقوله:

وأما جلدها فصليب[١]

وقد تقدم في مثل هذا بالاستشهادات. وهذا قول أبي عبيدة، والكسائي، والفراء، والزجاج[٢].

وذكر قوم أن معنى (نهر) ضياء وسعة، قالوا: ومنه النهار لضيائه، وأنهرت الجرح وسعته، وهو قول الضحاك، وذكره الفراء وابن قتيبة[٣]، والقول هو الأول.

٥٥- وقوله ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أي في مجلس حسن.

وقد ذكرنا قديمًا أن العرب إذا بالغت في مدح شيء أضافته إلى الصدق، كقوله تعالى ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ [الشعراء: ٨٤] و﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾[٤] [يونس: ٢]. قال عطاء: يريد في جوار الرحمن[٥].

---

(١) أنشده الخليل، وسيبويه والبيت لعلقمة الفحل يصف الصحراء وبها جيف الإبل التي رذحت وماتت فتصلبت بقايا جلدها وذهب لحمها فبقي عظمها أبيض. والشاهد قوله (جلدها) أفرد ومراده الجمع، والمعنى جلودها. انظر: «ديوان علقمة» ص٤، و«الكتاب» ١/ ٢٩، و«المفضليات» ص٣٩٤، و«معاني القرآن» للزجاج ١/ ٨٣، و«إيضاح الشعر» للفارسي ص٣٣٤.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٩٣، و«معاني القرآن» للفراء ٣/ ١١١، و«مجاز القرآن» ٢/ ٢٤١.

(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٦٧، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٣١ ب، و«معاني القرآن» للفراء ٣/ ١١١، و«تفسير غريب القرآن» ص٤٣٥.

(٤) وانظر: «تهذيب اللغة» ٨/ ٣٥٥، و«اللسان» ٢/ ٤٢ (صدق).

(٥) لم أقف عليه.

قوله تعالى ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ أي عند مليك قادر لا يعجزه شيء و(عند) إشارة إلى الزلفة والكرامة.

والمعنى في المكان الذي كرمه لأوليائه.



سورة الرحمن

سورة الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم

١-٢- ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾: قال و[(١)] مقاتل: لما نزل قوله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ﴾ [الإسراء: ١١] قال كفار مكة: ما نعرف إلا مسيلمة، رحمان اليمامة، وهو قوله تعالى إخبارًا عنهم ﴿قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠] فأنكروه، فأخبر الله عن نفسه، وذكر صنعه ليعرف فيوحد فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾[(٢)] قال صاحب النظم: قوله (علَّم) يقتضي مفعولين ولم يجئ هاهنا إلا واحد. وهذا كما يقال في الكلام: زيد أطعم الطعام، فقد يعلم أن الإطعام لا يقع إلا على من يأكل، فكذلك قوله ﷻ ﴿عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ واقع على من يلقن التعليم[(٣)]، وهذا معنى قول الكلبي: علم القرآن محمدًا وعلمه محمد ﷺ أمته[(٤)].

قال أبو إسحاق: ومعنى ﴿علم القرآن﴾ يسَّره لأن يُذكر[(٥)].

---

(١) كذا في (ك)، ولعل في العبارة سقطًا.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٢٣، و«تفسير مقاتل» ١٣٤ ب، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٥٢.

(٣) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٨٤.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣١٣، و«الوسيط» ٤/ ٢١٧، و«فتح القدير» ٥/ ١٣١.

(٥) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٩٥.

ثم نسق على هذا خبرًا آخر مؤكدًا له من غير حرف عطف وهو قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد محمدًا ﷺ[(١)]. ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ قال: يريد أفصح الكلام، يعني القرآن.

والآيتان بهذا التفسير تأكيد لما قبلهما، وهذا قول ابن كيسان في الإنسان أنه محمد ﷺ إلا أنه قال في البيان أنه بيان ما كان وما يكون؛ لأنه ﷺ كان ينبئ عن الأولين والآخرين وعن يوم الدين[(٢)].

وقال الكلبي وقتادة: الإنسان آدم عليه السلام علمه أسماء كل شيء، وهذا قول مقاتل[(٣)].

وقال آخرون: الإنسان اسم لجنس الناس جميعًا، ومعنى ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ النطق والتمييز، والكتابة والخط، والفهم والإفهام، حتى عرف ما يقول وما يقال له، وعلم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به، وجعله مميزًا حتى انفصل الإنسان من جميع الحيوان، وهذا قول أبي العالية، ومرة، وابن زيد[(٤)]، والحسن، والقرظي، والسدي، ويمان بن رباب.[(٥)]

٥- وقوله تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ ذكرنا معنى الحسبان

---

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٥٢

(٢) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٣٣ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٦٧، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٥٢، و«فتح القدير» ٥/ ١٣١.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٤ ب، و«جامع البيان» ٢٣/ ٦٧، والثعلبي ١٢/ ٣٣ ب.

(٤) (ك): (وبرة بن زيد) وهو خطأ.

(٥) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٣٣ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٦٦، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٥٢- ١٥٣، ورجحه الرازي والألوسي وغيرهما، انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٨٥، و«روح المعاني» ٢٧/ ٣٩.

في قوله ﴿وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾[1]، قال جماعة المفسرين: يجريان بحساب ومنازل لا يعدوانها[2]، والمعنى فيه أنهما يدلان على عدد الشهور والسنين وجميع الأوقات، قال أبو إسحاق: وخبر الابتداء يدل عليه قوله ﴿بِحُسۡبَانٖ﴾؛ لأن المعنى: يجريان بحساب[3].

وروى السدي عن أبي مالك في هذه الآية قال: لهما حساب وأجل كأجل الناس، فإذا جاء أجلهما هلكا[4]، وعلى هذا معنى الحساب حساب أيام جريهما إلى الإنقضاء، والقول هو الأول.[5]

٦- قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾ قال عامة أهل اللغة والمفسرين: النجم: النبت على الأرض ليس له ساق، والشجر: ما كان على ساق، يبقى شتاء والنجم لا يبقى على الشتاء[6].

---

(١) عند تفسيره الآية (٩٦) من سورة الأنعام. والحُسْبانُ: الحساب. قال أبو العباس: حسباناً، مصدر كما تقول: حسبته أحسبه حسباناً، وحسباناً، وجعله الأخفش وأبو الهيثم: جمع حساب. انظر: «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٧١، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٢٨، و«اللسان» ١/ ٦٢٩ (حسب).

(٢) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٦٢، و«جامع البيان» ٢٧/ ٦٧، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٣٣ ب، أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٦٧.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٩٥.

(٤) أخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر. انظر: «الدرر» ٦/ ١٤٠، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٢/ ٣٤ أ، والقرطبي في «تفسيره» أيضاً ١٧/ ١٥٣.

(٥) وهو اختيار ابن جرير، والمعتمد عند ابن كثير. انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٦٨، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٧، و«تفسير القاسمي» ١٥/ ٥٦١٣.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١١٢، و«مجاز القرآن» ٢/ ٢٤٢، و«جامع البيان» ٢٧/ ٦٨، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٩٦.

قال ابن الأعرابي: النجمة نبتة صغيرة وجمعها نَجْمٌ[١]، ويقال: نجم النبات إذا طلع، ونجم القرن، ونجم النجم، ونجم السن، كل ذلك بمعنى طلع، وأنشد أبو عبيدة للحارث بن ظالم[٢]:

أَخُصْيَيْ حِمارٍ ظَلَّ يَكْدِمُ نَجْمةً أَتُؤْكَلُ جاراتي وجارُك سالِمُ[٣]

قال الأزهري: وإنما قال ذلك لأن الحمار إذا أراد أن يقلع النجمة من الأرض وكدمها ارتدت خصياه إلى مؤخره.[٤]

وأنشد الليث:

مُوزَرٌ بعميم النَّجْم تنسجهُ ريحُ الخريف لضاحي مائه حُبُكُ[٥]

ذكر المفسرون في تفسير النجم: هو ما أنجمت الأرض، يعنون أنبتت، ولم أر لأهل اللغة أنجم، بمعنى: أنبت.

وقوله: ﴿يسجدان﴾ قال الفراء والكسائي: العرب إذا جمعت جمعين من غير الناس مثل السدر والنخل جعلوا فعليهما واحدًا، فتقول: السدر والنخل تنبت، والإبل والغنم مقبلة، ويجوز ينبتان ومقبلتان، والأول كلامهم، وذكر في الآية على لفظ التثنية لوفاق الفواصل[٦]، هذا

---

(١) انظر: «اللسان» (نجم).

(٢) أبو ليلى. محمد بن مرة بن ذبيان، تقدمت ترجمته.

(٣) ورد البيت منسوباً في «المفضليات» ص٣١٣، و«اللسان» ٣/ ٥٩ (نجم)، و«المنصف» ٢/ ١٣١.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ١١/ ١٢٩ (نجم).

(٥) البيت لزهير بن أبي سلمى. كما في «ديوانه» ص١٧٦، و«المحتسب» ٢/ ٢١٧، و«اللسان» ٣/ ٥٩ (خبك) وفي الألفاظ بعض الاختلاف والشاهد فيه أن النجم هو نبت يمتد على وجه الأرض بلا ساق.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١١٢.

معنى كلامهما، وقال أهل التفسير في معنى سجود النجم والشجر أنه سجود أظلالهما[١].

وقد ذكرنا ذلك في قوله: ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾[٢].

وقال مجاهد في قوله: ﴿وَٱلنَّجْمُ﴾ قال نجوم السماء ﴿وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ بكرة وعشيًا؛ وهو قول قتادة في النجم[٣].

قال أبو إسحاق[٤]: وهذا جائز أن يكون الله أعلمنا أن النجم يسجد كما قال ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ﴾ إلى قوله ﴿وَٱلنُّجُومُ﴾ [النحل: ١٢].

٧- قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ قال مقاتل وغيره: رفعها فوق الأرض مسيرة خمسمائة عام وأمسكها أن تقع على الأرض[٥].

﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ تفسير الميزان: الآلة التي يوزن بها، وفي معناه ها هنا قولان، أحدهما: أنه أريد به الميزان الذي نعرفه بيننا.

قال مقاتل: يعني الذي يزن به الناس وضعه عدلًا بينهم لينتصف بعض الناس من بعض، وهو قول الحسن وقتادة والضحاك[٦]، قالوا: هو الذي يوزن به ليوصل به إلى الإنصاف والانتصاف.

---

(١) جمع الظِّلِّ: أظلال وظِلال وظلول. «اللسان» ٢/ ٦٤٧ (ظلل).

(٢) عند تفسيره الآية (٤٨) من سورة النحل.

(٣) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٣٩، و«تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٦٢.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٩٦.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٤ ب.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٥ أ، و«جامع البيان» ٢٧/ ٦٩، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٣٤ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٦٧.

قال أهل المعاني: وهذا تنبيه على النعمة فيه والهداية إليه، ولولا الميزان لتعذر الوصول إلى كثير من الحقوق.

القول الثاني: أن المراد بالميزان العدل، وعبر عنه بالميزان؛ لأنه آلته.

قال عطاء عن ابن عباس: يعني العدل في الأرض بين الناس، وهو قول مجاهد[١].

قال أبو إسحاق: الميزان هاهنا العدل؛ لأن المعادلة موازنة الأشياء[٢]. قال صاحب النظم: على هذا القول: تأويله أمر بالعدل يدل هذا قوله تعالى:

٨- ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ أي لا تجاوزوا العدل.

و(أن لا تطغوا) يحتمل وجهين، أحدهما: لئلا تطغوا كقوله ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦]، والثاني: أن معنى (أن) التفسير، فيكون المعنى أن لا تطغوا كقوله تعالى: ﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا﴾ [ص: ٦][٣] وقد مر.

وعلى القول الأول يكون (تطغوا) في محل النصب بأن، وعلى القول الثاني يكون تطغوا جزمًا على النهي. ذكر ذلك الفراء والزجاج[٤]، قال الفراء: والنهي أحب إلي؛ لقوله:

٩- ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾[٥]، وهذا أيضًا يدل على أن المراد

---

(١) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٤، ولم أقف عليه عن ابن عباس.

(٢) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٩٦.

(٣) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٩، و«القرطبي» ١٧/ ١٥٤، و«فتح القدير» ٥/ ١٣٧.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٩٦.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١١٣.

بقوله ﴿ألا تطغوا في الميزان﴾ أي في الذي يوزن به، قال عطاء عن ابن عباس: يريد لا تخونوا من وزنتم له[١].

ومعنى ﴿لا تطغوا﴾ لا تظلموا ولا تنقصوا ولا تجاوزوا القدر، قاله أبو عبيدة والزجاج[٢].

وقال أهل المعاني[٣]: إنما قيل لا تطغوا؛ لأن ما لا يضبط في الوزن موضوع عنهم ما لم يتعمدوا البخس فإذا تعمدوا فقد طغوا، وإنما قال: ﴿لا تطغوا في الميزان﴾ ولم يقل فيه بالكناية وقد سبق ذكره لكي يكون قائمًا بنفسه في النهي عنه، ولا يكون الثاني متضمنًا بالأول.

قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾ قال المفسرون: أقيموا لسان الميزان بالقسط، أي: بالعدل، وهو قول مجاهد والكلبي ومقاتل[٤].

والأحسن إذا وزن أن يقيم اللسان بالقسط كما أمر الله تعالى ثم يرجح إن أراد ذلك وتبرع به، وقد روي عن علي ﷺ أنه مر على رجل وهو يزن الزعفران وقد أرجح فكفأ الميزان ثم قال: أقم الوزن بالقسط ثم أرجح بعد ذلك ما شئت[٥].

وقوله: ﴿وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ قال ابن عباس والمفسرون: لا تنقصوا

---

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٥٥.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٤٢، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٩٦.

(٣) انظر: «الكشاف» ٤/ ٥.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣١٤، و«تفسير مقاتل» ١٣٥ أ، و«الدر» ٦/ ١٤١.

(٥) لم أقف عليه عن علي، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق أبي المغيرة عن ابن عباس نحوه. انظر: «فتح الباري» ٨/ ٦٢١.

ولا تبخسوا[(١)]. وهذا كقوله تعالى ذكره ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ٣] أي ينقصون. وروى أهل اللغة: أخسرت الميزان وخسرته ومنه قراءة بلال بن أبي بردة[(٢)] ﴿وَلَا تُخْسِرُواْ﴾ بفتح التاء[(٣)]، وهذا كقوله ﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [هود: ٨٤][(٤)] وذكرنا معنى نقص الميزان وكيفيته في سورة هود.

١٠- قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ قال الكلبي: بسطها على الماء للأمام[(٥)]. قال الليث: الأنام ما ظهر على الأرض من جميع الخلق ويجوز في الشعر الأنيم[(٦)].

واختلف المفسرون في تفسير الأنام، فروى عكرمة عن ابن عباس ﴿للأنام﴾ للناس[(٧)]، وعن مجاهد وقتادة والضحاك: للخلق والخلائق، وعن عطاء: لجميع الخلق.

وقال الكلبي: للخلق كلهم الذين بثهم فيها، وهذه الأقوال تدل على

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣١٤، و«جامع البيان» ٢٧/ ٧.

(٢) هو بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، قاضي البصرة، مقل، مات سنة نيف وعشرين ومائة. انظر: «تقريب التهذيب» ١/ ١٩.

(٣) انظر: «مختصر ابن خالويه» ص١٤٩، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٣٤ ب، و«الكشاف» ٤/ ٥، و«البحر المحيط» ٨/ ١٨٩.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ٧/ ١٦٢، و«اللسان» ١/ ٨٢٩ (خسر).

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣١٤.

قال الألوسي: ثم إن كونها على الماء مبني على ما اشتهر أنه ﷻ خلق الماء قبلها وخلقها سبحانه من زبدة. «روح المعاني» ٢٧/ ١٣.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» ١٥/ ٧٥ (أنم).

(٧) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٥٥، و«الدر» ٦/ ١٤١.

أن المراد بالأنام كل ذي روح، وهو قول الشعبي[١]، وقال الحسن: للجن والإنس[٢]، وهو اختيار أبي إسحاق[٣].

قوله: ﴿فِيهَا فَـٰكِهَةٌ﴾ أي في الأرض فاكهة، يعني كل ما يتفكه به من ألوان الثمار. وذكر ابن عباس منها العنب والتين والخوخ والتفاح[٤].

﴿وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ﴾ معنى الكم في اللغة ما ستر شيئًا وغطاه، ومنه كم القميص، ويقال للقلنسوة كمة، وأكمام الزرع: غلفها، وذكرنا ذلك عند قوله ﴿وما تخرج من ثمرة من أكمامها﴾[٥] قال ابن عباس: يريد الطلع[٦]، قال الكلبي: ﴿ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ﴾ ذات الغلف، وثمرها في غلف الكُفُرَّاه: ما لم تنشق وهي كمه[٧]، فإذا انشقت منها الكفراه فليست أكمامها. وقال الحسن وقتادة: أكمامها ليفها[٨].

---

(١) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٤، و«تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٦٢، و«جامع البيان» ٧/٢٧، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٣٥ أ.

(٢) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٧، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٣٤ ب، و«الدر» ٦/ ١٤١.

(٣) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٩٧، قلت: ولعل الصواب أن المراد بالأنام جمع ذوات الأرواح من الجن والإنس وغيرهم، فقد روى البخاري في «صحيحه»، كتاب بدء الخلق، باب في النجوم، قال: قال ابن عباس: ﴿الأنام﴾ الخلق، وأخرجه ابن جرير في «جامعه» ١٧/ ٧، من طريق علي بن أبي طلحة.

(٤) لم أجده.

(٥) عند تفسيره للآية (٤٧) من سورة فصلت. وانظر: «تهذيب اللغة» ٩/ ٤٦٥، و«اللسان» ٣/ ١٩٦ (كمم)

(٦) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٧، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٦٧، عن ابن زيد.

(٧) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣١٤، والكافور: وعاء الطلح قبل أن ينشق. وهو الكَفَرُ، والكُفُرَّي، والكِفِرى، والكَفَرَّى، والكُفَرَّى.

(٨) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٦٢، و«جامع البيان» ٢٧/ ٧، و«الثعلبي» ١٢/ ٣٥ أ.

قال أبو إسحاق: ما غطى جمَّارها من السعف والليف فهو من أكمام النخلة[١].

والمفسرون على أن الأكمام أوعية الثمر كما ذكرنا، قال الليث: ولكل شجرة مثمرة كم، وهو برعومه[٢].

قوله: ﴿وَٱلْحَبُّ﴾ قال عطاء: يريد القمح[٣]، وقال مقاتل والضحاك: يعني الشعير والحنطة[٤]، وقال الكلبي: هو الحبوب كلها مما يحرث في الأرض من الحنطة والشعير وغير ذلك[٥].

والوجه الرفع في قوله:

١٢- ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ﴾ نسقًا على قوله: ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ﴾ وقرأ ابن عامر ﴿والحب ذا العصف﴾ نصبًا[٦]، حمله على قوله ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ مثل خلقها للأنام، وخلق الحب ذا العصف.

واختلفوا في تفسير العصف، فقال الليث: العصف ما على حب الحنطة ونحوها من قشور التبن، قال: والعصف أيضًا ما على ساق الزرع من الورق الذي يبس فيتفتت، كل ذلك من العصف[٧].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ٩٧، والجُمَّارُ: بضم الجيم وفتح الميم مع تشديدها، هو جمار النخلة وهو لحمتها التي في قمة رأسها تقطع قمته ثم تكشط عن جمارة في جوفها بيضاء كأنها قطعة سنام ضخمة وهي رَخْصَةٌ تؤكل بالعسل. انظر: «اللسان» (جمر).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» ٩/ ٤٦٦ (كمم).

(٣) لم أجده.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٥ أ، و«جامع البيان» ٢٧/ ٧١.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣١٤.

(٦) قرأ ابن عامر: ﴿والحبَّ ذا العصفِ﴾ بالنصب وقرأ الباقون ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ﴾ انظر: «حجة القراءات» ص٦٩، و«النشر» ٢/ ٣٨، و«الإتحاف» ص٤٥.

(٧) انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ٤١، و«اللسان» ٢/ ٧٩٦ (عصف).

وقال الفراء: العصف: بقل الزرع، يعني أول ما ينبت منه وهو ورق بعد، قال: والعرب تقول: خرجنا نعصف الزرع إذا قطعوا منه شيئًا قبل إدراكه فذلك العصف[(١)].

وقال النضر: يقال: عصفنا الزرع نعصفه، أي: جززنا ورقه ليكون أخف للزرع، وإن لم يفعل مال بالزرع.[(٢)]

وقال ابن عباس: العصف والعصيفة ورق السنبل.[(٣)]

وقال أبو إسحاق: العصف ورق الزرع، ويقال للتبن عصف وعصيفة، وأنشد أبو عبيدة:

يُسقي مذانبَ قد مالتْ عَصيفَتُها حدودها من أتيّ الماء مطموم[(٤)]

فحصل من هذا الأقوال أن العصفَ ورق الزرع، ثم إذا يبس وديس صار تبنًا. وعلى هذا يدور كلام المفسرين.

قال مجاهد: هو ورق الزرع، وهو قول مقاتل، وابن عباس في رواية الكلبي والعوفي[(٥)].

وقال قتادة: ﴿العصف﴾ التبن، وهو قول الضحاك، ورواية علي بن

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١١٣.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ٤١ (عصف).

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٥٧ ونسبه للهروي.

(٤) البيت لعلقمة بن عبدة، والمذانب الجداول التي يسيل فيها الماء، وطَمَّ الماء يَطِمُّ طَمّاً وطُمُوماً. علا وغمر، وكل ما كَثُرَ وعَلا حتى غَلَب فقد طَمَّ يَطِمُّ.
انظر: «ديوان علقمة» ص١١٧، و«مجاز القرآن» ٢/ ٢٤٢، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٩٧، و«جامع البيان» ٢٧/ ٧١، و«اللسان» ١/ ١٨ (ذنب)، ٢/ ٦١٥ (طم)، ٢/ ٧٩٦ (عصف).

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣١٤، و«تفسير مقاتل» ١٣٥أ، و«جامع البيان» ٢٧/ ٧١.

أبي طلحة عن ابن عباس[(١)].

وروى السدي عن أبي[(٢)] مالك قال: هو أول ما ينبت[(٣)].

قال ابن كيسان: العصف: ورق كل شيء خرج منه الحب يبدو أولًا ورقًا، ثم يكون سوقًا، ثم يحدث الله فيه أكمامًا، ثم يحدث في الأكمام الحب[(٤)].

قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّيۡحَانُ﴾ قال أبو زيد: الريحان كل بقلة طيبة الريح، يقال للطاقة منها ريحانة، سميت ريحانة؛ لأن الإنسان يراح له رائحة طيبة إذا مسها، أي يدركها. قال: رحت الشيء أراح إذا أردت رائحته وهو فَعْلان من الرائحة والريح، وأصل الياء فيه واو وقلبوها ياء فرقًا بينه وبين الروحان، وهو شيء له روح، ويقال: شيء ريحاني وروحاني، حكاهما ابن الأعرابي، وما يتركب من الراء والواو والحاء كثير، والأصل في ذلك الحركة والاهتزاز فالرائحة فاعلة من راحت الريح تروح روحانًا إذا تحركت، ذكر هذا كله أبو القاسم الزجاجي.

وقال أبو علي: ويجوز أن يكون الريحان فَيْعِلانا، والعين محذوفة كأنه كان في الأصل ريوحان فلما اجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما

---

(١) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٦٢، و«جامع البيان» ٢٧/ ٧١، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٣٥ أ.

(٢) في (ك): (ابن).

(٣) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب التفسير، سورة الرحمن، ٦/ ١٨. ، قال: وقال أبو مالك: العصف أول ما ينبت. قال ابن حجر: وليس له -أي لابن مالك- في البخاري إلا هذا الموضع. «فتح الباري» ٨/ ٦٢١، و«جامع البيان» ٢٧/ ٧١، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي مالك.

(٤) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢١٨، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٦٨، و«فتح القدير» ٥/ ١٣٢.

بالسكون أدغم أحدهما في الآخر فقيل ريحان، ثم خفف كما قلنا في سيد وميت وهين[١].

قال أبو القاسم: وسمت العرب الرزق ريحانا، لأن الإنسان يرتاح له[٢] ويقوى به روحه، واللغة العرفية في الريحان أنه يطلق على ما له رائحة من الأنوار، وقال أبو عبيدة: الريحان الحب الذي يؤكل، ومنه يقال: سبحانك وريحانك، أي: رزقك، وأنشد للنمر بن تولب:

سلام الإله وريحانُه ورحمتُه وسماءٌ دِرَرْ[٣]

وقال الفراء: والريحان في كلام العرب: الرزق، تقول: خرجنا نطلب ريحان الله ورزقه[٤].

وقال أبو إسحاق: والعرب تقول: سبحان الله وريحانه.

قال أهل اللغة: واسترزاقه، وأنشد بيت النمر، قال: معنى ريحانه: رزقه[٥].

قال مجاهد: الريحان الرزق. وهو رواية عكرمة والكلبي عن ابن عباس[٦].

---

(١) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٤٥- ٢٤٦، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٥٧.

(٢) كذا في (ك)، ولم تتبين ليّ.

(٣) انظر: «المنصف» ٢/ ١١، و«مجاز القرآن» ٢/ ٢٤٣، و«تفسير غريب القرآن» ص٤٣٧، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٩٧، و«اللسان» ١/ ١٢٤٧ (روح).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١١٣-١١٤.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٩٧.

(٦) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٤، و«جامع البيان» ٢٧/ ٧١، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٣٥ أ، و«صحيح البخاري»، كتاب: التفسير، سورة الرحمن ٦/ ٧٣، قال: وقال مجاهد: العصف ورق الحنطة، والريحان الرزق.

قال المقاتلان: هو بلغة حمير[١].

وقال الحسن وابن زيد: هو ريحانكم الذي يشم[٢].

واختلفوا في إعراب (الريحان) فقرأ الأكثرون بالرفع على معنى: وفيها الحب والريحان، وقرأ حمزة والكسائي بالخفض حملًا على (ذو) كأنه والحب ذو العصف وذو الريحان، أي: من الحب الرزق، وأريد بالريحان الرزق إذا خرج وخلص من لفائفه وهو رزق للناس، والعصف رزق للدواب، فذكر قوت الناس والأنعام كما قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ * كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ﴾ [طه: ٥٣] وقال: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات: ٧٣، عبس: ٣٢] فكذلك العصف يختص بأنه رزق الأنعام، والريحان يعم الأناسي وغيرهم، ولا يجوز على هذه القراءة أن يكون الريحان المشموم[٣]، واختار أبو عبيد هذه القراءة. قال: لأن الريحان في التفسير الرزق، والعصف الورق فيكون المعنى أن الحب ذو ورق ورزق، ومن رَفع الريحان على الابتداء صار التأويل في الحب أنه ذو ورق لا غير، ولا أحب هذا المعني.

قال المبرد: الذي قال أبو عبيد يجوز، ولكن فيه بعد ؛ لأن الحب هو الرزق نفسه ليس غيره فيبعد أن يقال للرزق ذو الرزق، إلا أن يحمل على ما قال مقاتل أن الريحان الرزق بلغة حمير، وهو ما يخرج من الحب من دقيق

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٥أ، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٢٥أ، ونسبه لمقاتل بن حيان.

(٢) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٧١، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٣٥ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٦٨.

(٣) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٤٥-٢٤٦.

أو سويق أو غيره، قال: والوجه الرفع في الريحان، لأنه إن أريد بالريحان الرزق كان المعنى فيها: الحب ذو العصف، أي: الذي معه ورقه، وتم الكلام ثم قال: ﴿والريحان﴾ أي الرزق المنفرد، وإن أريد بالريحان المشموم، ولذلك فهذه القراءة تحتمل القولين في تفسير الريحان.

قال: والظاهر أن الريحان في هذا الموضع هو الذي يشم، لأن الريحان إذا جاء مطلقًا وقع على ما يشم، وهذا هو الأحسن في التفسير، لأنه لما قيل: ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۝١١ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ﴾ كان ذلك جامعًا لأكثر المأكولات ثم ذكر بعدها ما يشم مما يخرج من الأرض؛ لأن النعمة على الناس عظيمة جليلة في المأكول والمشموم، والريحان إذا جاء بلا دليل انطلق على المشموم لأنه اسمه الخاص، وإذا عني بالريحان الرزق احتيج إلى أن يكون في الكلام ما يدل عليه كما قال سيبويه، يقال: سبحان الله وريحانه. تقديره: تسبيحًا واسترزاقًا(١).

وقرأ ابن عامر: (والريحانَ) نصبًا اتباعًا لقوله: ﴿والحب ذا العصف﴾ على قراءته(٢).

قال أبو علي: وانتصب ريحان فيما حكاه سيبويه انتصاب المصادر، وذكرنا في وزنه قولين، فإن قلنا وزنه فيعلان كان هذا اسمًا موضوعًا موضع المصدر ؛ لأنه ليس في أبنية المصادر شيء على هذا الوزن فيكون كقولهم: تربا وجندلًا، ونحو ذلك مما وضع موضع المصادر، أو يجعله

---

(١) انظر: «الكتاب» ١/ ٣٢٢.

(٢) قرأ ابن عامر ﴿وَٱلرَّيْحَانَ﴾ بالنصب، وقرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿وَٱلرَّيْحَانِ﴾ بخفض النون. وقرأ الباقون برفع النون ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾. انظر: «حجة القراءات» ص٦٩، و«النشر» ٢/ ٣٨، و«الإتحاف» ص٤٥.

مصدرًا اختص به المعتل كما اختص بكينونةٍ[١] وإن جعلته فعلًا فيكون مثل الكيان وليس هذا كما لزمه الانتصاب من المصادر نحو معاذ الله وسبحان الله ألا ترى أنه قد جاء مرفوعًا في بيت النمر ومجرورًا في قراءة حمزة[٢].

قال أبو إسحاق: وقد ذكر الله ﷻ في هذه السورة ما يدل على وحدانيته من خلق الإنسان وتعليم البيان ومن خلق الشمس والقمر والسماء والأرض.

ثم خاطب الجن والإنس فقال:

١٣- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي فبأي نعم ربكما تكذبان من هذه الأشياء المذكورة، لأنها كلها مُنعم بها عليكم في دلالتها إياكم على وحدانيته وفي رزقه إياكم ما به قوامكم والوصلة إلى حياتكم[٣]. وتقدم الكلام في تفسير الآلاء في سورة الأعراف[٤]، قال الكلبي: فبأي آلاء ربكما يريد الإنس والجن[٥].

فإن قيل: على هذا إنما تقدم ذكر الإنس في قوله ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ ولم يجر للجن ذكر حتى يدخل في الخطاب، والجواب عن هذا ما ذكره الفراء قال: العرب تخاطب الواحد بفعل الاثنين فيقال: ارجلاها وازجراها[٦] وقد ذكرنا هذا عند قوله ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾ وهذا الوجه اختيار ابن

---

(١) قال ابن منظور: وكان الخليل يقول: كيْنونة فيعولة هي في الأصل كيونونة، التقت منها ياء وواو والأولى منهما ساكنة فصيرتا ياء مشددة مثل ما قالوا الهيّن من هُنْتُ، ثم خففوها فقالوا: كينونة كما قالوا: هَيْنٌ لَيْنٌ، انظر: «اللسان» ٣/ ٣١٦ (كون).

(٢) تقدم توثيقها، وانظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٤٦.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٩٨.

(٤) عند تفسيره الآية (٦٩) من سورة الأعراف. وآلاء: النعم، واحدها أَلًى بالفتح، وإِلْيٌ، وإلى. «اللسان» (ألا).

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣١٤

(٦) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ١١٤، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٦.

الأنباري.

وقال صاحب النظم: خاطب الجن مع الإنس، وإن لم يجر لهم ذكر كما أنه يكنى عن الشيء، وإن لم يجر له ذكر كقوله تعالى ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾[1].

وذكر الأزهري قولين آخرين: أحدهما: أنه قد جرى ذكر الأنام ومعناه الجن والإنس، والثاني: أن الله تعالى خاطبهما قبل ذكرهما ثم ذكرهما معا بعقب الخطاب، وهو قوله: ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ كما قال المثقب العبدي[2]:

وما أدري إذا يممت أرضا أريد الخير أيهما يليني
أالخير الذي أنا أبتغيه أم الشر الذي هو يبتغيني

فقال أيهما، ولم يجر للشر ذكر إلا بعد تمام البيت الثاني[3].

وهذا الوجه معنى قول أبي عبيدة والكسائي[4].

وأما معنى تكرير هذه الآية في هذه السورة فقال أصحاب المعاني: معنى التكرير التقرير بالنعمة عند ذكرها على التفصيل نعمة نعمة، كأنه قيل: بأي هذه الآلاء تكذبان، ثم ذكرت آلاء أخر، واقتضت من التقرير بها ما اقتضت الأولى ليتأمل كل واحدة في نفسها وفيما تقتضيه صفتها وحقيقتها التي تنفصل بها من غيرها.

---

(١) من آية (٣٢) من سورة ص، وانظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٥٨.

(٢) هو عائذ بن محصن بن ثعلبة، أبو عَدِيّ الملقب المثقَّب. من بني نُكْرَة. تقدمت ترجمته. والأبيات وردت في «مغني اللبيب» وشرح شواهده للسيوطي/ ٦٩، و«شرح المفصل» ٩/ ١٣٨، و«المفضليات» ص٢٩٢، و«شرح شواهد الشافعية» ص١٨٨.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ١٥/ ٥٨ (نأم).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٤٣.

وشرح ابن قتيبة هذه الجملة شرحًا شافيًا فقال: إن الله تعالى عدد في هذه السورة نعماءه وذكّر عباده آلاءه، ونبههم على قدرته ولطفه بخلقه، ثم أتبع ذكر كل خلة وصفها بهذه الآية، وجعلها فاصلة بين كل نعمتين ليفهمهم النعم، ويقررهم بها، وهذا كقولك لرجل أحسنت إليه دهرك وتابعت عليه الأيادي وهو في ذلك ينكرك ويكفرك: ألم أبوئك منزلًا وأنت طريد أتنكر هذا؟ ألم أحججك وأنت صرورة؟ ألم أحملك وأنت راجل؟ أفتنكر هذا[١]؟

وقال صاحب النظم: إن من عادة العرب الإيجاز والاختصار في بعض الأماكن والإشباع والتوكيد في بعض، والتكرير والإعادة إذا أرادوا الإبلاغ بحسب العناية بالأمر كما قال الحارث بن عباد[٢]:

قربا مربط النعامة مني   لقحت حرب وائل من حيال

وكرر ذكر قول (قربا مربط النعامة) في رؤوس أبيات كثيرة عناية بالأمر، وإرادة للإبلاغ في التثنية والتحذير وكذلك الجعفي[٣] في قصيدته التي يقول فيها:

وكتيبة لبستها بكتيبة حتى   تقول نساؤهم هذا فتى

---

(١) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٣٥ ب، ٣٤ أ، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٦، و«فتح القدير» ٥/ ١٣٣، والصرورة الذي لم يحج.

(٢) الحارث بن عباد البكري، كان من حكام ربيعة وفرسانها المعدودين، ولد له عقب. توفي سنة ٥٥ م. انظر: «الشعر والشعراء» ص٢٦٢، و«الكامل» ٢/ ٢٣١، و«الأغاني» ٥/ ٤، و«الخزانة» ١/ ٢٢٥، و«الأعلام» ٢/ ١٥٦، والبيت ورد في «الحيوان» ١/ ٢٢، و«أمالي ابن الشجري» ٢/ ٢٧، و«المنصف» ٣/ ٥٩.

(٣) مرثد بن أبي حمران الجعفي، ويكنى أبا حمران. شاعر جاهلي. انظر: «الاشتقاق» ص٢٤٣، و«المؤتلف» ص٤٧، البيت ورد في «الأصمعيات» ص١٤٢، ولفظه: وكتيبة وجهتها لكتبه حتى نقول سرائهم هذا الفتى.

فكرر هذه الكلمة في رؤوس أبيات منها، لأنه ذهب مذهب الحارث ابن عباد في العناية والتأكيد، وقال غيرهما:

كم نعمة كانت لكم كم كم وكم[(١)]

فكرر كم في بيت واحد أربع مرات تأكيدًا لفرط العناية بهذه الكلمة، فكذلك قوله ﷻ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، وقوله ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[(٢)]، وقوله ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾[(٣)] جاء هذا كله في التكرير والإعادة في الإبلاغ والتوكيد، لأنها كلها تحرير وتذكير وتنبيه[(٤)].

١٤- قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ تقدم تفسيره في سورة الحجر[(٥)].

قال أبو إسحاق: اختلفت الألفاظ فيما بدأ منه خلق آدم فقيل في موضع: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩]، وفي آخر ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: ١١]، وفي آخر ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]، وفي آخر من صلصال، وهذه الألفاظ راجعة في المعنى إلى أصل واحد، وهو التراب الذي هو أصل الطين، أعلم الله ﷻ أنه خلق آدم من تراب جعل طينًا، ثم

---

(١) ورد البيت في «تأويل مشكل القرآن» ص٢٣٦، و«أمالي المرتضى» ١/ ٨٤، و«الصباحي» ص١٧٧، ولم ينسب لقائل.

(٢) [القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠، ٥١].

(٣) [المرسلات: ١٥، ١٩، ٢٤، ٢٨، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤٥، ٤٧، ٤٩].

(٤) قلت: كلام الجرجاني هذا توضيح وبيان لما قاله أهل المعاني، وشرحه ابن قتيبة. وانظر: «روح المعاني» ٢٧/ ٩٧.

(٥) عند تفسيره الآية (٢٦) من سورة الحجر. والصلصال من الطين ما لم يجعل خزفاً، سمي به لتصلصله. والصلصال الطين اليابس الذي لم تصبه النار، فإذا مسته النار فهو حينئذٍ فخار. «اللسان» ٢/ ٤٦٧ (صلل).

انتقل فصار كالحمأ المسنون، ثم انتقل فصار صلصالًا كالفخار[(١)]. فهذا كله أصله التراب وليس في شيء ينقض بعضه بعضا، قال أبو عبيدة: والفخار ما طبخ بالنار[(٢)]، وقال المبرد: الفخار الخزف، كأنه والله أعلم طين من يبسه كالخزف[(٣)].

١٥- قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ تفسير الجان قد سبق في سورة الحجر[(٤)]، قال أبو عبيدة: مارج من خلط[(٥)] من نار.

وقال الليث: المارج من النار: الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد[(٦)].

واختلف المفسرون في المارج فذكر الكلبي أنه نار لا دخان لها، منها تكون الصواعق[(٧)]، والأكثرون قالوا إنه الصافي من لهب النار، وهو قول ابن عباس ومقاتل وعكرمة ومجاهد، قالوا: إنه اللهب الذي يعلو النار فيختلط بعضه ببعض أحمر وأصفر وأخضر[(٨)].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٩٨.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٤٣.

(٣) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٢، و«فتح القدير» ٥/ ١٣٣.

(٤) عند تفسيره لآية (٢٧) من سورة الحجر. وجَنَّ الشي يجنه جناً ستره. وكل شيء ستر عنك فقد جن عنه، والجّانُّ: أبو الجن، خلق من نار ثم خلق منه نسله.
والجانُّ: الجنُّ. وهو اسم جمع كالجامل والباقر. انظر: «اللسان» ١/ ٥١٧ (جنن).

(٥) (ك): (خالص) وانظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٤٣.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» ١١/ ٧١، و«اللسان» ٣/ ٤٦١ (مرج).

(٧) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣١٥.

(٨) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٤، و«تفسير مقاتل» ١٣٥ أ، و«تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٣٢، و«جامع البيان» ٢٧/ ٧٤، و«الكشف والبيان» ١٢ / ٣٦ أ.

قال المبرد: المارج كل ما أرسل غير ممنوع[١]، وذكرنا الكلام في هذا الحرف عند قوله: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ في سورة الفرقان[٢] وقوله: ﴿فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ في سورة ق.

والمارج معناه في اللغة: المرسل والمختلط[٣]، وكلاهما يحسن في صفة لهب النار وهو فاعل بمعنى مفعول كقوله ﷻ ﴿مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦] و ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١، القارعة: ٧] والمعنى: ذو مرج[٤].

١٧- قوله تعالى ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ إجماع القراء على الرفع في رب المشرقين ، قال أبو عبيد[٥]: لولا إجماعهم على الرفع لكان الخفض أحب إلي على النعت للاسم قبله.

قال المبرد: الرفع على الاستئناف على قولك: هو رب المشرقين، وهو أحسن من البدل لأن أكثر الكلام إذا تكرر المنعوت الرفع على الابتداء كقوله: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ١، ٢] وكان ينبغي لأبي عبيد أن يعلم أن اجتماعهم على الرفع قد دل على اختياره.

قال المفسرون: يعني مشرق الصيف ومشرق الشتاء، وهما مشرقان، مشرق الأيام الطوال ومشرق الأيام القصار، وكذلك المغرب.

١٩- قوله تعالى ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ تفسير هذه الآية والتي بعدها قد

---

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٦١، و«فتح القدير» ٥/ ١٣٣.

(٢) عند تفسيره الآية (٥٣) من سورة الفرقان.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ١١/ ٧١، و«اللسان» ٣/ ٤٦١، (مرج).

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٦١.

(٥) في (ك): (أبو عبيدة) والصواب ما أثبته.

تقدم في سورة الفرقان[١].

والمعنى أن الله تعالى ذكر عظيم قدرته حيث خلى البحرين العذب والملح يلتقيان، أي: يلتقيين كما تقول: تركت زيدًا وعمرا يقتتلان- ثم لم يختلط أحدهما بالآخر، وهو قوله:

٢٠- ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ أي حاجز من قدرة الله تعالى، فلا يبغي الملح على العذب فيفسده ولا يبغي على الملح فيختلط به. والمعنى لا يطلبان أن يخرجا مما حد لهما، هذا قول مقاتل وأكثر المفسرين[٢].

وقال الحسن وقتادة: (برزخ) يعني الأرض التي بينهما وهي الحجاز ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ لا يطمان على الناس بالغرق[٣]، والقول هو الأول؛ لقوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ * وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾.

٢٢- قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ أكثر القراء[٤] (يُخْرَج) بضم الياء وفتح الراء من الإخراج، لأنه يخرج ولا يخرج بنفسه، ومن قرأ يَخرج فهو اتساع، وذلك أنه إذا أخرج خرج[٥].

---

(١) تقدم تخريجها.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٥ أ، و«جامع البيان» ٢٧/ ٧٥-٧٦، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٣٦ ب.

(٣) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٦٣، و«جامع البيان» ٢٧/ ٧٥، و«معالم التنزيل» ٤/ ١٦٩.

(٤) في (ك): (القراءة).

(٥) قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر، ويعقوب ﴿يُخْرَجُ﴾ بضم الياء وفتح الراء. وقرأ الباقون ﴿يَخْرُجُ﴾ بفتح الياء وضم الراء.
انظر: «حجة القراءات» ص٦٩١، و«الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٤٧، و«النشر» ٢/ ٣٨، و«الإتحاف» ص٤٥.

وقوله: (منهما) وإنما يخرج من أحد البحرين وهو الملح دون العذب، قال أبو عبيدة: العرب تجمع الجنسين ثم تخبر عن أحدهما كقوله تعالى ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ [الأنعام: ١٣] وإنما الرسل من الإنس، وتقول: أكلت خبزًا ولبنًا، وإنما يقع الأكل على الخبز[١]، وقال أبو إسحاق: إن الله تعالى قد ذكرهما وجمعهما فإذا أخرج من أحدهما فقد خرج منهما، ومثل ذلك قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا﴾ [نوح: ١٥، ١٦] والقمر في السماء الدنيا إلا أنه لما أجمل ذكر السبع كأن ما في إحداهن فيهن[٢].

وقال مقاتل: ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا﴾ أي من الماءين جميعًا العذب والملح[٣]، وهذا القول ذكره الأخفش فقال: زعم قوم أنه يخرج من العذب أيضًا[٤].

وقال أبو علي: هذا على حذف المضاف كما قلنا في قوله ﴿عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ﴾ [الزخرف: ٣١].

وأما تفسير اللؤلؤ والمرجان فقال الفراء: اللؤلؤ: العظام، والمرجان: ما صغر[٥]، وهو قول جميع أهل اللغة في المرجان أنه الصغار من اللؤلؤ.

قال الأزهري: ولا أدري أرباعي هو أم ثلاثي.

وقال أبو الهيثم: اختلفوا في المرجان، فقال بعضهم: هو صغار

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٤٤، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٣٦ ب، ونسبه لأهل المعاني والكلبي.

(٢) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٥ ب.

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٦٣، و«فتح القدير» ٥/ ١٣٤.

(٥) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ١١٥.

اللؤلؤ، وقال آخرون: هو الْبَسْتذ، وهو جوهر أحمر يقال إن الجن تطرحه في البحر[١]، وهو قول ابن مسعود في المرجان في هذه الآية، وعطاء الخراساني، قال عطاء عن ابن عباس: اللؤلؤ يريد الكبير، والمرجان الصغير، وهو قول الحسن وابن رزين[٢] وقتادة[٣]. وذكر مقاتل على الضد من هذا فقال: اللؤلؤ الصغار والمرجان العظام، وهو قول مجاهد، والسدي، ومرة، ورواية عكرمة عن ابن عباس[٤].

٢٤- قوله: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ﴾ يعني السفن، واحدتها جارية، كقوله ﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١].

﴿الْمُنشَآتُ﴾ قال أبو عبيدة: المرفوعات المجريات[٥]- ففسر المنشآت تفسيرين، أحدهما: المرفوعات، وهي التي رفع خشبها بعضها على بعض، وركب حتى ارتفعت وطالت وتمت، والمعنى أنشأ صنعتها وعليها[٦]، الثاني: أنشأ إجراءها.

والقراءة المعروفة فتح الشين، وقرأ حمزة بكسر الشين[٧]، والوجه الفتح؛ لأنها أنشئت وأجريت، أي: فعل بها الإنشاء ولم تفعل ذلك

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ١١/ ٧٢- ٧٣ (مرج).

(٢) كذا في (ك) وعلها (ابن زيد).

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣١٦، و«تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٦٣، و«جامع البيان» ٢٧/ ٧٧. ولم أجد من نسب قوله (إن الجن تطرحه في البحر) لأحد، وإنما ذكره الأزهري دون نسبة، ولعله لا يصح ولا يستقيم.

(٤) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٤١، و«تفسير مقاتل» ١٣٥ ب، و«جامع البيان» ٢٧/ ٧٦.

(٥) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٤٤.

(٦) كذا في (ك) ولم أتبين معناها.

(٧) قرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم ﴿المنشِأت﴾ بكسر الشين. وقرأ الباقون بفتحها. انظر: «حجة القراءات» ٦٩١-٦٩٢، و«النشر» ٢/ ٣٨١، و«الإتحاف» ص٤٦.

أنفسها، ووجه الكسر أن الفعل نسب إليها على الاتساع كما يقال: مات زيد، ومرض عمرو، ونحو ذلك، مما يضاف الفعل إليه إذا وجد فيه وهو في الحقيقة لغيره، فكأن المعنى المنشآت السير، فحذف المفعول للعلم به.

وإضافة السير إليها اتساع أيضًا، لأن سيرها إنما يكون في الحقيقة بهبوب الريح أو دفع الصواري(١).

قوله تعالى: ﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ أي: كالجبال، والعَلَم الجبل، قال الفراء: وكل جبل طال فهو علم(٢).

قال جرير:

إذا قطعنا علمًا بدا علم(٣)

وقالت الخنساء:

وإن صخرًا(٤) لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

قال مقاتل: شبه السفن في البحر كالجبال في البر(٥).

وقال عطاء عن ابن عباس: يريد أن قلوع السفينة إذا رفعت كانت

---

(١) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٤٨.

(٢) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ١١٥.

(٣) انظر: «ديوان جرير» ص٥٢، و«مجاز القرآن» ٢/ ٢٤٤، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١.

(٤) هو صخر بن عمرو السلمي، شاعر جاهلي، كان حليماً جواداً باراً بأخته الخنساء، أصيب بطعنة مات على أثرها.
انظر: «المعارف» ص٨٥، و«الأغاني» ١٥/ ٧٦، و«الإصابة» (في ترجمة الخنساء) ٧/ ٦١٤، و«جمهرة أنساب العرب» ص٢٦١، وبيت الخنساء في «ديوانها» ص٤٩، و«معنى اللبيب وشواهده» ص٥٦٦.

(٥) لم أجده.

كأنها الجبال، وقال الكلبي: شبهها بالجبال إذا رفع شروعها.(١)

وقال مجاهد: ما رفع قِلْعُه من السفن فهي منشأة، وما لم يرفع قِلْعُها فليست منشأة(٢)، واختار أبو عبيد فتح الشين وقال إن تفسيرها التي رُفِع قلعها(٣)، قال الزجاج: المنشآت المرفوعات الشُّرُع(٤)، وهذا القول تفسير ثالث للمنشآت سوى الذين ذكرناهما.

٢٦- قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ أي على الأرض، وقد سبق ذكرها في قوله ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾، والمعنى أن كل من دب ودرج على أرض من حيوان فهو (فانٍ) هالك، قال الكلبي ومقاتل: لما نزلت هذه الآية قالت الملائكة: هلك أهل الأرض، فلما نزل ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] أيقنت الملائكة بالهلاك(٥).

قال الشعبي: إذا قرأت ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ فلا تسكت حتى تقول: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾(٦).

وذكر أهل المعاني في الوجه ها هنا قولين: أحدهما: أن المعنى ويبقى ربك الظاهر بأدلته كظهور الإنسان بوجهه، فالوجه على هذا عبارة عن الظهور.

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣١٦.

(٢) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٤١، و«جامع البيان» ٢٧/ ٧٨.

(٣) انظر: «حجة القراءات» ص٦٩٢.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٥ ب، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٣٨ أ، عن ابن عباس، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٦٥، عن ابن عباس ومقاتل، و«شرح العقيدة الطحاوية» ٢/ ٦٢.

(٦) انظر: «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٧٢- ٢٧٣.

الثاني: ويبقى ربك وهو السيد المعظم، والوجه يذكر بمعنى الشيء المعظم كقولهم: هذا وجه القوم، ووجه التدبير، أي: التدبير المعظم[١]، ولا يجوز أن يكون الوجه هاهنا صلة لقوله (ذو) بالرفع وهو من صفة الوجه، ولو كان الوجه صلة لقيل ذي، ليكون صفة لقوله ربك، والجلال عظمة الله وكبرياؤه واستحقاقه صفات المدح بإحسانه وإنعامه، ويقال: جل الشيء، أي: عظم، وأجللته: أعظمته، والجلال اسم من جل، والجلال مصدر، قال الأصمعي: ولا يقال الجلال إلا لله تبارك وتعالى[٢].

قال أبو علي: قد جاء الجلال في غير الله سبحانه وأنشد:

فلا ذا جلالٍ هبنه لجلال ... ولا ذا ضياع هُنَّ يتركن للفقر[٣]

هذا كلامه.

ويجوز أن يكون البيت جاهليًّا، والأصمعي يقول: لا يقال ذلك بعد الإسلام، أي: لا يستحقه إلا الله سبحانه[٤].

---

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٦٥، و«فتح القدير» ٥/ ١٣٦.
قلت: المراد بالوجه عند أهل السنة والجماعة في هذه الآية وما يماثلها (الذات) أي: تبقى ذاته ﷻ. انظر: «مجموع الفتاوى» ٢/ ٤٣٤، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٩٧٣، و«روح المعاني» ٢٧/ ١٨.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٤٨٨، و«اللسان» ١/ ٤٨٧ (جلل).

(٣) البيت لهدبة بن خشرم العذري يصف المنايا وعمومها للخلق.
وقد ورد في «شواهد سيبويه» ١/ ٧٢، و«المفصل» ٢/ ٣٧، و«الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٥٤.

(٤) قلت: تفسير كلام الأصمعي بقول المؤلف: أي لا يستحقه إلا الله سبحانه هو الصواب إن شاء الله.
وأما البيت فهو لهدبة بن خشرم وهو شاعر إسلامي قتل ابن عمه زيادة بن زيد=

وللإكرام ها هنا معنيان. أحدهما: إكرام الله تعالى أنبياءه فهو مكرمهم بلطفه مع جلاله وعظمته. والآخر: إن الإكرام بمعنى الإعظام من العبد لله بعبادته والثناء عليه بإحسانه وإنعامه. والأول معنى قول الحسن: الذي يكرم أهل دينه وولايته[١]، ومعنى قول الكلبي: الكريم على خلقه في عفوه عنهم، والثاني معنى قول ابن عباس: الذي لا أكرم منه ولا أجل ولا أعظم[٢].

٢٩- قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ قال أبو صالح: يسأله من في السموات الرحمة، ويسأله من في الأرض المغفرة والرزق[٣].

وقال مقاتل وابن جريج: يسأله أهل الأرض الرزق والمغفرة، وتسأله الملائكة لهم أيضًا الرزق والمغفرة[٤] يدل على هذا قوله ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥].

والوقف على (الأرض) حسن، لأن قوله ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ كلام

= فأقيد به في أيام معاوية بن أبي سفيان، ويقال أنه أول من أقيد في الإسلام وعليه فلا محذور في إطلاق الجلال على المخلوق فلله تعالى الجلال المطلق الذي يليق به سبحانه وللمخلوق جلاله المناسب لحالته، والله تعالى أعلم.

(١) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٢١، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) وهو المروي عن ابن عباس أيضاً.
انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣١٧، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٣٨ ب، و«الوسيط» ٤/ ٢٢١، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٦٦.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٥ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧، و«البحر المحيط» ٨/ ١٩٣.

آخر من نعت عظمته[١].

وقال الأخفش: لا يحسن الوقف على (الأرض) لاتصال معنى الآية وذلك أنه أخبر في النصف الأول من الآية من سؤال الخلق إياه، والسؤال[٢] مختلف؛ لأن كل أحد يسأل ما يهمه، ثم أخبر في آخر الآية أنه في شأن من إعطاء سؤلهم، وقضاء حوائجهم، وكفاية أشغالهم على ما يرى التدبير في ذلك.

وكل يوم ينتصب بالظرف؛ لقوله ﴿فِي شَأْنٍ﴾ وقال يعقوب: انتصب ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾ بالسؤال، والمعنى: «سأله من في السموات والأرض كل يوم» وها هنا الوقف، ثم قال ﴿هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ أي ربنا في شأن على ما يذكر من تفسير ذلك الشأن، وهذا قول غير بعيد.

قال أبو جعفر النحاس: وقال يعقوب ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾ فهذا الوقف التام، ثم قال النحاس: أما قول يعقوب فمخالف لقول الذين شاهدوا التنزيل[٣].

والذي يوافق ما ذكره المفسرون أن يكون ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾ ظرفًا لقوله ﴿هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ لأنهم قالوا: من شأنه أن يحيي ويميت، ويرزق ويمنع، وينصر ويعز ويذل، ويفك عانيا ويشفي مريضا، ويجيب داعيًا ويعطي سائلًا، ويتوب على قوم، ويكشف كربًا، ويغفر ذنبًا، إلى ما لا يحصى من أفعاله وأحداثه في خلقه ما يشاء.

ذكر ذلك مجاهد، والكلبي، وعبيد بن عمير، وأبو ميسرة، وعطاء عن

---

(١) انظر: «القطع والائتناف» ص ٦٩٧- ٦٩٨، حيث قال: قال عيسى بن عمر: قال أبو حاتم: (يسأله من في السموات والأرض). تام، ثم قال جل وعز: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾.

(٢) في (ك): (وسؤال).

(٣) انظر: «القطع والائتناف» ص ٦٩٧- ٦٩٨.

ابن عباس(١)، ومقاتل، وذكر السبب في نزوله، فقال: إن اليهود قالوا: إن الله لا يقضي يوم السبت شيئًا فأنزل الله ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾(٢) ويؤكد ما ذكرنا ما روي عن عبد الله بن منيب(٣) أنه قال: تلا علينا رسول الله ﷺ هذه الآية فقلنا: «يا رسول الله: وما ذاك الشأن؟ قال: **يغفر ذنبًا ويفرج كربًا، ويرفع قومًا، ويضع آخرين**»(٤).

---

(١) لم أقف على هذه الرواية عن عطاء.
وانظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٤٢، و«جامع البيان» ٢٧/ ٧٨، و«العظمة» ٢/ ٤٧٩-٤٨٨، ونحو هذا روى أبو الدرداء عن النبي ﷺ قال الألباني بعد ذكره لطرق الحديث: حديث صحيح، ورجاله موثقون، وفي هشام كلام، لكنه توبع. انظر: «تخريج السنة» ١/ ١٣.
وذكر ابن كثير الرواية عن أبي ميسرة وعن غيره، ثم قال: دخل الكلام بعضهم في بعض وإسناد المؤلف -يعني أبا الشيخ- إلى أبي ميسرة صحيح. انظر: «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٧٣.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٥ ب، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٣٨ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧.

(٣) عبد الله بن منيب؛ ذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ٥/ ١٥٢، وذكره ابن حجر في «الإصابة» ٣/ ٣٧٤، ونقل عنه ابن السكن أنه قال: عبد الله والد منيب له صحبة.

(٤) أخرجه الطبراني، والبزار، وابن أبي حاتم، قال البزار: لا أعلم أسند عبد الله بن منيب إلا هذا الحديث. «تخريجات الكشاف» ٤/ ١٦٢.
وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، والبزار وفيه من لم أعرفهم. «مجمع الزوائد» ٧/ ١١٧.
واستشهد به الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ٨/ ٦٢٣، لحديث أبي الدرداء. وتعقبه الألباني بقوله: عمرو بن بكر السكسكي متروك كما في «التقريب» ٢/ ٦٦. قلت: فيتعجب منه كيف اعتبره شاهداً مع هذا الضعف الشديد. «ظلال الجنة في تخريج السنة» ١/ ١٣ فالحديث ضعيف جدًّا، لأن عمرو بن بكر متروك وفيه عدة مجاهيل. «العظة» بتحقيق المباركفوري ٢/ ٤٨٣.

ويزيده وضوحًا ما روى سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: إن مما خلق الله ﷻ لوحًا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء، قلمه نور وكتابه نور ينظر الله ﷻ فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة، يخلق ويرزق، ويحيي ويميت، ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء، ولا يشغله شأن عن شأن، فذلك قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[(١)].

ومعنى الشأن في اللغة: خطب له عِظَم، وجمعه شؤون.

قال أبو الجوزاء[(٢)] في هذه الآية: ولا يشغله شأن عن شأن[(٣)]،

---

(١) أخرجه الحاكم ٢/ ١١٩، وفي سنده أبو حمزة الثمالي، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، فإن أبا حمزة الثمالي لم ينقم عليه إلا الغلو في مذهبه فقط.
وأخرجه ابن جرير في «تفسيره» ٢٧/ ٧٩، وأبو الشيخ في «العظمة» ٢/ ٤٩٢، ٤٩٦، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٢/ ٢٦٤، ٤٢٦، موقوفاً على ابن عباس، كلهم عن أبي حمزة الثمالي، وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» بسنده برقم (١٢٥١١) وبرقم ٥.٦ موقوفاً على ابن عباس، ص ٢٩٣.
قال الألباني في تعليقه على الطحاوية: (إسناده يحتمل التحسين، فإن رجاله كلهم ثقات غير بكير بن شهاب، وهو الكوفي، قال فيه أبو حاتم: شيخ، وذكره ابن حبان في «الثقات» ٢/ ٣٢، وفي كتاب «العظمة» قال محققه بعد ذكره لطرق الحديث: وإذا ضم إلى هذا الطريق- أي طريق أبي الشيخ- الطرق التي أوردناها وفيها ما يحتمل التحسين يرتفع عنه الضعف ويصل درجة الحسن، و«العظمة»٢/ ٤٩٤.
وفي موقع آخر قال: ولكن للحديث طريق أخرى تجعل إسناده حسناً موقوفاً من كلام ابن عباس ٢/ ٤٩٧ وقال شعيب الأرناؤوط في تعليقاته على «الطحاوية» ٢/ ٣٤٤، بعد ذكره لتخريج الطبراني له: وسنده حسن. وانظر: «مجمع الزوائد» ٧/ ١٩١.

(٢) في (ك): (الجزاء) وانظر: «الدر المنثور» ٦/ ١٤٣- ١٤٤، ونسب إخراجه إلى عبد بن حميد

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ١١/ ٤١٥، و«اللسان» ٢/ ٢٥٨ (شأن).

هاهنا[١] واحد والمراد به الجمع كقوله ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: ٦٧] وإن شئت قلت: إن ما يحدثه الله تعالى كل يوم في خلقه شأن واحد، ولا تنافي بين هذه الآية وبين ما في الأخبار من سبق القضاء بالأمور، وذلك أن القضاء قد سبق قبل خلق الأجسام، والذي يحدثه الله كل يوم هو إيجاد ما سبق به القضاء، وهذا معنى ما قال الحسين بن الفضل: هو سوق المقادير إلى المواقيت[٢].

ولما ذكر أنه كل يوم هو في شأن ذكر فراغه من ذلك بمعنى تركه فعله فقال:

٣١- ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ قال أبو عبيدة: سنحاسبكم، سنجمعكم ولم يشغله شيء تبارك وتعالى[٣]، فذكر أبو عبيدة في تفسير الفراغ المحاسبة والجمع؛ لأن المعنى سنترك ذلك الشأن إلى هذا، وإنما حسن لفظ الفراغ لسبق ذكر الشأن، هذا وجه في معنى الفراغ في صفة الله تعالى، وهذا معنى قول الكلبي: سنحاسبكم[٤].

قال الفراء: وهذا من الله وعيد؛ لأنه لا يشغله شيء عن شيء، وأنت قائل للرجل الذي لا شغل له: قد فرغت لي، قد فرغت لشتمي، أي: أخذت فيه وأقبلت عليه، هذا كلامه[٥]، ومعناه أنه وعيد بالمحاسبة

---

(١) كذا في (ك) وظاهر العبارة يدل على سقط لعل استقامتها: ولفظه ها هنا واحد. وانظر: «الجامع لأحكام القرآن» ٧/ ١٦٧.

(٢) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٣٩ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٧٦، ونسبه للكلبي.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٤٤، وفيه (سنحاسبكم، لم يشغله) ولم يذكر الجمع.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣١٧.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١١٦.

والمجازاة. سيأخذ في ذلك. وهذا قريب من قول أبي عبيدة.

وقال أبو إسحاق: الفراغ في اللغة على ضربين: أحدهما: الفراغ من الشغل، والآخر: القصد للشيء، تقول: سأتفرغ لفلان، أي سأجعل قصدي إليه، ومعنى ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ سنقصد لحسابكم[1]، وهذا قول ابن الأعرابي في الآية[2]، واختيار أبي علي، قال: وليس الفراغ ها هنا فراغًا من شغل، ولكن تأويله القصد، كما قال جرير:

الآن فَقَد فرغت إلى نمير فهذا حينَ صِرتُ لهم عَذَابا[3]

وقال بعض أهل المعاني: ومعنى الآية: سنعمد عمد من يتفرغ للعمل لتجويده من غير تضجيع، وهذا من أبلغ الوعيد وأشده.

وقال ابن قتيبة: الفراغ يكون من الناس بعد شغل، ثم قد ينتقل فيصير في معنى القصد للشيء، وذلك أنه إنما يقصد الشيء إذا فرغ مما يقطعه فيسمى القصد إلى الشيء فراغًا له كما كان يحصل عن فراغ من موانعه، والله تعالى لا يشغله شأن عن شأن فقوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ أي سنقصد لكم بعد طول الترك والإمهال، وهذا معنى قول قتادة في هذه الآية: قد دنا من الله فراغ لخلقه[4]، أي: قصد لمحاسبتهم، يريد أن الساعة قد أزفت.

وأما التفسير فأكثر المفسرين ذهبوا في تفسير هذا اللفظ إلى أنه وعيد

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ٩٩.

(٢) في (ك) من قوله: (وهذا قريب) إلى هنا مكرر. وانظر: «تهذيب اللغة» ٨/ ١١١ (فرغ).

(٣) ليس البيت في «ديوان جرير». وانظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٤٩، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٦٨، و«اللسان» ١/ ١٤٦ (أين).

(٤) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٦٤، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٧٣.

وتهديد، وهو قول مقاتل والضحاك، وابن عباس في رواية عطاء، قال: هذا تهديد منه لعباده(١).

وذهب قوم إلى أن المعنى سنوفر عليكم ما وعدناكم من الحساب والجزاء بالثواب والعقاب وننجزه لكم، وهذا قول الحسن، وابن زيد، وابن كيسان(٢).

ويقال: فَرَّغَ يَفْرَغُ ويَفْرُغُ وفَرِغَ يَفْرَغُ. كل ذلك مروي عن أهل اللغة(٣).

وقراءة العامة (سنفرغ) بالنون. وقرئ بالياء على الغيبة(٤) لتقدم قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ﴾ وقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾.

وقوله: ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ يريد الجن والإنس في قول الجميع.

قال أهل المعاني: وإنما وصف الجنس والإنس بأنهما ثقلان لعظم شأنهما بالإضافة إلى ما في الأرض من غيرهما، فهما أثقل وزنًا لعظم الشأن بالعقل والتمكين والتكليف لأداء الواجب في الحقوق(٥).

وقال أبو العباس أحمد بن يحيى: العرب تقول لكل شيء نفيس مصون: ثَقَل، وأصله من بيض النعام المصون، قال ثعلبة بن صُعير

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٥ ب، و«جامع البيان» ٢٧/ ٧٩، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧.

(٢) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٤٠أ، ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧١، و«فتح القدير» ٥/ ١٣٦.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ٨/ ١٩، و«اللسان» ٢/ ١٨٤ (فرغ).

(٤) (ك): من قوله (وقراءة العامة) إلى هنا مكرر. وقرأ حمزة، والنسائي، وخلف ﴿سيفرغ﴾ بفتح الياء وضم الراء. وقرأ الباقون ﴿سَنَفْرُغُ﴾ بالنون. انظر: «حجة القراءات» ٦٩٢، و«الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٤٨- ٢٤٩، و«النشر» ٢/ ٣٨١، و«الإتحاف» ص٤٦.

(٥) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٧١، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٦٩.

المازني[١] يذكر الظليم والنعامة:

فتذكَّرا ثقلًا رَثيدا بَعْدَما ... أَلْقَتْ ذُكاءُ يمنيها في كافِرِ[٢]

ويقال للسيد العزيز: ثقل من هذا، وسمى الله ﷻ الجن والإنس الثقلين لتفضيله إياهما على سائر الحيوان المخلوق في الأرض بالتمييز والعقل اللذين خُصا به، ولهذا سمى النبي ﷺ كتاب الله وعترته[٣] الثقلين فقال: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي»[٤] لفضلهما وشرفهما، وقال غيره: إنما سميا ثقلين لثقلهما على الأرض أحياء وأمواتًا، وقد سمى الله تعالى الأموات أثقالا في قوله: ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ [الزلزلة: ٢]

---

(١) هو ثعلبة بن صغير المازني: شاعر جاهلي، وقد وقع خلط في وقت مبكر بينه والصحابي ثعلبة بن أبي صغير بن عمرو من بني عُذْرَة. انظر: «الشعر والشعراء» ص ٢٨٥، و«الأمالي» ٢/ ١٤٥، و«معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين» ص ٥٨، و«الإصابة» ١/ ٤٠٦، و«الأعلام» ٢/ ٨٣.

(٢) ورد البيت منسوباً في «المحتسب» ٢/ ٢٣٤، و«المفضليات» ص ٢٥٧، و«تهذيب اللغة» ٩/ ٧٨ (ثقل)، و«اللسان» ١/ ٣٦٦ (ثقل)، وأماكن أخرى من الكتاب وهي المذكورة لاحقاً.

والظليم: الذكرُ من النعام، والجمع أظلمةٌ وظُلمان وظِلمانُ، اللسان ٢/ ٦٥٢ (ظلم). والرثد: بالتحريك متاع البيت، و«اللسان» ١/ ١١٢٢ (رثد). وذُكاءُ (بالضم): اسم الشمس معرفة لا ينصرف ولا تدخلها الألف واللام، و«اللسان» ١/ ١٠٧٣ (ذكا). والكافر هنا هو المغيب، ويحتمل أن يكون أراد الليل، «اللسان» ٣/ ٢٧٤ (كفر).

(٣) عترته في تحديدها خلاف، والمشهور المعروف أنهم أهل بيته، وهم الذين حرمت عليهم الزكاة والصدقة المفروضة، وهم ذوو القربى الذين لهم خمس الخمس المذكور في سورة الأنفال. «اللسان» ٢/ ٦٧٧ (عتر).

(٤) رواه الترمذي في «سننه»، باب مناقب آل البيت، وقال: هذا حديث حسن غريب.

يعني موتاها، ومنه قول الخنساء:

أبعد ابن عمرو من آل الشريد حلت به الأرض أثقالها[١]

أي موتاها أي جعلته الأرض حلية أمواتها لفضله وشرفه[٢].

وروي عن الصادق أنه قال: سُميا ثقلين لأنهما مثقلان بالذنوب[٣]. ويدل على أن المراد بالثقلين الجن والإنس أن الله تعالى خاطبهما بعد هذا فقال:

٣٣- ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ ولم يقل إن استطعتما؛ لأنهما إذا جمعا جمع[٤] واحد كما قال ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟﴾ [الحج: ١٩] وكقوله ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [النحل: ٤٥] ولو قيل: إن استطعتم كان صوابًا كما قال ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾ ذكر ذلك الفراء والكسائي[٥].

قوله ﴿أَن تَنفُذُوا۟﴾ يقال: نفذ الشيء من الشيء إذا خلص منه كالسهم ينفذ من الرمية نفوذا أو نفاذا، ونفذ من الشيء خرج منه، والنفذ المخرج، يقال: لهذا الطريق نفذ إلى مكان كذا، أي: مخرج، والنفاذ: الجواز، وهذا يستعمل بالباء يقال: نفذ بالشيء كما يقال: مر بالشيء[٦].

---

(١) انظر: «ديوان الخنساء» ص ١٢٠، و«الخصائص» ٣/ ١٧٢، و«الأغاني» ٣/ ١٣١، و«اللسان» ٢/ ٢٩٦ (شرد) وبنو الشَّريج بطن من سُلَيْم.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» ٩/ ٣٨، و«اللسان» ١/ ٣٦٦ (ثقل).

(٣) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٤٠/ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٣١، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٦٩، و«فتح القدير» ٥/ ١٣٧.

(٤) ظاهر العبارة غير مستقيم، وفي «الكشف والبيان» ١٢/ ٤٠/ب (ولم يقل إن استطعتما لأنهما فريقان في حال الجمع).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١١٦، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٦٩.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» ١٤/ ٤٣٦، و«اللسان» ٣/ ٦٨٦، و«المفردات» ص ٥٠٠ (نفذ).

قوله: ﴿مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي من جوانبها ونواحيها. واحدها قطر وقتر[١].

وفي تفسير هذه الآية قولان، أحدهما: أن المعنى: إن استطعتم أن تهربوا من الموت بأن تخرجوا من أقطار السموات والأرض فاهربوا واخرجوا منها، والمعنى أنكم حيث ما كنتم أدرككم الموت، كما قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [النساء: ٧٨] ولن تستطيعوا أن تهربوا منه بالخروج من أقطار السموات والأرض، وهذا قول ابن مسعود ومقاتل، قال: إن استطعتم أن تنفذوا من أطراف السموات والأرض هرابًا من الموت فانفذوا ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ يقول: إلا بملكي حيث توجهتم فثم ملكي وأنا آخذكم بالموت[٢]، وهذا إخبار عن عجزهم عن النفوذ من الأقطار، وأنهم في قبضة الجبار الذي لا يفوته مطلوب أين ما كان.

ومعنى (السلطان) القوة التي يتسلط بها على الأمر، ثم الملك والقدرة والحجة كلها سلطان، يدل على أنه واحد.

القول الثاني: أن الله تعالى يأمر الملائكة يوم القيامة فتحف بأطراف السموات والأرض فيكونون على أطرافها وتحضر جهنم فيسمع الجن والإنس زفيرها فيندون فيقال لهم: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ الآية، فلا يستطيع شيطان ولا إنس ولا جن يخرج من أقطارها، والمعنى أن تنفذوا

---

(١) أقطارها: نواحيها، واحدها قطر، وكذلك أقتارها، واحدها قُتْرٌ. «اللسان» ٣/ ١١٤ (قطر).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٦أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧١، وأورده الطبري في «تفسيره» ٢٧/ ٨٠، وغيره عن الضحاك.

من أقطارها هاربين من العقاب، فانفذوا، وهذا أمر تعجيز على القولين، والقول الثاني هو قول الكلبي والضحاك[١]، ويدل على صحته قوله: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾ في الخبر: «يحاط على الخلق بالملائكة وبلسان من نار ثم ينادون: يا معشر الجن والإنس إن استطعتم، وذلك قوله تعالى:

٣٥- ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾»[٢].

قال أبو عبيدة: الشواظ النار التي تأجج لا دخان فيها، وأنشد لرؤبة فقال:

إن لهم من وقعنا أقياظا نارَ حرب تُشعر الشواظا[٣]

وأنشد أيضاً لحسان:

هجرتك فاختضعت بذل نفسي بقافية تأجج كالشواظ[٤]

قال الليث: وهو قول جميع أهل اللغة: الشواظ اللهب الذي لا دخان معه.

قال ابن شميل: ويقال لحر النار شواظ، يقال: أصابني شواظ من

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣١٧، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧١.

(٢) كذا أورده الثعلبي بدون سند، انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٤١أ.

(٣) لم أجد البيت في «ديوانه»، وانظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٤٤، و«جامع البيان» ٢٧/ ٨١، و«اللسان» ٢/ ٣٨٢، (شوظ) وأقياظ جمع: قيظ، وهو حميم الصيف، وهو من طلوع النجم إلى طلوع سهيل، والمراد بالنجم هنا الثريا. «اللسان» ٣/ ٢٠٢، (قيظ).

(٤) انظر: «ديوان حسان» ١/ ١٩٣، وروايته:

مُجَلَّلَةٌ تُغَمّمكمْ سناراً مضرمةً تأجج كالشواظ

وفي «سيرة ابن هشام» ١/ ٣٨٢ بدل قول المؤلف (هجرتك) قال (همزتك).

الشمس[١] إذا أصابك حرها ولم يصبك الضح[٢].

وقرأ ابن كثير (وشِواظ) بكسر الشين، وهي قراءة الحسن[٣].

قال الفراء والمبرد: وهما لغتان، كما قالوا لجماعة البقر صُوار وصِوار[٤].

قال أبو الحسن: وأهل مكة يكسرون الشواظ[٥]، قال ابن عباس: يريد اللهب الذي لا دخان فيه، وهو قول المفسرين[٦]، وقال مجاهد: هو اللهب الأخضر المنقطع من النار[٧].

وقوله ﴿وَنُحَاسٌ﴾ قال أبو عبيدة: النحاس الدخان وأنشد للجعدي:

يضيئ كضوء سراج السَّليط   لم يجعل الله فيه نحاسا[٨]

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ١١/ ٣٩٩، و«اللسان» ٢/ ٣٨٢ (شوظ).

(٢) كذا في (ك)، ولعلها (الفيح) وهو سطوع الحر وهيجانه.

(٣) قرأ الجمهور ﴿شُوَاظٌ﴾ بضم الشين، وقرأ ابن كثير والحسن، وابن محيصن، والأعمش بكسر الشين.

انظر: «حجة القراءات» ص٦٩٢، و«النشر» ٢/ ٣٨١، و«الإتحاف» ص٤٠٦.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١١٧، و«اللسان» ٢/ ٣٨٢ (شوظ)، ٢/ ٤٩٢ (حور).

(٥) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٤٩.

(٦) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣١٨، و«الكشف والبيان» ٤١ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧١، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٧١.

(٧) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٨١، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٧٤.

(٨) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٤٤.

والبيت في «ديوان النابغة» ص ٧٥، و«شواهد الكشاف» ص ١٥٧، و«اللسان» ٣/ ٥٩٦ (نحس).

والسَّلِيطُ عند عامة العرب الزيت، وعند أهل اليمن دُهْنُ السمسم. ورجح ابن منظور أنه الزيت.

انظر: «اللسان» ٢/ ١٨٢ (سلط).

وقال الليث: النحاس الدخان الذي لا لهب له. وهو قول عطاء، والكلبي، وسعيد بن جبير، والوالبي عن ابن عباس[(١)].

وقال مجاهد، وقتادة: النحاس الصفر المذاب يصب على رؤوسهم.[(٢)]

قال مقاتل: يعني الصفر الذائب، وهي خمسة أنهار تجري من تحت العرش على رؤوس أهل النار، ثلاثة أنهار على مقدار الليل، ونهران على مقدار النهار[(٣)]، وهذا القول في النحاس هو رواية عطية عن ابن عباس، وهو قول ابن مسعود. قال: النحاس المهل، ونحو ذلك قال الربيع: هو القطر[(٤)].

وأكثر القراءة الرفع في قوله ﴿نحاس﴾ بالعطف على قوله (شواظ) والمعنى: يرسل عليكما شواظ ويرسل نحاس، أي: يرسل هذا مرة وهذا مرة.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (ونحاسٍ) كسرًا[(٥)]. وهو ضعيف، لأن معنى الشواظ اللهب الذي لا دخان فيه على ما ذكره أهل اللغة، والمفسرون فكيف يكون شواظ من نحاس، وإن جعلنا النحاس الصفر المذاب فهو

---

(١) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٨١، وهو اختياره، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٤١ ب، و«الوسيط» ٤/ ٢٢٣، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٧٤.

(٢) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٨٢، عن مجاهد وقتادة وسفيان، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٤١ ب، وزاد نسبته لقتادة، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٢.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٦ أ، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٤١ ب.

(٤) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٤٩ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٢، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٧٢.

(٥) قرأ الجمهور «ونحاسٌ» بالرفع، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وروح «ونحاسٍ». انظر: «النشر» ٢/ ٣٨١، و«الإتحاف» ص٤٠٦.

أبعد[١].

قال أبو علي: وهو يجوز من وجه على أن تقدره يرسل عليكما شواظ من نار وشيء من نحاس، يحذف الموصوف ويقيم الصفة مقامه، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾ [الروم: ٢٤] و﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ [النساء: ٤٦] ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ [التوبة: ١٠] وحذف الموصوف من هذا كله، كذلك في الآية، وقد جاء في الشعر:

وما راعنا إلا يَسيرُ بشرطةٍ   وعهدي به قينا يفش بكير[٢]

فإذا قدرت هذا التقدير كان الموصوف محذوفًا، والجار أيضًا يكون محذوفًا، لأن التقدير: وشيء من شواظ، وحذف من؛ لأن ذكره قد تقدم في قوله (من نار) فحسن ذلك حذفها، كما حسن حذف الجار من قولهم:

على من تَنْزِلُ أنْزِلْ

وكما أنشد أبو زيد:

فأصبح من أسماء قيسٌ كقابض   على الماء لا يدري بما هو قابض[٣]

أي: بما هو قابض عليه، فيكون انجرار ﴿نحاس﴾ على هذا بمن المضمرة لا بالإشراك في من التي جَرّت في قوله ﴿من نار﴾ وإذا كان كذلك

---

(١) انظر: «حجة القراءات» ص٦٩٣.

(٢) البيت لمعاوية الأسدي كما في «الخصائص» ٢/ ٤٣٤، و«شرح المفصل» ٤/ ٢٧، و«التصريح بمضمون التوضيح» ١/ ٢٦٨، و«شرح شواهد الألفية» للعيني ٤/ ٤٠٠.
وفش الكير هو نفخه، والكير هو زق أو جلد غليظ ذو حافات.
انظر: «اللسان» ٢/ ١٠٩٧ (فشش)، ٣/ ٣٢١ (كير).

(٣) البيت للعجاج. انظر: «ديوانه» ١/ ١٢.

لم يكن الشواظ الذي هو اللهب قسطًا من الدخان على أن أبا الحسن قد حكى عن بعضهم أنه قال: لا يكون الشواظ إلا من النار والدخان جميعًا، ونحو ذلك حكي عن أبي عمرو، وعلى هذا فالجر متجه وليس بممتنع[١].

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ قال ابن عباس: يريد لا ناصر لكم من الله تعالى، وقال مقاتل[٢]: فلا تمتنعان من ذلك[٣].

٣٧- وقوله ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ قال أبو عبيدة: لونها كلون الورد[٤].

وقال الفراء: أراد بالوردة الفرس الورد، يكون في الربيع وردة إلى الصفرة فإذا استد البرد كانت حمراء، فإذا كان بعد ذلك كانت وردة إلى الغُبرة[٥]. قال ابن دريد: الوردة شقرة تعلوها صفرة، يقال: فرس ورد، والجمع وارد، وسمي الذي يسمى وردًا لحمرته، قال أبو القاسم الزجاجي: أصل الواو والراء مع الدال على هذا النظام موضوع في كلامهم للمجيء والإتيان، يقال: وردت أرد ورودًا، ووردت الماشية الماء ترد. ثم

---

(١) من قوله: (قال أبو علي) إلى هنا كلام أبي علي رحمه الله.
وانظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٥٠- ٢٥٢.
قلت: وما قاله أبو علي كلام حسن، وفيه رد على من ضعف قراءة ابن كثير وأبي عمرو -رحمهما الله- وبيان لوجهها من الناحية اللغوية، وإذا صحت القراءة عن رسول الله ﷺ كما هنا فلن تعدم من يحتج لها من أهل العربية ولعل القصور في قواعد اللغة وليس في القراءة. والله أعلم.

(٢) في (ك): (مقاتلا).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٦ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٢.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٤٥.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١١٧.

من الناس من يقول إن العرب تسمي الأسد الورد لجرأته وتورده على فريسته، ومنه قول طرفة:

كسيد الغضا نبهته المتورد

هو المتقدم على فرسته الذي لا يدفعه شيء، ثم شبه لون هذا المتورد بلون الأسد لأن الغالب عليه الشقرة فسمي وردًا، هذا قول ابن درستويه النحوي[١]، وليس بمرتضى؛ لأنهم سموا الفرس الذي هو بين الكميت الأحمر وبين الأشقر ويضرب إلى الصفرة وردًا، والكلام على هذا من طريق التحقيق أن الورد عند العرب من الألوان لون أبيض ورد عليه لون الحمرة والصفرة، هذا قول أبي إسحاق الزجاج[٢]، يقال: وردت المرأة خدها إذا أوردت عليه لونًا غير اللون الأصلي، قال: ونظير ذلك أنهم يسمون الظليم[٣] أخرج، والنعامة خرجاء إذا كان لونها يجمع السواد والبياض كأن لونًا خرج إلى لون آخر، ورماد أخرج وبرمة خرجاء فيها حجارة سود وبيض، وهذا استعمل فيه معنى الخروج من شيء إلى شيء كما استعمل في الأول معنى الورود.

قوله: ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾ قال أبو عبيدة: جماعة دُهْن، وهو قول الفراء والمبرد والزجاج[٤].

وفي تفسير الآية قولان، أحدهما: وهو الذي عليه الأكثر أنه شبه

---

(١) هو عبد الله بن جعفر بن درستويه الفارسي.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٠١.

(٣) الظليم هو ذكر النعام، وقد تقدم.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١١٧، و«مجاز القرآن» ٢/ ٤٣٩، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٠١.

السماء في تلونها واختلاف ألوانها بالوردة، وهي الفرس التي تتلون ألوانًا، قال الكلبي: تتلون كما تتلون الفرس الورد[١].

وقال الحسن: تلون ألوانًا[٢]، ثم شبه هذا الفرس الذي يتلون بالدهان بقوله ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾ قال الفراء: شبه تلون السماء بتلون الوردة من الخيل، وشبه الوردة في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه[٣]، وهذا قول الضحاك ومجاهد وقتادة والربيع وأبي العالية وأكثر أهل التفسير[٤]، واختلاف[٥] الفراء والزجاج واحتج بقوله ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ [المعارج: ٥] أي كالزيت الذي قد أغلي، وذكر مقاتل السبب في تلون السماء. قال يعني فصارت من الخوف وردة[٦].

قال أبو إسحاق: تتلون من الفزع الأكبر كما يتلون الدهان[٧]، وعلى هذا يجب أن يكون الله تعالى ركب فيها عقلًا حتى يصح خوفها.

القول الثاني: أن المراد بالوردة ها هنا الحمرة والعرب تقول: عشية وردة إذا احمر أفقها عند غروب الشمس. وذلك علامة الجدب، ومنه قول زهير:

---

(١) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٨٢، عن ابن عباس، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٢، وفي «الكشف والبيان» ١٢/ ٤٢ أ قال: كالأديم الأحمر.

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٧٣، و«فتح القدير» ٥/ ١٣٨.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١١٧.

(٤) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٤٢، و«جامع البيان» ٢٧/ ٨٢، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٤٢ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٢.

(٥) كذا في (ك)، ولم يظهر لي معناها.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٦ أ.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٠١.

عَـلَـونَ بـأنـمـاطٍ عِـتَـاقٍ وَكـلَّـةٍ وِرادٍ حَوَاشيها مُشاكِهَةِ الدَّم[١]

شبه حمرة حواشيها بالدم، والدهان بالأديم الأحمر الصرف، ذكر ذلك أبو عبيدة والفراء وابن الأعرابي[٢].

ومعنى الآية أن الله تعالى أخبر أن السماء تحمر حتى تصير كالأديم الأحمر، وهذا القول اختيار قطرب وابن الأعرابي.

وذكر بعض أهل المعاني قولًا آخر، فقال: إن السماء تذوب يوم القيامة من حر نار جهنم فتصير حمراء ذائبة كالدهن وعلى هذا وقع التشبيه بالدهن في الذوبان والسيلان[٣].

٣٩- وقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ﴾ الآية، يعني: لا يسأل ليعرف ذلك بالمسألة، وليعرف المذنب من غيره، فلا يسأل سؤال استفهام ولكن يسألون سؤال تقريع وتوبيخ، وهذا معنى قول مقاتل: لا يسأل لأن الله قد أحصى عمله[٤]، ومعنى قول الحسن قد حفظ الله عليهم أعمالهم، وهو قول قتادة، ورواية العوفي عن ابن عباس، قالوا: لا يسألون ليعرف ذلك من جهتهم، لأن الملائكة قد كتبت عليهم أعمالهم، ولا يسألون هل عملتم

---

(١) من معلقة زهير بن أبي سلمى. انظر: «ديوانه»، و«شرح المعلقات» للزوزني ص٦.
والمعنى: أنه وصف الثياب الملقاة على الهودج بأنها حمر الحواشي، يشبه الوانها الدم في شجة الحمرة

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١١٧، و«تفسير غريب القرآن» ص٤٣٩، و«اللسان» ٣/ ٩٠٨ (ورد).

(٣) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٤٢،أ، ونسبه لابن جريج، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٧٣.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٦ أ.

كذا ؟ ولكن يسألون لم عملتم كذا[١].

وقال مجاهد: لا يسألون ليعرف المجرمون فإنهم يعرفون بسيماهم[٢]، دليله قوله: ﴿يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ الآية.

وقال عكرمة: إنها مواقف يسأل في بعضها ولا يسأل في بعضها[٣].

وقال الكلبي: هذا الفراغ من الحساب[٤]، واختار ابن قتيبة هذا القول وشرحه فقال: إن يوم القيامة كما قال الله ﷻ ﴿مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [المعارج: ٤] ففي هذا اليوم يسألون، وفيه لا يسألون، لأنهم حين يعرضون يوقفون على الذنوب ويحاسبون فإذا انتهت المسألة وخبت الحجة انشقت السماء فكانت وردة كالدهان وانقطع الكلام، وذهب الخصام، واسودت وجوه قوم وابيضت وجوه آخرين، وعرف الفريقان بسيماهم.

وقد حصل في هذا أربعة أقوال:

أحدها: لا يسألون سؤال استفهام عن ذنوبهم، وهو اختيار الزجاج[٥].

والثاني: لا يسألون ليعفروا بذنوبهم وهو اختيار الفراء[٦].

والآخر: لا يسألون في بعض المواقف.

والرابع: لا يسألون بعد الفراغ من الحساب.

---

(١) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٦٥، و«جامع البيان» ٢٧/ ٨٣، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٤٢ أ- ب.

(٢) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٨٣، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٧٤.

(٣) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٤٢ ب، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٧٥.

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٧٤، و«فتح القدير» ٥/ ١٣٨.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٠١.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١١٧.

قوله تعالى: ﴿إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾، قال مقاتل: يقول إنسي ولا جني[(١)].

والجان ها هنا واحد الجن، قال ثعلب، عن عمرو، عن أبيه: الجان من الجن وجمعه جنان[(٢)]، ويدل على صحة قول مجاهد في هذه الآية.

٤١- قوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ قال جماعة المفسرين: يعرف بسواد الوجوه وزرقة الأعين[(٣)]، ودليل ذلك قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] وقوله: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢].

قال عطاء عن ابن عباس في تفسير المجرمين في هذه الآية: يريد أبا جهل والأسود والوليد والنضر.

قوله تعالى ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ قال الكلبي: تأخذهم الملائكة وهم على الصراط بنواصيهم فيصرعونهم في النار[(٤)].

وروى الأعمش عن رجل عن ابن عباس قال يؤخذ بناصيته وقدميه فيكسر كما يكسر الحطب ويطرح في التنور[(٥)].

وقال أبو إسحاق نجعل الأقدام مضمومة إلى النواصي من خلف ويلقون في النار وذلك أشد لعذابهم والتشويه بهم[(٦)]، ويقال لهم:

٤٣- ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ قال الكلبي: تقول الملائكة

---

(١) انظر: «روح المعاني» ٢٧/ ١١٤، وليس في تفسير مقاتل.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» ١٠/ ٤٩٣، و«اللسان» ١/ ٥١٦ (جنن).

(٣) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٦٥، و«جامع البيان» ٢٧/ ٨٣.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٢٠، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٣.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في «البعث والنشور»، و«الدر» ٦/ ١٤٥، وفي «تفسير ابن كثير» ٤/ ٢٧٥، عن الأعمش عن ابن عباس وذكره.

(٦) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٠١-١٠٢.

لهم: هذه جهنم التي كنتم تكذبون بها أنها لا تكون[١].

ثم أخبر عن حالهم فيها فقال:

٤٤- ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ قال أبو عبيدة: (آن) بلغ إناه في شدة الحر وكل مدركٍ آن[٢].

وقال الفراء: هو الذي قد انتهى شدة حره[٣].

قال الزجاج: أني يأني فهو آنٍ إذا انتهىٰ في النضج والحرارة[٤].

قال عطاء: يريد قد انتهى غليانه كقوله ﴿مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ [الغاشية: ٥] يريد حارة[٥]، وقال الحسن: قد بلغ منتهى حره، وهذا قول الجماعة[٦].

ومعنى الآية أنهم يسعون بين عذاب الجحيم وبين الحميم فإذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم الآني الذي قد صار كالمهل، وهو قوله: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟﴾ [الكهف: ٢٩] الآية، نستجير بالله برحمته منهما[٧].

قال أهل المعاني[٨]: وكل ما ذكر من قوله ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ إلى هنا مواعظ ومزاجر وتهدد ووعيد وزجر وتخويف وهي كلها نعمة من الله تعالى بالانزجار

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٢٥، و«الوسيط» ٤/ ٢٢٥.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٤٥.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١١٨.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٠٢.

(٥) لم أجده عن عطاء، وعن ابن عباس قال: يقول: غلي حتى انتهى غليه، ومثله عن الضحاك.
انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٨٤.

(٦) قال ابن كثير: وكذا قال مجاهد، وسعيد بن جبير، والضحاك، والحسن، والثوري، والسدي.
انظر: «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٧٦

(٧) في (ك): (قوله تعالى) زيادة لا فائدة منها.

(٨) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٢٥، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ١٢١.

به عن المعاصي ولذلك ختم كل آية بقوله ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .

٤٦- ثم أعلم عز وجل ما لمن اتقاه وخافه، قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ وقد ذكرنا أن المقام يجوز أن يكون مصدرًا وموضعًا عند قوله ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ [مريم: ٧٣] وها هنا أيضا يجوز المعنيان[١] فإن جعلته موضعًا كان المعنى مقامه بين يدي ربه للحساب، أي: المقام الذي يوقفه فيه ربه وإن جعلته مصدرًا جاز فيه وجهان، أحدهما:

قيامه لربه يدل عليه قوله ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]، والآخر: قيام ربه عليه أي إشرافه واطلاعه عليه بالعلم، ويدل عليه قوله ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾ [الرعد: ٣٣] الآية.

والمفسرون على القول الأول في المقام، قال ابن عباس: يريد مقامه بين يدي ربه، خاف ذلك المقام فترك المعصية والشهوة[٢]

وقال مجاهد: إذا هم بمعصية فذكر مقام الله عليه في الدنيا فتركها[٣]. وعلى هذا المقام مصدر .

قوله تعالى: ﴿جَنَّتَانِ﴾ كلام بعض المفسرين يدل على أن كل من ترك المعصية خوفًا من الله فله جنتان على حدته لا يشاركه فيهما غيره، وكلام بعضهم يدل على أنها جنتان لكل من خاف الله تبارك وتعالى بترك المعصية على المشاركة فيهما[٤] وهذا معنى قول مقاتل يعني جنة عدن وجنة

---

(١) في (ك): (المعنيين) المُقام والمُقامئ: الموضع الذي تقيم فيه.
والمُقامة (بالضم): الإقامة. والمَقامة (بالفتح): المجلس والجماعة من الناس.
وأما المَقامُ والمُقامُ فقد يكون كل واحد منهما بمعنى الإقامة «اللسان» ٣/ ١٩١، (قوم).

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٢٠، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٣.

(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٨٥، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٣٤ أ، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٧٦.

(٤) انظر: «التفسير الكبير» ٢/ ١٢٣، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٧٧.

النعيم(١)، ويدل على القول الأول ما روي أن النبي ﷺ قال في تفسير الجنتين «**هما بستانان في رياض الجنة**»(٢).

قال الفراء: وقد يكون في العربية جنة واحدة فثنيت لرؤوس الآي كما قال(٣):

وَمَهْمَهَيِنْ فذفين مَرَّتَيْنِ قَطَعْته بالأَمَّ لا بالسمتين

يرد مهما وسمتا واحدًا(٤)، ويريد بالسمت اهتداء بنجم أو بعلامة.

وأنكر ابن قتيبة ذلك أشد إنكار، وقال: نعوذ بالله أن نجيز على الله الزيادة والنقصان في الكلام لرأس آية كيف يكون هذا وهو يصفهما صفات الاثنين في قوله: ذواتا، وفيهما .

ولو أن قائلًا قال في خزنة النار إنهم عشرون وإنما جعلهم تسعة عشر

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٦ ب.

(٢) أخرج ابن مردويه عن عياض بن تميم أنه سمع رسول الله ﷺ تلا... وذكر نحو هذا وزيادة، وذكره القرطبي عن ابن عباس عن النبي ﷺ نحوه.

انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٧٧، و«الدر» ٦/ ١١٧، وهو المعنى المروي عن ابن عباس في «تنوير المقباس» ٥/ ٣٢.

(٣) البيت لخطام المجاشعي، وقيل لهيمان بن قحافة. وانظر: «الكتاب» ١/ ٢٤١، و«اللسان» ٢/ ١٩٧، وفيه (بالأم) بدلا من (بالسَّمْتِ)، و«الخزانة» ١/ ٣٦٧، و«أمالي ابن الشجري» ١/ ١٠، وفي ألفاظه اختلاف.

والمعنى في البيت أنه قطع المفازة على طريق وحجة لا على طريقين، وقال: قطعته، ولم يقل: قطعتهما. والسمت: السير على طريق ما لظن، وقيل: هو السير بالحدس والظن على غير الطريق. والأَمّ: القصد على طريق مستقيم.

اللسان ٢/ ١٩٧ (سمت)، ٣/ ٥٤٤ (مهمه) ١/ ١٠١(أمم).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١١٨.

لرؤس الآي، كما قال الشاعر[١]:

نحن بني أم البنين الأربعة

وهم خمسة فجعلهم للقافية أربعة ماكان في هذا القول إلا كالفراء[٢].

ثم وصفهما فقال:

٤٨- ﴿ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ﴾ قال أبو عبيدة: الأفنان: الأغصان واحدها فَنَن وهو الغصن المستقيم طولًا، ويقال لخصل الشعر أفنان تشبيها لها بالأغصان.

ومنه قول حميد:

يَنْقُضْنَ أفنانَ السَّبيبِ والعُذُرْ[٣]

يصف الخيل ويقصد خصل شعر نواصيها وعرفها، وقال المرار:

أعلاقةً أمَّ الوُلَيدِ بعدَما   أفْنانُ رأسِك كالثغام المُخْلِسِ[٤]

---

(١) البيت من الرجز، وهو للبيد، وعجزه:

ونحن خير عامر بن صعصعه

وانظر: «ديوانه» ص٣٤٠، و«الأغاني» ١٤/ ٩١، و«الكتاب مع شرح شواهده» للأعلم ١/ ٣٢٧، و«الخزانة» ٤/ ١٧١.

(٢) انظر: «تفسير غريب القرآن» ص٤٣٩- ٤٤١.

وقال النحاس: وهذا القول -أي قول الفراء- من أعظم الغلط على كتاب الله ﷻ، يقول الله ﷻ ﴿جنتان﴾ ويصفهما بقوله ﴿فِيهِمَا﴾ فيدع الظاهر ويقول: يجوز أن تكون جنة ويحتج بالشعر. انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٧٧.

(٣) «اللسان» ٢/ ١١٣٨ ولم ينسبه.

والسبيب: من الفرس شعر الذنب والعرف والناصية. «اللسان» ٢/ ٧٩ (سبب).

والعُذُرُ: جمع عذار وهو ما وقع منه على خدي الدابة. وقيل: عذَارُ اللجام السيران اللذان يجتمعان عند القفا. «اللسان» ٢/ ٧١٨ (عذر).

(٤) ورد البيت منسوباً في «الكتاب مع شرح شواهده» للأعلم ١/ ٦٠، و«المقتضب» ٢/ ٥٤، و«تهذيب اللغة» ١٥/ ٤٦٦ (فنن)، و«أمالي الشجري» ٢/ ٢٤٢، و«الخزانة» ٤/ ٤٩٣.

يعني: خُصَلَ جُمَّة رأسها حين شابت[١].

وقال أبو إسحاق: الأفنان: الألوان[٢]، فقال أبو الهيثم: فسره بعضهم ذواتا أغصان وبعضهم ذواتا ألوان واحدتها حينئذ فن وفنن، كما قالوا: سن وسنن، وعن وعنن، قال الأزهري: واحد الأفنان إذا أردت بها الألوان فن، وإذا أردت بها الأغصان فنن، والفن الضرب من كل منها، وجمعه فنون وأفنان.

وأنشد الليث[٣]:

قد لَبِسْتُ الدَّهْر من أفنْانِه كل فنّ ناعمٍ منه حَبِرْ

وذكر المفسرون أيضًا القولين، فقال مجاهد: أغصان، وهو معنى قول الحسن: ذواتا ظلال لأنه يريج ظل الأغصان وقد صرح به عكرمة فقال: ظل الأغصان على الحيطان، وهذه رواية عطية عن ابن عباس، والكلبي[٤].

وقال الضحاك: ذواتا ألوان من الفاكهة، وهو قول سعيد بن جبير[٥]. وجمع عطاء بين القولين فقال: يريد في كل غصن فنون من الفاكهة قال والفنون أصناف[٦].

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ١٥/ ٤٦٦، و«اللسان» ٢/ ١١٣٨ (فنن).

(٢) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٠٢.

(٣) البيت للمرار بن منقذ العدوي كما ذكر في «المفضليات» ص٨٢، و«تهذيب اللغة» ٥/ ٣٤، (حبر) والحبر: النعم. وقال شمر: الحبر صفرة تركب إنسان وهي الحِبْرَةُ. وانظر: «تهذيب اللغة»، و«اللسان» ٢/ ١١٣٧ (فنن).

(٤) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٨٦، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٤٣ ب، و«الوسيط» ٤/ ٢٢٦، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٤.

(٥) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٨٦، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٤.

(٦) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٢٦، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٤.

٥٠- قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: عينان مثل الدنيا أضعافًا مضاعفة حصباؤها الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر ترابها الكافور، وجماتها المسك الأذفر، وحافاتها الزعفران[١].

وقال الحسن: تجريان بالماء الزلال إحداهما السلسبيل والأخرى النسيم[٢].

٥٢- قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ أي ضربان وصنفان ونوعان، كل هذا من ألفاظهم، والمعنى أن فيهما من كل ما يتفكه به ضربين رطبًا ويابسًا، لا يقصر يابسه عن رطبه في الفضل والطيب، ولا رطبه عن يابسه في العدم[٣] كما يكون في الدنيا، وقيل: ضربان: ضرب معروف، وضرب من شكله غريب[٤].

قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا﴾ قال صاحب النظم: (متكئين) حال للذين ذكروا في قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ﴾[٥] و(من) ينبئ عن الجميع.

وقوله: ﴿بطائنها﴾ جمع بطانة، وهي التي تحت الظهارة، وذكرنا تفسيرها عند قوله: ﴿بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٨].

قال أبو إسحاق: وهي ما يلي الأرض[٦].

= قال ابن كثير -بعد ذكره للأقوال- وكل هذه الأقوال صحيحة ولا منافاة بينها، والله أعلم. «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٧٧.

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٧٨-١٧٩.

(٢) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٤٣ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٤.

(٣) كذا في (ك)، والوسيط ولم أتبين معناها.

(٤) «جامع البيان» ٢٧/ ٨٦، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٤.

(٥) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٣١٣، و«البحر المحيط» ٨/ ١٩٧.

(٦) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٠٤، و«فتح القدير» ٥/ ١٤١.

وقال الفراء: أراد بالبطائن الظواهر، وقد يكون بالبطانة ظهارة والظهارة بطانة، وذلك أن كل واحد منهما يكون وجهًا، وقد تقول العرب: هذا ظهر السماء لظاهرها الذي نراه.

وحكي عن ابن الزبير أنه ذكر قتلة عثمان فقال: قتلهم الله شر قتلة، ونجا من نجا منهم تحت بطون الكواكب، يعني: هربوا ليلًا فجعل ظهور الكواكب بطونا[1]، وهذا قول مقاتل قال: يعني ظواهرها[2]. ونحو ذلك قال المؤرج، قال: وهو بلغة القبط، وأنكر ذلك ابن قتيبة وقال: هذا من عجيب التفسير، كيف تكون البطانة ظهارة والظهارة بطانة، والبطانة ما بطن من الثوب وكان من شأن الناس إخفاؤه، والظهارة ما ظهر وكان من شأن الناس إبداؤه، وإنما يجوز ما قاله الفراء في ذي الوجهين المتساويين إذا ولي كل واحد منهما قومًا كحائط يلي أحد صفحيه قومًا والصفح الآخر قومًا أخرى فكل وجه من الحائط ظهر لمن يليه وكل واحد من الوجهين ظهر وبطن وكذلك وجها الجبل وما شاكله، ويجوز أن يجعل ما يليهما من وجه السماء والكواكب ظهرًا وبطنًا وكذلك سقوف البيت، فأما الثوب فلا يجوز أن يكون بطانته ظهارة، وظهارته بطانة، ولا يجوز لأحد أن يقول لوجه المصلى هذا بطانته ولما ولي الأرض ظهارته، وإنما أراد الله تعالى أن يعرفنا من حيث نفهم فضل هذه الفرش، وإنما ولي الأرض منها استبرق وإذا كانت البطانة كذلك فالظهارة أعلى وأشرف[3].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/١١٨، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٤٤ أ، و«تفسير غريب القرآن» ٤٤١.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٦ ب، وذكره القرطبي ١٧/ ١٨ عن الحسن.

(٣) انظر: «تفسير غريب القرآن» ص٤٤١- ٤٤٢.

ويؤكد قول ابن قتيبة ما روي عن ابن مسعود أنه قال: أخبرتم بالبطائن فكيف بالظهائر[(١)].

وقال أبو هريرة: هذه البطائن فما ظنكم بالظواهر[(٢)]، وقيل لسعيد بن جبير: البطائن من استبرق فما الظواهر، فقال: هذا مما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]، وقال أيضًا: الظواهر من نور جامد[(٣)]، وقال ابن عباس: وصف البطائن وترك الظواهر لأنه ليس في الأرض أحد يعرف ما الظواهر[(٤)].

وقوله: ﴿مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ قال المفسرون يعني: ما غلظ من الديباج، وذكرنا الكلام فيه في سورة الكهف[(٥)].

قوله تعالى: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ الجنى: ما يجتنى من الثمار، قال ابن عباس: تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله إن شاء قائما وإن شاء قاعدًا وإن شاء مضطجعًا[(٦)]، وقال قتادة: لا يرد يده بُعدٌ ولا شوك[(٧)].

---

(١) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٨٦، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٤، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٧٧.

(٢) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٤٤ أ، و«زاد المسير» ٨/ ١٢١، و«الجامع لأحكام القرآن» ٨/ ١٧٩.

(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٨٦، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٤٤ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٤، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٧٩.

(٤) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٤، و«زاد المسير» ٨/ ١٢١.

(٥) عند تفسيره الآية (٣١) من سورة الكهف.
وانظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١١٨، و«اللسان» ١/ ١٩٧ (برق).

(٦) انظر: «تنوير المقباس» ٤/ ٣٢١، و«الوسيط» ٤/ ٢٢٧، و«ابن كثير» ٤/ ٢٧٧.

(٧) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٦٥، و«جامع البيان» ٢٧/ ٨٧.

وقال أبو إسحاق: تدنو منهم حتى يتناولوه بأفواههم أو بأيديهم[١].

قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾، قال مقاتل: يعني في الجنتين اللتين ذكرتا بعد في قوله ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ قال: وهي جنة عدن، وجنة النعيم، وجنة الفردوس، وجنة المأوى[٢] فقال أبو إسحاق: قوله (فيهن) وإنما ذكر جنتين يعني في هاتين الجنتين، وما أعد لصاحب هذه القصة غير هاتين الجنتين[٣].

وقال غيره من أهل المعاني[٤]: الضمير يعود على الفرش وهي أولى بالعود عليها من الجنان لتقدم ذكرها، قال: ويجوز أن يرجع إلى الجنان لأنها معلومة فصارت كأنها قد ذكرت.

٥٦- وقوله ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ أي حور ونساء قاصرات الطرف، وقد تقدم تفسيرها عند قوله ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾[٥].

قال ابن عباس: قصرت طرفها على زوجها فلا ترى أن خلقًا أكرم على الله منه ولا أجمل ولا أحسن[٦]، وقال ابن زيد: إنها لتقول لزوجها: وعزة ربي ما أرى في الجنة شيئًا أحسن منك فالحمد لله الذي جعلني زوجك

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٠٤.

(٢) انظر: «تفسر مقاتل» ١٣٦ ب.

(٣) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٠٣، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٨.

(٤) قال الزمخشري: ﴿فِيهِنَّ﴾ في هذه الآلاء المعهودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجني، أو في الجنتين لاشتمالهما على أماكن وقصور ومجالس. «الكشاف» ٤/ ٥٤.

(٥) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٨٧، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٤٤ ب، و«البغوي» ٤/ ٢٧٥.

(٦) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٤٧.

وجعلك زوجي.

قوله تعالى: ﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ﴾ قال أبو عبيدة: لم يمسهن، يقال: ما طمث هذا البعير حبل قط أي ما مسه.

ونحو ذلك أخبرني العروضي[١] عن الأزهري قال: أخبرني المنذري، عن ابن فهم، عن محمد بن سلام، أنه سأل يونس عن قوله: ﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ﴾ فقال: تقول العرب هذا جمل ما طمثه حبل قط أي لم يمسه[٢].

وروى سلمة عن الفراء قال: الطمث الافتضاض، وهو النكاح بالتدمية، والطمث هو الدم، وفيه لغتان: طَمَثَ يَطْمُثُ ويَطْمِثُ[٣]. وقال الليث: طمثت الجارية إذا افترعتها، والطامث في اللغة هي الحائض، قال أبو الهيثم: يقال للمرأة طمثت تطمث أي أدميت بالافتضاض، وطَمَثَتْ على فعلت تطمث، إذا حاضت أول ما تحيض وهي طامث، وقال في قول الفرزدق[٤]:

خرجن إليّ لم يطمثن قبلي وهن أصحُّ من بيض النعامِ

أي: لم يمسسن[٥].

قال المفسرون: لم يطأهن ولم يغشهن ولم يجامعهن، هذه ألفاظهم[٦]، وهم مختلفون في هؤلاء فبعضهم يقول: هن اللواتي أنشئن في الجنة من

---

(١) هو أحمد بن محمد بن عبد الله العروضي الصفار، تقدمت ترجمته.

(٢) انظر: «اللسان» ٢/ ٦١٢ (طمث) ذكر المعنى ولم يورد الرواية، ولم أقف عليها في «تهذيب اللغة».

(٣) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ١١٩، و«اللسان» ٢/ ٦١٢ (طمث).

(٤) انظر: «ديوان الفرزدق».

(٥) انظر: «اللسان» ٢/ ٦١٢ (طمث).

(٦) وهو قول علي بن أبي طالب وابن عباس وعكرمة وابن زيد والكلبي وغيرهم. =

حورها وبعضهم يقول يعني نساء الدنيا أنشئن خلقًا آخر أبكارًا كما وصفن.

قال الشعبي: نساء من نساء الدنيا لم يمسسن منذ أنشئن خلقًا[١].

وقال مقاتل: لأنهن خلقن في الجنة[٢].

وقال عطاء عن ابن عباس: هن الآدميات اللاتي متن أبكارًا[٣].

وقال الكلبي: لم يجامعهن في هذا الخلق الذي أنشئن فيه إنس ولا جان[٤].

قال أبو إسحاق: وفي هذه الآية دليل أن الجني يغشى كما أن الإنسي يغشى[٥]، وهذا مذهب ضمرة بن حبيب[٦] سئل: هل للجن من ثواب؟ فقال: نعم، وقرأ هذه الآية. ثم قال: الإنسيات للإنس، والجنيات للجن[٧].

وقال مجاهد في هذه الآية: إذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان

= انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٨٧، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٤٤ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٥، و«زاد المسير» ٨/ ١٢٢.

(١) أخرجه سعيد بن منصور وابن المنذر.
انظر: «الدر» ٦/ ١٤٨، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٥.

(٢) قاله مقاتل ومجاهد. انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٦ ب، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٨١.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٢٧، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٥، و«روح المعاني» ٢٧/ ١١٩.

(٥) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٠٣.

(٦) هو ضمرة بن حبيب بن صهيب الزُبيدي، أبو عتبة الحمصي، ثقة، مات سنة ثلاثين ومائة، أخرج له الجماعة. انظر: «طبقات ابن سعد» ٧/ ٤٦٤، و«تقريب التهذيب» ١/ ٣٧٤، و«تهذيب التهذيب» ٤/ ٤٥٩.

(٧) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٨٨، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٤٥ أ، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٧٨، و«الدر» ٦/ ١٤٨.

على إحليله فجامع معه[١].

والضمير في قوله: ﴿قبلهم﴾ للمعنيين بقوله ﴿متكئين﴾ وهم أزواج هؤلاء النسوة.

٥٨- قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ قال عامة المفسرين[٢]: أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان، شبههن في صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان، يدل على هذا ما قال عبد الله: إن المرأة من نساء أهل الجنة لتلبس عليها سبعين حلة من حرير فيرى بياض ساقيها من ورائهن، ذلك بأن الله يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ ألا وإن الياقوت حجر لو جعلت فيه سلكًا ثم استصفيته نظرت إلى السلك من وراء الحجر[٣].

٦٠- قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ هذا استفهام معناه النفي، أي: ما جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يحسن إليه في

---

(١) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٨٨، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٤٤ أ، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٨١.

(٢) وممن قال بهذا عمرو بن ميمون، والحسن، وقتادة، وابن زيد، والسدي، ومقاتل. انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٦ أ، و«تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٦٥، و«جامع البيان» ٢٧/ ٨٨، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٧٨.

(٣) أخرجه الترمذي في صفة الجنة، باب في صفة نساء أهل الجنة، وابن جرير في «تفسيره» ٢٧/ ٨٨، وابن أبي حاتم، كما ذكر ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٢٧٨، وغيرهم، عن ابن مسعود عن النبي ﷺ كلهم من طريق عبيدة بن حميد عن عطاء بن السائب، وأخرجه الترمذي وابن جرير من طرق أخرى، وفيها عطاء بن السائب موقوفاً. وقال الترمذي: هو أصح، وعطاء بن السائب اختلط في آخر عمره. وذكر الطحاوي أن حديثه الذي كان منه قبل تغيره يؤخذ من أربعة لا من سواهم وهم شعبة وسفيان الثوري وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد. انظر: «الكواكب النيرات» ص٣٢٥.

وهذا الحديث ليس من طريق هؤلاء، وهو ضعيف بهذا الإسناد. وفي معناه ورد=

الآخرة، قاله الزجاج[(١)].

قال ابن عباس: هل جزاء من قال لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد ﷺ إلا الجنة[(٢)]، وقال مقاتل: هل جزاء التوحيد إلا الجنة[(٣)].

وقال السدي: هل جزاء الذين أطاعوني في الدنيا إلا الكرامة في الجنة[(٤)].

هذا معنى قول الجميع[(٥)]، وروي هذا المعنى مرفوعًا رواه ابن عمرو وابن عباس أن رسول الله ﷺ قال في هذه الآية: «يقول الله تعالى: هل جزاء من أنعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي إلا أن أسكنه جنتي وحضرة قدسي برحمتي»[(٦)].

= أحاديث صحيحة منها ما أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، وأنها مخلوقة، ٤/ ١٤١، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها. والله أعلم. وانظر: «العظمة» ٣/ ١٠٨٢-١٠٨٣.

(١) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٠٣.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٢٥، و«الوسيط» ٤/ ٢٢٧، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٦.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٦ ب.

(٤) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٤٦ أ.

(٥) قال الرازي: وفيه -أي الآية- وجوه كثيرة حتى قيل: إن في القرآن ثلاث آيات في كل آية منها مائة قول. ومنها هذه الآية.
انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ١٣١.

(٦) رواه ابن جرير في «تفسيره» ٢٧/ ٨٩، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٨/ ١٢٣، والبغوي في «معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٦، قال محقق «زاد المسير»: رواه البغوي في تفسيره وفي إسناده ضعف. وقال السيوطي في «الدر» ٦/ ١٤٨: أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان وضعفه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ... وانظر: «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٧٨، والألفاظ تختلف عما ذكره المؤلف. وطريقته كما هو معلوم الرواة بالمعنى؛ ولكثرتها لم أتطرق إلى ذكر الاختلاف فيها، والله أعلم.

٦٢- قوله تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ قال ابن عباس: يريد أدنى من الأوليين[١]. قال ابن جريج: هي أربع: جنتان للمقربين السابقين كما وصفنا وجنتان لأصحاب اليمين والتابعين[٢] كما وصفنا فيما بعد. ونحو هذا قال مقاتل[٣]، وهو قول أكثر المفسرين أن هاتين دون الأوليين في الفضل، ذكر ذلك ابن زيد والكلبي وغيرهما[٤].

وذهب الضحاك إلى ضد ما ذكر هؤلاء فقال: الجنتان الأوليان من ذهب وفضة، والآخريان من ياقوت وزمرد، وهما أفضل من الأوليين[٥].

وعلى هذا قوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ أي ومن أمامهما وقبلهما وهو قول الكسائي وذكرنا معاني (دون) عند قوله: ﴿شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣].

٦٤- ثم نعتهما فقال: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ قال أبو عبيدة: من خضرتهما قد اسودتا من الري[٦]. قال أبو إسحاق: وكل نبت اخضر، فتمام خضرته وريّه أن يضرب إلى السواد[٧].

ومعنى الدَّهْمَةَ في كلام العرب السواد، يقال: أدهم بيّن الدهمة

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٢٥، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٦.
(٢) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٤٦ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٦، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٨٣.
(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٧ أ.
(٤) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٨٩، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٤٦ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٦.
(٥) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٦، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٨٤.
(٦) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٤٦.
(٧) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٠٣.

وادْهامَّ ادْهيمامًا، وقال الليث: ادْهامَّ الزرع إذا علاه السواد رِيًّا[١].

قال ابن عباس: شديد الخضرة إلى السواد[٢].

وقال الكلبي: خضراوان قد علاهما سواد من شدة الخضرة والري[٣]، وهذا معنى قول الجميع، والأصل في ذلك أن الخضرة إذا اشتدت ضربت إلى السواد، وسميت العرب الأخضر أسود والأسود أخضر، قال ابن الأعرابي: الخضرة عند العرب سواد، وأنشد القطامي:

يـا نـاقُ خُـبِـي خَـبَـبَـاَ زِوَرًّا عـارضي الـليـلَ إذا ما اخْـضَـرَّا

ومنه قيل لليل المظلم أخضر، قال ذو الرمة:

فـي ظِـلّ أخـضـر يَـدْعُـو هـامَـهُ الـبُـومُ[٤]

ومن هذا يقال أباد الله خضراءهم أي سوادهم هذا في الأسود الذي وصف بالخضر، وأما الأخضر الذي وصف بالسواد فهو قول ذي الرمة أنشده ابن قتيبة في تفسير هذه الآية يصف غيثًا:

كسا الأكم بهمى غَضَّةَ حَبَشِيَّةً توامًا ونُقعانُ الظَّهورِ الأقارِعِ[٥]

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ٦/ ٢٢٤، و«اللسان» ١/ ١٠٢٦ (دهم).

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٨٤.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٢٥، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٦.

(٤) وصدره:

قد أعْسِفُ النازحَ المجهولَ مَعْسِفُهُ

وانظر: «الديوان» ١/ ٤٠١، و«الحيوان» ٦/ ١٧٥، و«تهذيب اللغة» (خضر).

والعسف: ركوب الأمر بلا تدبير ولا روية ٧/ ٩٩ ورواية الديوان:

في ظل أعصف يدعو هامهُ البوم

(٥) البيت في «ديوانه»، و«اللسان» ٣/ ٦٦ (قزع).

والبُهمى: نبت تجد به الغنم وجداً شديداً ما دام أخضر، والنقعان: جمع (نقع) وهو مجتمع الماء. والظهور القوارع: الأراضي المرتفعة الشديدة الصلبة.

فجعلها حبشية لما اشتدت خضرتها[١]. وكذلك قوله أيضا أنشد أبو علي في تفسير هذه الآية:

حواء قرحاء أَشْرَاطِيَّةُ وكفت ... فيها الذَهابُ وَحَفَّتْها البراَعِيمُ[٢]

يصف روضة بشدة الخضرة فجعلها حواء.

قال أبو علي: وعلى ضد هذا وصف الجدب البياض فقيل سنة شهداء من ذلك قول أوس:

على دبر الشهر الحرام بأرضنا ... وما حولها جدب سنون تلمع[٣]

فقوله: تلمع؛ معناه أنه لا خصب فيها ولا نبات.

٦٦- وقوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ قال أبو عبيدة: فوارتان. قال الليث: النضخ فور الماء من العين[٤]. وقال المبرد: النضاخة الرفاعة بالماء.

واختلفوا في الذي تنضخ به العينان، فقال عطاء عن ابن عباس وابن مسعود وأنس: تنضخ على أولياء الله المسك والعنبر والكافور، وفي دور أهل الجنة كما ينضخ طش المطر[٥]، وقال الحسن وعطاء الخراساني: تنبعان ثم تجريان[٦]، وهو قول سعيد بن جبير، وزاد فقال: نضاختان

---

(١) انظر: «تفسير غريب القرآن» ص٤٤٢- ٤٤٣.

(٢) انظر: «الكامل» ٣/ ٣٦.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ٧/ ١١١ (نضخ).

(٥) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٤٦ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٦، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٨٥.

(٦) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٤٦ ب، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٨٥.

بالماء وألوان الفواكه[(١)].

وقال الكلبي: نضاختان بالخير والبركة على أهل الجنة، وهو قول قتادة ومقاتل والضحاك[(٢)].

٦٨- قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ قال المفسرون: يعني ألوان الفاكهة وألوان الرمان.

قال ابن عباس: والرمانة مثل جلد البعير المقتب[(٣)]، وثمر النخلة والرمان من جملة الفاكهة غير أنهما ذكرا على التفصيل للتفضيل فأخرجا من الجملة بالذكر كقوله ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة:٢٣٨] فأعاد الوسطى بعد أن ذكرها في الجملة تشديدًا لها. كذلك أعيد النخل والرمان ترغيبًا لأهل الجنة هذا قول الفراء[(٤)].

وقال أبو إسحاق: قال يونس النحوي -وهو يتلو الخليل في القدم

---

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٨٥، و«الدر» ٦/ ١٥.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٢٥، و«تفسير مقاتل» ١٣٧ أ، و«تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٦٦، واختار الطبري قول من قال بأن المراد تنضخان بالماء ؛ لأنه المعروف بالعيون إذ كانت عيون ماء. «جامع البيان» ٢٧/ ٩١، وأخرج البخاري عن ابن عباس في قوله ﴿نَضَّاخَتَانِ﴾ قال فياضتان. «صحيح البخاري»، كتاب: التفسير، سورة الرحمن ٦/ ١٨١. قلت: ولا تعارض بين ما رواه البخاري، وما رجحه ابن جرير، لأن الماء هو مصدر الخير كله والله أعلم.

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» ١٢/ ٤٧ أ، من رواية أبي هارون العبدي عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ وأبو هارون اسمه عمارة بن حديث، ضعيف جدًا، و«تخريجات العراقي لإحياء علوم الدين» ٤/ ٥٤٢، وذكره القرطبي ١٧/ ١٨٦، وابن كثير في ٤/ ٢٧٩، من حديث أبي سعيد الخدري يرفعه، ونسبا تخريجه لابن أبي حاتم.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ١١٩.

والحذق- أن الرمان والنخل من أفضل الفاكهة، وإنما فصلا بالواو لفضلهما، واستشهد في ذلك بقوله جل وعز ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨] قال فصلا بالواو لفضلهما[١].

وغلط أهل العراق حين لم يجعلوا الحالف أن لا يأكل الفاكهة حانثاً بأكل الرمان والتمر وظنوا أنهما لما ذكرا بعد الفاكهة ليسا من الفاكهة[٢] وهو خلاف قول جميع أهل اللغة ولا حجة لهم في الآية.

قال الأزهري: ما علمت أحدًا من العرب قال في النخيل والكُروم وثمارها إنها ليست من الفاكهة، وإنما قال من قال ذلك لقلة علمه بكلام العرب وعلم اللغة وتأويل القرآن العربي المبين، والعرب تذكر أشياء جملة ثم تخص شيئًا منها بالتسمية تنبيهًا على فضل فيه، قال الله ﷻ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ﴾ إلى قوله ﴿وميكال﴾ فمن قال إنهما ليسا من الملائكة لإفراد الله إياهما بالتسمية فهو كافر، ومن قال: إن ثمر النخل والرمان ليس من الفاكهة لإفراد الله إياهما بالتسمية بعد ذكر الفاكهة فهو جاهل، هذا كلامه[٣].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٠٣.

(٢) قال أبو حنيفة وأبو ثور: وحجتهم أن المعطوف يغاير المعطوف عليه، وخالفهم في ذلك الجمهور من الفقهاء وأهل اللغة. انظر: «المغني» ١٣/ ٥٩١-٥٩٢.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ٦/ ٢٥ (فكه).

قلت: غفر الله للأزهري في كلامه هذا، إذ كان ينبغي له وهو أهل فضل وعلم أن يعرف لأهل الفضل فضلهم فأصحاب هذا القول -رحمهم الله- وإن جانبهم الصواب فيه، فلهم من السبق والرسوخ ما يرفع من قدرهم ومكانتهم عند من جاء بعدهم، عفا الله عن الجميع وجمعنا وإياهم في جنته.

٧٠- قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ يعني في الجنان الأربع التي جرى ذكرهما[١].

وخيرات جمع خَيْرة، وهي في الأصل بالتشديد ثم خفف، كما قيل: هَيْنٌ وليْنٌ، وذكر الفراء فيها ثلاث لغات: خَيْرَة وخِيْرَةٌ وخَيِّرة[٢] وكذلك في الجمع.

وقال المبرد: الخيرة الفاضلة المقدمة ويقال رجل خَيِّرٌ وامرأة خَيِّرةٌ[٣] وأنشد أبو عبيدة:[٤]

ولقد طَعَمْتُ بجامع الرَّبلات   رَبلاتِ هِنْدٍ خَيْرَةِ المَلِكاتِ

وأنشد ابن السكيت:

تأبري يا خيرة النسيل

وفرق الليث بين الخَيِّرة والخَيْرَة، قال: خَيِّرَةٌ صالحة وخَيْرَةٌ في جمالها ومَيسَمِها[٥]. قال الأزهري: ولا فرق عندي بينهما في المخففة من

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٢٠، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٤٧ أ، ونسبه للكسائي، و«جامع البيان» ٢٧/ ٩١.

وقال الشوكاني: قيل: وهذه الصفة عائدة إلى الجنان الأربع، ولا وجه لهذا فإنه قد وصف نساء الجنتين الأوليين بأنهن قاصرات الطرف كأنهن الياقوت والمرجان، وبين الصفتين بون بعيد. «فتح القدير» ٥/ ١٤٣.

(٢) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ١٢.

(٣) يقال: رجل خَيْرٌ و خَيِّرٌ، مشدد ومخفف. وامرأة خَيْرَةٌ وخَيِّرَةٌ . انظر: «اللسان» ١/ (٩٢٦) (خير).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٤٦. والبيت لرجل من بني عَدِي تيم، تميمي جاهلي. انظر: «تهذيب اللغة» ٧/ ٥٤٦، و«اللسان» ١/ ٩٢٦ (خير).

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ٧/ ٥٤٦، (خار).

المشددة[١].

قال جماعة المفسرين[٢] يعني خيرات الأخلاق حسان الوجوه، وهو تفسير النبي ﷺ فيما روت عنه أم سلمة[٣].

٧٢- قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ تقدم تفسير **الحور**[٤]، والمقصورات المحبوسات، ويجوز أن يكون محبوسات في **الخيام**، وهو معنى قول أبي عبيدة: خدرن[٥] في الخيام، ونحوه قال **مقاتل**: محبوسات في الخيام[٦]، ويجوز أن يكون محبوسات على أزواجهن، ولا يرون غيرهم وهن في الخيام، وهذا معنى قول المفسرين: قصرن على أزواجهن فلا يردن غيرهم، ولا يطمحن إلى سواهم، ذكره الفراء[٧].

وميسمها أي: حسنها من الوسامة، و«اللسان» ٣/ ٩٢٨ (وسم).

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ٧/ ٥٤٦ (خار) وعبارته (عند أهل المعرفة باللغة) بدلاً من قول المؤلف (عندي).

(٢) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٩١، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٨.

(٣) والحديث رواه ابن جرير ٢٧/ ٩٢، والثعلبي ١٢/ ٤٧ ب، والبغوي ٤/ ٢٧٧، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٨/ ١١٦. وقال محقق «زاد المسير»: رواه ابن جرير الطبري، وفي سنده ضعف.

(٤) عند تفسيره الآية (٥٤) من سورة الدخان. والحَوَرُ: أن يشتد بياض العين وسواد سوادها، وتستدير حدقتها، وترق جفونها ويبيض ما حواليها. وإنما قيل للنساء حور العين، لأنهن شبههن بالظباء والبقر. «اللسان» ١/ ٧٥٠ (حور).

(٥) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٤٦، ومعناه: سترن في الخيام.
والخدرُ سِتْرٌ يمد للجارية في ناحية البيت. «المسان» ١/ ٧٣٦ (خدر).

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٧ أ.

(٧) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ١٢٠.

وقال مجاهد: مقصورات قلوبهن على أزواجهن في خيام اللؤلؤ[١].

والخيام جمع خَيم وخيم: جمع خيمة، وهي أعواد تنصب وتظلل بالثياب في القيظ فيكون أبرد من الأخبية[٢]، ذكره ابن السكيت.

وقال ابن الأعرابي: الخيمة لا تكون إلا أربعة أعواد ثم تسقف بالثُّمام ولا تكون من ثياب[٣]، ومنه قول النابغة:

فلم يبقَ إلا آلُ خَيْمٍ منصدٍ وسُفْعٌ
على آسٍ وَنُؤْيٌ مُعَثْلِبُ

ويقال خيم فلان خيمته إذا بناها من جريد النخل ويخيم فيها إذا أقام، وتظلل بها قال زهير:[٤]

وَضَعْنَ عِصِي الحَاضِرِ المتَخَيَّمِ

هذا معنى الخيام في اللغة، قال أبو عبيدة[٥]: والهوادج أيضًا خيام وأنشد للبيد فقال:

شاقتك ظعن الحي يوم تحمَّلوا فتكنَّسُوا قطنًا تَصرُّ خِيامُها[٦]

---

(١) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٤٤، و«جامع البيان» ٢٧/ ٩٢، ٩٣.

(٢) انظر: «اللسان» ١/ ٩٣٣ (خيم)، و«فتح القدير» ٥/ ١٤٣.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ٧/ ٦٠٨، و«اللسان» ١/ ٩٣٣ (خيم).

والثُّمامُ: شجر واحدته ثمامة وثمة، وهو نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص. «اللسان» ١/ ٣٧٥ (ثمم).

(٤) وصدر البيت:

فلما وردن الماء زرقاً جمامه

انظر: «الديوان» ٧٨، و«اللسان» ١/ ٩٩٣ (خيم).

(٥) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٤٦.

(٦) البيت ورد في معلقة لبيد. انظر: «شرح المعلقات السبع» للزوزني ٧٥.

وأما خيام الجنة فقال المفسرون: إنها من در مجوف، قال عطاء عن ابن عباس: يريد خيام الدر والياقوت والزبرجد، يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، الخيمة ما بين بصرى إلى صنعاء[(١)].

وروى قتادة عن ابن عباس قال: الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ فيها أربعة آلاف مصراع من ذهب[(٢)].

وروي عن النبي ﷺ **«والخيمة مجوفة طولها في السماء ستون ميلًا في كل زاوية منها أهل للمؤمن لا يراهم الآخرون»**[(٣)].

قوله: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ قال صاحب النظم: قال الله تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ ولم يذكر لهما أهلًا كما ذكره لما قبلهما من الجنتين فلما قال (متكئين) دل أنه أراد أهلهما، وإنما كف عن ذكر أهلها اقتصارًا على ذكر أهل الجنتين اللتين قبلهما، واكتفاء بالذكر الأول عن الثاني، كما قال ﷻ: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الإسراء: ٥]. قال في فصل آخر متصل بهذا الفصل: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ [الإسراء: ٧]، والتأويل: بعثناهم ليسوؤا فكف عن ذكره اكتفاء بالأول[(٤)].

وأما الرفرف فقال الليث: الرفرف ضرب من الثياب خضر تبسط،

---

(١) لم أجده.

(٢) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٦٧، وأخرجه ابن جرير عن ابن عباس وأبي الأحوص. انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٩٣، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٨.

(٣) «صحيح البخاري»، كتاب: التفسير، باب: حور مقصورات في الخيام، ٦/ ١٨٢، و«صحيح مسلم»، كتاب: الجنة، باب (٣٣). «مسند أحمد» ٣/ ١٠٣.

(٤) انتهى كلام صاحب النظم ولم أجده فيما اطلعت عليه، وكتابه مفقود كما تقدم بيانه.

والواحدة رفرفة[١]، وقال أبو عبيدة: الرفارف البسط[٢]، وأنشد قول مقبل فقال:

وإنا لنزالون تغشى فعالنا سواقط من أصناف ربط ورفرف[٣]

وقال أبو إسحاق: قالوا الرفرف ها هنا رياض الجنة. وقالوا: الرفرف الوسائد. وقالوا: الرفرف المحابس، وقالوا: الرفرف فضول المحابس للفرش.[٤] واختاره المبرد فقال: هو فضول الثياب التي تتخذ الملوك في الفرش وغيره، وكأن الأقرب هذا، لأن العرب تسمي كسر الخباء والخرقة التي تحيط في أسفل الخباء رفرفا. ومنه الحديث في وفاة النبي ﷺ «فرفع الرفرف فرأينا وجهه كأنه ورقة»[٥].

قال ابن الأعرابي: الرفرف ها هنا طرف الفسطاط[٦]، فشبه ما فضل من المجالس عما تحته بطرف الفسطاط فسمى رفرفًا يؤكد هذا ما روى هارون بن عنترة، عن أبيه[٧]، عن ابن عباس، قال في قوله:

٧٦- ﴿رَفۡرَفٍ خُضۡرٍ﴾ فضول المجالس، والبسط والفرش[٨] وهو قول

---

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٩٠، و«فتح القدير» ٥/ ١٤٣.
(٢) انظر: «تهذيب اللغة» ١٥/ ١٧١، و«اللسان» ١/ ١٢ (رفف).
(٣) لم أجده عند أبي عبيدة. وانظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٩.
(٤) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٠٥.
(٥) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» ٢/ ٢٤٢ (رفرف).
(٦) انظر: «تهذيب اللغة»، و«اللسان» ١/ ١٢٠٠ (رف، رفف).
(٧) هو عنترة بن عبد الرحمن الكوفي، ثقة، وهم من زعم أن له صحبة.
انظر: «تقريب التهذيب» ٢/ ٨٩.
(٨) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٩٥، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٩.
والمحبس: المقرمة: يعني الستر، وهي التي تبسط على وجه الفراش للنوم، و«اللسان» ١/ ٥٥١ (حبس).

الضحاك، ومقاتل، والحسن. قالوا: المحابس والبسط[١].

قال الحسن: كان أهل الجاهلية يقولون هي البسط[٢].

قال سعيد بن جبير: وهي الرياض، وهو قول الكلبي.[٣]

وقوله: ﴿وَعَبْقَرِيٍّ﴾ قال أبو عبيدة: كل وشى من البسط عبقري قال ويروى أنها أرض يَوشى فيها[٤].

وقال الليث: عبقر موضع بالبادية كثير الجن يقال في المثل: كأنهم جن عبقر، وقال أبو عبيدة في حديث النبي ﷺ حينما ذكر عمر «**فلم أر عبقريًّا يفري فريه**»[٥].

قال أبو عبيدة: وإنما أصل هذا فيما يقال إنه نسب إلى عبقر، وهي أرض يسكنها الجن فصارت مثلًا لكل منسوب إلى شيء رفيع، وأنشد لزهير[٦]:

يخيل عليها جِنّةٌ عَبْقَرّيةٌ   جَدِيرون يوما أن ينالوا فيستعلوا

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٧ أ، و«الوسيط» ٤/ ٢٣، و«الجامع» للقرطبي ١٧/ ١٩.

(٢) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٩٥، وفيه: هي البسط. أهل المدينة يقولون: هي البسط.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٢٧، و«جامع البيان» ٢٧/ ٩٤، و«معالم التنزيل» ٤/ ٩٧٨، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٩.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٤٦. وقوله: (أرض يوشَّى فيها) هو ما ذكر أن عَبْقَر قرية تسكنها الجن فيما زعموا فكلما رأوا شيئاً فائقًا غريباً. قالوا: عبقري. ومنه عبقري للبسط التي فيها الأصباغ والنقوش وشيت بها. اللسان (عبقر).

(٥) جزء من حديث أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه منها، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب، ٥/ ١٣، ومسلم في «صحيحه»، كتاب: فضائل الصحابة (١٩)، وأحمد في «المسند» ٢/ ٢٨، ٣٩.

(٦) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٤٦، و«تهذيب اللغة»، و«اللسان» ٢/ ٦٧٢ (عبقر). والبيت في «ديوان زهير» ص١٠٣، و«المحتسب» ٢/ ٣٠٦.

وهذا القول هو الصحيح في العبقري، وذلك أن العرب إذا بالغت في وصف شيء نسبته إلى الجن أو شبهته بهم ومنه قول لبيد[١]:

جِنُّ الْبَدِيِّ رواسيًا أقدامُها

وقال آخر يصف المرأة:

جنية أو لها جن يعلِّمُها رمي القلوب بقوس ما لها وتر

وذلك أنهم يعتقدون في الجن كل صفة عجيبة، وأنهم يأتون بكل أمر عجيب، ولما كان عبقر معروفًا بسكناهم فسموا كل شي مبالغ فيه إليها، ويريدون بذلك أنه من عملهم وصنعتهم هذا هو الأصل[٢]، ثم صار العبقري اسما ونعتًا لكل ما بولغ في صفته، ويشهد لما ذكر بيت زهير فإنه نسب الجن إلى عبقر فثبت به أنها مكانهم، ثم رأينا أشياء كثيرة نسبت إلى عبقر غير البسط والثياب، كقوله ﷺ في صفة عمر (**عبقريًا**).

وروى سلمة عن الفراء قال: العبقري السيد من الرجال، وهو الفاخر من الحيوان والجوهر[٣].

فلو كانت عبقر مخصوصة بالوشي لما نسب إليها غير الموشى، وإنما نسب إليها البسط الموشاة العجيبة الصنعة لما ذكرنا نسب إليها كلما بولغ في وصفه.

---

(١) وصدره:

غُلِبَ تَشَذو بالذَّحُولِ كأنَّها

ومعناه: أنهم رجال غلاظ الأعناق كالأسود يهدد بعضهم بعضاً بسبب الأحقاد التي بينهم. ثم شبههم بجن هذا الموضع (البدّي) في ثباتهم في الخصام والجدل. وانظر: «ديوانه» ص١٧٧، و«شرح المعلقات السبع» للزوزني ص٩٠، و«الإنصاف» ص٧٧٢، و«الخزانة» ٤/ ١٥٧.

(٢) انظر: «اللسان» ٢/ ٦٧٢، (عبقر)، و«الجامع» للقرطبي ١٧/ ١٩٢.

(٣) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٨، و«المفردات» (عبقر)، و«اللسان» ٢/ ٦٧٢ (عبقر).

قال ابن عباس في قوله: ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ يريد البسط والطنافس[١]، وقال الكلبي: هي الطنافس المخملة[٢].

وقال قتادة: هي عتاق الزرابي[٣]، وهو قول سعيد بن جبير[٤].

وقال مجاهد: الديباج الغليظ[٥].

وعبقري هاهنا: جمع، واحده عبقرية، لذلك قال: ﴿حِسان﴾ فجمع وأما قراءة من قرأ عباقري حسان وهي تروى عن عاصم الجحدري[٦] ورويت أيضاً مرفوعة[٧]، قال أبو عبيدة: وهذا وجه لا إسناد له ولا أراه محفوظًا ولو كان له أصل لكان على ترك الإجراء؛ لأنه وجه الإعراب[٨].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٢/ ٤٩ أ ولم ينسبه لقائل.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٢٣.

(٣) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٨.

(٤) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٩٥، و«تفسير مجاهد» ٢/ ٦٤٤، ومعنى «عتاق الزرابي» أي كرام الوسائد.

(٥) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٩٥، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٩٢.

(٦) هو عاصم بن أبي الصباح الجحدري البصري، أخذ القراءة عرضاً عن سليمان بن قته عن ابن عباس، وقرأ أيضاً على نصر بن عاصم، والحسن، ويحيى بن يعمر، وقراءته في الكامل والإفصاح فيها مناكير، ولا يثبت سندها، والسند إليه صحيح في قراءة يعقوب من قراءة على سلام عنه، مات قبل الثلاثين ومائة. انظر: «غاية الرواية» ١/ ٣٤٩.

(٧) انظر: «المحتسب» ٢/ ٣٠٥ «مختصر ابن خالويه» ص١٥، و«الكشاف» ٤/ ٥٥، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٩١، و«البحر المحيط» ٨/ ١٩٩.

(٨) قال النحاس: (وإسنادها ليس بالصحيح، وزعم أبو عبيد أنها لو صحت لكانت وعَبَقريَّ بغير إجراء، وزعم أنه هكذا يجب في العربية، وهذا غلط بين عند جميع النحويين ؛ لأنهم قد أجمعوا جميعاً أنه يقال: رجل مَدَائني، بالصرف.
انظر: «إعراب القرآن» ٣/ ٣١٧، و«معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٩.

قال أبو إسحاق: هذه القراءة لا مخرج لها في العربية لأن كل جمع بعد ألفه حرفان لم ينسب إليه نحو مساجد، ومجاوز الثلاثة لا تجمع بياء النسب لو جمعت عبقريًا كان جمعه عباقرة كما أنك[1] لو جمعت مهلبيا، مهالبة ولم يقل مَهَالبي[2].

وقال المبرد: أخطأ القاسم في «عباقري» أنه لو كان له وجه لكان ترك الإجراء وجه الإعراب، لأن ياء النسب تجعله كالواحد كقولك مدائني فينصرف، لأنه يصير إلى الواحد ويزول عنه بناء الجمع، ومن نسب إلى عباقر وهو جمع لم يجز إلا عبقري كالنسب إلى مساجد مسجدي، وإلى الفرائض فرضي، وإن كان اسما لواحد قلت عباقري فتصرفه، كما تقول في كلاب[3]، وفي المدائني مدائني لأنه اسم لواحد، ولو نسب إلى جماعة الكلاب قيل كلبي.

ثم ختم السورة بما ينبغي أن يمجد به ويعظم فقال، قوله ﷻ:

٧٨- ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِى ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ تقدم تفسير الجلال والإكرام في هذه السورة.

وقرأ ابن عامر: ذو الجلال[4] والإكرام بالرفع إجراء على الاسم وذلك دليل ظاهر على أن الاسم هو المسمى، لأن ذو الجلال من صفة الله ﷻ لا من صفة التسمية.

---

(١) في (ك): (أنكر).

(٢) انظر: «معاني الزجاج» ٥/ ١٠٤-١٠٥.

(٣) كذا في (ك)، ولعلها (كلاب كلابي).

(٤) قرأ ابن عامر «ذو الجلال» صفة للاسم، والباقون «ذي الجلال» صفة للرب. انظر: «حجة القراءات» ص٦٩٤، و«الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٥٣، و«النشر» ٢/ ٣٨٢، و«الإتحاف» ص٤٠٧.

سورة الواقعة

تفسير سورة الواقعة

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ قال أهل المعاني[١]: اذكر إذا وقعت الواقعة، وقال «صاحب النظم»: إذا هاهنا صفة وفضل ولغو، كما قال ﷻ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١] وتأويله: انشقت السماء، كما قال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر:١] و﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١]، ونظيره في الكلام: قد جاء الشتاء وجاء الصوم بمعنى اقترب ودنا، وإنما قلنا: إن (إذا) ملغاة، لأنه لم يجئ لها خبر ولا جواب، ومنه قول الهذلي[٢]:

حتى إذا أسلكوهم في قتائدهم شلًّا كما يطرد الجمالة الشردا

---

(١) انظر: «الكشاف» ٤/ ٥٥، و«الجامع» للقرطبي ١٧/ ١٩٤، و«فتح القدير» ٥/ ١٤٧.

(٢) هو عبد مناف بن ربع الهذلي، جاهلي، والبيت ورد في «ديوان الهذليين» ٢/ ٤٢، وروايته (فتائدة)، و«الأمالي» لابن الشجري ٢/ ١٢٢، و«الإنصاف» ص٤٦١، و«الخزانة» ٧/ ٣٩، ٤١. وانظر أيضًا: «اللسان» ٣/ ١٦ (قتد)، ٢/ ١٨٨ (سلك)، و«تهذيب اللغة» ١٠/ ٦٣ (سلك) ونسبه لابن أحمر.

والقتائد: ثنية معروفة، وقيل: اسم عقبة، والشُّرد جمع شرود.

يريد حتى أسلكوهم والبيت آخر القصيدة ولم يجئ لـ (إذا) جواب هذا كلامه[١]، والأول الوجه.

قال المبرد: (وَقَعَتِ) معناه: تقع؛ لأن إذا للاستقبال ومعنى الوقوع هاهنا ظهور بالحدوث كظهور الساقط يحضره الرأي[٢].

وقال أبو إسحاق: يقال لكل[٣] آت كان يتوقع: قد وقع، تقول: قد وقع الأمر، كقولك: قد جاء الأمر[٤].

قال ابن عباس: إذا قامت القيامة[٥].

قال أبو عبيدة والأخفش: الواقعة: اسم للقيامة كالآزفة وغيرها[٦]، وهذا هو الصحيح[٧]؛ لأن المعنى أنها ستقع، وأما ما قال مقاتل في تفسير الواقعة أنها الصيحة وهي النفخة الأخيرة[٨] فبعيد، لأن الله تعالى وصفها بعد بقوله: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ وهي من صفة القيامة لا من صفة الصيحة.

٢- قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ الكاذبة هاهنا مصدر بمعنى الكذب، كالخائنة، واللاغية، والخاطئة، والعافية، والعاقبة، عند أكثر

---

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٩٥.

(٢) انظر: «الكشاف» ٤/ ٥٥، و«روح المعاني» ٢٧/ ١٢٩.

(٣) في (ك): (كل).

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٠٧.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٢٩، و«الوسيط» ٤/ ٢٣١، و«زاد المسير» ٨/ ١٣٠.

(٦) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٤٧.

(٧) وبه قال ابن قتيبة واعتمده ابن كثير وغيره من المفسرين.
انظر: «تفسير غريب القرآن» ص٤٤٥، و«ابن كثير» ٤/ ٢٨٢، و«فتح القدير» ٥/ ١٤٧.

(٨) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٧ أ، وفيه (.. النفخة الأولى) وبقول مقاتل قال الضحاك.
انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٩٦، و«روح المعاني» ٢٧/ ١٢٩.

أهل المعاني[١]، والمعنى: ليس لها كذب، أي أنها تقع صدقًا وحقًا فليس فيها ولا الإخبار عن وقوعها كذب.

وقال بعض أهل المعاني: يجوز أن تكون الكاذبة صفة والموصوف محذوفًا، على تقدير: ليس لوقعتها قضية كاذبة أي أن كل ما أخبر الله من أحكامها وقضاياها صادقة غير كاذبة، ويجوز أن يكون التقدير ليس لوقعتها نفس كاذبة[٢] أي أن كل من يخبر عن وقوعها صادق غير كاذب لم تكذب نفس أخبرت عن وقوعها.

وأما الكسائي والفراء والزجاج فإنهم جعلوا الكاذبة هاهنا بمعنى التكذيب وفسروها بالرد، قال الكسائي: كاذبة تكذيب، وزاد الفراء: المكذوبة بمعنى التكذيب، وحكاها عن أبي ثروان[٣].

وقال أبو إسحاق: كاذبة أي لا يردها شيء، كما تقول حملة فلان لا تكذب، أي لا يرد حملته شيء[٤]، وعلى هذا المعنى دل كلام ابن عباس في رواية عطاء والكلبي قال: ليس لوقعتها رادة، وقال الكلبي عنه

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٢١، و«إعراب القرآن» للنحاس ٣/٣١٨-٣١٩.

(٢) انظر: «الكشاف» ٤/ ٥٥، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٩٥، و«البحر المحيط» ٨/ ٢٠٣.

(٣) أبو ثروان العكلي من الأعراب الذين شايعوا الكسائي على سيبويه في المسألة الزنبورية المعروفة، تعلم في البادية، وأكثر الفراء من الرواية عنه. له كتاب «خلق الفرس»، و«معاني الشعر».
انظر: «طبقات الزبيدي» ص٧١، و«معجم الأدباء» ٧/١٤٨، و«همع الهوامع» ١/ ٢١٠، وانظر: «تهذيب اللغة» ١٠/ ١٦٧ (كذب).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/١٢١، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/١٠٧، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٩٥.

مردودة[١].

والردة هاهنا بمعنى المصدر، أي: رد، وعلى هذا القول يجب أن تكون (الكاذبة) بمعنى التكذيب ويكون التكذيب بمعنى الرد، ولم أر الفاعلة في مصادر التفعيل ولا الكذب بمعنى الرد لغيرهم فالله أعلم.

ويكون كذب بمعنى ارتد وولى، يقال: ما كذب عن قرنه أي ما جبن ولا رجع. ومنه قول زهير:[٢]

ليث بعثر يصطاد الرجال إذا ما الليث كذَّب عن أقرانه صدقا

فإن صحت الكاذبة بهذا المعنى كان تفسير ليس لوقعتها ارتداد، وهذا قول قتادة ومقاتل. قالا: ليس لوقعتها مثنوية ولا ارتداد[٣].

٣- قوله تعالى ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ قال أبو إسحاق: هي خافضة رافعة[٤]. روى عكرمة عن ابن عباس قال تخفض ناسًا وترفع[٥] آخرين[٦].

وقال عطاء عنه: تخفض أقوامًا كانوا في الدنيا مرتفعين، وترفع أقوامًا كانوا في الدنيا متَّضعين[٧].

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٢٩، وفيه (راد ولا خلف ولا مثنوية).
وانظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٩٦، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٩٥.

(٢) انظر: «ديوان زهير» ص٥٤، و«شرح المفصل» ١/ ٦١، و«المنصف» ٣/ ١٢١، وقوله «بعثر» هي موضع في اليمن. وقيل: هي أرض مأسدة بناحية تبالة، و«اللسان» ٢/ ٦٨٤ (عثر).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٧ أ، و«تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٦٩، و«الطبري» ٢٧/ ٩٦.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٠٧.

(٥) في (ك): (وتضع).

(٦) انظر: «المصنف» ١٣/ ٣٧٢، و«الوسيط» ٤/ ٢٣٢، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٨٢، ونسب تخريجه لابن أبي حاتم.

(٧) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٣٢، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٩، و«زاد المسير» ٨/ ١٣١.

وقال قتادة: خفضت أقوامًا في عذاب الله، ورفعت أقوامًا في كرامة الله[١]، والمعنى أنها تخفض أقوامًا إلى أسفل سافلين في النار، وترفع آخرين إلى أعلى عليين في الجنة، وقال أهل المعاني: تخفض بالمعصية وترفع بالطاعة[٢]، وقال ابن عطاء: خفضت قومًا بالعدل ورفعت قومًا بالفضل[٣].

٤- قوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾ الوجه أن تجعل إذا مضمنًا بالذكر كما قلنا في ﴿إِذَا وَقَعَتِ﴾ وقال الجرجاني: إذا ظرف لقوله: ﴿وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ لأنه وقت لها، أي أن الواقعة تقع إذا رجت الأرض رجًا، قال: وفي هذا دليل على أن تأويل قوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ ستقع الواقعة إذا رجت[٤]، ونحو هذا قال أبو إسحاق: موضع إذا نصب المعنى: إذا وقعت في ذلك الوقت ومعنى (رُجَّتِ) حركت حركة شديدة[٥] يقال: رججته فارتج، والسهم يرتج في الغرض[٦]، قال قتادة ومقاتل: زلزلت زلزالًا[٧].

وقال الكلبي وجماعة المفسرين: ترج كما يرج الصبي في المهد حتى يتهدم كل بناء عليها وينكسر كل ما عليها من الجبال[٨]، فذلك قوله تعالى:

٥- ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ ذكر أهل المعاني واللغة فيه قولين:

---

(١) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٦٩، و«جامع البيان» ٢٧/ ٩٦.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٠٧.

(٣) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٥٠ ب، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٩٥.

(٤) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ١٤٢، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٩٦.

(٥) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٠٨.

(٦) الرَّجُّ: التحريك؛ والرجرجة: الاضطراب. والرَّجُّ: تحريكك شيئًا كحائط إذا حركته «اللسان» ١/ ١١٢٥ (رَجج).

(٧) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٦٩، و«تفسير مقاتل» ١٣٧ أ.

(٨) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٣٢، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٩، و«زاد المسير» ٨/ ١٣١.

أحدهما: أن معنى: (بُسَّتِ) خلطت فصارت كالدقيق المبسوس، وهو الملتوت بشيء من الماء، هذا قول أبي عبيدة، والفراء، وأنشدا[(١)]:

لا تخبزا خبزًا وبسا بسًّا

أي: اخلطا الدقيق بالماء فكلاه، والمعنى على هذا أن الجبال تصير ترابًا تخلط بعضها ببعض.

القول الثاني: أن معنى البس الفت، روى عمرو عن أبيه: بس الشيء إذا فتته حتى يصير فتاتًا[(٢)].

وذكر أبو إسحاق في البس قولًا آخر وهو السوق والطرد، ومعنى (بُسَّتِ) سيقت، وأنشد[(٣)]:

وانبس حيَّاتُ الكثيب الأهيل

قال اللحياني[(٤)]: يقال بُسَّهم عنك، أي: اطردهم، وانبس الرجل إذا ذهب، وانبست الحيات إذا جرت على الأرض[(٥)]، وأقوال المفسرين غير خارجة عن هذه الأقسام.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٤٧- ٢٤٨، و«معاني القرآن» ٣/ ١٢١، والبيت من الرجز، قيل إنه للص من غطفان. وتمامه:

ولا تطيلا بمناخ حبسا

وانظر: «اللسان» ١/ ٢١٢ (بسس)، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٠٨، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٩٦، وفي تمامه اختلاف. وذكره الأزهري عن الأصمعي حيث قال: وسمعت العرب تنشد..، انظر: «تهذيب اللغة» ١٢/ ٣١٦ (بسس).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» ١٢/ ٣١٥، و«اللسان» ١/ ٢١٢ (بسس).

(٣) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٠٨، والبيت في «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٠٨، و«اللسان» ١/ ٢١٢ (بسس)، ومعناه أن الحيات تذهب وتنساب على وجه الأرض.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ١٢/ ٣١٦ (بس).

(٥) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٩٧، و«تفسير مجاهد» ٢/ ٦٤٥، و«تفسير مقاتل» ١٣٧ ب.

قال ابن عباس في رواية عطاء: فُتَّت فتا، وهذا قول مقاتل ومجاهد في رواية ابن أبي نجيح[(١)] وروى منصور عنه: لُتَّت لتًّا كما يبس السويق[(٢)].

وقال السدي: كسرت كسرًا[(٣)]، وهذا كقول من قال: فتت.

وقال الكلبي: سيرت عن وجه الأرض[(٤)]، ونحو هذا قال الحسن: قلعت من أصلها[(٥)].

وقال قتادة: نسفت نسفًا، وقول الكلبي والحسن وقتادة معنى قول من يفسر البس بالطرد[(٦)].

٦- قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ يعني صارت غبارًا متفرقًا كالذي يرى في شعاع الشمس إذا دخل من الكوة وهو الهباء[(٧)].

والمنبث المتفرق، هذا قول ابن عباس ومقاتل ومجاهد[(٨)].

---

(١) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٤٥، و«جامع البيان» ٢٧/ ٩٧.

(٢) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٥١ ب، و«الوسيط» ٤/ ٢٣٢، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٩.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٣١، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٩.

(٤) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٥ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٣٢، و«فتح القدير» ٥/ ١٤٧.

(٥) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٦٩، قال الشنقيطي: وقوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ في معناه لأهل العلم أوجه متقاربة لا يكذب بعضها بعضًا، وكلها حق، وكلها يشهد له القرآن. ثم ذكر الأقوال وشواهدها، انظر: «أضواء البيان» ٧/ ٤٦٤.

(٦) في (ك): (اللبس بالطردة).

(٧) الهباء: التراب الذي تُطيره الريح فتراه على وجوه الناس وجلودهم وثيابهم يلزق لزوقًا. وقيل: غبار شبه الدخان ساطع في الهواء. «اللسان» ٣/ ٧٦٦ (هبا).

(٨) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٧ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٩.

وروي عن علي ﷺ قال: يعني رهج الدواب الذي يسطع من حوافرها[١].

ثم ذكر أحوال الناس فقال:

٧- قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَٰثَةً﴾، قال المفسرون: أصنافًا ثلاثة، قال أبو إسحاق: يقال للأصناف التي بعضها مع بعض أزواج[٢].

ثم فسر الأزواج بقوله: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ يعني اليمين، وجمعها الميامن، وهي جوانب اليمين، وفي أصحاب الميمنة أربعة أقوال:

قال عطاء، عن ابن عباس: هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم، وهو قول الضحاك[٣].

وعن ابن عباس أيضًا: هم الذين كانوا على يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه[٤].

وقال الحسن والربيع: هم الذين كانوا ميامين مباركين على أنفسهم، وكانت أعمارهم في طاعة الله ﷻ[٥].

---

(١) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٩٧، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٩٧، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٨٢.

(٢) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٠٨.

(٣) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٥١ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٩، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٩٧.

(٤) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٥١ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٧٩، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٨٢.

(٥) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٥١ أ- ب، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٩٧. و«فتح القدير» ٥/ ١٤٨.

القول الرابع: أنهم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة(١).

٨- قوله تعالى: ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ قال جميع أهل المعاني(٢) (مَا) هاهنا تفخيم لقصتهم وتعظيم لشأنهم وتعجيب منهم، كما تقول: زيد ما زيد؟ أي: أي شيء هو؟ للتعجب منه، وهذا كقوله: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١، ٢] و﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١، ٢].

٩- قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ يعني أصحاب الشمال والمشئمة اليسرى. يقال: اليد اليمنى واليد الشومى، ومن هذا اللفظ أخذ اليُمْن والشؤم، واليَمَن والشأم.

وفي أصحاب المشئمة أربعة أقوال تضاد الأقوال التي ذكرناها في أصحاب الميمنة(٣).

ثم ذكر الصنف الثالث فقال:

١٠-١١- قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ قال الفراء والزجاج يجوز أن يكون (وَالسَّابِقُونَ) ابتداء، وخبره الثاني، ويكون المعنى: والسابقون إلى طاعة الله السابقون إلى رحمة الله، ويكون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ من صفتهم. ويجوز أن يكون الأول ابتداء والثاني توكيده، ويكون الخبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾(٤).

---

(١) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٩٨، و«الجامع» للقرطبي ١٧/ ١٩٧، ونسبه للسدي.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٧٠١، و«معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٢٢، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٠٨.

(٣) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٥١ ب.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٢٢، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٠٩.
أورد النحاس قولهما أن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ صفة، قال: ولكن يكون بدلاً أو خبرًا بعد خبر. انظر: «إعراب القرآن» ٣/ ٣٢١.

واختلفوا في تفسير السابقين فقال ابن عباس[١]: يريد الذين سبقوا إلى توحيد الله والإيمان برسوله كما قال: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٠] الآية.

وقال ابن سيرين: هم الذين صلوا القبلتين[٢]، وهذا كقول ابن عباس؛ لأن الذين صلوا القبلتين كانوا هم الأولين من الصحابة، ونحو هذا قال عكرمة: السابقون إلى الإسلام[٣]، وهو معنى قول الربيع: إلى إجابة الرسول ﷺ[٤].

وقال مقاتل: إلى الأنبياء بالإيمان[٥]. وهذا القول يوجب تخصيص السابقين بأوائل هذه الأمة. وقال الكلبي: السابقون إلى الرسول من كل أمة السابقون في الآخرة إلى الجنة[٦].

وأكثر المفسرين جعلوا هذا السبق إلى الطاعات، فمنهم من أجملها وهو القرظي فقال: إلى كل خير وإلى كل ما دعا الله إليه، وهو اختيار ابن كيسان[٧].

ومنهم من فصَّل فقال سعيد بن جبير: إلى التوبة[٨]، وقال علي ﷺ:

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٣٢، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٠.
(٢) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٩٩، و«تفسير القرآن» العظيم» ٤/ ٢٨٣.
(٣) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٥٢ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٠، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٩٩.
(٤) نظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٥٢ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٠.
(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٧ ب.
(٦) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٣٢، و«الوسيط» ٤/ ٢٣٢.
(٧) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٥٢ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٠.
(٨) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٠، و«زاد المسير» ٨/ ١٣٣.

إلى الصلوات الخمس[1]، وقال عثمان بن أبي سودة[2]: إلى المسجد، وإلى الجهاد، يخرجون في الرعيل الأول من المصلين والمجاهدين[3].

ثم وصفهم وأخبر عنهم فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ قال ابن عباس: مثل النبيين والمرسلين[4]. وقال الكلبي: إلى عَدَن[5]. وقال أهل المعاني: جزيل ثواب الله وعظيم كرامته[6].

ثم أخبر أين محلهم فقال:

١٢- ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٢٧] كله من صفة السابقين وبيان حالهم، وذلك أن الله تعالى صنف الخلق ثلاثة أصناف كما ذكر، ثم بين هناك كل صنف وحاله في الآخرة فذكر صفة السابقين أولًا، ثم وصف

---

(١) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٥٢ أ، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٩٩، و«روح المعاني» ٢٧/ ١٣٢.

(٢) هو عثمان بن أبي سودة المقدسي، روى عن أبي الدرداء وأبي هريرة وغيرهما، وعنه الأوزاعي وجابر بن زيد وغيرهما، وثقه مروان بن محمد وذكره ابن حبان في «الثقات» .. انظر: «تهذيب التهذيب» ٧/ ١٢٠، و«تقريب التهذيب» ٢/ ٩.

(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ٩٩، و«المصنف» ٥/ ٢٦٧، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ١٩٩، ونسبه لمجاهد وغيره.
قال ابن كثير بعد ذكره للأقوال: وهذه الأقوال كلها صحيحة، فإن المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا، كما قال تعالى ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣] فمن سابق في هذه الدنيا وسبق إلى الخير كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة، فإن الجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان. «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٨٣.

(٤) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٣٢.

(٥) لم أجده، وذكر المفسرون نحوه، فقالوا: (عند الله).

(٦) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٣٢.

الفريقين الآخرين فيما بعد.

قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ﴾ الثلة: الفرقة والجماعة من[١] الناس غير محصوري العدد في قلة ولا كثرة[٢].

قوله تعالى: ﴿مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ يعني من لدن آدم إلى زمان نبينا ﷺ. قاله الكلبي[٣]، وقال عطاء: يريد كثيرًا من الأولين[٤]، وقال مقاتل: يعني سابقي الأمم الخالية.

١٤- ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ يريد من أمة محمد ﷺ.

قال مقاتل: يعني سابقي هذه الأمة أقل من سابقي الأمم الخالية[٥].

وقال أبو إسحاق: الذين عاينوا جميع النبيين وصدقوا بهم أكثر ممن عاين النبي ﷺ[٦].

١٥- قوله: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ معنى الوضن في اللغة: النضد والنسج المضاعف، يقال: وضن فلان الحجر والآجر بعضه فوق بعض فهو موضون.

وقال الليث: الوضن نسج السرير وأشباهه، ويقال: درع موضونة مقاربة في النسج مثل مرصوفة، وقال رجل من العرب لامرأته: ضنيه -يعني متاع البيت- أي قاربي بعضه من بعض.

---

(١) (من) ساقطة من (ك)، وبزيادتها تستقيم العبارة.

(٢) وقال أبو عبيدة: (تجيء جماعة وأمة وتجيء بقية). «مجاز القرآن» ٢/ ٢٤٨. وانظر: «تهذيب اللغة» ١٥/ ٦٣، و«اللسان» ١/ ٣٧١ (ثلل).

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٣٢، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٠.

(٤) لم أجده. وهو ظاهر المعنى.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٧ ب.

(٦) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٠٩.

قال أبو عبيدة، والفراء، والمبرد، وابن قتيبة[١]: موضونة: منسوجة مضاعفة متداخلة بعضها على بعض كما يوضن حلق الدروع، ومنه سمي الوضين، وهو بطان من سيور منسوجة مضاعفة تنسج فيدخل بعضه في بعض، وأنشدوا للأعشى[٢]:

ومن نسج داوود موضونة تساق مع الحي عيرًا فعيرا

قال المفسرون: مرمولة منسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدر والياقوت والزبرجد، وهو قول الكلبي، ومجاهد، ومقاتل[٣].

وقال الضحاك: مصفوفة، وهو قول ابن عباس في رواية الوالبي[٤].

١٧- قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ قال أبو عبيدة: لا يهرمون ولا يتغيرون[٥]، ونحو ذلك قال الفراء، قال: والعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يشمط: إنه لمخلد، وإذا لم تذهب أسنانه من الكبر قيل: إنه لمخلد، قال: ويقال مخلدون: مقرَّطون، ويقال مسورون[٦].

وأنشد غيره:

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٤٨، و«معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٢٢، و«تفسير غريب القرآن» ص٤٤٦.

(٢) «ديوانه» ص٩٠، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١١٠، و«اللسان» ٣/ ٩٤٤ (وضن)، و«تفسير غريب القرآن» ص٤٠٩.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٣٢، و«تفسير مجاهد» ٢/ ٦٤٦، و«تفسير مقاتل» ١٣٧ ب، و«جامع البيان» ٢٧/ ٩٩، و«المصنف» ١٣/ ١٣٩.

(٤) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٠٠، و«الثعلبي» ١٢/ ٥٣ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٠.

(٥) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٤٩.

(٦) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ١٢٢-١٢٣.

ومخلداتٍ باللجين كأنما أعجازهن أقاوز الكثبان[١]

وهذا قول ابن الأعرابي قال: مخلدون مقرَّطون بالخلدة، وجمعها خلد، وهي القرطة.

وروى عمرو عن أبيه: خلَّد جاريته إذا حلَّاها بالخلد وهي القرطة، وخلَّد إذا أسنَّ ولم يشب[٢].

قال ابن عباس: غلمان لا يموتون وهو قول مجاهد[٣]، وعلى هذا هو من الخلود الذي هو البقاء بلا موت.

وقال الكلبي ومقاتل: لا يكبرون ولا يهرمون ولا يتغيرون[٤].

وقال سعيد بن جبير والمؤرج: مقرطون[٥].

والمراد بالولدان: الغلمان، وهم وإن لم يولدوا ولم يحصلوا عن ولادة أطلق عليهم هذا الاسم، لأن العرب تسمي الغلمان ولدانًا، وبعضهم احترز فجعل الولدان هاهنا ولدان المسلمين الذين يموتون ولا حسنة لهم ولا سيئة، وهذا القول يروى عن علي والحسن، قالا: لأن الجنة لا ولادة فيها[٦]،

---

(١) البيت في «تهذيب اللغة» ٧/ ٢٧٧، و«اللسان» ١/ ٨٧٦ (خلد) و٣/ ١٨٦ (قوز)، و«تفسير غريب القرآن» ص٤٤٧، ولم ينسب لقائل، واللجين هي الفضة.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» ٧/ ٢٧٩ (خلد).

(٣) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٤٦، و«تنوير المقباس» ٥/ ٣٣٣.

(٤) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٨١، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٠٢، ولم أقف عليه في «تفسير مقاتل».

(٥) «الكشف والبيان» ١٢/ ٥٣ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٨١، و«اللسان» ص٨٧٦ (خلد). قال الألوسي: أي مبقون أبدًا على شكل الولدان، وحد الوصافة لا يتحولون عن ذلك، وإلا فكل أهل الجنة مخلد لا يموت «روح المعاني» ٢٧/ ١٣٦.

(٦) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٥٣ أ، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٠٣.

والقول هو الأول[١].

١٨- قوله تعالى: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ قالوا الأكواب المستديرة الأفواه لا آذان لها ولا عُرى، والأباريق ذات الخراطيم واحدها إبريق، وهو الذي يبرق لونه من صفائه[٢]. وأباريق الجنة من الفضة في صفاء القوارير، يرى من ظاهرها ما في باطنها، ذكر ذلك عطاء، ومقاتل[٣]، والعرب تسمي السيف إبريقًا لبريق لونه، ومنه قول ابن أحمر[٤]:

تعلَّقت إبريقًا وعلقت جعبةً ليهلك حيا ذا زهاء وجامل[٥]

وقال اللحياني: امرأة إبريق إذا كانت برَّاقة. وما بعد هذا مفسر في سورة الصافات [آية: ٤٥].

٢٠- قوله تعالى: ﴿مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ تخيرت الشيء أخذت خيره.

٢١- قوله تعالى: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ قال ابن عباس: يخطر على قلبه الطير فيصير ممثلًا بين يديه على ما اشتهى[٦].

٢٢- قوله تعالى: ﴿حُورٌ عِينٌ﴾ أكثر القراءة بالرفع، وقرأ حمزة والكسائي بالخفض[٧].

---

(١) وقال الشوكاني: ولا يبعد أن يكونوا مخلوقين في الجنة للقيام بهذه الخدمة، و«فتح القدير» ٥/ ١٤٩.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٢٣، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١١٠.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٧ ب.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ٩/ ١٣٣ (برق).

(٥) ورد البيت في «اللسان» ٢/ ٨٦٣ (علق)، ولم ينسبه.

(٦) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٨١، و«زاد المسير» ٨/ ١٣٧.

(٧) قرأ حمزة، والكسائي، وأبو جعفر ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ بالخفض. وقرأ الباقون برفعهما. انظر: «النشر» ٢/ ٣٨٣، و«الإتحاف» ص٧٠٤- ٤٠٨.

قال أبو عبيد: هي عندنا بالرفع بمعنى: وعندهم حور عين، ولا أحب الخفض لأنه ليس يطاف عليهم بالحور، هذا كلامه[١]، ووجه الرفع على مذهب سيبويه[٢] أن قوله: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ دل على أن معنى الكلام لهم كذا ولهم كذا، فحمل: (حُورٌ) على المعنى كأنه قيل: ولهم حور، ومثله مما حمل على المعنى قول الشاعر[٣]:

إلا رواكد جمرهن هباء

ومشجج .. .. ..

فحمل ومشجج على المعنى لأن المعنى إلا رواكد ومشجج. ذكر ذلك المبرد والزجاج وأبو علي[٤].

وأما الخفض فقال الفراء: هو وجه الكلام على أن تتبع آخر الكلام أوله وإن لم يحسن في آخره ما حسن في أوله، وأنشد:

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٣٢٤، و«حجة القراءات» ص٦٩٥.

(٢) انظر: «الكتاب» ١/ ١٧٣.

(٣) البيت الأول بتمامه:

بادت وغير آيهن مع البلى إلا رواكد جمرهن هباء

والبيت الثاني:

ومشجج أما سواء قذاله فبدا وغير سارة المعزاء

والبيتان ينسبان إلى ذي الرمة، كما في «ملحقات ديوانه» ٣/ ١٨٤٠.

وينسبان إلى الشماخ كما في «ملحقات ديوانه» ص٤٢٧، ٤٢٨، و«الكتاب» ١/ ١٧٣، و«اللسان» ٢/ ٣٠٤ (شجج)، و«الحجة» ٦/ ٢٥٦، والرواكد الأثافي، والمشجج هو الوتد، وتشجيجه ضرب رأسه ليثبت، وسواء قذالة: وسطه. والمعزاء. أرض صلبة ذات حصى.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١١١، ١/ ٢٥٤، و«الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٥٥-٢٥٦، و«البغداديات» ص٢١٩-٢٢٠.

إذا ما الغانيات برزن يومًا وزججن الحواجب والعيونا[١]

والعين لا تزجج إنما تكحل، فردها على الحواجب لأن المعنى يعرف، قال: وكان ينبغي لمن رفع -لأنهن لا يطاف بهن- أن يرفع ﴿وَفَٰكِهَةٍ﴾ ﴿وَلَحۡمِ طَيۡرٍ﴾. لأن الفاكهة واللحوم لا يطاف بها وفي ذلك بيان أن الخفض وجه الكلام[٢]، يعني أن الحور اتبع في الخفض اللحم والفاكهة، فلما خفضا كذلك خفض الحور، وبين الزجاج هذا الوجه فقال: وحور مخفوض على غير ما ذهب إليه من ظن أن معنى الخفض فيه أنه يطاف به ولا يطاف بالحور، ولكن معنى ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ١٧ بِأَكۡوَابٖ﴾ ينعمون بها، وكذلك ينعمون بلحم طير وينعمون بحور عين[٣]. وهذا معنى قول الفراء وإن لم يحسن في آخره ما حسن في أوله يعني لا يحسن الطوف في الحور كما حسن في الكأس، ولكن يعطف عليه في الظاهر؛ لأن المعنى يعرف كما عطف الشاعر العيون على الحواجب وأراد وكحلن العيون كذلك هاهنا يراد ويكرمون، أو وينعمون بفاكهة ولحم طير وحور عين.

---

(١) البيت للراعي النميري، انظر: «ديوانه» ص١٥٠، و«الخصائص» ٢/ ٤٣٢، و«شرح شواهد المغني» ٢/ ٧٧٥، و«الدرر اللوامع» ١/ ١٩١، و«الإنصاف» ص٦١٠، و«الخزانة» ٩/ ١٤١.

(٢) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ١٢٣-١٢٤.

قلت: قوله: (لأن الفاكهة واللحوم لا يطاف بها) تعقبه النحاس بقوله: (وهذا الاحتجاج لا ندري كيف هو إذ كان القراء قد أجمعوا على القراءة بالخفض في قوله جل وعز ﴿وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ﴾ فمن أين له أنه لا يطاف بهذه الأشياء التي ادعى أنه لا يطاف بها؟ وإنما يسلم في هذا لحجة قاطعة، أو خبر يجب التسليم به. «إعراب القرآن» ٣/ ٣٢٤-٣٢٥.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١١١.

وقال أبو علي: وجه الجر أن تحمله على قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ التقدير: في جنات النعيم، وفي حور عين أي في مقام به حور عين أو معاشرة حور عين، ثم حذف المضاف[١].

وتفسير اللؤلؤ المكنون سبق في سورة الطور[٢] [آية: ٢٤].

٢٤- قوله تعالى: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ ذكر أبو إسحاق في نصب جزاء قولين: **أحدهما**: أنه مصدر ودل ما قبله على يجزون.

والثاني: أنه مفعول له، المعنى: يفعل ذلك بهم لجزاء أعمالهم[٣].

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ قال المبرد: اللغو ما يرغب عنه من الكلام ويستحق أن يلغى[٤]. والمعنى: ليس فيها لغو فيسمع.

٢٥- [قوله: ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾][٥] يقال أثَّمه إذا قال أثمت، وللتأثيم هاهنا معنيان:

أحدهما: أن بعضهم لا يقولون لبعض أثمت لأنهم لا يتكلمون بالإثم كما يتكلم أهل الدنيا[٦].

الثاني: ولا يأتون تأثيمًا أي ما هو سبب التأثيم من فعل أو قول قبيح[٧]، وهذا معنى قول أبي عبيدة، قال في هذه الآية: مجازها مجاز: أكلت خبزًا ولبنًا، واللبن لا يؤكل فجاز إذا كان معها شيء يؤكل، والتأثيم

---

(١) انظر: «الحجة» ٦/ ٢٥٧. (٢) في (ك): (الذاريات).

(٣) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١١١-١١٢.

(٤) انظر: «اللسان» ٣/ ٣٧٨ (لغا).

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من المحقق.

(٦) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٣٤، ونسبه لابن عباس، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٨٨.

(٧) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٠٢.

لا يسمع إنما يسدع اللغو[١]، وهذا معنى قول الكلبي، يقول: ولا إثم فيها[٢].

٢٦- قوله تعالى: ﴿إِلَّا قِيلًا﴾ من الاستثناء المنقطع، المعنى: لكن يقولون قيلا أو يسمعون قيلا ﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ وانتصب سلامًا على النعت لقوله: قيلا، والسلام الآخر بدل الثاني، والمعنى: إلا قيلا يسلم فيه من اللغو والإثم، وإن شئت جعلت القيل يعمل في السلام الأول والآخر بدل، والمعنى: إلا أنهم يقولون الخير، هذا قول الأخفش والفراء والزجاج[٣].

قال عطاء عن ابن عباس: يريد: يحيي بعضهم بعضًا بالسلام[٤]، وزاد الكلبي عنه: وتحييهم الملائكة بالسلام ويرسل إليهم ربهم بالسلام[٥].

وقال مقاتل: يعني كثرة السلام من الملائكة[٦].

فالمفسرون: جعلوا السلام هاهنا بمعنى التحية والوجه ما قال الزجاج من أن المراد بالسلام أن قولهم يسلم من اللغو[٧]، ويدل على ذلك أن مسموع أهل الجنة لا يكون مقصورًا على التحية فقط، بل يسمعون

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٤٩.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٢/ ٣٣٥.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٤٠١- ٧٠٢، و«معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٢٤، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١١٢.

(٤) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٣٤، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٢.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٣٥، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٠٦.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٨ أ.

(٧) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١١٢.

غيرها مما لا لغو فيه ولا تأثيم[(١)].

٢٧- ثم ذكر أصحاب اليمين وعجب من شأنهم فقال: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ وقد تقدم تفسيره.

ثم ذكر منازلهم فقال:

٢٨- قوله تعالى: ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ تفسير السدر قد تقدم في سورتين[(٢)].

والمخضود المنزوع الشوك في قول جميع أهل اللغة، والخضد: كسر[(٣)] الشيء اللين، وإذا كسرت عودًا لينًا ولم تبنه قلت: خضدته فاتخضد[(٤)]، ومعنى مخضود. خضد شوكه، أي قطع فلا شوك فيه.

قال ابن عباس في رواية الكلبي، ومجاهد، ومقاتل، وقتادة، وأبو الأحوص، وقسامة بن زهير[(٥)]:

---

(١) قلت: وهو أيضًا ما اختاره ابن جرير ٢٧/ ١٠٢، حيث قال: (لا يسمعون فيها من القول إلا قليلاً سلامًا سلامًا. أي: اسلم مما تكره). ويرى ابن كثير ٤/ ٢٨٨ شمول الآية للمعنيين حيث قال: (أي إلا التسليم منهم بعضهم على بعض، كما قال تعالى ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣] وكلامهم أيضًا سالم من اللغو، الإثم).

(٢) عند تفسيره الآية [سبأ: ١٦] حيث قال: السدر من الشجر سدران. أحدهما: سدر بري لا ينتفع بثمره، ولا يصلح ورقه لغسول، وربما خبط للراعية، وله ثمر عفص لا يؤكل، والعرب تسميه الضال.. يتفكه به. وقال الفراء: ذكروا أنه السمر.

(٣) في (ك): (بكسر).

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ٧/ ٩٧، و«اللسان» ١/ ٨٤٦ (خضد).

(٥) قسامة بن زهير المازني البصري، ثقة، حدث عن أبي موسى وأبي هريرة وروى عنه قتادة وهشام ابن حسان. قال ابن سعد: كان ثقة إن شاء الله. وتوفي في إمرة الحجاج. انظر: «تقريب التهذيب» ٢/ ١٢٦، و«تاريخ الإسلام» ٥/ ٤٥٧، و«طبقات ابن سعد» ٧/ ١٥٢، و«تهذيب التهذيب» ٨/ ٣٧٨.

خضد شوكه فلا شوك فيه[١]، يدل عليه ما روي عن سليم[٢] ابن عامر[٣] قال: أقبل أعرابي يومًا فقال: يا رسول الله لقد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية، وما كنت أرى أن في الجنة شجرة تؤذى[٤] صاحبها، فقال رسول الله ﷺ: «**وما هي؟**» قال: السدر، فقال رسول الله: «**أو ليس يقول (في سدر مخضود) خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة، تنفتق الثمرة عن اثنتين وسبعين لونًا من الطعام، ما فيه لون يشبه الآخر**»[٥].

وذكر جماعة من المفسرين في تفسير المخضود: أنه الموقر حملا[٦]، ولا وجه له، وكأنهم ذهبوا إلى أن الله تعالى لما خضد شوكه أوقره بالحمل كما هو في الخبر الذي ذكرنا، ولا يكون ذلك مما يفسر به المخضود، وأما ذكر من أنه لا يعقر اليد ولا يرد اليد منه شوك، ولا أذى

---

(١) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٧٠، و«تنوير المقباس» ٥/ ٣٣٥، و«تفسير مقاتل» ١٣٨ أ، و«جامع البيان» ٢٧/ ١٠٣، و«الثعلبي» ١٢/ ٥١ ب، و«ابن كثير» ٤/ ٢٨٨.

(٢) في (ك): (سليمان).

(٣) هو: سليم بن عامر الكلاعي، تقدمت ترجمته في سورة النور.

(٤) (تؤذي) ساقطة من (ك).

(٥) ذكره ابن كثير من رواية البغوي، و«تفسير ابن كثير» ٤/ ٢٨٨.

وأخرجه الحاكم في التفسير، سورة الواقعة ٢/ ٤٧٦ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والبيهقي عن أبي أمامة قال: .. وذكر الحديث. وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٧٤)، عن صفوان بن عمرو، عن سليم بن عامر مرسلاً من غير ذكر لأبي أمامة. وانظر: «إحياء علوم الدين» ٤/ ٥٣٨، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٦/ ١٠٣، والهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/ ٤١٤ عن الطبراني.

(٦) روي عن مجاهد، والضحاك، وسعيد بن جبير، ومقاتل بن حيان.

انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٠٣، و«الثعلبي» ١٢/ ٥٤ ب، و«القرطبي» ١٧/ ٢٠٧.

فيه فكل هذا من معاني المخضود لا من تفسيره(١).

٢٩- قوله: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ قال الليث: الطلح شجر أم غيلان، له شوك أحجن(٢)، وهو من أعظم العضاه شوكًا وأصلبه عودًا وأجوده صمغًا، والواحدة طلحة، وهذا قول جميع أهل اللغة في الطلح(٣). والمفسرون كلهم قالوا في الطلح إنه الموز(٤).

قال أبو إسحاق: جائز أن يكون يعني به شجر أم غيلان، لأن له نورًا طيب الرائحة جدًا، فخوطبوا ووعدوا ما يحبون مثله إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على سائر ما في الدنيا(٥)، ويؤكد هذا ما ذكر في التفسير أنه ليس شيء في الجنة مما في الدنيا إلا الأسامي.

وقال مجاهد: أعجبهم طلح وج(٦) وحسنه، فقيل لهم: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾(٧).

---

(١) انظر: «الكشف والبيان» للثعلبي ١٢/ ٥٤ ب.

(٢) الأحجن والمحجنة والمحجن العصا المعوجة. وقوله شوك أحجن أي معوج.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٣، و«اللسان» ٢/ ٦٠١ (طلح).

(٤) في (ك): (المر)، وممن روي عنه هذا القول: علي، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وابن عباس، وغيرهم. انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٤٧، و«تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٧٠، و«صحيح البخاري» ٦/ ١٨٢، و«جامع البيان» ٢٧/ ١٠٤.

(٥) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١١٢.

(٦) وج: وادٍ بالطائف، سمي بهذا الاسم نسبة لوج بن عبد الحق من العمالقة، وقيل من خزاعة. انظر: «معجم البلدان» ٥/ ٤١٦.

(٧) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٤٧، وقال أبو عبيدة: زعم المفسرون أنه الموز، وأما العرب: فالطلح عندهم شجر عظيم كثير الشوك.. «مجاز القرآن» ٢/ ٢٥٠.
قلت: والمرجح عندي -والله أعلم- ما قاله النحاس رحمه الله، حيث قال: (وسمعت علي بن سليمان يقول: يجوز أن يكون هذا مما لم ينقله أصحاب =

وتفسير المنضود قد تقدم[١]، قال الكلبي حمله بعضه على بعض[٢].

قال ابن قتيبة: المنضود الذي نضد بالحمل من أوله إلى آخره، أو بالورق والحمل، فليست له سوق بارزة كما قال مسروق: أنهار الجنة تجري في غير أخدود وشجرها نضيد من أسفلها إلى أعلاها[٣].

٣٠- قوله: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ أي: دائم تام باق لا يزول ولا تنسخه الشمس كظل أهل الدنيا، هذا قول ابن عباس ومقاتل والمفسرين[٤].

قال أبو عبيدة[٥]: والعرب تقول لكل شيء طويل لا ينقطع: ممدود. قال لبيد[٦]:

غلب العزاء وكان غير مغلب ... دهر طويل دائم ممدود

وأما ما ذكر بعضهم في هذا الظل أنه مسيرة سبعين سنة ومائة سنة، فهو وهم، وذلك أن ظل الجنة أمد من أن يحد، والجنة كلها ظل لا شمس معه[٧].

= الغريب وأسماء النبت كثيرة، حتى أن أهل اللغة يقولون: ما يعاب على من صحف في أسماء النبت لكثرتها) «إعراب القرآن» ٣/ ٣٢٨.

(١) عند تفسيره للآية (٨٢) من سورة هود. قال: النضد: وضع الشيء بعضه على بعض، وقال قتادة: المنضود المصفوف، وقال الربيع: هو الذي نضد بعضه على بعض.

(٢) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٠٤، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٢.

(٣) انظر: «تفسير غريب القرآن» ص٤٤٨.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٣٥، و«تفسير مقاتل» ١٣٨ أ.

(٥) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٥٠.

(٦) البيت في «ديوان لبيد» ص٢٧، و«جامع البيان» ٢٧/ ١٠٤، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٠٩.

(٧) قلت: بل المؤلف رحمه الله هو الذي وهم، فقد ورد في الحديث الصحيح: «إن في=

٣١- قوله تعالى: ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ السكب: صب الماء، يقال: سكبت الماء فهو مسكوب، وانسكب الماء وسكب فهو منسكب ساكب سكوبًا، فالسكب واقع والسكوب مطاوع(١).

قال الكلبي: مصبوب يجري الليل والنهار لا ينقطع عنهم(٢)، وبيانه ما قال أبو إسحاق: أنه ماء لا يتعبون فيه ينسكب لهم كيف يحبون(٣).

قال عطاء: يريد بحارًا حصباؤها الياقوت الأحمر، وحمأها المسك الأذفر، وترابها الكافور(٤).

٣٢- ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ يعني ألوان فواكه الجنة.

قوله تعالى: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ قال ابن عباس: لا تنقطع إذا جنيت(٥). وهذا كما روي أن النبي ﷺ قال: «**لا يقطع من ثمار الجنة إلا أبدل الله**

= الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، وأقرءوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾». انظر: «صحيح البخاري» التفسير، سورة الواقعة ٦/ ١٨٣، و«مسلم»، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ٤/ ٢١٧٥ وغيرها من الأحاديث الدالة على هذا المعنى.

(١) انظر: «اللسان» ٢/ ١٦٨ (سكب).

(٢) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٣٤، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٠٩.

(٣) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١١٢.

(٤) لم أجده. ولعله أراد به الحديث الذي رواه الترمذي وفيه: (قلت: الجنة ما بناؤها. قال: لبنة فضة، ولبنة ذهب، ومِلَاطُها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران). «سنن الترمذي»، في صفة الجنة، باب ما جاء في صفة الجنة ونعيمها ٤/ ٥٨٠، وتقدم عن ابن عباس في صفة حصباء العيون في الجنة، نحوه.

(٥) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٣، و«زاد المسير» ٨/ ١٤١.

مكانها ضعفين»[١].

﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ قال ابن عباس: ولا يمتنع من أحد أراد أخذها[٢]. وقال الكلبي: لا مقطوعة تنقطع في حين ولا ممنوعة وهي التي ينظر إليها ولا تذاق[٣].

قال ابن قتيبة: يعني أنها غير محظورة عليها كما يحظر على بساتين الدنيا فينظر الناظر إلى ثمارها ولا يصل إليها[٤]، ويجوز أن يكون المعنى أنها غير مقطوعة بالأزمان، ولا ممنوعة بالأثمان، لا يتوصل إليها إلا بالثمن يدل على هذا ما روي عن ابن شوذب[٥] أنه قال: مررت بالحجاج ابن فرافصة[٦] وهو واقف على أصحاب الفاكهة، فقلت ما يقيمك هاهنا؟

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٢/ ٥٦ أ، وفي «مجمع الزوائد» ١٠/ ٤١٤ **(إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى)**. رواه الطبراني والبزار، ورجال الطبراني وأحد إسنادي البزار ثقات.

(٢) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٣٤، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٣.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٤/ ٢٣٥، و«معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٢٥.

(٤) انظر: «تفسير غريب القرآن» (٤٤٩).

(٥) عبد الله بن شوذب الخراساني، أبو عبد الرحمن، صدوق عابد، نزيل بيت المقدس، روى عن الحسن وطبقته، وكان كثير العلم، جليل القدر. عاش سبعين سنة، وتوفي سنة (١٥٦هـ).
انظر: «سير أعلام النبلاء» ٧/ ٩٢، و«البداية والنهاية» ١٠/ ١١٥، و«ميزان الاعتدال» ٢/ ٤٤٠، و«العبر» ١/ ١٧٣، و«التاريخ الكبير» ٣/ ١٧.

(٦) الحجاج بن فرافصة الباهلي البصري، صدوق، عابد، يهم، أسند عن أنس وغيره، من السادسة.
انظر: «التقريب» ١/ ١٥٤، و«التاريخ الكبير» ١/ ٣٧٥، و«صفة الصفوة» ٣/ ٣٣٥.

قال: انظر إلى هذه المقطوعة الممنوعة[١].

٣٤- قوله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ الفرش جمع فراش، وهو ما ينام عليه، مرفوعة على الأسرة وهو قول علي ﷺ، ومقاتل قال: فوق السرر[٢]، وجماعة المفسرين قالوا: بعضها فوق بعض فهي مرفوعة أي عالية[٣]، ويدل على صحة هذا التفسير ما روى الخدري عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ قال: «**ارتفاعها كما بين السماء والأرض**»[٤].

وروى القاسم عن أبي أمامة[٥] قال: «لو طرح فراش من أعلاها إلى أسفلها لهوى سبعين خريفًا»[٦].

وقال أهل المعاني[٧]: المراد بالفرش هاهنا: النساء، والعرب تكني عن المرأة بالفراش والإزار واللباس، ومنه قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» ٣/ ٣٣٦.
(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٨ أ، و«زاد المسير» ٨/ ١٤١، و«فتح القدير» ٥/ ١٥٣.
(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٠٦، و«زاد المسير»٨/ ١٤١، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٩٠.
(٤) رواه الترمذي في «سننه»، كتاب: صفة الجنة، باب: ما جاء في صفة ثياب أهل الجنة ٤/ ٥٨٦، وفي كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الواقعة ٥/ ٣٧٤، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلى من حديث رشدين بن سعد. قال ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٢٩١: وهو المصري، وهو ضعيف. ورواه ابن جرير في «تفسيره» ٢٧/ ١٠٦، عن أبي كريب عن رشدين بن سعد.
(٥) النساء.
(٦) قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه جعفر بن الزبير الحنفي، وهو ضعيف. «مجمع الزوائد» ٧/ ١٢٠. وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٢/ ٥٦ أ، عن أبي أمامة بدون سند.
(٧) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ١٦٦، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢١٠.

ومعنى ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ أنهن رفعن بالجمال والفضل على نساء الدنيا، فهن مرتفعات في عقولهن وحسنهن وكمالهن، واحتجوا على هذا القول بقوله:

٣٥- ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ فعادت الكناية إليهن ولم يجر لهن ذكر، فبان أن المراد بالفرش النسوة.

وعلى القول الأول كنى عنهن وإن لم يجر لهن ذكر، لأن الفرش محل النساء فاكتفى بذكر الفرش[(١)].

قال قتادة، وسعيد بن جبير: خلقناهن خلقًا جديدًا[(٢)]. وقال ابن عباس: يريد النساء الآدميات[(٣)]، وقال الكلبي، ومقاتل: يعني نساء أهل الدنيا العجز الشمط يقول خلقناهن بعد الهرم والكبر وبعد الخلق الأول في الدنيا[(٤)].

ويؤكد هذا التفسير ما روى أنس أن النبي ﷺ قال: «**هن عجائزكن العمش الرمص**»[(٥)]، وذكر مقاتل قولًا آخر هو اختيار الزجاج، وهو أنه يعني الحور العين التي ذكرهن. قيل: أنشأهن الله عز وجل لأوليائه لم يقع عليهم ولادة[(٦)].

٣٧- ثم نعتهن فقال: ﴿عُرُبًا﴾ جمع عروب وهن المتحببات إلى أزواجهن. قال ابن الأعرابي: العروب من النساء: المطيعة لزوجها المتحببة

---

(١) انظر: «تفسير غريب القرآن» ص٤٤٩.

(٢) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٧١، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٣.

(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٠٧، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٩١.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٣٥، و«تفسير مقاتل» ١٣٨ أ.

(٥) رواه ابن جرير في «تفسيره» ٢٧/ ١٠٧، والترمذي في «سننه»، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الواقعة ٥/ ٣٧٥ وابن أبي حاتم: «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٩١، وقال الترمذي: غريب، وموسى ويزيد ضعيفان.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٨ أ، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١١٢.

إليه، وقال أبو عبيدة: العروب الحسنة التبعل[١]، وقال المبرد: العاشقة لزوجها، وأنشد[٢]:

وفي الحروج عروب غير فاحشةٍ ريا الروادف يغشى دونها البصر

وفيه قراءتان التثقيل والتخفيف[٣] وهما جائزان مطردان في جمع فعول.

وذكر المفسرون في تفسير العرب: العواشق المتحببات الغنجات[٤] المتعشقات الغلمات الشَّكِلات المغنوجات كل ذلك من ألفاظهم[٥].

قوله تعالى: ﴿أَتۡرَابٗا﴾ أي أمثالًا. يقال: هما تربان[٦] والمفسرون يقولون أقرانًا مستويات على سن واحد، وميلاد واحد، بنات ثلاث وثلاثين[٧].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٥١.

(٢) البيت للبيد كما في «الديوان» ص٥٦، و«مجاز القرآن» ٢/ ٢٥١، و«القرطبي» ١٧/ ٢١١، والحروج جمع حرج وهو مركب للنساء والرجال ليس له رأس. «اللسان» ١/ ٥٩٩ (حرج). وانظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ٣٦٠، و«اللسان» ٢/ ٧٢٥ (عرب).

(٣) قرأ حمزة، وخلف، وأبو بكر ﴿عُرۡبًا﴾ ساكنة الراء. وقرأ الباقون ﴿عُرُبًا﴾ بضمها. انظر: «حجة القراءات» ص٦٩٦، و«الحجة» للقراء السبعة ٦/ ٢٥٧-٢٥٨، و«النشر» ٢/ ٢١٦، و«الإتحاف» ص٤٠٨.

(٤) امرأة غَنجة: حسنة الدل، وغُنْجُها وغُناجُها: شكلها. وقيل: الغُنُجُ: ملاحة العين والغليمة هي المرأة المقبلة على زوجها في النكاح. الشكلة: يأتي بمعنى غنجة وهو حسن دل المرأة وشكلها.

انظر: «اللسان» ٢/ ٣٤٨، ١٠١١، ١٠٢٢ (غنج، غلم، شكل).

(٥) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٤٨، و«تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٧١، و«جامع البيان» ٢٧/ ١٠٧- ١٠٨.

(٦) انظر: «المفردات» ص٧٣ (تراب).

(٧) قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وغيرهم. انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٣٥-٣٣٦، و«تفسير مجاهد» ٢/ ٦٤٨، و«تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٧١، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٩٢.

٣٨- قوله تعالى: ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ قال ابن عباس: يريد أنشأناهن لأصحاب اليمين[١]. وقال مقاتل: يقول: هذا الذي ذكرنا لأصحاب اليمين[٢]، وهو قول الكلبي. قال المفسرون: الحور العين للسابقين والعرب الأتراب لأصحاب اليمين[٣].

ثم أخبر عنهم فقال:

٣٩- قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي هم ثلة من المؤمنين الذين كانوا قبل مؤمني هذه الأمة.

٤٠- ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ من مؤمني هذه الأمة فمن آدم إلينا ثلة ومنا ثلة[٤].

وهذا يروى مرفوعًا أن النبي ﷺ قال: «**من آدم إلينا ثلة ومني إلى القيامة ثلة ولا يستتمها إلا سودان من رعاة الإبل ممن قال لا إله إلا الله**»[٥]. وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء[٦]، ومقاتل.

قال مقاتل: فأمة محمد ﷺ أكثر أهل الجنة، واحتج بما روي أن النبي ﷺ قال: «**أهل الجنة عشرون ومائة صف، أمتي من ذلك ثمانون صفًّا وأربعون صفًّا من سائر الناس**»[٧].

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٤، «معاني القرآن» ١٧/ ٢١١.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٨ أ. (٣) انظر: «الجامع» للقرطبي ١٧/ ٢١١.

(٤) بهذا قال الحسن ومجاهد. انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٠٩، و«أضواء البيان» ٧/ ٧٧٠-٧٧١ حيث رجح ما قاله الكلبي وعطاء ومقاتل في السابقين، وما ذكره المؤلف هنا في أصحاب اليمين.

(٥) أخرجه الثعلبي ١٢/ ٥٨ أ، بسياق أطول مما هنا، والبغوي ٤/ ٢٨٤.

(٦) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٣٥، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٤.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٨ أ-ب، والحديث أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد ﷺ ٢/ ١٤٣٣، والترمذي في صفة الجنة، باب ما جاء في صفة أهل الجنة ٤/ ٥٨٩ وقال هذا حديث حسن، وعبد الرزاق في «تفسيره» ٢/ ٢٧١.

ومذهب جماعة من المفسرين أن الثلتين جميعًا من هذه الأمة ثلة من سابقيها وثلة من متأخريها، وهذا قول أبي العالية، ومجاهد، والضحاك[١].

ويدل على هذا ما روى سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال في الثلتين: «**هما جميعًا من أمتي**»[٢].

وهذا القول هو اختيار أبي إسحاق، قال: معناه جماعة ممن تبع النبي ﷺ وآمن به وعاينه، وجماعة ممن آمن به وكان بعده[٣].

وذكر الفراء في ارتفاع قوله: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وجهين:

أحدهما: الاستئناف على معنى: هم ثلة.

والآخر: أن تكون مرفوعة بقوله: ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ ويكون المعنى لأصحاب اليمين ثلتان: ثلة من هؤلاء وثلة من هؤلاء، والمعنى: هم فرقتان، فرقة من هؤلاء، وفرقة من هؤلاء[٤].

٤١- ثم ذكر أصحاب الشمال ومنازلهم فقال: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد الذين يعطون كتبهم بشمائلهم[٥].

---

(١) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٣٥، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٥.

(٢) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ١١٨-١١٩، وعن أبي بكرة عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ قال: جميعهما من هذه الأمة. رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح غير علي بن زيد، وهو ثقة سيء الحفظ. وقال السيوطي في «الدر» ٦/ ١٥٩: أخرجه الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن عدي، وابن مردويه، بسند ضعيف عن ابن عباس.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١١٣.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٢٦.

(٥) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢١٣.

٤٢- ﴿فِي سَمُومٍ﴾ أي في حر النار، وذكرنا تفسير السموم عند قوله: ﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧][١]، وقوله: ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧].

وقوله: ﴿وَحَمِيمٍ﴾ قال الكلبي: يعني ماءً حارًّا شديدًا يغلي[٢].

٤٣- وقوله: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ اليحموم يفعول من الأحم، وهو الأسود، والعرب تقول أسود يحموم إذا كان شديد السواد[٣].

وأنشد أبو عبيدة فقال:

دَعْ ذا فَكَمْ مِنْ حالِكٍ يَحْموم[٤]

وكان للنعمان بن المنذر[٥] فرس شديد السواد يسمى يحمومًا، وهو الذي ذكره الأعشى في قوله:

---

(١) ومما قال في تفسيرها: اختلفوا في معنى السموم، فقال ابن عباس في رواية الكلبي: هي نار لا دخان لها. وقال آخرون: من نار الريح الحارة، وهو قول ابن مسعود. والسموم في اللغة الريح الحارة تكون بالنهار، وقد تكون بالليل. قيل سميت سمومًا لدخولها بلطفها في مسام البدن.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٣٦، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢١٣.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ١٣، و«اللسان» ١/ ٧٢٥ (حمم).

(٤) البيت للصبّاح بن عمرو الهزّاني، وعجزه:

ساقِطة أرواقُه بهيم

وقد ورد منسوبًا في «اللسان» ١/ ٧٢٨ (حمم) ولم أجده عند أبي عبيدة كما ذكر المؤلف.

(٥) النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرئ القيس، ملك الحيرة، وكان يكنى أبا قابوس، وهو صاحب النابغة، قتل عبيد بن الأبرص وغيره من الشعراء. وكانت نهاية النعمان أن حبسه كسرى واسمه (أبرويز) بساباط ثم ألقي تحت أرجل الفيلة فوطئته حتى مات. انظر: «المعارف» ص٦٤٩- ٦٥٠.

ويأمر لليحموم كل عشية بقت وتعليق فقد كاد يسنق[١]

والمفسرون جميعًا قالوا في اليحموم أنه دخان جهنم[٢]، والمعنى أنهم في ظل من دخان جهنم.

ثم نعت ذلك الظل فقال:

٤٤- ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ قال أبو عبيدة: جره على الأول[٣].

قال الفراء: وجه الكلام أن يكون خفضًا متبعًا لما قبله، كقوله تعالى: ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النور: ٣٥] وكذلك قوله: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٢٣، ٣٣] قال: وقد يستأنف بلا فيرفع كما قال[٤]:

وتريك وجهًا كالصحيفة[٥] لا ظمآنُ مختلجٌ ولا جَهِمُ

قال ابن عباس: يريد لا بارد المدخل ولا كريم المنظر[٦].

---

(١) البيت في «ديوان الأعشى» ص١١٩، و«تهذيب اللغة» ٤/ ١٩، و«اللسان» ١/ ٧٢٨ (حمم)، ٢/ ٢١٩ (سنق).

والقتُّ: الفصفصة، يكون رطبًا ويكون يابسًا واحدتها قتة «اللسان» ٢/ ١٠٤٤ (فتت).

والسنق: البشم. يقال: شرب الفصيل حتى سنق، وهي التخمة والشبع «اللسان» ٢/ ٢١٩ (سنق)، والتعليق ما تعلقه الدواب من الشعير ونحوه.

(٢) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٤٩، و«تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٧٢، و«جامع البيان» ٢٧/ ١١٠-١١١.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٥١.

(٤) انظر: البيت للمخبل، كما في «اللسان» ١/ ٨٧٦ (خلج)، و«المفضليات» ص١١٥.

(٥) في (ك): (كالولد بله).

(٦) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٣٦، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٦.

وقال مقاتل: لا بارد المقيل ولا حسن المنزل[١].

قال الفراء: والعرب تجعل الكريم تابعًا لكل شيء نفت عنه فعلًا تنوي به الذم تقول ما هو بسمين ولا بكريم، وما هذه الدار بواسعة ولا كريمة[٢].

ثم ذكر أعمال أهل النار التي أوجبت لهم هذا فقال:

٤٥- ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ يعني كانوا في الدنيا منعمين متكبرين، قال مقاتل: يعني متجبرين في ترك أمر الله[٣] وتفسير الترف قد تقدم[٤].

٤٦- ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ قال الليث: الحنث: الذنب[٥] العظيم، وتقول العرب: بلغ الغلام الحنث، إذا بلغ مبلغًا جَرَى عليه القلم بالمعصية والطاعة، والحنث: الرجوع في اليمين وهو أن لا يبرها[٦]، وأكثر المفسرين قالوا في الحنث هاهنا: إنه الشرك. قال مقاتل: يعني الذنب الكبير وهو الشرك[٧]، ونحو ذلك قال قتادة ومجاهد والسدي[٨]، وهو قول ابن عباس في رواية عطاء والكلبي قال: كانوا لا يتوبون عن الشرك ولا

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٨ ب. (٢) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ١٢٧.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٨ ب، و«الوسيط» ٤/ ٢٣٦، ولفظهما (منعمين) بدل (متجبرين).

(٤) عند تفسيره الآية (١١٦) من سورة هود. قال: الترف: النعمة، وصبي مترف إذا كان منعم البدن، والمترف الذي أبطرته النعمة وسعة العيش.
انظر: «البسيط» ٣/ ٤٩ ب.

(٥) في (ك): (النعب) والصواب ما أثبته.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٤٨٠ (حنث).

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٨ ب.

(٨) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١١٢، و«تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٧٢، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٩٥.

يستغفرون[١].

وقال الشعبي: الحنث العظيم اليمين الغموس[٢]، وشرح أبو بكر الأصم[٣] هذا فقال: إنهم كانوا يقسمون أن لا بعث، وأن الأصنام أندادُ الله وكانوا يقيمون عليه، فذلك حنثهم[٤]، واختاره الزجاج فقال: ودليل ذلك قوله: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨] فهذا -والله أعلم- إصرارهم على الحنث العظيم[٥]، ويدل على هذا ما ذكر الله تعالى من إنكارهم البعث وهو قوله: ﴿وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا﴾ الآية.

٥٥- وما بعدها ظاهر إلى قوله: ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ وقرئ شرب بضم الشين[٦] فقال الزجاج: الشَّرب المصدر، والشُّرب الاسم، قال: وقد قيل: إن الشرب أيضًا المصدر[٧]. واختار أبو عبيد الفتح، وادعى أنه لغة النبي ﷺ حين قال لأيام التشريق: «**إنها أيام أكل وشَرب**»[٨].

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٣٦- ٣٣٧.

(٢) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٦، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢١٣.

(٣) أبو بكر الأصم، شيخ المعتزلة. كان دينًا وقورًا صبورًا على الفقر، له تفسير، وكتاب «خلق القرآن»، وكتاب «الحجة والرسل». مات سنة ٢٠١هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» ٩/ ٤٠٢، و«الفهرست» ص٢١٤.

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢١٣.

(٥) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١١٣.

(٦) قرأ نافع وعاصم وحمزة وأبو جعفر: ﴿شُرْبَ﴾ بضم الشين، والباقون بفتحها. انظر: «حجة القراءات» ص٦٩٦، و«النشر» ٢/ ٣٨٣، و«الإتحاف» ص٤٠٨.

(٧) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١١٣.

(٨) «صحيح مسلم»: كتاب: الصيام، باب: تحريم صوم أيام التشريق ٢/ ٨٠٠، و«مسند أحمد» ٤/ ١٥٢.

قال المبرد: هذا كلام هائل لا يجترأ عليه إلا باليقين، وأكثر الرواية «أكل وشُرب» بالضم، والضم والفتح معروفان عند أهل اللغة أما الفتح فهو على أصل المصدر، والضم اسم للمصدر، والمعنى في ذلك واحد، تقول شغل شَغلا والاسم شُغلٍ، وضعف ضَعفًا والاسم الضُعف وكذلك الفَقر والفُقر[(١)].

وأما ﴿ٱلْهِيمِ﴾ فأكثر المفسرين على أنه الإبل العطاش، وهو قول مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير[(٢)]، ومنهم من ذكر السبب في عطشها، قال عكرمة: هي الإبل المراض ألا تراها تمص الماء مصًا ولا تروى[(٣)].

وقال ابن عباس في رواية عطاء: هي الإبل التي بها الهيام لا تروى[(٤)]، وقال في رواية أبي صالح: يعني شرب الإبل الظماء[(٥)] إذا أخذها الداء فلا تكاد تروى[(٦)]، ونحو هذا ذكر مقاتل[(٧)].

قال الفراء: الهيم الإبل التي يصيبها داء فلا تروى من الماء واحدها

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٧٠٢-٧٠٣، و«الحجة» للقراء السبعة ٦/ ٢٦٠، و«إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٣٣٥-٣٣٩، و«تهذيب اللغة» ١١/ ٣٥٢ (شرب).

(٢) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٤٩، و«تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٧٢، و«جامع البيان» ٢٧/ ١١٣.

وروى ابن عباس وعكرمة والضحاك، وانظر: «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٩٥.

(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١١٣، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٦.

(٤) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٣٦.

(٥) في (ك): (العظماء) والصواب ما أثبته.

(٦) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١١٣.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٩ أ.

أهيم[١] والأنثى هيماء، قال: ومن العرب من يقول هائم، والأنثى هائمة، ثم يجمعونه على هيم كما قالوا: عائط[٢]، وعوط[٣]، وحائل وحول، إلا أن الضمة تركت في هيم لئلا تصير الياء واوًا[٤].

وقال شمر في حديث ابن عمر رضي الله: (إن رجلًا باع منه إبلًا هيما)[٥] قال شمر: قال بعضهم: الهيم العطاش الظِّماء، ويقال هي المراض التي تمص الماء مصًّا ولا تروى.

قال الأصمعي: الهيام داء شبيه بالحمى تسخن عليها جلودها يعني الإبل وقيل إنها لا تروى إذا كانت كذلك[٦]، وهو في قول لبيد[٧]:

أجزت على معازفها بشعثٍ وأطلاحٍ من المهري هيم

وقال الضحاك والكلبي: الهيم السهلة من الرملة[٨]، وهو قول ابن

---

(١) في (ك): (الهيم) والصواب ما أثبته.

(٢) العائط: هي التي لم تحمل سنين من غير عقم.

(٣) كذا في (ك). وفي «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٢٨، وفي «اللسان» (هيم) عن الفراء: (عيط) وكلاهما صواب. قال في «اللسان» ٢/ ٩٢٩ (عوط) قال الكسائي: إذا لم تحمل الناقة أول سنة يطرقها الفحل فهي عائط وحائل، فإذا لم تحمل السنة المقبلة أيضًا فهي عائط عُوط وعوطط، زاد الجوهري: عائط عيط.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ١٢٨.

(٥) هذا جزء من حديث رواه البخاري في «صحيحه»، كتاب: البيوع، باب: شراء الإبل الهيم أو الأجرب ٣/ ٨٢ وفيه: (فجاءه، فقال: إن شريكي باعك إبلاً هيمًا ولم يعرفك..) الحديث.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» ٦/ ٤٦٧، و«اللسان» ٣/ ٨٥٨ (هيم).

(٧) «ديوانه» ص١٨٥.

(٨) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٣٨، و«جامع البيان» ٢٧/ ١١٣، و«تفسير ابن عيينة» ص٣٣٣، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٦، وزاد نسبته لابن عيينة.

عباس في رواية عمرو بن دينار: قال يعني هيام الأرض[١].

قال الليث: الهيام من الرمل ما كان ترابًا دقاقًا يابسًا، ومنه قول لبيد:

بعجوب أنقاءٍ يميل هيامها[٢]

قال مقاتل: يلقى على أهل النار العطش فيشربون كشرب الهيم.

٥٦- قوله تعالى: ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ قال مقاتل: يعني الذي ذكر من الزقوم والشراب[٣]، وقال الكلبي: هذا نزلهم يعني طعامهم وشرابهم[٤].

وقال الزجاج: هذا غذاؤهم يوم يجازون بأعمالهم[٥]، وروي عن أبي عمرو[٦] (نُزْلُهُمْ) مخففًا وهما لغتان[٧]، مثل الشغُل والشغْل، والعنُق

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢١٥، و«روح المعاني» ٢٧/ ١٤٦.

(٢) انظر: «ديوانه» ص١٧٢، و«تهذيب اللغة» ٦/ ٤٦٧، و«اللسان» ٣/ ٨٥٨ (هيم)، و«المنصف» ٣/ ٥٢، و«شرح المعلقات» للزوزني ص٨٤، والبيت ورد في معلقة لبيد وصدره:

تجتاف أصلًا قالصًا متنبذًا

ومعناه أن البقر يستتر من البرد والمطر بأغصان الشجر ولا تقيها البرد والمطر لتقلصها، وتنهال كثبان الرمل عليها مع ذلك.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٩ أ.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٣٨.

(٥) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١١٣.

(٦) قرأ الجمهور ﴿نُزُلُهُمْ﴾ بضم الزاي، وقرأ ابن محيصن وخارجة عن نافع، ونعيم ومحبوب وأبو زيد وهارون وعصمة وعباس كلهم عن أبي عمرو ﴿نُزْلُهُمْ﴾ بسكون الزاي. انظر: «الكشاف» ٤/ ٦٠، و«الجامع» للقرطبي ١٧/ ٢١٥، و«البحر المحيط» ٨/ ٢١٠.

(٧) انظر: «اللسان» ٣/ ٦١٩ (نزل).

والعنْق. وتفسير النزل قد ذكرناه في مواضع(١).

٥٧- ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾.

ثم احتج عليهم في البعث بقوله: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ قال مقاتل: خلقناكم ولم تكونوا شيئًا وأنتم تعلمون ذلك(٢) (فَلَوْلَا) فهلا (تُصَدِّقُونَ) بالبعث، ثم أخبر عن صنعه ليعتبروا فقال:

٥٨- قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ ما تقذفون وتصبون في أرحام النساء من النطف، وذكرنا الكلام في الإمناء عند قوله: ﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٦].

٥٩- ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ ما تمنون بشرًا ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ احتج عليهم في البعث بالقدرة على ابتداء الخلق.

٦٠- قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ وقرأ ابن كثير: (قَدَرْنَا) مخففًا وهما لغتان قدرت الشيء وقدرته(٣)، ويدل عليه قوله(٤):

ومفرهةٍ عنسٍ قدرت لساقها فخرَّت كما تتابع الريحُ بالقفل

---

(١) عند تفسيره الآية (١٩٨) من سورة آل عمران. قال: النزل ما يهيئ للضيف أو لقوم إذا نزلوا موضعًا، ويقال أقمت لهم نزلهم أي أقمت لهم غذاءهم وما يصلح معه أن ينزلوا عليه.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٩ أ.

(٣) قرأ ابن كثير ﴿قَدَرْنَا﴾ بتخفيف الدال، والباقون بتشديدها.
انظر: «حجة القراءات» ص٦٩٦، و«النشر» ٢/ ٣٨٣، و«الإتحاف» ص٤٠٨.

(٤) البيت لأبي ذؤيب الهذلي. انظر: «ديوان الهذليين» ١/ ٣٨، ورواية ديوان الهذليين (لرجلها) بدل (ساقها)، و«الحجة» ٥/ ٤٨.
والمفرهة: الناقة التي تجيء بأولاد فوارة. والعنس: الصلبة الشديدة. قدرت: هيأت. القفل: ما جف من ورق الشجر.

المعنى: قدرت ضربي لساقها فضربتها فخرت. قال ابن عباس: يريد الآجال[١]. قال مقاتل: فمنكم من يموت كبيرًا ومنكم من يموت صغيرًا وشابًا وشيخًا[٢]، وقال الضحاك: تقديره أنه جعل أهل السماء وأهل الأرض فيه سواء شريفهم ووضيعهم[٣]، وعلى هذا يكون معنى (قَدَّرْنَا) قضيناه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ يريد لا يفوتني شيء أريده، ولا يمتنع مني أحد. وهذه الآية متصلة بما بعدها وهو قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ وعلى من صلة معنى مسبوقين لا من صلة اللفظ، لا يقال: سبقته على كذا، إنما يقال: إلى كذا، ولكن يقال: غلبته على كذا، ويكون مثل سبقته إليه. قال المفسرون: على أن نأتي بخلق مثلكم بدلًا منكم[٤].

قال أبو إسحاق[٥]: أي إن أردنا أن نخلق خلقًا غيركم لم يسبقنا سابق ولا يفوتنا ذلك[٦].

قوله تعالى: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ قال ابن عباس: يريد في غير حليتكم[٧] إلى ما أسمج[٨] منها[٩].

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٣٨.
(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٩ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٧.
(٣) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٣٧، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٩٥.
(٤) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١١٣، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٧.
(٥) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١١٤.
(٦) (ذلك) ساقطة من (ك) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١١٤.
(٧) كذا في (ك): ولعلها (خلقتكم).
(٨) سَمُجَ الشيء: قبح يسمج سماجة إذا لم يكن فيه ملاحة. «اللسان» ٢/ ١٩٧ (سمج).
(٩) لم أجده.

وقال مقاتل: ونخلقكم في سوى خلقكم مما لا تعلمون من الصور[١]، من أي خلق شئنا، ونحو هذا قال مجاهد والسدي[٢]، وقال الحسن: نبدل صفاتكم ونجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم[٣].

وهذه الأقوال كلها تدل على المسخ، وعلى أنه لو شاء أن يبدلهم بأمثالهم من بني آدم قدر، ولو شاء أن يمسخهم في غير صورتهم قدر.

وقال أبو إسحاق: إن أردنا أن نجعل منكم القردة والخنازير لم نسبق ولا فاتنا ذلك[٤].

وقال بعض أهل المعاني: هذا على النشأة الثانية يكونها الله في وقت لا يعلمه العباد ولا يعلمون كيفيته كما علموا الإنشاء الأول من جهة التناسل[٥]، ويكون التقدير على هذا وما نحن بمسبوقين على أن ننشئكم في وقت لا تعلمون يعني وقت البعث، وتكون هذه الآية متصلة بما بعدها وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ يعني لا تعلمون ذلك ولقد علمتم هذه كيف كانت وهذا الوجه اختيار الحسين بن الفضل[٦].

قوله: ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ والمعنى: قد علمتم ابتداء الخلق حين خلق من نطفة وعلقة ومضغة فلم تنكرون البعث، وروي مرفوعًا: «**عجبًا كل العجب**

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٩ أ.

(٢) قال مجاهد: (في أي خلق شئنا). انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١١٤.

(٣) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٧، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٣١٧.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١١٤.

(٥) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢١٧.

(٦) لم أقف عليه.

للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الأولى، وعجبًا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور»[١].

٦٣- ٦٤- قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ قال الكلبي: ما تعملون في الأرض[٢].

وقال غيره: ما تلقون في الأرض من البذور[٣]، وذكرنا معنى الحرث فيما تقدم[٤].

﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ قال الكلبي ومقاتل: تنبتونه أم نحن المنبتون[٥]، قال المبرد: يقال زرعه الله أنماه، ومنه يقال للصبي زرعة الله[٦].

٦٥- ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ﴾ أي: لجعلنا ما تحرثون ﴿حُطَٰمًا﴾ قال عطاء: تبنًا لا قمح فيه[٧]. وقال مقاتل: هالكًا[٨]. قال أبو عبيدة: الحطام والهشيم والرفات واحد[٩].

---

(١) لم أجد هذا الحديث.

(٢) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٣٧.

(٣) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٧، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢١٧.

(٤) عند تفسيره الآية (٧١) من سورة البقرة، ومما قال: الحرث: كل موضع ذللته من الأرض ليزرع فيه، ويقال له عند غرسه وبذره إلى حيث بلغ حرث. فمعنى الحرث الأرض المهيأة للزرع، ومنه قوله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] على التشبيه بالأرض التي قد هيأت للزرع. انظر: «البسيط» ٣/ ١٠٥٩ بتحقيق الفوزان.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٣٩، و«تفسير مقاتل» ١٣٩ أ.

(٦) انظر: «اللسان» ٢/ ٢٠ (زرع).

(٧) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٧، و«زاد المسير» ٨/ ١٤٨.

(٨) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٩ أ، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢١٨.

(٩) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٥١.

وقال أبو إسحاق: أي أبطلناه حتى يكون متحطمًا لا حنطة فيه ولا شيء مما تزرعون هذا كلامه[(١)]. وتلخيص المعنى أن الله يقول: لو نشاء لجعلنا ما تحرثون كلأً يصير بعد يبسه حطامًا متكسرًا لا حنطة فيه، وكل ما نبت من الأرض حطام غير الحب، فإنه صلب لا يتحطم وسائره بعد الهيج حطام[(٢)].

قوله تعالى: (فَظَلْتُمْ) ذكرنا الكلام فيه عند قوله: ﴿الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ [طه: ٩٧][(٣)].

(تَفَكَّهُونَ) أي تندمون قاله عكرمة والحسن وقتادة[(٤)]، وقال عطاء والكلبي ومقاتل ومجاهد: تعجبون[(٥)].

قال الفراء[(٦)]: تفكهون: تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم، قال:

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٤٤.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٩ (حطم).

(٣) ومما قال عند تفسيره لهذه الآية: ظلت أصله ظللت. قال الزجاج: ولكن اللام حذفت لثقل التضعيف والكسر، والعرب تفعل ذلك كثيرًا... وظلَّ نهاره يفعل كذا، وكذا يظلُّ ظلا وظلولاً وظللت أنا، وظَلْتْ وظِلْتُ. لا يقال ذلك إلا في النهار لكنه قد سمع بعض الشعر ظَل ليله. ومنه قوله تعالى: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾. وانظر: «اللسان» ٢/ ٦٤٧ (ظلل).

(٤) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٧٢، و«جامع البيان» ٢٧/ ١١٤، و«الوسيط» ٤/ ٢٣٨، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢١٩.

(٥) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١١٤، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٧، ولم أقف عليه في تفسيري مجاهد ومقاتل.

(٦) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ١٢٨.

ويقال معناه تندمون وكذلك تفكنون[١] وهي لغة لعكل[٢].

قال اللحياني: أزد شنوءه يقولون: تفكهون، وتميم تقول: تفكنون.

وقال ابن الأعرابي: تفكهت وتفكنت أي تندمت وأنشد لرؤبة فقال[٣]:

أما جزاء العارف المستيقن عندك إلا حاجة التفكُّن

وقال الكسائي وأبو عمرو: هو التلهف على ما فات[٤]، والمعنى في الآية: تتلهفون على ما فاتكم، وعلى هذا يتوجه قول من قال تفجعون وتحزنون[٥].

٦٦- قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ قال الزجاج وغيره: أي وتقولون: إنا لمغرمون فحذف القول، ومعنى المغرم الذي ذهب ماله بغير عوض[٦].

قال أبو إسحاق: يقولون إنا قد غرمنا وذهب زرعنا[٧] يعني: غرمنا

---

(١) وقول المؤلف (وكذلك تفكنون وهي لغة لعكل) ليست في معاني الفراء المطبوعة، وهي في «التهذيب» منسوبة له.

(٢) عُكَل بطن من طابخة من العدنانية، وعكل اسم امرأة حضنت بني عوف بن وائل فغلبت عليهم وسموا باسمها، من قراهم الشقراء والأشيقر. انظر: «معجم قبائل العرب» ٢/ ٨٠٤، و(تفكنون) قرأ بها أبو حزام. انظر: «الكشاف» ٤/ ٦٠، و«البحر المحيط» ٨/ ٢١١، و«روح المعاني» ٢٧/ ١٤٨.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ١٠/ ٢٨٠، و«اللسان» ٢/ ١١٢١ (فكن).
والبيت في «ديوانه» ص١٦١، المراجع السابقة.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» نفسه، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٧، و«فتح القدير» ٥/ ١٥٧.

(٥) قاله مجاهد، وفسر ابن كيسان التفكه بالحزن. انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٧، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢١٩، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٩٦.

(٦) قاله الضحاك وابن كيسان. انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٢٠، و«فتح القدير» ٥/ ١٥٧.

(٧) انظر: «معاني الزجاج» ٥/ ١١٤.

الحب الذي بذرناه فذهب في غير عوض هذا الذي ذكرنا هو الأصل.

قال أبو عبيدة والفراء: لمعذبون[١]، وهو قول ابن عباس وقتادة[٢]، وهذا معنى كأنهم ذهبوا إلى أنهم عذبوا بذهاب أموالهم.

وقال عكرمة ومجاهد ومقاتل: لمولع بنا[٣]، والمعنى لمولع بنا الشر من قولهم: أغرم فلان بفلانة إذا أولع بها، ومنه الغرام وهو الشر اللازم وقد تقدم تفسيره[٤]. ويدل على القول الأول[٥] قوله تعالى: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي حرمنا ما كنا نطلبه من الريع في الزرع.

وما بعد هذا ظاهر ومفسر فيما تقدم إلى قوله: ﴿الَّتِي تُورُونَ﴾ قال الكسائي: أَوْرَيْتُ النار وقد ورَتْ ووَرِيَتْ[٦].

وقال أبو إسحاق: ورَى الزَّنْدُ يَرِيَ فهو وارٍ إذا انقدحت منه النار، وأوريت النار إذا قدحتها[٧]، وقال الكلبي والمبرد: أورى القادح إذا أتى بالنار. قال الأعشى[٨]:

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٥١، و«معاني القرآن» ٣/ ١٢٩.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٣٩، و«جامع البيان» ٢٧/ ١١٥، وهو اختيار ابن جرير.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٩ أ، و«جامع البيان» ٢٧/ ١١٥.

(٤) عند تفسيره الآية (٦٥) من سورة الفرقان. ومما قال: والغَرامُ: اللازمُ من العذاب، والشرُّ الدائم، والبلاءُ والحبُّ والعشق وما لا يستطاع أن يتفصَّى منه، ويروى أن الغريم إنما سمي غريمًا لأنه يطلب حقه ويلح حتى يقتضيه، فمعنى غرامًا ملحًا دائمًا. وانظر: «اللسان» ٢/ ٩٨١ (غرم).

(٥) وهو قول الضحاك وابن كيسان والزجاج.

(٦) انظر: «اللسان» ٣/ ٩١٦ (وري).

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١١٥.

(٨) «ديوانه» ص٨٤، وروايته:

ولـو بـتَّ تـقـدحُ فـي ظـلـمـةٍ صـفـاةً بـنـبـعٍ لأوريـت نـارا

يقول أنت ميمون الطائر فلو التمست الشيء من حيث لا يوجد لوجدته. قال أبو عبيدة: تورون: تستخرجون[١]. وقال الكلبي: تقدحون[٢]. وقال مقاتل: توقدون[٣].

قوله تعالى: (شَجَرَتَهَا) قال المفسرون: يعني التي تقدح منها وهي المرخ والعفار[٤].

قال المبرد: وهما شجرتان يوريان النار وهما رطبان، ولذلك قال الأعشى[٥]:

وزنـدك خـيـر زنـاد الـمـلـوك صـادف مـنـهـنَّ مـرخًـا عـفـارًا

وتقول العرب للرجل إذا كان معاملته سهلًا غير ملتوٍ ولا مماطلٍ: أرخ يديك واسترخ إن الزناد من مرخ[٦].

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ قال عطاء: موعظة ليتعظ بها المؤمن[٧].

ولـو رُمـت فـي لـيـلـة قـادحًـا حـصـاة بـنـبـع لأوْريـت نـارا

(١) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٥٢.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٣٩.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٩ أ.

(٤) قال الأزهري: وهما شجرتان فيهما نار ليس في غيرهما من الشجر، ويسوّى من أغصانهما الزناد فيقتدح بها. «تهذيب اللغة» ٢/ ٣٥١ (عفر).

(٥) الديوان ص٨٤، وروايته:

زنـادك خـيـر زنـاد الـمـلـوك خـالـط مـنـهـن مـرخ عـفـارا

«الخزانة» ٧/ ٢٥٠.

(٦) انظر: «اللسان» ٣/ ٤٦٣ (مرخ) ونسب تفسير المثل لابن الأعرابي.

(٧) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٣٨، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٨، و«فتح القدير» ٥/ ١٥٨.

وقال الكلبي: عظة في الدنيا من نار جهنم[(١)]، وقال عكرمة، ومجاهد ومقاتل: جعلنا هذه النار تذكرة للنار الكبرى[(٢)].

قال أبو إسحاق: أي إذا رآها الرائي ذكر جهنم وما يخافه من العذاب فذكر الله ﷻ واستجار به منها[(٣)].

قوله تعالى: ﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ قال الفراء، والزجاج: المقوي الذي ينزل بالقواء وهي الأرض الخالية[(٤)]، وكل من نزل بها من مسافر مار أو مقيم بها فهو مقو.

قال الليث: أقوَى القومُ إذا وقعوا في قيٍّ من الأرض[(٥)].

قال ابن عباس: يريد ينتفع بها أهل البوادي والأسفار[(٦)].

وقال الكلبي: منفعة للمسافرين النازلين في الأرض القيّ[(٧)].

وقال مقاتل: يقول: ومنافع لمن كان بأرض قي ومنهم الأعراب[(٨)]، ونحو هذا قال الحسن والضحاك[(٩)]. وعلى هذا القول خص المسافر بالانتفاع بها؛ لأن منفعته بها أكثر من منفعة المقيم، وذلك أن أهل البوادي

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٤٠.

(٢) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٥١، و«تفسير مقاتل» ١٣٩ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٨.

(٣) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١١٥.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٢٩، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١١٥.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ٩/ ٣٦٩ (قوى).

(٦) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٤٠، و«الوسيط» ٤/ ٢٣٨.

(٧) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٨، و«فتح القدير» ٥/ ١٥٨.

(٨) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٩ أ.

(٩) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١١٦، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٨، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٢١.

لابد[١] لهم من النار يوقدونها ليلًا لتهرب منهم السباع، وفي كثير من حوائجهم.

وقال أبو عبيدة: المقوي الذي لا زاد معه ولا مال، وهذا من قولهم أقوت الدار، أي: خلت[٢]، فالمقوي الخالي من الزاد. وهذا قول الربيع، والسدي. قالا: يعني المرملين المقترين الذين لا زاد معهم فهؤلاء يوقدون النار ويشتون بها لحوم الصيد ولابد لهم منها، وهذه رواية العوفي عن ابن عباس[٣].

وفي المقوين قول ثالث، وهو قول عكرمة، ومجاهد، قالا: للمقوين أي للمستمتعين بها من الناس أجمعين[٤] المسافرين والحاضرين يستضيئون بها في الظلمة ويصطلون من البرد وينتفعون بها في الطبخ والخبز[٥].

وعلى هذا المقوي من الأضداد. ويقال للفقير: مقوٍ لخلوه من المال، وللغني: مقو لقوته على ما يريد، يقال أقوى الرجل إذا صار إلى حالة القوة، ذكر ذلك قطرب وغيره[٦]. والمعنى ومتاعًا للأغنياء والفقراء وذلك

---

(١) في (ك): (بدل).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٥٢.

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٢٢.

(٤) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٥١، و«جامع البيان»٢٧/ ١١٦.

(٥) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٢٢.
قال ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٢٩٧: وهذا التفسير أعم من غيره، فإن الحاضر والبادي من غني وفقير، الجميع محتاجون إليها للطبخ، والاصطلاء، والإضاءة، وغير ذلك من المنافع.

(٦) انظر: «الأضداد» لقطرب ص٩٢، و«الأضداد» للأصمعي والسجستاني ٤، ١٢٤، ٢٧٩، ٦٣٨، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٨، و«الجامع لأحكم القرآن» ١٧/ ٢٢٢، ورواه ثعلب عن ابن الأعرابي. انظر: «تهذيب اللغة» ٦/ ٣٦٩ (قوى).

أنه لا غني بأحد عنها.

قال أبو إسحاق: ذكر الله ﷻ في هذه السورة ما يدل على توحيده وما أنعم به عليهم من خلقهم وتغذيتهم مما يأكلون ويشربون، ثم قال:

٧٤- قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي فبرئ الله ﷻ مما يقولون في وصفه(١).

٧٥- قوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ أكثر أهل العلم على أن (لا) صلة. المعنى: فأقسم(٢)، وزيادة (لا) كثير في الكلام والتنزيل.

وذهب أهل المعاني(٣) إلى أن (لا)(٤) هاهنا رد لقولهم في القرآن إنه سحر وشعر وكهانة، فرد الله ذلك بقوله: (فَلَا)، ثم استأنف القسم على أنه قرآن كريم، ومثل هذا قوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ [النساء: ٦٥](٥).

وقد مر قوله تعالى: ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ وقرئ (بِمَوقِعِ)(٦).

قال أبو عبيد: والتي نختار الجماع؛ لأنها في التفسير منازل القرآن حين نزل نجومًا. قال: وبعضهم يتأولها مغائب الكواكب حين تسقط فأي

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١١٥.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٥٢، و«الكشاف» ٤/ ٦١، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٩، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٢٣.

(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١١٧، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٩، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٢٣.

(٤) (لا) ساقطة من (ك).

(٥) هذا القول نسبه المفسرون للفراء ولسعيد بن جبير. قال أبو حيان: ولا يجوز؛ لأن في ذلك حذف اسم لا وخبرها، وليس جوابًا لسائل سأل فيحتمل ذلك نحو قوله: لا: لمن قال: هل من رجل في الدار. «البحر المحيط» ٨/ ٢١٣.

(٦) قرأ حمزة والكسائي وخلف (بموقع) على واحد. وقرأ الباقون ﴿بِمَوَٰقِعِ﴾ جماعة. انظر: «حجة القراءات» ص٦٩٧، و«النشر» ٢/ ٣٨٣، و«الإتحاف» ص٤٠٩.

الوجهين كان فالجماع أولى(١).

وقال المبرد: (موقع) هاهنا مصدر، فهو يصلح للقليل والكثير والواحد والجمع(٢)، كما تقول: عجبت من ضرب القوم، ومن علم القوم فالواحد ينبئ عن الجميع.

وقال أبو علي: المصادر وسائر الأجناس إذا اختلفت جاز جمعها، كما قال عز من قائل: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾ فجمع للاختلاف وقال ﴿لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩] فأفرد لما كان الجميع ضربًا واحدًا، فمن قال: ﴿بموقع النجوم﴾ فأفرد؛ فلأنه اسم جنس، ومن جمع فلاختلاف ذلك، فأما قول الشاعر(٣):

كأن مَتْنَيْه من النفي مواقع الطير على الصفيِّ

فليس اسم المصدر وإنما هو موضع فجمع، لأن المعنى على الجمع، وإنما شبه مواضع بمواضع(٤).

وأما التفسير فقال عطاء عن ابن عباس: يريد: أُقسِم بنزول القرآن، وهو قول الكلبي ومقاتل وسعيد بن جبير وقتادة(٥).

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٣٩، و«فتح القدير» ٥/ ١٦٠.

(٣) البيت للأخيل الطائي كما في «اللسان» ٢/ ٤٥٥ (صفا)، و«الجمهرة» ٣/ ١٥٣، و«مجالس ثعلب» ١/ ٢٠٧، و«الحيوان» ٢/ ٣٣٩، و«الخصائص» ٢/ ١١، و«المنصف» ٣/ ٧٢، والبيت يصف ساقيًا ويشبه الماء لما جف على ظهره وابيض بذرق الطائر، والصفي جمع الصفا، والصفا جمع الصفاة، وهي الحجر الصلد الضخم الأملس.

(٤) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٦٣.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٤٠، و«تفسير مجاهد» ٢/ ٦٥١، و«تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٧٣، و«تفسير مقاتل» ١٣٩ ب، و«جامع البيان» ٢٧/ ١١٧.

وذكرنا معنى النجوم في نزول القرآن عند قوله: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١]، وذهب جماعة من المفسرين(١) إلى أن مواقع النجوم معناها مغارب النجوم ومساقطها، وهو قول أبي عبيدة قال: والله تعالى له أن يقسم بما شاء من خلقه وليس للعباد أن يحلفوا إلا به، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠](٢).

وقال الحسن: يعني انكدارها وانتثارها(٣)، وهذا على قراءة من قرأ: ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ لأنه مصدر يريد بوقوعها سقوطها من السماء عند انكدارها، ويجوز الجمع أيضًا لإضافته إلى النجوم ولكل نجم وقوع.

٧٦- ثم أخبر عن عظم هذا القسم فقال، قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ قال الفراء والزجاج: هذا يدل على أن المراد بمواقع النجوم نزول القرآن(٤)، والضمير في (إِنَّهُ) يعود على القسم، ودل عليه قوله: (أُقْسِمُ)، والمعنى: وأن القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون عظمه لانتفعتم بذلك.

وقال أبو علي الفارسي: التقدير في: (لَّوْ تَعْلَمُونَ) ما علموا، كما تقول: لو قمت أي: قم(٥).

---

(١) وهو قول قتادة وغيره.
انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٢٣، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٩٨، وهو اختيار ابن جرير. «جامع البيان» ٢٧/ ١١٧.

(٢) من الآية (٤٠) من سورة المعارج. والذي في «مجاز القرآن» ٢/ ٢٥٢. قوله: (فأقسم بمواقع النجوم، ومواقعها مساقطها ومغايبها).

(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١١٧، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٩.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٢٩، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١١٥.

(٥) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ١٨٩.

وزعم أبو الحسن أن الماضي في هذا المعنى أكثر من المضارع.

والآية اعتراض بين المقسم والمقسم عليه لأن التقدير: فأقسم بمواقع النجوم إنه لقرآن كريم.

وقوله: (لَّوْ تَعْلَمُونَ) اعتراض أيضًا بين الصفة والموصوف من الجملة التي هي اعتراض[(١)].

ثم ذكر المقسم عليه بقوله: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ) أي إن الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ لقرآن كريم. قال الكلبي: حسن كريم على ربه[(٢)].

وقال مقاتل: كرمه الله وأعزه لأنه كلامه[(٣)].

وقال أهل المعاني[(٤)]: القرآن الكريم الذي من شأنه يعطي الخير الكثير بالدلائل التي تؤدي إلى الحق في الدين.

وقال الأزهري: الكرمُ اسم جامع لما يُحمد، والله كريم حميد الفعال.

٧٧- و﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾ أي قرآن يحمد لما فيه من الهدى والبيان والعلم والحكمة[(٥)].

٧٨- قوله: ﴿فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ قال جماعة المفسرين: يريد في اللوح المحفوظ.

قال الكلبي: مكنون من الشياطين[(٦)].

---

(١) انظر: «الكشاف» ٤/ ٦٢، و«البحر المحيط» ٨/ ٢١٤، و«فتح القدير» ٥/ ١٦٠.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٤٠.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٩ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٩.

(٤) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٩، و«فتح القدير» ٥/ ١٦٠.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ١٠/ ٢٣٤ (كرم).

(٦) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٨٩.

وقال مقاتل: مستور من خلقه عند الله في اللوح المحفوظ(١).

وقال أبو إسحاق: أي مصون في السماء(٢).

وقال مجاهد: في كتاب مكنون لا يصيبه تراب، ولا غبار(٣).

٧٩- قوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ أكثر المفسرين على أن الكناية في قوله (لا يمسه) تعود إلى الكتاب المكنون، وهو اللوح المحفوظ.

والمطهرون هم الملائكة، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء، وباذان، وسعيد بن جبير، وأبي العالية، والضحاك، والكلبي، وقتادة، ومقاتل(٤)، قالوا: المطهرون الملائكة طهروا من الشرك والذنوب والأحداث والنجاسات، فالذي في السماء لا يمسه إلا المطهرون، وأما كتابنا فيمسه الطاهر وغير الطاهر، وهو اختيار الفراء والزجاج، قالا: لا يمس ذلك اللوح المحفوظ إلا الملائكة(٥).

والمعنى على هذا القول أن النسخة التي في السماء من القرآن مكنون مصون لا يصل إليه أحد، ولا يمسه إلا الملائكة الذين وصفوا بالطهارة، ومذهب الفقهاء(٦) في هذه الآية أن الضمير في قوله: (لَّا يَمَسُّهُۥ) يعود إلى

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٩ ب.

(٢) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١١٥.

(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١١٨.

(٤) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٥٢، و«تفسير مقاتل» ١٣٩ ب، و«تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٧٣، و«جامع البيان» ٢٧/ ١١٨- ١١٩.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٣٠، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١١٦.

(٦) قال الجصاص: (إن حمل اللفظ- أي قوله تعالى ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ على حقيقة الخبر =

القرآن، والمراد بالقرآن المصحف لقوله ﷺ: «**نهى أن يُسافر بالقرآن إلى أرض العدو**»[(١)]. يعني المصحف، والمراد بقوله: (الْمُطَهَّرُونَ) أي من الأحداث والجنابات، وقالوا: قوله: (لا يَمَسُّهُ) خبر في معنى النهي ومنعوا بهذه الآية الجنب والحائض والمحدث من مس المصحف وحمله، وإن كان بعلّاقة أو في غلاف، وهذا قول محمد بن علي، وعطاء، وطاووس، وسالم، والقاسم، وعبد الرحمن بن الأسود، وإبراهيم، وسفيان، ومذهب مالك، والشافعي[(٢)].

= فالأولى أن يكون المراد القرآن الذي عند الله والمطهرون الملائكة، وإن حمل على النهي -وإن كان في صورة الخبر- كان عمومًا فينا وهذا أولى..) «أحكام القرآن» ٣/ ٤١٦، وانظر: «سنن سعيد بن منصور» ٢/ ٣٤٦.

(١) الحديث أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب: الجهاد، باب: السفر بالمصاحف إلى أرض العدو ٤/ ٦٨، ومسلم في كتاب: الإمارة، باب: النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار ٣/ ١٤٩٠، وأبو داود في «سننه»، كتاب: الجهاد، باب: في المصحف يسافر به إلى أرض العدو ٢/ ٤٩٥، وأحمد في «المسند» ٢/ ٦ ولفظ البخاري: «... عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو».

(٢) قال ابن قدامة: (ولا يمس المصحف إلا طاهر، يعني طاهرًا من الحدثين جميعًا. روى عن ابن عمر والحسن وعطاء وطاوس...) ولا نعلم مخالفًا لهم إلا داود، أي الظاهري، قال: ويجوز حمله بعلاقته، وهذا قول أبي حنيفة، وروى ذلك عن الحسن، وعطاء، وطاوس، والشعبي، والقاسم، وأبي وائل، والحكم، وحماد. ومنع منه الأوزاعي، ومالك، والشافعي.
انظر: «المدونة» ١/ ١٠٧، و«المغني» ١/ ٢٠٢- ٢٠٣، و«المحلى» ١/ ٨١-٨٤.
قلت: وبهذا يتبين أن الواحدي -رحمه الله- عمم القول بمنع حمله بعلاقة مع أن منهم من جوز ذلك والله أعلم.

٨٠- قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال أبو إسحاق: تنزيل صفة لقوله: ﴿لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ وعلى هذا المراد بالمصدر المفعول، والمعنى منزل كقولهم: ضَرْب الأمير ونَسْج اليمن، قال: ويجوز أن يكون مرفوعًا على: هو تنزيل من رب العالمين[(١)]، قال الكلبي: يعني القرآن تنزيل من رب العالمين على رسول الله ﷺ[(٢)].

٨١- قوله تعالى: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ قال ابن عباس: يريد ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ القرآن يا أهل مكة ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ قال تكفرون وتكذبون[(٣)].

وقال مقاتل: تكفرون[(٤)].

وقال الكلبي: تكذبون أنه ليس كما قال لكم وأنه لا جنة ولا نار ولا بعث[(٥)].

قال أبو عبيدة: المدهن والمداهن واحد[(٦)]، وقال الفراء: مدهنون مكذبون، ويقال: كافرون[(٧)].

وقال الزجاج: أي أفبالقرآن تكذبون، قال: والمدهن والمداهن الكذاب المنافق[(٨)].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١١٦.
(٢) انظر: «تنوير» المقباس» ٥/ ٣٤٠، و«الوسيط» ٤/ ٢٤٠.
(٣) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٤٠، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٠.
(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٩ ب، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٢٧.
(٥) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٤١.
(٦) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٥٢.
(٧) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ١٣٠.
(٨) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١١٦.

وقال ابن الأعرابي: (مُّدْهِنُونَ) منافقون والإدهان والمداهنة اللين والمصانعة، وهو أن يسر خلاف ما يظهر، والمدهن الذي يجري في الباطن على خلاف الظاهر[١]. هذا أصل معناه في اللغة.

ثم قيل للمكذب مدهن، وإن صرح بالتكذيب والكفر، ويجوز أن يكون هذا خطابًا لمن آمن بالقرآن ظاهرًا وأسر الكفر به، وهذا معنى الإدهان والمداهنة.

قال المؤرج: المدهن المنافق الذي يلين جانبه ليخفي كفره[٢].

٨٢- قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قال ابن عباس وجماعة المفسرين: تجعلون شكركم أنكم تكذبون بنعمة الله عليكم فتقولون سقينا بنوء كذا[٣].

قال أبو إسحاق: كانوا يقولون مطرنا بنوء كذا، ولا ينسبون السقيا إلى الله ﷻ فقيل لهم: أتجعلون رزقكم أي شكركم بما رزقتم التكذيب[٤].

وقال أبو علي الفارسي: أي وتجعلون رزقكم الذي رزقكموه أي شكر رزقكم- فحذف المضاف- أن تكذبوا بذلك الرزق أنه من الله وأن تنسبوه إلى غيره فتقولوا مطرنا بنوء كذا.

---

(١) انظر: «اللسان» ١/ ١٠٢٨ (دهن).

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٢٧، و«فتح القدير» ٥/ ١٦١.

(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١١٩، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٠.
روى البخاري في كتاب: الاستسقاء: باب قول الله تعالى ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ ٢/ ٤١، قال ابن عباس: شكركم. ورواه ابن جرير بسند صحيح عن ابن عباس. انظر: «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٢٩٩، و«تفسير ابن عباس ومروياته» للحميدي ٢/ ٨٦٣- ٨٦٤.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١١٦.

ويجوز أن يكون المعنى أن تكذبوا بما جاء به التنزيل في قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا﴾ [ق: ٩] إلى قوله: ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾ [ق: ١١]، وقوله: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢]. فذكر أنه أنزل الماء ورزق به العباد الثمار، فمن نسب الإنزال إلى النجم فقد كذب برزق الله وكذب بما جاء به القرآن[١].

والمعنى: أتجعلون بدل الشكر التكذيب.

وروي عن عاصم ﴿أَنَّكُمْ تَكْذِبُونَ﴾ خفيفة[٢] أي تنسبون هذا الرزق إلى غير الله، وقال الأزهري: معنى الآية وتجعلون شكر[٣] رزقكم الذي رزقكم الله التكذيب بأنه من عند الله الرزق، وتجعلون الرزق من عند غير الله[٤]، وذلك كفر، فأما من جعل الرزق من عند الله وجعل النجم وقتًا وقته الله للغيث، ولم يجعله المغيث الرزق رجوت أن لا يكون مكذبًا، والله أعلم.

وقال ابن إسحاق في بعض أماليه: من قال مطرنا بنوء كذا ومراده أنا مطرنا في وقت طلوع نجم كذا ولم يقصد إلى فعل النجم فذلك والله أعلم جائز، كما جاء عن عمر -رضي الله عنه- أنه استسقى بالمصلى ثم نادى العباس: كم[٥] بقي من نوء الثريا؟ فقال: إن العلماء بها يزعمون أنها تعترض في الأفق سبعًا بعد وقوعها، فوالله ما مضت تلك السبعة حتى غيث

---

(١) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٦٤- ٢٦٥.

(٢) وهي قراءة المفضل عن عاصم، ويحيى بن وثاب، (تَكْذبون) خفيفة منصوبة التاء. انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٦٤، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٣٠.

(٣) (ك): (شكر) ساقطة من (ك)، وزيادتها من «تهذيب اللغة».

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ٨/ ٤٣٠ (رزق).

(٥) كذا في (ك) وصوابها: (فقال: يا عباس يا عم رسول الله ﷺ: كم...).

الناس[١].

وإنما أراد عمر: كم بقي من الوقت الذي جرت به العادة أنه إذا تم أتى الله بالمطر.

هذا الذي ذكرنا هو قول جماعة المفسرين[٢].

وقال الحسن: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ أي حظكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون قال: وخسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله إلا التكذيب به[٣].

٨٣- ثم احتج عليهم بقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ يقول فهلا إذا بلغت الروح أو النفس الحلقوم عند الموت.

٨٤- ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ﴾ يجوز أن يكون خطابًا للذين بلغت روحهم الحلقوم، وهم الذين أسرفوا على الموت[٤]، ويجوز أن يكون خطابًا لأهل الميت والذين يحضرونه عند السياق[٥].

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» ٢٧/ ١٢٠، وذكره القرطبي في «جامعه» ١٧/ ٢٣٠، وابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٢٩٩.

(٢) قال ابن كثير: وهذا محمول على السؤال عن الوقت الذي أجرى الله فيه العادة بإنزال المطر، لا أن ذلك النوء مؤثر بنفسه في نزول المطر، فإن هذا هو المنهي عن اعتقاده.

ومما نقل القرطبي في «تفسيره» ١٧/ ٢٢٩: عن الشافعي -رحمه الله- قوله: لا أحب أحدًا أن يقول: مطرنا بنوء كذا وكذا، وإن كان النوء عندنا الوقت المخلوق لا يضر ولا ينفع، ولا يمطر ولا يحبس شيئًا من المطر، والذي أحب أن يقول: مطرنا وقت كذا كما نقول: مطرنا شهر كذا.

(٣) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٧٣، و«جامع البيان» ٢٧/ ١٢٠.

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٣١.

(٥) وبهذا قال عامة المفسرين. انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٢٠، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٠٠.

قوله: (تَنظُرُونَ) قال مقاتل: إلى أمري وسلطاني[١].

وقال عطاء: إلى ما كنتم تكذبون به[٢]، يعني العذاب.

وقال الكلبي: تنظرون إليه متى تخرج نفسه[٣].

قال أبو إسحاق: أي أنتم يا أهل الميت في تلك الحالة ترونه قد صار إلى أن تخرج نفسه[٤].

وقال صاحب النظم: معنى (تَنظُرُونَ) هاهنا لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئًا[٥]، كما قال تأبط شرًّا:

فخالط سهل الأرض لم يكدح الصفا ... به كدحةً والموت خزيانُ ينظر[٦]

وقوله: ينظر هاهنا، معناه: لا يقدر على شيء.

٨٥- قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ أي بالعلم والقدرة والرؤية وذلك أن الله تعالى يراه من غير مسافة بينه وبينه فهو أقرب إليه من كل من يراه بمسافة بينه وبينه[٧]. ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ أي لا تعلمون ذلك. وهذا خطاب للكفار، هذا قول أهل المعاني.

وقال المفسرون: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ﴾ يعني ملك الموت وأعوانه[٨].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٩ ب.

(٢) لم أجده.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٤١، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٠.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١١٦.

(٥) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٤١، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٠.

(٦) (ينظر) ساقطة من (ك).

والبيت ورد في «ديوانه» ص٢٨٤، و«الحماسة» لأبي تمام ١/ ٧٢.

(٧) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٩١، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٣١.

(٨) انظر: «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٠٠، و«فتح القدير» ٥/ ١٦١.

والمعنى: ورسلنا القابضون روحه أقرب إليه منكم، ولكن لا تبصرون أولئك الذين حضروه لقبض الروح.

٨٦- قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ قال أكثر المفسرين: غير محاسبين وهو قول عطاء، وسعيد بن جبير، ومجاهد، ومقاتل[(١)].

وقال الكلبي: غير مملوكين[(٢)].

وقال أبو عبيدة: غير مجزيين[(٣)]. واختار الفراء والزجاج غير مملوكين[(٤)]، والمدينة: الأمة المملوكة.

وأنشد أبو عبيدة للأخطل[(٥)]:

ربت فربا في كرمها ابن مدينةٍ   يـزلُّ عـلـى مـسـحـاتـه يـتـركَّـلُ

٨٧- قوله تعالى: ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ أي تردون تلك النفس التي بلغت الحلقوم.

قال الفراء: وأجيب ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ﴾ و﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ﴾ بجواب واحد، وهو قوله: ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾، قال: ومثله قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ٣٨] أجيبتا بجواب واحد

---

(١) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٥٣، و«تفسير مقاتل» ١٣٩ ب، و«جامع البيان» ٢٧/ ١٢١، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٩١.

(٢) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٩١، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٣١.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٥٢.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٣١، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١١٧.

(٥) انظر: «ديوانه» ١/ ١٩، و«اللسان» ١/ ١٠٤٣ (دين)، «المنصف» ١/ ٣١٢.

والتركل: هو وضع القدم على المسحاة للمبالغة في الحفر. «اللسان» ١/ ١٢١٨ (ركل).

وهما جزاءان[١].

وقال صاحب النظم: قوله: ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ جواب لقوله: ﴿فَلَوْلَا﴾ المتقدمة والمتأخرة على تأويل: فلولا إذا بلغت النفس الحلقوم ترجعونها أي تردونها إلى موضعها إن كنتم غير محاسبين ولا مجزيين كما تزعمون، يقول: إن كان الأمر كما تقولون أنه لا بعث ولا حساب ولا جزاء ولا إله يقوم بذلك، فهلَّا تردون نفسًا ممن يعز عليكم إذا بلغت الحلقوم؟ وإذا لم يمكنكم في ذلك حيلة بوجه من الوجوه فلم لا يدلكم ذلك على أن الأمر إلى غيركم وهو الله ﷻ[٢].

وقال أبو إسحاق: معناه هلا ترجعون الروح إن كنتم غير مدينين، أي: غير مملوكين مدبَّرين ليس لكم في الحياة والموت قدرة، فهلا إن كنتم كما زعمتم في مثل قولكم الذي جاء في القرآن: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٦٨] ﴿لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٥٦] أي إن كنتم تقدرون أن تؤخروا أجلًا فهلا ترجعون الروح إذا بلغت الحلقوم وهلا تردون عن أنفسكم الموت[٣].

ولما دل بما ذكر على أنهم محاسبون ومجزيون ومملوكون، ذكر طبقات الخلق عند الموت والحشرجة.

٨٨- قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ إن كان هذا الذي بلغت روحه الحلقوم من المقربين عند الله في الدرجات والتفضيل (فَرَوْحٌ) أي:

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ١٣٠.

(٢) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٤١-٢٤٢، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٩١، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٣٢.

(٣) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١١٧.

فله روح وهو الراحة والاستراحة، قاله ابن عباس والكلبي وقتادة والضحاك[١].

وقال مجاهد: الروح الفرح[٢].

قوله: (وَرَيْحَانٌ) قالوا: يعني الرزق في الجنة[٣]، وذكرنا الريحان بمعنى الرزق في قوله: ﴿ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ [الرحمن: ١٢].

وقال الحسن وأبو العالية: هو ريحاننا هذا يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه[٤].

٩٠- ٩١- ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ﴾ أي المتوفى ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾. قال مقاتل: سلم الله لهم أمرهم يتجاوز عن سيئاتهم ويقبل حسناتهم[٥].

وقال الكلبي: يسلم عليك أهل الجنة، وقال أيضًا: يقول السلام لك[٦]، قال الزجاج: أي أنك ترى فيهم ما تحب من السلام وقد علمت ما أعد لهم من الجزاء[٧].

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٤١، و«تفسير مقاتل» ١٤٠ أ، و«جامع البيان» ٢٧/ ١٢٢.

(٢) انظر: «الدر» ٦/ ١٦٦، و«فتح القدير» ٥/ ١٦٢.

(٣) قاله مجاهد، وابن جبير، ومقاتل.
انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٥٣، و«تفسير مقاتل» ١٤٠ أ، و«جامع البيان» ٢٧/ ١٢٢.

(٤) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٢٢، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٩١. وقال ابن كثير ٤/ ٣٠٠ بعد ذكره للأقوال: (وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة فإن من مات مقربًا حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة والفرح والسرور والرزق الحسن).

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٠ أ.

(٦) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٤٢، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٩١.

(٧) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١١٨.

وقال الفراء: سلم لك أنهم[١] من أصحاب اليمين، وحذف أنهم[٢] من الكلام كما تقول: أنت مصدق مسافر عن قليل إذا كان قد قال إني مسافر عن قليل[٣]، والمعنى: أنت مصدق أنك مسافر فألقيت أن.

٩٢- ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ بالبعث (الضَّالِّينَ) عن الهدى.

٩٣- ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي فالذي يعد له حميم جهنم.

٩٤- ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ أي إدخال نار عظيمة يقال: أصلاه النار، أي: جعله يصلاها ويقاسي حرها، والمصدر هاهنا مضاف إلى المفعول كما تقول لفلان إكرام وإعطاء مال، أي: يعطي المال، كذلك هاهنا يصلى الجحيم[٤]، كما قال: ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ١٢] في قراءة من شدد[٥].

٩٥- قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ قال مقاتل: إن هذا الذي ذكر للمقربين وأصحاب اليمين وللمكذبين لهو حق اليقين لا شك فيه[٦].

وقال أبو إسحاق: أي هذا الذي قصصنا عليك في هذه السورة من الأقاصيص وما أعد الله لأوليائه وأعدائه وما ذكر مما يدل على وحدانيته

---

(١) في المعاني: (أنك، أن).

(٢) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٢٢، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٩١.

(٣) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ١٣١.

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٣٤، و«فتح القدير» ٥/ ١٦٢.

(٥) قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، والكسائي ﴿وَيُصَلَّىٰ﴾ بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام، وقرأ الباقون بفتح الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام.
انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٣٩٠، و«حجة القراءات» ص٧٥٦، و«النشر» ٢/ ٣٩٩، و«الإتحاف» ص٤٣٦.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٠ أ.

ليقين[١].

ومعنى (حَقُّ اليَقِينِ) حق الأمر اليقين عند الأخفش والبصريين[٢]، وعند الكوفيين هو من باب إضافة الشيء إلى نفسه[٣].

وقال أبو إسحاق: هذا كما تقول إن زيدًا لعالم، وإنه للعالم حق العالم إذا بالغت في التوكيد[٤].

٩٦- قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ قال أبو إسحاق: فنزّه الله ﷻ عن السوء.

والباء يجب أن تكون زيادة للتوكيد[٥]، والاسم يكون بمعنى الذات والنفس كأنه قيل: سبح ونزه ربك العظيم. والله أعلم بالصواب.



(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١١٨.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٧٠٣، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٣٤.

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٣٤٧، و«البحر المحيط» ٨/ ٢١٦.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١١٨.

(٥) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٣٤-٢٣٥.

وقال الشوكاني في «تفسيره» ٥/ ١٦٢، والباء متعلقة بمحذوف: أي فسبح ملتبسًا باسم ربك للتبرك به، وقيل: المعنى: فصل بذكر ربك، وقيل الباء زائدة، والاسم بمعنى الذات. وقيل: هي للتعدية، لأن سبح يتعدى بنفسه تارة ويتعدى بالحرف أخرى، والأول أولى.

سورة الحديد

تفسير سورة الحديد

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال المقاتلان يعني كل شيء من ذي الروح وغيره من الشجر، والجبال، والبحار، والشمس، والقمر، وكل خلق فيهما ولكن لا تفقهون تسبيحهم[1].

وقال أهل المعاني: تسبيح ما لا يعقل تنزيه لله من السوء بما فيه من الآية الداعية إلى ذلك كأنها ناطقة به إذ صنعه يقتضي صانعًا غير مصنوع[2].

قال أبو إسحاق: وهذا خطأ؛ لأن التسبيح تمجيد لله ﷻ وتنزيهه من الوالله و ﷻ ي﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] فلو كان التسبيح آثار الصنعة لكانت معقولة، وكانوا يفقهونها، وأيضًا فإنه قال ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ [الأنبياء: ٧٩] فلو كان تسبيحها آثار الصنعة لم يكن في هذا تخصيص لداود[3]، وذكرنا الكلام في هذا عند قوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وفي مواضع.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٠ أ، و«جامع البيان» ٢٧/ ١٢٤ ولم ينسبه، و«الوسيط» ٤/ ٢٤٤، و«فتح القدير» ٥/ ١٦٥.

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٣٥، و«فتح القدير» ٥/ ١٦٥ .

(٣) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٢١، وقال القرطبي ١٧/ ٢٣٦، وما ذكره هو الصحيح.

٢- قوله تعالى: ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ قال المفسرون: يحيى الأموات للبعث ويميت الأحياء في الدنيا(١).

وقال الزجاج: ويجوز أن يكون المعنى يحيي النطف التي إنما هي موات ويميت الأحياء، ويكون موضع يحيي ويميت رفعًا على معنى هو يحيي ويميت ويجوز أن يكون نصبًا على معنى له ملك السموات والأرض محييًا ومميتًا قادرًا(٢).

٣- قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ قال جماعة المفسرين: هو الأول قبل كل شيء، كان هو ولا شيء موجود، فهو الأول بلا ابتداء، والآخر بعد كل شيء بلا انتهاء، يفني الأشياء، ويبقى آخرًا كما كان أولًا، وهذا يروى مرفوعًا أنه «**الأول وليس قبله شيء والآخر وليس بعده شيء**»(٣).

قال الأزهري: ولا يجوز أن يعدو في تفسير الاسمين ما روي عن النبي ﷺ(٤).

قوله تعالى: ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ أي الغالب العالي على كل شيء، ومثل قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤] أي غالبين عالين، من قولك: ظهرت

---

(١) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٢٤، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٣٦ .

(٢) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٢١.

(٣) الحديث أخرجه مسلم (٢٧١٣) في الدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع وفيه «**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شي**» الحديث. والترمذي في الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أوى إلى فراشه، وأحمد ٢/ ٣٨١، ٤٠٤.

(٤) لم أجد هذا اللفظ في «تهذيب اللغة» ١٣/ ٤٧٤ (بطن) وإنما قال: ومن صفات الله ﷻ: «الظاهر والباطن» تأويلها ما روي عن النبي ﷺ في تمجيد الرب.. وذكر الحديث.

على فلان أي علوته. ومنه قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٣] وهذا معنى ما روي في الحديث: «**والظاهر فليس فوقك شيء**» وهذا قول أكثر أهل العلم[١]، ويجوز أن يكون معنى الظاهر أنه ظاهر بالأدلة والشواهد على ربوبيته[٢]. وهذا معنى ما روي في الخبر: «**اللهم أنت الظاهر فلا تخفى**».

قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ قال أبو إسحاق: الباطن العالم بما بطن، كما تقول: فلان يبطن أمر فلان، أي يعلم دِخْلَةَ أمره[٣].

قال الليث: يقال أنت أبطن بهذا الأمر من فلان، أي: أخبر بباطنه فالله تعالى العالم الباطن بكل شيء فلا أحد أعلم منه[٤]، وهذا معنى ما روي في الحديث: «**وأنت الباطن فليس دونك شيء**» أي ليس أقرب منك بالعلم شيء، ويجوز أن يكون معنى الباطن أنه محتجب عن الأبصار وهو معنى ما روي في الخبر «**والباطن فلا يُرى**».

٤- قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ مفسر في سورة الأعراف[٥] إلى قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ وهو مفسر في سورة سبأ[٦] إلى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ أي بالعلم والقدرة وليس ينفك أحد من تعلق علم

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوي» ٥/ ٢٤٤- ٢٤٥، و«معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٣٢، قال ابن كثير: وقال البخاري: قال يحيى: ونقل كلام الفراء. «ابن كثير» ٤/ ٣٠٢.

(٢) انظر: «الكشاف» ٤/ ٦٣، و«فتح القدير» ٥/ ١٦٥، ثم قال: وقد فسر هذه الأشياء الأربعة رسول الله ﷺ فيتعين المصير إلى ذلك.

(٣) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٢٢.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» (بطن).

(٥) من الآية (٥٤) من سورة الأعراف.

(٦) «تفسيره» الآية (٣٤) من سورة سبأ.

الله وقدرته به أينما كان من أرض، وسماء، وبر وبحر.

وهذا حجة على من ترك تأويل قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ وأجراه على الظاهر إذ لابد من التأويل في قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ولا يجوز إجراؤه على الظاهر حتى يعتقد أنه مع كل واحد في مكانه وجهته وإذا جاء التأويل في بعض جاز في الكل(١).

---

(١) قول المؤلف رحمه الله: ولا يجوز إجراؤه على الظاهر. . . أي قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ صواب وحق لا ريب فيه . قال أبو عمر الصلمنكي: وأجمع المسلمون من أهل «السنة» على معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ونحو ذلك من القرآن أن ذلك علمه، وأن الله فوق السماوات بذاته مستو على عرشه كيف شاء. انظر: «الصواعق المرسلة» ٤/ ١٢٨٤، و«العلو» ص ١٧٨.
أما قوله: وهذا حجة على من ترك تأويل قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ وأجراه على الظاهر فهو كلام مردود مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة من سلف هذه الأمة. قال الإمام أحمد رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ يقول: هو إله من في السموات وإله من في الأرض، وهو الله على العرش، وقد أحاط علمه بما دون العرش، لا يخلو من علم الله مكان، ومثل هذا نقل عن الشافعي، وابن جرير، وابن المبارك، وسعيد بن عامر، وابن خزيمة، والبخاري، والأوزاعي، وأبي حنيفة، ومالك، وغيرهم. انظر: «الأسماء والصفات» للبيهقي ٥/ ٥، و«شرح الفقه الأكبر» لأبي حنيفة ص١٠٢، و«العلو» للذهبي ص١٠١-١٠٢، و«السنة» لعبد الله بن أحمد ١/ ٧، و«الرسالة» ص ٨، و«الصواعق المرسلة» ٤/ ١٢٩٢-١٣٠٥.
وأما قوله: وإذا جاز التأويل في بعض جاز في الكل، فجوابه أن التأويل الذي يقبل هو التأويل بمعنى التفسير أي معرفة معاني الصفات، وهذا حق. وأما التأويل بمعنى الحقيقة فهذا لا يعلمه إلا الله، فحقائق الصفات من الغيب الذي استأثر الله بعلمه، وأما التأويل الذي يشير إليه المؤلف -عفا الله عنه- فهو صرف نصوص الصفات عما دلت عليه بغير دليل، وإنما لشبهة، وهذا التأويل مردود ولا يصح. انظر: «التدمرية» لابن تيمية ص٩١.

٧- قوله تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ يخاطب كفار قريش ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ﴾ يعني المال الذي كان بيد غيرهم فأهلكهم وأعطا قريشًا ذلك فكانوا خلائف عمن مضوا، وهذا معنى قول المفسرين أنفقوا من أموالكم التي ملككم الله وعمركم فيها[١].

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ﴾ قال عطاء والكلبي ومجاهد والمقاتلان[٢]: يريد حين أخرجهم من ظهر آدم.

وقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ قال الكلبي: إذا كنتم عند أخذ العهد مقرين له[٣] فـ ﴿إِن﴾ على قوله بمعنى (إذ)، وقال غيره: إن كنتم مؤمنين بالحجج والدليل فقد بان وظهر على يد محمد ﷺ ببعثته وإنزال القرآن عليه، ويجوز أن يكون المعنى: إن كنتم مؤمنين يومًا فما لكم لا تؤمنون الآن، وقد قامت الحجة على صدق محمد ﷺ وصحة نبوته[٤].

٨- ثم قال في الحث على الإنفاق، قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ أي: أيّ شيء لكم في ترك الإنفاق

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٤، و«القرطبي» ١٧/ ٢٣٨، قلت: وحمل الآية على العموم أولى من حصرها على كفار قريش أو العرب. انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢١٥، وقال الشوكاني في «تفسيره» ٥/ ١٦٧: ويجوز أن يكون خطابًا للجميع، ويكون المراد بالأمر بالإيمان في حق المسلمين الاستمرار عليه، أو الازدياد منه.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٤٧-٣٤٨، و«تفسير مجاهد» ٢/ ٦٥٦، و«تفسير مقاتل» ١٤٠ ب.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٤٧.

(٤) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٤، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٣٨ - ٢٣٩.

فيما يقرب من الله وأنتم ميتون تاركون أموالكم قاله الزجاج[١]، وهو معنى قول المفسرين[٢].

١٠- ثم بين فضل من سبق بالإنفاق في سبيل الله فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُمْ مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾ قال: يعني فتح مكة في قول جميعهم[٣]، قال مقاتل: لا يستوي في الفضل والسابقة من أنفق من ماله وقاتل العدو من قبل فتح مكة[٤].

قال الكلبي في رواية محمد بن فضيل: نزلت في أبي بكر رضي الله عنه، يدل على هذا أنه كان أول من أنفق المال على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله[٥].

قال ابن عمر: كنت قاعدًا عند النبي ﷺ وعنده أبو بكر الصديق وعليه عباءة فخلّها[٦] في صدره بخلال فنزل عليه جبريل فقال: مالي أرى أبا بكر عليه عباءة فخلها في صدره؟ فقال: أنفق ماله عليّ قبل الفتح[٧].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٢٣.

(٢) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٢٦، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٤.

(٣) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٤، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٣٩، وزاد مع الشعبي الزهري.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٠ ب.

(٥) انظر: «أسباب النزول» للواحدي ص٤٦٩، و«الوسيط» ٤/ ٢٤٥، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٤، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٤٠.

(٦) خلها: أي جمع بين طرفيها بعود أو حديد. النهاية (خلل).

(٧) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٦٢ أ، و«أسباب النزول» للواحدي ص٤٦٩، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٥، و«ابن كثير» ٤/ ٣٠٧، كلهم ذكروا بيان أطول من هذا، وتعقبه ابن كثير بقوله: هذا الحديث ضعيف الإسناد من هذا الوجه، وذكره ابن الجوزي في ترجمة أبي بكر عن ابن عمر بدون سند، و«صفة الصفوة» ١/ ٢٤٩-٢٥٠.

ولأنه -رضي الله عنه- كان أيضًا أول من قاتل على الإسلام فقد روى زر عن ابن مسعود قال: أول من أظهر إسلامه بسيفه النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه[١].

قال صاحب النظم: قوله: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ﴾ يقتضي نقيضًا كما قال ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الحشر: ٢٠] ولم يجئ هاهنا النقيض الذي يقابل من أنفق فلما قال ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟﴾ دل على هذا النقيض؛ لأن نقيضه من أنفقوا من بعد وقاتلوا[٢].

قال عطاء: يريد درجات الجنة تتفاضل، فالذين أنفقوا من قبل الفتح في أفضلها[٣]، وقال مقاتل بن حبان: يقول كانت نفقتهم وجهادهم مع النبي ﷺ أعظم أجرًا ودرجات من درجات من أنفق وقاتل بعد الفتح فتح مكة[٤].

قال أبو إسحاق: لأن المتقدمين نالهم من المشقة أكثر مما نال من بعدهم وكانت بصائرهم أيضًا أنفذ[٥].

قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ قال مقاتل بن سليمان: يقول

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٥، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٤٠، و«لباب التأويل» ٧/ ٣٢.

(٢) انظر: «التفسيرالكبير» ٢٩/ ٢١٨، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٤٠، و«فتح القدير» ٥/ ١٦٨.

(٣) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٤٦، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٥.

(٤) انظر: «فتح القدير» ٥/ ١٦٨.

(٥) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٢٣.

وكلا الفريقين وعد الله الجنة[١].

والقراء في النصب في ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ﴾ لأنه بمنزلة زيدًا وعدت خيرًا فهو مفعول وعد، وقرأ ابن عامر «وكل» بالرفع[٢]، وحجته أن الفعل إذا تقدم عليه مفعوله لم يقو عمله فيه قوته إذا تأخر، ألا ترى أنهم قد قالوا في الشعر[٣]: زيدٌ ضربتُ، ومما جاء في ذلك الشعر[٤]:

قد أصبحتْ أمُّ الخيارِ تدَّعي علـيَّ ذنْبًا كُلُّهُ لم أصْنَعِ

فرووا (كُلُّ) بالرفع لتقدمه على الفعل، وإن لم يكن شيء يمنع من تسلّط الفعل عليه فكذلك ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ويكون على إرادة الهاء وحذفها كما تحذف من الصلاتِ نحو: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١] والصفات ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٤٨]. ومثل ذلك قول جرير[٥]:

أبحتَ حمى تهامةَ بعد نجدٍ وما شيءٌ حميتَ بمُستباحِ

أي حميته[٦].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٠ ب

(٢) قرأ ابن عامر «وكل» وقرأ الباقون بالنصب انظر: «حجة القراءات» ص٦٩٨، و«النشر» ٢/ ٣٨٤، و«الإتحاف» ص٤٠٩.

(٣) قوله: (في الشعر) زيادة لا فائدة منها.

(٤) «البيت» لأبي النجم. انظر: «الخزانة» ١/ ١٧٣، و«الخصائص» ١/ ٢٩٢، و«شرح أبيات المغني» ٤/ ٢٤.

(٥) انظر: «ديوان جرير» ١/ ٨٩، و«شرح أبيات المغني» ص٧٤١، «شرح شواهد سيبويه» ١/ ٤٥، و«مغني اللبيب» ص٥٠٣، و«أمالي ابن الشجري» ١/ ٢٥، و«شرح شواهد الألفية» ٤/ ٧٥.

(٦) من قوله: «وحجته أن الفعل» إلى هنا من كلام أبي علي الفارسي.
انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٦٦- ٢٦٧.

١١- قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قال الكلبي: صادقًا محتسبًا بالصدقة[(١)].

وقال مقاتل: يعني طيبة بها نفسه[(٢)].

وقال أهل العلم: القرض الحسن أن يجمع أوصافًا عشرة وهي: أن تكون من الحلال، وقد قال رسول الله ﷺ: **«إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب»**[(٣)].

وقد قال أيضًا: **«لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول»**[(٤)].

وأن تكون من أكرم ما تملكه دون أن تقصد إلى الرديء للإنفاق. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

وأن تتصدق به وأنت تحبه وتحتاج إليه، بأن ترجو الحياة كما قال ﷺ لما سئل عن أفضل الصدقة، فقال: **«أن تعطيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش ولا تمهل حتى إذا بلغت التراقي قلت لفلان كذا أو لفلان كذا»**[(٥)].

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٥٢.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٠ ب.

(٣) جزء حديث صحيح رواه الإمام مسلم في «صحيحه»، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها. والإمام أحمد في «المسند» ٢/ ٣٢٨.

(٤) رواه الإمام مسلم في الطهارة، باب وجوب الطهارة للصلاة، وأبو داود في الطهارة، باب في فرض الوضوء، والترمذي في الطهارة، باب: ما جاء (لا تقبل صلاة بغير طهور) وقال: هذا الحديث هو أصح شيء في هذا الباب وأحسن.

(٥) رواه البخاري في «صحيحه»، كتاب: الزكاة، باب: أفضل الصدقة صدقة الشحيح الصحيح ٢/ ١٣٧، ومسلم في كتاب: الزكاة، باب: بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح.

وأن تضعه في الأخل[١] الأحوج الأولى بأخذه، ولذلك خص الله تعالى أقوامًا بأخذ الصدقات وهم أهل السهمان.

وأن تكتمه ما أمكن؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١].

وأن لا تتبعه منا وأذى، لأن الله تعالى قال: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وأن تقصد به وجه الله ولا ترائي بذلك، لأن المرائي مذموم على لسان الشرع.

وأن تستحقرها، تعطي وإن كثر، لأن ذلك قليل والدنيا كلها قليلة.

وأن تكون من أحب مالك إليك، قال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]. فهذه أوصاف عشرة إذا استكملتها الصدقة كانت قرضًا حسنًا إن شاء الله[٢]، وهذه الآية مفسرة مذكورة في سورة البقرة[٣].

١٢- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ قال أبو إسحاق: يوم منصوب بقوله: ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أي وله أجر كريم في ذلك اليوم[٤].

و﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال مقاتل والحسن: يسعى نورهم بين

---

(١) في (ك): (الأحل) والتصحيح من «تفسير الوسيط». والأخل هو الفقير المحتاج، من (الخَلَّة): الحاجة والفقر. انظر: «اللسان» (خلل).

(٢) انظر: «الوسيط» ٢/ ٢٤٧، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٢١، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٤٢، ونسب هذا القول للقشيري.

(٣) عند تفسيره الآية (٢٤٥) من سورة البقرة.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٢٣.

أيديهم على الصراط يوم القيامة، وهو دليل لهم إلى الجنة[١].

وقال قتادة: إن المؤمن يضيء له نوره كما بين عدن إلى صنعاء ودون ذلك حتى أن من المؤمنين من لا يضيء له نور إلا موضع قدميه[٢].

وقال ابن مسعود في هذه الآية: يؤتون نورهم على قدر أعمالهم منهم من نوره مثل الجبل وأدناهم نورًا نوره على إبهامه يطفأ مرة ويَقد أخرى[٣].

وقال مجاهد: ما من عبد إلا ينادي يوم القيامة أين فلان بن فلان ها نورك، أين فلان بن فلان لا نور لك.

قوله: ﴿وَبِأَيْمَـٰنِهِم﴾ قال الأخفش والفراء: يريد من أيمانهم وشمائلهم فأقام الباء مقام عن كما قال: ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥]. يقول بطرف[٤]، واكتفى بالأيمان عن ذكر الشمائل.

وقال الضحاك وابن حبان: ﴿وَبِأَيْمَـٰنِهِم﴾ كتبهم التي أعطوها فكتبهم بأيمانهم ونورهم بين أيديهم[٥]، وعلى هذا حذف الكتب لدلالة قوله: ﴿وَبِأَيْمَـٰنِهِم﴾ عليها.

قوله تعالى: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ أي: وتقول لهم الملائكة: بشراكم اليوم.

١٣- ثم ذكر حال المنافقين في ذلك اليوم فقال: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٠ ب، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٤٤.

(٢) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٧٥، و«جامع البيان» ٢٧/ ١٢٨، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٦٣ أ.

(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٢٨، و«زاد المسير» ٨/ ١٦٥، و«لباب التأويل» ٧/ ٣٢، وهو اختيار أبي جعفر النحاس. انظر: «إعراب القرآن» ٣/ ٣٥٥.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٤٠٧، و«معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٣٢.

(٥) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٤٨، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٥، و«زاد المسير» ٨/ ١٦٥، وهو اختيار ابن جرير، و«جامع البيان» ٢٧/ ١٢٨.

﴿يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ﴾ يوم بدل من قوله: ﴿يَوْمَ تَرَى﴾[١] فقال أبو أمامة: يغشى الناس يوم القيامة ظلمة شديدة ثم يقسم النور فيعطى المؤمن نورًا ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئًا فيمضي المؤمنون ويقول المنافقون ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ قال: وهي خدعة خدع بها المنافقون، قال الله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور فلا يجدون شيئًا فينصرفون إليهم وقد ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾[٢].

وقال ابن عباس ومجاهد: إن المؤمنين والمنافقين جميعًا يعطون النور وذلك أنهم يحشرون معًا ويعطون النور فيطفأ نور المنافقين ويقولون للمؤمنين ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾[٣].

وقال الكلبي: يستضيء المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فإذا سبقهم المؤمنون قالوا: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ أي انتظرونا[٤] ونظر بمعنى انتظر في التنزيل والشعر كثير، قال الله تعالى: ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣] منتظرين إدراكه، وأنشد أبو علي[٥]:

ما زِلت مُذ أشهرَ السُّفَّارُ أنْظُرُهم   مثلُ انتظارِ المضحَّي راعيَ الإبلِ

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٣٥٦-٣٥٧.

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» ص ١٠٨ (الرقائق)، والحاكم في «المستدرك» وصححه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٢/ ٤٣٥، ببيان أطول مما هاهنا، وهو صحيح الإسناد موقوف على أبي أمامة، وانظر: «ابن كثير» ٤/ ٣٨، و«الدر» ٦/ ١٧٣.

(٣) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٥٧، و«جامع البيان» ٢٧/ ١٢٩.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٥٤، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٤٥ .

(٥) البيت ورد في «اللسان» (ش) ولم ينسبه، وفيه: (راعي الغنم).

المعنى: انتظرهم انتظارًا مثل انتظار الضحي ويجي فعلت وافتعلت بمعنى كثيرًا كقولهم: شريت واشتريت وحفرت واحتفرت[(١)].

وقرأ حمزة ﴿أَنظِرُونَا﴾ بقطع الألف[(٢)] من الإنظار: قال أبو عبيد: التي تختارها هي الأولى[(٣)]؛ لأن تأويلها: انتظرونا، وأما الأخرى: فإنما هي من التأخير ولا أعرب للتأخير هاهنا موضعًا[(٤)] فأبطل هذه القراءة.

قال أبو إسحاق: ﴿أَنظِرُونَا﴾ بقطع الألف معناه: انتظرونا أيضًا، وأنشد بيت عمرو بن كلثوم[(٥)]:

أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقينا

وقال أبو علي: وقد يكون أنظرتُ في معنى انتظرت بقولك: أنظرني التنفيس الذي يطلب بالانتظار من ذلك قوله:

وأنظرنا نخبرك اليقينا

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف: ١٤] إنما هو طلب الإمهال والتسويف، فالمطلوب بقوله: وأنظرنا: تسويف، وكذلك

---

(١) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٧٢، وأشهر السفار: أي مضى عليهم شهر.

(٢) قرأ حمزة (أَنْظِرُونَا) بقطع الهمزة مفتوحة وكسر الظاء، وقرأ الباقون ﴿ٱنظُرُونَا﴾ بوصل الهمزة وضم الظاء. انظر: «النشر» ٢/ ٣٨٤، و«الإتحاف» ص٤١٠.

(٣) أي قراءة الجمهور.

(٤) قلت: وإذا ثبتت القراءة عن النبي ﷺ كما هنا فلا عبرة بما قال غيره، وعدم معرفة أبي عبيد -رحمه الله- لهذا المعنى في القراءة لا يطعن في صحة القراءة وقوتها ولا يقلل من قدره رحمه الله، ومعرفة غيره من علماء اللغة لهذا المعنى تشهد لصحة القراءة لغة وقد صحت سندًا، والله أعلم.

(٥) البيت من معلقة عمرو بن هند. انظر: «شرح المعلقات السبع» للزوزني ص٩٨، و«الخزانة» ٣/ ٦٢٨.

قوله: ﴿أَنظُرُونَا نَقْتَبِسْ﴾ نفسونا نقبتس، وانتظروا علينا. وكذلك ما جاء في الحديث من إنظار المعسر[١] فهذا وإن كان التأخير يشملها فهو على تأخير دون تأخير، وليس تسرّع من تسّرعَ إلى تخطئة من قال: «أنظرونا» بشيء وليس ينبغي أن يقال فيما لطف إنه خطأ، وهو زعموا قراءة يحيى بن وثاب والأعمش[٢].

قوله تعالى: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ قال ابن عباس: يقول المؤمنون لهم ارجعوا وراءكم[٣]. وقال مقاتل: قالت لهم الملائكة ارجعوا وراءكم من حيث جئتم من الظلمة[٤].

﴿فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ قال أبو إسحاق: تأويله لا نور لكم عندنا[٥].

قوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ قد ذكرنا أن المنافقين ينصرفون لطلب النور فلا يجدون، ثم يقبلون إلى المؤمنين ليلحقوهم فيميز بينهم وبين المؤمنين ويضرب بينهم سد، وهو قوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم﴾ أي أن بين المنافقين والمؤمنين ﴿بِسُورٍ﴾ وهو الحائط، والباء فيه صلة للتأكيد، قاله

---

(١) أخرج مسلم في «صحيحه»، كتاب الفضائل، باب من أنظر انقياد الشجر للنبي ﷺ وفيه (من أنظر معسرًا، أو وضع عنه، أظله الله في ظله).

(٢) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٧٣، و«معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٣٣، و«إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٣٥٧، وقوله: فيما لطف، أي فيما غمض معناه وغفى، و«اللسان» ٣/ ٣٦٩ (لطف).

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٥٤، و«الوسيط» ٤/ ٢٤٩

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٠ ب، و«جامع البيان» ٢٧/ ١٢٩، ونسب القول للمؤمنين موضحًا معنى الآية.

(٥) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٢٤.

(٦) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٧٠٤.

الأخفش[١]. وقد مضى الكلام فيه.

﴿لَّهُۥ بَابُۢ﴾ لذلك السور باب ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾ أي في باطن ذلك السور الرحمة، قال ابن عباس والمفسرون[٢]: يعني الجنة التي فيها المؤمنون ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾ يعني وخارج السور ﴿مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ أي من قبله يأتيهم العذاب، والمعنى أن ما يلي المؤمنين ففيه الرحمة، وما يلي الكافرين يأتيهم من قبله العذاب.

قال ابن عباس: يريد جهنم[٣]، وقال الحسن: يعني النار[٤].

وقال الكلبي: هذا السور هو سور الأعراف[٥].

وقال قتادة: هو حائط بين الجنة والنار[٦]، والمعنى أن المؤمنين يسبقونهم فيدخلون الجنة، والمنافقين يحصلون[٧] في العذاب والنار وبينهم السور الذي ذكر الله تعالي.

١٤- قوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ قال المفسرون: إن المؤمنين إذا فاتوا المنافقين وسبقوهم نادوهم من وراء السور ألم نكن معكم نصلي بصلاتكم في مساجدكم ونغزو مغازيكم، وكنا معكم في الحج

---

(١) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٢٩، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٦، و«زاد المسير» ٨/ ١٦٦.

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٤٦، و«فتح القدير» ٥/ ١٧١ .

(٣) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٦، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٠٩ .

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤١ أ، و«جامع البيان» ٢٧/ ١٢٩، و«الجامع» للقرطبي ١٧/ ٢٤٦، و«ابن كثير» ٤/ ٩٠٣، عن مجاهد وابن زيد، وقال ابن كثير: وهو الصحيح.

(٥) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٢٩، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٩، وزاد نسبته للحسن.

(٦) قوله: (يحصلون) أي يميزون، والمُحَصِّلة: التي تُمَيِّز الذهب من الفضة، و«اللسان» ١/ ٦٥٤ (حصل).

والعمرة ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ قال المفسرون وأهل المعاني: استعملتموها في الكفر والشهوات والمعاصي وكلها فتنة[١].

﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ قال ابن عباس: يريد بالتوبة[٢]، وقال مقاتل: وتربصتم بمحمد الموت، وقلتم: يوشك أن يموت فنستريح منه[٣]، وهو اختيار أبي إسحاق، قال: وتربصتم بالنبي ﷺ والمؤمنين الدوائر[٤].

قوله تعالى: ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾ قال ابن عباس: شككتم في الوعيد، يعني فيما أوعدهم به محمد ﷺ من العذاب[٥].

وقال مقاتل: وشككتم في نبوة محمد[٦].

وقوله: ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾ قال ابن عباس: يريد الباطل وهو ما كانوا يتمنون الدوائر بالمؤمنين[٧] ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ قالوا: الموت.

قال قتادة: ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله في النار[٨]. وهو قوله تعالى: ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ أي وغركم الشيطان بحلم الله وإمهاله وهذا مفسر فيما تقدم[٩].

---

(١) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٣٠، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٢٤، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٦.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٥٥، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٤٧.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤١ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٦.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٢٤.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٥٥، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٤٧.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤١ أ.

(٧) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٤٩، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٦.

(٨) (الله في) ساقطة من (ك)، وانظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٣٠، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٦.

(٩) عند «تفسيره» الآية (٣٣) من سورة لقمان.

١٥- قوله تعالى: (هي مولاكم) قال ابن عباس: هي مصيركم[١].

وقال مقاتل: يعني وليكم[٢].

وقال الكلبي: هي أولى بكم[٣]، وهو قول أبي عبيدة، وأنشد للبيد:[٤]

تعدت كل الفرجين تحسب أنه مولى المخافة خلفها وأمامها

قال أبو إسحاق: معن ﴿مَوْلَىٰكُمْ﴾ هي أولى بكم لما أسلفتم من الذنوب، وأنشد البيت ثم قال: أي ولي المخافة[٥].

وقال الفراء: هي أولى بكم[٦]. هذا الذي ذكرنا ألفاظهم[٧]. والمعنى: إنما هي التي تلي عليكم لأنها قد ملكت أمركم وأسلمتم إليها فهي أولى بكم من كل شيء وإنما جاز إطلاق هذا اللفظ على النار، لأن

---

(١) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٢٧.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤١ أ.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٥٥، و«الوسيط» ٤/ ٢٤٩.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٥٤، والبيت في معلقة لبيد. انظر: «شرح المعلقات السبع» للزوزني ص٨٥، ومعناه: أن البقر هربت خوفًا من الكلاب، ولا تعرف أن الكلاب خلفها أم أمامها من شدة الخوف، فما بين اليدين فرج وما بين الرجلين فرج. وورد أيضًا في «شرح شواهد الكتاب» ١/ ٢٠٢، و«المقتضب» ٣/ ٢٠١، و«الدرر اللوامع» ١/ ١٧٨.

(٥) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٢٥.

(٦) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ١٣٤.

(٧) قال الرازي: واعلم أن هذا الذي قالوه معنى وليس بتفسير للفظ، لأنه لو كان مولى وأولى بمعنى واحد في اللغة لصح استعمال كل واحد منهما في مكان الآخر. انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٢٧-٢٢٨.

الله تعالى قد ركب فيها العقل والمعرفة فهي تتميز غيظًا على أعداء الله وهي أعرف بهم من الوالدة بولدها ولهذا المعنى خوطبت في قوله ﷻ: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ﴾ الآية [ق: ٤٠].

ووجه آخر وهو أن معنى قوله: ﴿هي مولاكم﴾ لا مولى لكم أي لا ناصر، وذلك أن من كانت النار مولاه فهو مولى له وهذا كما يقال: ناصره الخذلان، ومعينه البكاء، أي لا ناصر له ولا معين، ومثله كثير ويؤكد هذا الوجه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١].

١٦- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾. يقال: أَنَى لك يَأْني أَنًى، وآن لك يئين أَيْناً إذا حان[(١)]. روى الثوري عن الأعمش قال: لما قدموا المدينة أصأبوا من لين العيش ورفاهيته ففتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا ونزلت في ذلك ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ الآية[(٢)]. ونحو هذا قال القرظي، قال: كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا الريف ففتروا عما كانوا عليه[(٣)].

وقال ابن أبي رواد: إن أصحاب النبي ﷺ ظهر فيهم المزاح والضحك فأنزل الله هذه الآية[(٤)].

قال ابن مسعود: لم يكن بين إسلامهم وبين أن عاتبهم الله بهذه الآية

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٢٥، و«اللسان» ١/ ١٢٢ (أني).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ٢/ ٢٧٦، وابن المبارك في «الزهد» ٢/ ٨٩، وابن المنذر، و«الدر» ٦/ ١٧٥.

(٣) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٦٦ أ- ب.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف». انظر: «الدر» ٦/ ١٧٥، و«فتح القدير» ٥/ ١٧٤.

إلا أربع سنين[(١)].

وقال مقاتل بن حيان: إنها حين نزلت قال النبي ﷺ: «**إن الله يستبطئكم بالخشوع**» فقالوا عند ذلك يعتب ربنا.[(٢)] والمعنى: أما حان للمؤمنين أن ترق قلوبهم لذكر الله.

قال ابن عباس: يريد لمواعظ الله، وعلى هذا الذكر مصدر أضيف إلى الفاعل أي «لذكر الله» وعظهم وما يعتبرون به ويستدلون به على الخشوع وهو ما ذكر الله لهم من مواعظ القرآن، ويجوز أن يكون الذكر مضافًا إلى المفعول والمعنى لذكرهم الله، أي يجب أن يورثهم الذكر خشوعًا ولا يكونوا كمن يذكره بالغفلة فلا يخشع قلبه للذكر.

قال أبو إسحاق هذه الآية -والله أعلم- نزلت في طائفة من المؤمنين حُثُّوا على الرقة والخشوع، فأما من وصفه الله جل وعز بالخشوع والرقة فطبقة من المؤمنين فوق هؤلاء[(٣)].

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ (ما) في موضع جر بالعطف على الذكر وهو موصول، والعائد إليه محذوف على تقدير وما نزله[(٤)] من الحق

---

(١) أخرجه مسلم في التفسير، باب: في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾. وانظر: «مجمع الزوائد» ٧/ ١٢١، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣١.

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» بدون سند، وفي «تفسير الثعلبي» ١٢/ ١٦٥ أ عن ابن عباس قال: إن الله تعالى استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن، وأورده ابن المبارك في «الزهد» ص ٨٩ عنه.

(٣) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٧، و«لباب التأويل» ٧/ ٣٥، و«الوسيط» ٤/ ٢٥.

(٤) في (ك): (نزل).

وقراءة العامة بالتشديد[١] لكثرة ما جاء في القرآن من ذكر التنزيل.

قال أبو عبيدة: وكذلك هي عندنا على التشديد لذكر الله جل ثناؤه قبل ذلك[٢]. والمعنى أنه هو نزل الحق.

قال المبرد: والمعنى في التشديد والتخفيف واحد، لأن الحق لا ينزل إلا بأن ينزله الله ﷻ فهو معلوم أن الله ﷻ أنزله وإن لم يذكر باللفظ ويدل على صحة قراءة من ضعف قوله: ﴿وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾[٣].

قال ابن عباس والمفسرون: في قوله: ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ يعني القرآن[٤].

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُواْ﴾ قال الفراء: هو في موضع نصب معناه: ألم يأن أن تخشع قلوبهم وألا يكونوا. قال: ولو كان جزمًا على النهي كان صوابًا[٥]، ويدل على هذا الوجه قراءة من قرأ بالتاء[٦].

قوله تعالى: ﴿كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ﴾ قال ابن عباس: يريد اليهود والنصارى ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ قال ابن عباس: يريد الدهر، وهو

---

(١) قرأ الجمهور، وأبو بكر عن عاصم ﴿وَمَا نَزَلَ﴾ بتشديد الزاي، وقرأ نافع والمفضل وحفص عن عاصم بتخفيفها. انظر: «النشر» ٢/ ٣٨٤، و«الإتحاف» ص٤١.

(٢) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٧٤، و«إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٣٥٩.

(٣) من الآية (١٠٥) من سورة الإسراء. وانظر: المراجع السابقة. قال النحاس: وليس يقع في هذا اختيار، ولو جاز أن يقال في مثل هذا اختيار لقيل: الاختيار نزل؛ لأن مثله ﴿لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ ولم يقل: لتذكير الله.

(٤) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٧، و«فتح القدير» ٥/ ١٧٢.

(٥) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ١٣٥.

(٦) وهي قراءة عيسى، وابن إسحاق، ورويس، وأبي حيوة، وابن أبي عبلة، وغيرهم.=

قول مجاهد[١].

والمعنى: طال عليهم الزمان بينهم وبين أنبيائهم ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ قال ابن عباس: يريد حب الدنيا أي مالوا إليها وأعرضوا عن مواعظ الله تعالى[٢]، ويجوز أن يكون المراد بطول الأمد أن أعمارهم طالت في الغفلة فأورثهم ذلك القسوة[٣].

ويكون المعنى على هذا: طال عليهم أمد الجزاء وأمد آجالهم.

وقال ابن حيان: الأمد[٤] ها هنا الأمل[٥] البعيد[٦]، والمعنى على هذا: طال عليهم الأمد بطول الأمل أي أملوا بعيدًا فقست قلوبهم.

وقال هو ومقاتل بن سليمان: يعني طال عليهم أمد خروج النبي ﷺ فقست قلوبهم حتى أحدثوا الأحداث[٧] يعني الذين كانوا قبل خروج النبي ﷺ والمعنى: أنه نهى المؤمنين أن يكونوا في صحبة القرآن كاليهود الذين قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر، ولهذا قال القرطبي: يجب أن يزداد المؤمن إيمانًا ويقينًا وإخلاصًا في طول صحبته الكتاب[٨].

= انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٤٩، و«البحر المحيط» ٨/ ٢٢٣، و«روح المعاني» ٢٧/ ١٨١.

(١) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٥٨، و«الوسيط» ٤/ ٢٥٠، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٧.

(٢) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٥٠، و«لباب التأويل» ٧/ ٣٥.

(٣) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٢٩، و«فتح القدير» ٥/ ١٧٣.

(٤) في (ك): (الأحد) والتصويب من «التفسير الكبير».

(٥) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٣٠. (٦) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤١ ب.

(٧) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٦٦ ب، و«الوسيط» ٤/ ٢٥٠، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٣.

(٨) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٣٢، و«الكشف والبيان» ١٣/ ٦٦ ب، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣١.

قوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ يعني الذين تركوا الإيمان بعيسى ومحمد ﷺ هذا الذي ذكرنا في هذه الآية هو قول عامة المفسرين(١).

وقال الكلبي ومقاتل بن سليمان نزلت في المنافقين(٢) وعلى هذا معنى قوله: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ أي باللسان في العلانية.

قال مقاتل: كان المنافقون لا ترق قلوبهم لذكر الله والقرآن فلم يَلِن له إلا القليل منهم وهم الذين صدقوا وكثير منهم فاسقون(٣).

١٨- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾ قراءة العامة بتشديد الصاد على معنى المتصدقين والمتصدقات بالصدقة، وكذا هو في قراءة أُبَّي بالفاء(٤) فأدغمت التاء في الصاد يدل على أن المعنى هذا.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وهذا الفصل اعتراض بعين الخبر والمخبر عنه والاعتراض بمنزلة الصفة(٥) فهو للصدقة أشد ملاءمة منه للتصديق، وقراءة من قرأ بتخفيف الصاد من التصديق الذي هو بمعنى الإيمان، ومعناها إن المؤمنين والمؤمنات، حجة هذه القراءة أن التشديد مقصور على الصدقة والتخفيف أعم؛ لأن التصديق يعم الصدقة وغيرها من كل ما صدقوا وآمنوا به فهو أذهب في باب المدح، وعلى هذا قوله:

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤١ ب، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٦٤ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٧، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٤٩.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤١ ب.

(٣) المرجع السابق.

(٤) قرأ ابن كثير، وأبو بكر: ﴿ٱلْمُصَدِّقِينَ وَٱلْمُصَدِّقَٰتِ﴾ بتخفيف الصاد فيهما وقرأ الباقون (المصَّدِّقين والمصَّدقات) بتاء ظاهرى وبها احتج الجمهور لقراءة التشديد. انظر: «حجة القراءات» ص١٠٧، و«النشر» ٢/ ٣٨٤، و«الإتحاف» ص٤١.

(٥) في (ك): (الصلة).

﴿وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[(١)] فذكر العمل الصالح بعد الإيمان كذلك هاهنا ذكر القرض الحسن بعد التصديق على هذه القراءة لا يحمل قوله: وأقرضوا على الاعتراض ولكنه عطف على المعنى، ألا ترى أن المصدقين معناه الذين صدقوا فكأنه قال: إن الذين صدقوا وأقرضوا ويجوز هذا الوجه في القراءة الأولى[(٢)]، على معنى إن الذين تصدقوا وأقرضوا الله قرضًا حسنًا، وذكرنا تفسير القرض الحسن في هذه السورة.

وذكر أبو علي في المسائل الحلبية في قوله: ﴿وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ﴾ أوجهًا، واختار الاعتراض فقال: حمله على الاعتراض أرجح الوجوه عندي؛ لأن الاعتراض قد شاع في كلامهم وكثر، ولم يجر ذلك عندهم فجرى مجرى الفصل بين المتصلين بما هو أجنبي؛ لأن فيه تبيينًا فأشبه بذلك الصفة والتأكيد[(٣)].

١٩- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ في تفسير هذه الآية طريقان: **أحدهما**: أن الآية عامة في كل من آمن بالله ورسله وهو مذهب مجاهد، وقال: كل من آمن بالله ورسوله فهو صديق، ثم قرأ هذه الآية[(٤)]، ويدل على هذا ما روي عن ابن عباس في قوله: ﴿هُمُ

---

(١) من الآية (٢٧٧) من سورة البقرة، وفي غيرها من سور القرآن كثير.

(٢) من قوله: (قوله تعالى ﴿وَأَقْرَضُواْ﴾ وهذا الفصل) إلى هنا من كلام أبي علي الفارسي بتصرف من المؤلف. انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٧٤- ٢٧٥.

(٣) انظر: «المسائل الحلبيات» ص ١٤٣.

(٤) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٣٣، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٨، و«زاد المسير» ٨/ ١٧.

﴿ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ أي الموحدون(١).

الثاني: أن الآية خاصة وهو قول المقاتلين، قال ابن سليمان: هم الذين لم يشكوا في الرسل ساعة حين أخبروهم(٢).

وقال ابن حيان: هم الذين آمنوا بالرسل حين أتوهم ولم يكذبوهم ساعة قط مثل حديث آل ياسين ومؤمن آل فرعون وأبي بكر الصديق(٣)، هذا كلامه وهو مذهب الضحاك في هذه الآية، قال: هم ثمانية نفر سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام: أبو بكر، وعلي، وزيد، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وحمزة، وتاسعهم عمر رضي الله عنهم ألحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته(٤).

ومن قال بالطريقة الأولى قال: قوله: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ عطف على الآية الأولى. والمعنى: إن الذين آمنوا بالله ورسله هم الصديقون وهم الشهداء.

قال مجاهد: كل مؤمن صديق وشهيد، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ﴾(٥).

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٥٩، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٣١.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤١ ب.

(٣) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٥١، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٣١، و«فتح القدير» ٥/ ١٧٣، وأبو بكر الصديق هو خليفة رسول الله ﷺ توفي سنة ثلاث عشرة عن ثلاث وستين سنة. انظر: «الإصابة» ١١/ ٤٠، و«العبر» ١/ ١٣، و«صفة الصفوة» ١/ ٢٣٥.

(٤) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٦٧ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٨، و«زاد المسير» ٨/ ١٧٠، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٥٤.

(٥) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٨، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٣٢، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣١٢.

وقال الضحاك: الشهداء هم الصديقون، وكانوا كلهم شهداء[١]. يعني الذين ذكرهم بأسمائهم.

قال أبو إسحاق: يجوز أن يكون (والشهداء) نسقًا على ما قبله، فيكون المعنى: أولئك هم الصديقون وأولئك هم الشهداء عند ربهم، ويكون ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ للجماعة من الصديقين والشهداء[٢].

وعند قوم من المفسرين هذه الآية مستأنفة. قال مسروق: هذه للشهداء خاصة[٣]، وقال مقاتل بن سليمان ثم استأنف للشهداء يعني من استشهد[٤].

وقال مقاتل بن حيان: الآية الأولى مفصولة ثم ذكر الشهداء وهم الأنبياء والرسل[٥] واختار محمد بن جرير هذا القول قال: لأن الإيمان غير موجب اسم شهيد إلا أن يراد أنه شهيد على ما آمن به فيكون وجهًا وذلك ليس بمعروف من معانيه إذا أطلق، والتأويل والشهداء الذين قتلوا في سبيل الله عند ربهم[٦].

وقال الفراء: انقطع الكلام عند قوله: ﴿هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ ثم قال ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يعني النبيين ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ورفعت ﴿ٱلشُّهَدَآءِ﴾ بقوله: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ونحو هذا ذكر أبو إسحاق[٧] في هذا الوجه سواء فالشهداء

---

(١) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٦٨ أ.

(٢) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٢٦-١٢٧.

(٣) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٧٦، و«جامع البيان» ٢٧/ ١٣٣.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤١ ب.

(٥) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٥١، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٨.

(٦) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٣٣-١٣٤.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٣٥، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٢٦.

في قول مقاتل بن سليمان، وابن جرير من استشهد في سبيل الله، وفي قول ابن حيان، والفراء، والزجاج: الأنبياء.

٢٠- قوله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ﴾ الآية، آراء المتأخرين من أهل التفسير يفسرون الحياة الدنيا بما في هذه الدار الفانية من العروض والأموال التي تسمى الدنيا وهي لا تسمى الحياة، والحياة الدنيا الحياة في هذه الدار، وللآدمي حياتان، الحياة الدنيا، وهي حياته في هذه الدار، وحياته الثانية: حياته في الآخرة، أعلم الله تعالى أن الحياة الفانية ما هي وهو يريد حياة من لا تكون حياته في طاعته؛ لأن من كانت حياته في طاعة الله لا تكون حياته لعبًا ولهوًا. قال ابن عباس في هذه الآية: يريد ما كان لغير الله فهو باطل وغرور[١]. وإنما جعلها لعبًا ولهوًا: لأنها تنقضي عن قريب، ولأنها إذا كانت في غير الطاعة فهي باطل وغرور. قاله ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَزِينَةٞ﴾ قال ابن عباس: يريد يتزين الناس بما لا يحب الله ولا يرضى[٢]. والمعنى أن الكافر يستغل حياته بالتزين للدنيا، دون العمل للآخرة فحياته زينة على معنى أنه يذهبها في الزينة، والزينة اسم جامع لكل شيء يتزين به، والكافر لا همة له في حياته إلا ما يزينه في دنياه، وهذا كما قيل: حياتك بالغرور سهو وغفلة، أي أنك تذهبها فيهما لا أنها هما بعينهما. وكذلك قوله: ﴿وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ﴾ يعني أنكم تشتغلون في حياتكم بالتفاخر.

قال ابن عباس: يفاخر الرجل قريبه وجاره[٣].

---

(١) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٥٢، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٣٣.

(٢) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٣٣، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٥٥.

(٣) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٥٢، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٨.

﴿وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ قال ابن عباس: يجمع ما لا يحل له تكاثرًا به، ويتطاول على أولياء الله بماله وخدمه وولده[١].

ثم بين لهذه الحياة شبيهًا فقال ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ يعني المطر والكاف موضعه رفع من وجهين أحدهما: أن يكون صفة لقوله: ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ وما ذكر بعدهما. والآخر: أن يكون خبرًا بعد خبر قاله الزجاج[٢]، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ﴾ [الكهف: ٤٥] الآية. وقد بينا الكلام فيها قوله تعالى: ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ يعني الزراع، عن عبد الله ومجاهد[٣].

قال الأزهري: والعرب تقول: للزارع كافرًا؛ لأنه يكْفُرُ البَذْرَ الذي يبذره بتراب الأرض، ومنه قوله: ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ أي الزُّرَّاعَ، وإذا أعجب الزراع نباتة مع علمهم به فهو غاية ما يُسْتَحْسَنُ، قال: وقيل الكفار في هذه الآية الكفار بالله وهم أشد إعجابًا بزينة الدنيا وحرثها من المؤمنين هذا كلامه[٤] وأكثره من قول أبي إسحاق[٥].

وقوله: ﴿نَبَاتُهُۥ﴾ أي ما ينبت من ذلك الغيث وباقي الآية مفسر في سورة الزمر[٦].

قال أهل المعاني: زهد الله بهذه الآية في العمل للدنيا ورغب في

---

(١) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٥٢، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٣٣.
(٢) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٢٧.
(٣) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٣٣، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣١٣.
(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ١٩٩ (كفر).
(٥) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٢٧.
(٦) عند «تفسيره» الآية (٢١) من سورة الزمر.

العمل للآخرة وهي صفة حياة الكافر وحياة من يشتغل باللهو واللعب وما ذكر بعدهما، وهي خطاب للكافر وتحذير للمؤمنين عن مثل حياتهم، ويدل على هذا قوله: ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ فختم بذكر العذاب، والمعنى: فعذاب شديد لمن كانت حياته بهذه الصفة.

قال مقاتل: عذاب شديد لأعداء الله ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾ لأوليائه وأهل طاعته(١). وقاله ابن عباس.

قال الزجاج: معناه: مغفرة لأولياء الله، وعذاب لأعدائه(٢).

وقال الفراء: ذكر ما في الدنيا وأنه على ما وصف، ثم قال: وأما الآخرة فإنها إما عذاب وإما جنة(٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ يعني لمن عمل لها ولم يعمل للآخرة، وهو معنى قول مقاتل، أي: لمن اغتر بها يتمتعون ثم يذهب(٤).

وقال سعيد بن جبير: متاع الغرور هو ما يلهيك عن طلب الآخرة وما لم يلهك فليس بمتاع الغرور ولكنه متاع بلاغ إلى ما هو خير منه(٥).

٢١- قوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ مضى تفسير هذه الآية عند قوله: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فيه ثلاثة أقوال.

---

(١) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٥٢، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٨.

(٢) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٢٧.

(٣) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ١٣٥.

(٤) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٣٤، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٥٦.

(٥) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٨، و«لباب التأويل» ٧/ ٣٦، و«فتح القدير» ٥/ ١٧٥.

أحدها: أن السموات السبع والأرضين السبع لو ألزق بعضها ببعض ووصل لكانت الجنة في عرضها جميعًا هذا قول مقاتل[١].

وقال عطاء عن ابن عباس: يريد لرجل واحد، يعني أن لكل واحد جنة بهذه السعة[٢].

القول الثالث: أن هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع في نفوسهم، وأكبر ما يقع في نفوسهم مقدار السموات والأرض وهذا قول الزجاج[٣]. وهذه الأقوال مشروحة في سورة آل عمران.

قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ في هذا أعظم رجاء وأقوى أمل إذ ذكر أن الجنة أعدت لمن آمن ولم يذكر مع الإيمان شيئًا آخر[٤].

ثم قال ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ فبين أنه لا يدخل أحد الجنة إلا بفضل الله[٥].

قال أبو إسحاق: ثم أعلم أن المؤدَّى إلى الجنة أو إلى النار لا يكون إلا بقضاء وقدر فقال:

---

(١) «تفسير مقاتل» ١٤٢ أ، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٣٤.

(٢) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٣٤، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٥٦، و«فتح القدير» ٥/ ١٧٥. وفي «تفسير الثعلبي» ١٢/ ٧٨ ب قال: وقال ابن كيسان (عني به جنة واحدة من الجنان).

(٣) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٢٨.

(٤) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٣٥، قال الشوكاني: ولكن هذا مقيد بالأدلة الدالة على أنه لا يستحقها إلا من عمل بما فرض الله عليه، واجتنب ما نها الله عنه، وهي أدلة كثيرة في الكتاب و«السنة». «فتح القدير» ٥/ ١٧٦.

(٥) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٩، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣١٣.

٢٢- قوله تعالى:(١) ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ قال الكلبي والمقاتلان: المصيبة في الأرض قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار وغلاء السعر وتتابع الجوع، وقالوا في قوله: ﴿وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ المصيبة في الأنفس: البلاء والأمراض، وذهاب الولد، وإقامة الحدود عليها(٢).

وقال الشعبي: المصيبة ما يكون من خير وشر، وما يسوء ويسر(٣)، وهو اختيار الزجاج، قال: أو كسب خير أو شر فمكتوب عند الله معلوم(٤)، وهو قوله: ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ قالوا: يعني اللوح المحفوظ.

وذكر أن سعيد بن جبير لما انطلق به إلى الحجاج بكى رجل، فقال ما يبكيك: قال: الذي نزل بك من الأمر قال: فلا تبك فإنه كان سبق في علم الله أن يكون هذا ثم قرأ هذه الآية(٥).

قال أبو علي الفارسي: قوله: ﴿مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ موضع قوله: ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يحتمل ضربين أحدهما: أن يكون مفعولا فيه ظرفًا، والآخر: أن يكون وصفًا، فإن جعلته ظرفًا احتمل أن يكون ظرفًا لأصاب، واحتمل أن يكون لمصيبة ويؤكد كونه ظرفًا ويحسنه دخول لا في قوله:

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٢٨.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٦٢، و«تفسير مقاتل» ١٤٢ أ، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٥٧.

(٣) انظر: «الكشف والبيان»، ١٢/ ٦٩ أ، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٣٧، و«روح المعاني» ٢٧/ ١٨٦.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٢٨.

(٥) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٦٩ أ، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٥٧.

﴿وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ فصار ذلك مثل: ما ضرب من رجل ولا امرأة.

الوجه الثاني: أن يكون صفة للنكرة، وقوله: ﴿وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ صفة معطوفة على صفة، وإذا كان كذلك احتمل موضع قوله: ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ضربين: **أحدهما**: أن يكون جرًا على لفظ قوله: ﴿مِّن مُّصِيبَةٖ﴾ **والآخر**: أن يكون رفعًا على موضع ﴿مِّن مُّصِيبَةٖ﴾.

فإن قلتَ: فما وجه دخول (لا) في قوله: ﴿وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ وليس الكلام على هذا التأويل بنفي؟ فالقول فيه: أنه لما كان معطوفًا على ما هو منفي في المعنى وإن لم يكن منفيًا في اللفظ جاز أن يحمل الكلام على المعنى فيدخل فيه لا؛ لأن قوله: ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ صفة لمنفي(١) فأجريته مجرى المنفي فاستجزت العطف عليه بلا، والحمل على المعنى في النفي قد جاء في غير شيء من كلامهم ألا ترى أنهم قد قالوا: إن أحدًا لا يقول إلا زيد لما كان في المعنى منفيًا. وإن شئت قلت: إن (لا) زائدة وقد ذكرنا زيادتها في غير موضع(٢).

قوله تعالى: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ قال ابن عباس: من قبل أن أخلق خلقي(٣).

وقال الكلبي والمقاتلان: من قبل أن أخلق الأنفس(٤). وعلى هذا

---

(١) في (ك): (ملنفى) ولعل صوابها (لمنفى).

(٢) انظر: «الدر» المصون ١/ ٢٥١.

(٣) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٣٧، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣١٣، و«فتح القدير» ٥/ ١٧٦، ولم ينسب القول لقائل.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٦٣، و«تفسير مقاتل» ١٤٢ أ.

الضمير في نبرأها للأنفس وهو اختيار الفراء[١]. وذكر أيضًا الضمير للأرض والأنفس جميعًا[٢]، وعن ابن عباس أيضًا أنها للمصيبة[٣].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ قال ابن عباس: إن حفظ ذلك على الله هين[٤]. وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١] والمعنى أن إثبات ذلك على كثرته يسير هين على الله.

٢٣- قوله: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ هذا يدل على قول الشعبي إن المصيبة تكون من خير وشر؛ لأن الله تعالى ذكر في هذه الآية الحزن والفرح جميعًا، وهذه اللام تجعل أول الكلام سببًا لآخره، كما تقول: قمت لأضربك، بينت باللام أن القيام سبب للضرب وفي هذه الآية ليس الأمر على ذلك؛ لأن إثبات الله تعالى للحوادث والكائنات قبل خلقها لو كان سببًا لنفي الحزن والفرح ما فرح أحد ولا حزن، ولا وجد فرح ولا حزن، ولكن اللام تتعلق بإخبار الله تعالى إيانا بانقضائه وسبق قدره وبالكائنات، وذلك يوجب نفي الفرح والحزن وكأنه قيل: أخبرناكم بهذا لكيلا تأسوا، وحذف ذلك؛ لأن المشاهدة أغنت عنه وهذا معنى ما ذكره صاحب النظم[٥].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ١٣٦.

(٢) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٩، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٣٧.

(٣) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٦٩ أ، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٣٧، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٥٧.

(٤) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٩، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣١٤.

(٥) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٣٨.

والذي يوجب نفي الأسى والفرح من هذا أن الإنسان إذا علم أن ما قضي عليه من مفرح[١] أو محزن سيصيبه لا محالة قَلَّ فرحه وحزنه لاستشعاره العلم بذلك قبل وقوعه.

قوله تعالى: ﴿مَآ ءَاتَىٰكُمْۗ﴾ قراءة العامة بالمد من الإيتاء، وقرأ أبو عمرو مقصورًا من الإتيان[٢] عادل به ﴿فَاتَكُمْ﴾ فكما أن الفعل للفائت في قوله: ﴿فَاتَكُمْ﴾ كذلك يكون الفعل الذي في قوله: ﴿مَآ ءَاتَىٰكُمْۗ﴾ والعائد إلى الموصول من الكلمتين الذكر المرفوع بأنه فاعل، ووجه قراءة العامة أن الخير الذي يأتيهم هو مما يعطيه الله فإذا قد كان ذلك منسوبًا إلى الله وهو المعطي لذلك، ويكون فاعل الفعل في (آتاكم) ضميرًا عائدًا إلى اسم الله، والهاء محذوفة من الصلة تقديره: بما آتاكموه[٣].

قال المبرد: المعنى في قوله: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ﴾ أي لا يكون منكم في هذا ولا في هذا ما يجاوز مقدار ما ينبغي فيه[٤].

وشرحه الزجاج فقال: معناه: لا تحزنوا حزنًا يطغيكم حتى يخرجكم إلى أن تلزموا أنفسكم الهلكة، ولا تعتدوا بثواب ما تسلبونه وما فاتكم،

(١) في (ك): (مفراج).

(٢) قرأ الجمهور ﴿ءَاتَىٰكُمْۗ﴾ بالمد، وقرأ أبو عمرو ﴿أَتَىٰكُمْ﴾ انظر: «النشر» ٢/ ٣٨٤، و«الإتحاف» ص٤١١.

(٣) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٧٥- ٢٧٦، و«حجة القراءات» ص١٠٧- ٢٠٧.

(٤) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٣٩، والظاهر أن الرازي رحمه الله خلط بين كلام المبرد وكلام الزجاج حيث ذكر ما شرح به الزجاج كلام المبرد ونسبه للمبرد، والصواب ما ذكره المؤلف هنا.

ولا تفرحوا فرحًا شديدًا تأثروا فيه وتبطروا، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ فدل بهذا أنه ذم الفرح الذي يختال فيه صاحبه ويبطر، فأما الفرح بنعمة الله والشكر عليها فغير مذموم(١). وهذا كله معنى ما روى عكرمة عن ابن عباس: ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا للمصيبة صبرًا وللخير شكرًا(٢).

٢٤- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ هذه الآية مستأنفة لا تتعلق بما قبلها لأنها في صفة اليهود الذين كتموا صفة محمد ﷺ وبخلوا ببيان نعته، قاله ابن عباس في رواية عطاء والكلبي ومقاتل(٣)، والآية مفسرة في سورة النساء(٤). و(الذين) ابتداء وخبره محذوف دل عليه قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ على تقدير الذين يبخلون الله غني عنهم(٥).

قال ابن عباس: ومن يتول عن الإيمان فإن الله غني عن عبادته، حميد إلى أوليائه(٦).

وقال مقاتل: يعني بخل اليهود حين بخلوا بالزكاة والنفقة في سبيل الله. يقول الله غني عما عندهم حميد عند خلقه(٧).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٢٨.

(٢) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٣٦، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٣٩، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣١٤.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٦٣، و«تفسير مقاتل» ١٤٢ أ، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٤.

(٤) عند تفسيره اللآية (٣٧) من سورة النساء.

(٥) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٣٦٧، و«مشكل إعراب القرآن» ٢/ ٧١٩.

(٦) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٦٣، و«الوسيط» ٤/ ٢٥٣.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٢ أ.

والذي ذكرنا من حذف الخبر قول الأخفش، قال: وحذف الخبر كثير في القرآن كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ﴾ [الرعد: ٣١] الآية، ولم يأت له خبر[١]، وقراءة العامة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ وقرأ ابن عامر (فإن الله الغني)[٢]. ومن أثبت (هو) كان فصلًا، ولا يكون مبتدأ والفصل حذفه أسهل، ألا ترى أنه لا موضع للفصل من الإعراب وقد يحذف فلا يخل بالمعنى[٣].

٢٥- قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ قال مقاتل بن حيان: البينات: الإخلاص لله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة إلى ذلك دعت الرسل[٤]. فالبينات على قول ابن سليمان الحجج[٥]، وعلى قول ابن حيان الأحكام في العبادة، والأول الوجه[٦]؛ لقوله[٧]: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾، والكتاب يتضمن الأحكام.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ قال قتادة وابن حيان: الميزان: العدل[٨].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٤٠٧.

(٢) قرأ الجمهور ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ وقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (فإن الله الغني) انظر: «النشر» ٢/ ٣٨٤، و«الإتحاف» ص٤١١.

(٣) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٧٦.

(٤) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٤.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٢ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٩.

(٦) يظهر من قول المؤلف «والمعدل الوجه» سقط في العبارة قبل قوله: قال مقاتل بن حيان. ولعل العبارة كما في «تفسير مقاتل بن سليمان» هكذا (قال مقاتل بن سليمان: البينات: يعني الآيات).

(٧) في (ك): (كقوله).

(٨) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٧٥، و«الوسيط» ٤/ ٢٥٣، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٩.

ويكون المعنى على هذا وأمرنا بالعدل، وهذا كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الشورى: ١٧] وقد مر.

وقال مقاتل بن سليمان: يعني الموازين(١). وهو قول ابن زيد. قال: ما يوزن(٢) به.

وعلى هذا المعنى أنزلنا معهم الكتاب ووضعنا الميزان فيكون من باب:

علفتها تبنًا وماء باردًا(٣)

وأكلت خبزًا ولبنًا.

وقد مر في مواضع، يدل على صحة هذا قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٦].

قوله: ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ أي: ليتبعوا ما أمروا به من الطاعة والعدل فتعملوا بينهم بالعدل.

﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ قال الكلبي: أنزل الله على آدم القلاة والمطرقة

---

(١) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٥٣، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٩٩، والذي في «تفسير مقاتل» أن المراد بالميزان يعني العدل. انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٢ أ.

(٢) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٣٧، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٦.

(٣) ورد في «البيت» في «الخصائص» ٢/ ٤٣١، و«الخزانة» ٣/ ١٣٩، و«إيضاح الشعر» للفارسي ص٥٧٣، و«الإنصاف» ص٦١٣، ونسبه إلى ذي الرمة وليس في ديوانه. وفي «أوضح المسالك» ٢/ ٢٤٥، رقم (٢٥٨) قال محققه: ولم أقف له على نسبة إلى قائل معين، ثم ذكر ثلاثة تخريجات للبيت ومن قال بكل قول. وتمام البيت:

حتى شتت حمالة عيناها

وانظر: «زاد المسير» ٨/ ٢١٢، و«البحر المحيط» ١/ ٢٤٧، و«شذرات الذهب» الشاهد رقم (١١٥).

والكلبتين[(١)].

وروي عن ابن عباس: نزل آدم من الجنة معه خمسة أشياء من الحديد: السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والإبرة[(٢)].

ويدل على صحة هذا ما روى ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «**إن الله ﷻ أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض: أنزل الحديد، والنار، والماء، والملح**»[(٣)] هذا مذهب المفسرين.

وذهب قوم إلى أن معنى أنزلنا الحديد أنشاناه وأحدثناه، كقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر: ٦] وهو معنى قول مقاتل يقول: بأمرنا كان الحديد[(٤)]، وهذا قول أبي علي الفارسي.

وقال قطرب: معنى أنزلنا هيأنا وخلقنا من التنزل- يقال: أنزل الأمير على فلان نزلًا حسنًا[(٥)]، ومعنى الآية: أنعمنا بالحديد وجعلناه مهيأ لكم

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٣٦، والقلاة هي السَّندان وهي الصَّلاءَةُ، و«اللسان» ٦/ ٢١٥ (سند). والكلبتان: الآلة التي تكون مع الحدادين، «اللسان» ٢/ ٢٨٤ (كلب).

(٢) انظر: «الكشف والبيان»، ١٢/ ٧٠ أ، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٤١-٢٤٢، والميقَعةُ: ما دُفعَ به السيف، وقيل: الميقعة المسن الطويل، و«اللسان» ٣/ ٩٦٨ (وقع).

(٣) أخرجه الثعلبي في «تفسيره» ١٢/ ٧٠ ب، وقال ابن حجر: وفي إسناده من لا أعرفه. «تخريج أحاديث الكشاف» ٤/ ١٦٤، وفي «ضعيف الجامع» ٣/ ٧٧: موضوع، وفي «الطب النبوي» لابن القيم ص٣٩٦، قال: ذكره البغوي مرفوعًا والموقف أشبه.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٢ أ.

(٥) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٧٠ أ - ب، و«الوسيط» ٤/ ٢٥٣، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٠٠، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٤٢.

وهذا القول قريب من قول أبي علي.

قوله تعالى: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ قال أبو إسحاق: يمتنع به ويحارب[١] به، وهو قول المفسرين: فيه قتال شديد، قاله عطاء والكلبي[٢].

وقال مقاتل: بأس شديد للحرب[٣]، والمعنى: أنه يتخذ منه آلتان للحرب: آلة الدفع، وآلة الضرب، وقد جمعهما مجاهد في قوله: جُنَّة وسلاح[٤].

قوله تعالى: ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ قال المقاتلان والكلبي: ما ينتفعون به في معايشهم مثل السكاكين والفأس والمبرد[٥].

وقال عطاء عن ابن عباس: لأن كل شيء خلقه الله من حجر أو شجر لا يصلح إلا بالحديد[٦].

وقال أبو إسحاق: يستعملونه في أدواتهم وما ينتفعون به[٧].

قال صاحب النظم قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ كل هذا معترض بين قوله: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾؛ لأن قوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ لا يتصل بإنزال الحديد وهو نسق على قوله: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[٨].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٢٩.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٦٤، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٠٠، وعبارتهما (قوة شديدة).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٢ أ.

(٤) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٥٨، و«جامع البيان» ٢٧/ ١٣٧.

(٥) في (ك): (المدّ)، وانظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٦٤.

(٦) لم أجده.

(٧) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٢٦.

(٨) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٦١، و«الدر المصون» ١/ ٢٥٣.

والمعنى: أنزلنا الكتاب والميزان لتعامل بالعدل وليعلم الله من ينصره وذلك أن الله تعالى أمر في كتابه بنصرة دينه ورسله وامتحن الناس بذلك الأمر، فمن[(١)] نصر دينه ورسله علمه ناصرًا، ومن عصى علمه بخلاف ذلك. وعلى هذا إنزال الحديد وما يتعلق به فصل معترض.

ولأبي النصر عبد الجبار بن محمد العتبي الكاتب -رحمه الله- فصل في هذه الآية خلاف ما ذكره صاحب النظم؛ وهو أنه قال: كان يختلج في صدري معنى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ إلى قوله: ﴿وأنزلنا الحديد﴾ لجمعه بين الكتاب، والميزان، والحديد، على تنافر طردها من المناسبة، وبعدها قبل الرؤية والاستنباط عن المشاكلة والمقاربة، وسألت عنه عدة من أعيان العلماء بالتفسير والمشهورين من بينهم بالتذكير فلم أحصل منهم على جواب يزيح العلة، ويشفي الصدر، وينقع الغلة، حتى أعملت التفكر، وأنعمت التوبر، فوجدت الكتاب قانون الشريعة ودستور الأحكام الدينية يبين سبل المراشد، ويفصل جمل الفرائض، ويريهن مصالح الأبدان والنفوس، ويتضمن جوامع الأحكام والحدود، قد خطر فيه التعادي والتظالم، والتباغي والتخاصم، وأمر بالتناصف والتعادل في أقسام الأرزاق المخرجة لهم بين رجع السماء وصدع الأرض، ليكون ما يصل منها إلى أهل الخطاب بحسب الاستحقاق بالتكسب دون التغلب والتوثب، واحتاجوا في استدامة حياتهم بأقواتهم مع النصفة المندوب إليها إلى استعمال آلة العدل التي يقع بها التعامل، ويعم معها التساوي والتعادل، فألهمهم الله ﷻ اتخاذ الآلة التي هي الميزان فيما يأخذونه

(١) (فمن) زيادة يقتضيها السياق.

ويعطونه لئلا يتظالموا لمخالفته فيهلكوا به إذا لم يكن ينتظم لهم عيش مع شيوع ظلم البعض منهم للبعض، ويدل على هذا المعنى قوله جل ذكره: ﴿والسماء رفعها ووضع الميزان﴾ [الرحمن: ٧] وذلك أنه تعالى جعل السماء سببًا للأرزاق والأقوات من أنواع الحبوب والنبات فكان ما يخرج منها من أغذية العباد مضطرًا إلى أن يكون اقتسامه بينهم على الإنصاف دون الجزاف، ولم يكن ذلك إلا بالآلة المذكورة، فنبه الله ﷻ على موقع الفائدة فيه والفائدة به بتكرير ذكره هذا في الكتاب والميزان، ثم إنه من المعلوم أن الكتاب الجامع للأوامر الإلٰهية والآلة الموضوعة للتعامل بالسوية، إنما تحفظ العامي على ابتغاها ويضطر العالم إلى التزام أحكامها بالسيف الذي هو حجة الله على من جحد ونزع من صفقه الجماعة اليد، وهو بارق سطوته، وشهاب نقمته، وجذوة عقابه، وعذبة عذابه، وهذا السيف هو الحديد الذي وصفه الله بالبأس الشديد، فجمع بالقول الوجيز معاني كثيرة النقوب، متدانية الجيوب، حكمة المطالع، مقومة المبادئ والمقاطع. انتهى كلامه.

وهذا الذي ذكره من أن المراد بالحديد السيف هو معنى ما ذكرنا من قول المفسرين في تفسير قوله: ﴿بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾.

وقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ قد مضى الكلام في بيان هذا العلم في مواضع، والمفسرون يقولون: وليرى الله من ينصره وينصر دينه، كقوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧].

﴿وَرُسُلَهُۥ﴾ أي يقاتل مع رسله في سبيله ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ أي ولم يرالله ولا أحكام الآخرة وإنما يحمد إذا أطاع بالغيب، كما قال الله تعالى ﴿يُؤْمِنُونَ

﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ﴾ في أمره، ﴿عَزِيزٌ﴾ في ملكه. قال مقاتل(١): وفيه بيان أنه غني عن خلقه وعن نصرتهم بعزه وقوته.

٢٧- وما بعد هذا ظاهر ومفسر فيما تقدم، إلى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ قال ابن عباس يريد الحواريين وأتباعهم(٢).

﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ قال مقاتل(٣): يعني المودة كانوا متوادين بعضهم لبعض كما وصف الله تعالى أصحاب محمد ﷺ بقوله ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

قوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً﴾ هي اسم مبني من الرهبة، وقد مضى الكلام في تفسير الرهبان(٤)، قال أبو إسحاق: وابتدعوا رهبانية كما تقول: رأيت زيدًا وعمرًا كلمته(٥).

وقال أبو علي: قوله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً﴾ محمول على فعل، كأنه قال: وابتدعوا رهبانية ابتدعوها، ألا ترى أن الرهبانية لا يستقيم حملها على جعلنا(٦) مع وصفه إياها، بقوله: ابتدعوها؛ لأن ما يجعله هو ﷻ لا

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٢ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٠.

(٢) انظر: «الوسيط» ٤/ ٢٥٤، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٦٢.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٢ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٠.

(٤) الآية (٤٠) من سورة البقرة. رهب، يرهب، رهبًا: أي خاف، والراهب: المتعبد في الصومعة.
وأصل الرهبانية من الرهبة ثم صارت اسمًا لما فضل عن المقدار وأفرط فيه. «اللسان» ١/ ١٢٣٧ (رهب).

(٥) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٣.

(٦) في (ك): (جعلها).

يتبدعونه هم[١].

ومعنى ﴿ٱبۡتَدَعُوهَا﴾ جاءوا بها من قبل أنفسهم، وهو معنى قوله: ﴿مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ﴾ قال ابن عباس: ما فرضناها عليهم[٢].

ومعنى رهبانيتهم غلوهم في العبادة من حمل المشاق على أنفسهم في الامتناع من المطعم والمشرب والملبس والنكاح، والتعبد في الغيران والكهوف والديارات والصوامع، وسبب ذلك على ما قال المفسرون: أن ملوكهم بدلوا غيروا وأحدثوا أحداثًا في دينه وقاتلوهم الذين بقوا على دينهم، فقتل منهم الكثير ولم يبق إلا نفر قليل، فذهب هؤلاء النفر وخرجوا إلى البراري والجبال متبتلين، وابتدعوا الرهبانية[٣].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس: يريد طلبوا رضى الله[٤].

وقال قتادة: ابتدعوها ابتغاء رضوان الله[٥]، وعلى هذا يكون التقدير: ما كتبناها عليهم لكن ابتدعوها ابتغاء رضوان الله، فيكون استثناء منقطعًا.

وقال أبو إسحاق: ويكون ﴿ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ بدلًا من الهاء

---

(١) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٤٥، و«فتح القدير» ٥/ ١٧٨.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٦٥، و«الوسيط» ٤/ ٢٥٤، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٦٣، ونسبه لابن زيد.

(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٣٨، سنن النسائي، كتاب آداب القضاة، باب: تأويل قوله ﷻ ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾، و«معالم التنزيل» ٤/ ١٠٣، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣١٥- ٣١٦.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ٥/ ٣٦٥، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٤٦.

(٥) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٧٦، و«جامع البيان» ٢٧/ ١٣٨.

والألف[١]، فيكون المعنى: ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله، وابتغاء رضوان الله اتباع ما أمر به[٢][٣]، هذا كلامه. ومعناه على هذا أن الابتغاء بدل من الضمير في كتبناها، كما تقول: ما رأيت القوم إلا زيدًا، والمعنى: ما كتبنا الرهبانية عليهم إلا ابتغاء رضوان الله، وهو أن يطلبوا رضاه باتباع أمره[٤].

قوله تعالى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: **أحدها**: أن هؤلاء الذين ذكرهم الله ووصفهم بتصنع الرهبانية وترك رعايتها هم قوم كفروا بدين عيسى وتهودوا وتنصروا من هؤلاء الذين أحدثوا الرهبانية ودخلوا في دين ملوكهم وتركوا الترهب وهو قول مقاتل، قال: لم يرعوها ولا أحسنوا حين تهودوا وتنصروا فأقام أناس منهم على دين عيسى حتى أدركوا محمدًا ﷺ فآمنوا به، فهو قوله: ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ الذين تهودوا وتنصروا[٥].

ونحو هذا روى ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «**منهم من تمسك بدينه وهم الذين قال الله ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ ومنهم من كفر، وهو قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾**[٦] وهذا قول الضحاك ورواية عطاء عن ابن

---

(١) من الهاء والألف في (كتبناها).

(٢) في (ك): (أمره).

(٣) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٣.

(٤) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٤٦، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٦٣.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٢ أ، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٤٦.

(٦) هذا الحديث ذكره المؤلف بالمعنى، وهو حديث طويل أخرجه الحاكم في كتاب التفسير، سورة الحديد. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: قلت ليس بصحيح فإن الصعق وإن كان موثقًا فإن شيخه منكر الحديث.=

عباس[1].

القول الثاني: أن الذين لم يرعوها حق رعايتهم[2] الذين أدركوا محمدًا ﷺ ولم يؤمنوا به[3].

قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ﴾ أي آمنوا بمحمد ﷺ، ﴿وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ يعني الذين لم يؤمنوا به؛ يدل على هذا ما روي أن النبي ﷺ قال: «**من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون**»[4].

القول الثالث: أن الصالحين من قوم عيسى ابتدعوا الرهبانية وانقرض على ذلك طائفة منهم، وخلف بعدهم قوم اقتدوا بهم ولم يكونوا على منهاجهم، فهم الذين لم يرعوها حق رعايتها وهذا قول ابن عباس في رواية سعيد[5]، وعطاء.

= قال البخاري: وفي كتاب «السنة» لابن أبي عاصم ١/ ٣٥، وقال عنه محققه: إسناده ضعيف جدًّا، ورجاله ثقات غير عقيل الجعدي، فإنه ضعيف جدًّا كما يفيده قول البخاري فيه: منكر الحديث. قال: والحديث أخرجه الطبراني في الصغير والكبير والحاكم في «صحيحه»، ورده الذهبي بالجعدي، لكن للحديث في كبير الطبراني إسناد آخر عن ابن مسعود خير من هذا.

(١) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٧١ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٠١، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٦٣.

(٢) كذا في (ك)، ولعل الصواب (رعايتها).

(٣) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٤٦.

(٤) جزء من الحديث السابق، وقد أخرجه الثعلبي في «تفسيره» ١٢/ ٧١ ب، وفي سنده: عقيل الجعدي أيضًا.

(٥) انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٣٨.

قال عطاء: لم يرعوها كما رعاها الحواريون وأتباعهم[١].

وقال سعيد: ابتدعها[٢] الصالحون فما رعوها حق رعايتها، يعني الآخرين الذين جاؤوا من بعدهم ﴿فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ﴾ يعني الذين ابتدعوها ﴿وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ الذين جاؤا من بعدهم[٣].

٢٨- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ خطاب لأهل الكتاب من اليهود والنصارى[٤] بقوله: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله في محمد ﷺ وآمنوا به ﴿يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ﴾ ضعفين وأجرين ونصيبين ﴿مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ وذكرنا تفسير الكفل في سورة النساء[٥].

قوله تعالى: ﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ﴾ قال ابن عباس: يعني على الصراط، وهو قول مقاتل[٦]، وقال مجاهد: يعني الهدى والبيان[٧].

وذكر أبو إسحاق القولين فقال: ويجعل لكم نورًا تمشون به كما قال

---

(١) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٤٦.

(٢) كذا في (ك) ولعل الصواب (ابتدعها).

(٣) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٣٠١٢، غرائب القرآن ٢٧/ ١٤١.

(٤) قال ابن عباس والضحاك وعتبة بن أبي حكيم، وهو اختيار ابن جرير انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٤٠، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣١٧.

(٥) عند «تفسيره» الآية (٨٥) من سورة النساء. والكفل: الحظّ والضَّعف من الأجر والإثم، والكفل: النصيب أخذ من قولهم: اكتفلت البعير إذا أدرت على سنامه أو على موقع من ظهره كساء وركبت عليه، وإنما قيل له كفل؛ لأنه لم يستعمل الظهر كله. انظر: «تهذيب اللغة»، و«اللسان» ٣/ ٢٧١، (كفل).

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٣ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٠٣، و«فتح القدير» ٥/ ١٧٩.

(٧) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٥٨، و«جامع البيان» ٢٧/ ١٤٢، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٦٧.

﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [التحريم: ٨] وهذا علامة المؤمنين في القيامة. قال: ويجوز أن يكون المعنى: ويجعل لكم سبيلًا واضحًا من الهدى تهتدون به[١].

وعد الله تعالى لمن آمن من أهل الكتاب أجرين اثنين أجرًا لإيمانهم بالنبي، والكتاب الأول وأجرًا لإيمانهم بالنبي محمد ﷺ والكتاب الثاني، كما قال في موضع آخر ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [القصص: ٥٤] الآية. ووعدهم أن يجعل لهم نورًا وأن يغفر لهم ما سلف من ذنوبهم قبل الإيمان بمحمد ﷺ وهو قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

٢٩- ولما نزل هذا وآمن من آمن منهم حسدهم الذين لم يؤمنوا فأنزل الله تعالى، قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ أي لأن يعلم ولا صلة في قول الجميع[٢] ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ يعني الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ وحسدوا المؤمنين منهم ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ﴾ يعني أنهم لا يقدرون ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾ والمعنى: جعلنا الأجرين لمن آمن بمحمد ﷺ ليعلم الذين لم يؤمنوا منهم أنهم لا أجر لهم ولا نصيب لهم في فضل الله ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ فآت المؤمنين منهم أجرين.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ يتفضل على من يشاء من عباده المؤمنين، وهذا الذي ذكرنا معنى قول قتادة[٣].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٣١.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش، ٢/ ٤٧٠، و«معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٣٧، و«مجاز القرآن» ٢/ ٢٥٤.

(٣) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٣٧٦، و«جامع البيان» ٢٧/ ١٤٣، و«إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٣٧٠، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢٠٣.

وهذه آية مشكلة، وليس للمفسرين ولا لأهل المعاني فيها بيان ينتهى إليه ويلفق[1] به بين هذه الآية والتي قبلها، وأقوالهم مختلفة متدافعة، وأقربها إلى الفهم وأحسنها قول قتادة[2]، وقد بان واتضح المعنى فيما ذكرنا، والله المَحمود بمنه.



(١) التلفيق بين شيئين: ضم أحدهما إلى الآخر، ويقال للرجلين لا يفترقان هما لَفقَان «اللسان» ٣/ ٣٨٢ (لفق).

(٢) وهو اختيار ابن جرير وابن كثير. انظر: «جامع البيان» ٢٧/ ١٤٢، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣١٧.

سورة المجادلة

تفسير سورة المجادلة

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ الآية. قال المفسرون[١]: نزلت هذه الآيات من أول هذه السورة في خولة بنت ثعلبة[٢]، وزوجها أوس بن الصامت[٣]، وكان به لمم[٤]، فاشتد به لممه ذات يوم فظاهر منها ثم ندم على ذلك -وكان الظهار طلاقًا في الجاهلية-[٥] وقال لها: ما أراك

(١) ومن قال به: ابن عباس، وعائشة، وقتادة، والقرظي، ومجاهد، وغيرهم. انظر: «تنوير المقباس» ٦/ ٤، و«تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٧٧، و«جامع البيان» ٢٨/ ٢، و«أسباب النزول» للواحدي ص٤٣٣، و«زاد المسير» ٨/ ١٨٠، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣١٨.

(٢) خولة بنت ثعلبة بن أصرم الأنصارية الخزرجية. ويقال لها: خويلة، بالتصغير، لها وقفة مع عمر بن الخطاب ؟ في خلافته تناصحه وتذكره وتعظه، وقد سمع منها -رضي الله عنهما- حتى انتهت من كلامها. انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد ٨/ ٣٧٨، و«الإصابة» ١٢/ ٢٣١، و«التقريب» ٢/ ٥٩٦.

(٣) أوس بن الصامت الأنصاري الخزرجي، شهد بدرًا، وأحدًا، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ مات في خلافة عثمان وله خمس وثمانون. انظر: «الطبقات الكبرى» ٣/ ٥٤٧، و«الإصابة» ١/ ٢٢٠، و«التقريب» ١/ ٨٥.

(٤) ليس المراد باللمم هنا الخبل والجنون، إذ لو كان كذلك ثم ظاهر في تلك الحال لم يكن يلزمه شيء، وإنما المراد به الإلمام بالنساء، وشدة الحرص والتوقان إليهن. انظر: «اللسان» ٣/ ٢٩٧ (لمم)، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٤٩.

(٥) انظر: «المغني» ١٠/ ٤٠٠، و«فتح الباري» ٩/ ٤٣٢، و«نيل الأوطار» ٦/ ٢٢٠، و«الفقه على المذاهب الأربعة» ٤/ ٤٩.

إلا وقد حرمت عليّ، فقالت: والله ما ذكرت طلاقًا، ثم أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله: أوس بن الصامت أبو ولدي، وابن عمي، وأحب الناس إليّ، ظاهر مني، والله ما ذكر طلاقًا. فقال رسول الله ﷺ: «**ما أراك إلا قد حرمتِ عليه**»، فأعادت عليه وقالت: والله يا رسول الله ما ذكر طلاقًا، أشكو إليك وحشتي وفراق زوجي، فقال رسول الله ﷺ: «**حرمتِ عليه**». فهتفت، وشكت، وبكت، وجعلت تراجع رسول الله ﷺ. فبينا هي في ذلك إذ تربد(١) وجه رسول الله ﷺ للوحي ونزل عليه قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾، قالت عائشة رضي الله عنها: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إنيّ لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى عليّ بعضه، وهي تحاور رسول الله ﷺ فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآيات(٢).

قوله تعالى: ﴿قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ أي: تجادلك في قول زوجها وكلامه، وهي أن النبي ﷺ كلما قال لها: «**حرمتِ عليه**»؛ قالت: والله ما ذكر طلاقًا، فكان هذا مجادلتها النبي ﷺ في زوجها.

قوله تعالى: ﴿وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعني قولها: أشكو إلى الله فاقتي

---

(١) الرُّبْدَةُ: الغُبرة، وقيل: لون إلى الغبرة، وقيل: لون بين السواد والغبرة. وهي في حقه ﷺ لما يعانيه وقت نزول الوحي. انظر: «النهاية» ٢/ ٥٨ (ربد)، و«اللسان» ١/ ١١٠٥ (ربد).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» ٦/ ٤١٠، وابن ماجه في «سننه» المقدمة، باب: فيما أنكرت الجهمية (١١٨)، والحاكم ٢/ ٤١١، وقال: صحيح الإسناد، وأقره الذهبي، والواحدي في «أسباب النزول» ص٤٧١، وذكره الوادعي في «الصحيح المسند من أسباب النزول» ص١٤٩، قلت: المؤلف كما هي عادته -رحمه الله- يذكر الأحاديث والأقوال بالمعنى، ولهذا قل أن تجد حديثًا أو قولًا يخرج عن هذا، والله أعلم.

ووحدتي، وإن لي صبية صغارًا إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليّ جاعوا. وجعلت تتضرع وترفع رأسها إلى السماء وتقول: اللهم إني أشكو إليك.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ﴾ أي تخاطبكما ومراجعتكما الكلام. والتحاور والمحاورة: مراجعة الكلام في المخاطبة، يقال: حاور فلانًا في المنطق، وأحرت إليه جوابًا، وكلمته فما أحار بكلمة، أي: ما أجاب. والحوير اسم من المحاورة. تقول: سمعت حويرهما وحوارهما(١).

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ﴾ قال ابن عباس: سميع لمن يناجيه ويتضرع إليه.

﴿بَصِيرٌ﴾ بمن يشكو إليه(٢).

٢- ثم ذم الظهار والمظاهر فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ أي: يقولون لهن: أنتن كظهور أمهاتنا، وذكرنا القراءات واللغات في (تظاهرون) في ابتداء سورة الأحزاب(٣).

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ٥/ ٢٢٧ (حور)، و«اللسان» ١/ ٧٥١ (حور) .

(٢) لم أجده عن ابن عباس، أو غيره. وانظر: «الوسيط» ٤/ ٢٥٩.

(٣) عند تفسيره الآية (٤) من سورة الأحزاب. وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب ﴿تَظَّهَّرُونَ﴾ بفتح التاء وتشديد الهاء والظاء، بلا ألف، وكذا هنا في المجادلة، وقرأ عاصم بضم التاء، وفتح الظاء، وألف بعدها، وكسر الهاء مخففة. وقرأ حمزة، والكسائي، وابن عامر، وخلف، وأبو جعفر بفتح الياء وتشديد الظاء بعدها ألف مع فتح الهاء مخففة. وفي لأحزاب قرأ حمزة، والكسائي، وخلف بفتح التاء، والهاء، وتخفيف الظاء، وألف بعدها. وقرأ ابن عامر في الأحزاب بضم التاء، وتشديد الظاء، وألف بعدها، وكسر الهاء مع تخفيفها. «حجة القراءات» ص٧٠٣، و«النشر» ٢/ ٣٤٧، و«الإتحاف» ص٣٥٣.

قوله تعالى: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ﴾. قال أبو إسحاق: المعنى: ما اللواتي يجعلن من الزوجات كالأمهات بأمهات(١). وقراءة العامة: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ﴾ بكسر التاء، وهي في موضع نصب على خبر ما، المعنى: ليس هن بأمهاتهم، فلما ألقيت الباء نصبت، وهي لغة الحجاز كقوله: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١]، قال الفراء: أهل نجد إذا ألقوا الباء رفعوا فقالوا: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ﴾ وأنشد:

ويزعم حسل أنه فرع قومه   وما أنت فرع يا حسيل ولا أصل(٢)

وبهذه اللغة قرأ المفضل بن عاصم فرفع الأمهات(٣)، وهو لغة تميم. قال سيبويه: وهو أقيس الوجهين، وذلك أن النفي كالاستفهام، فكما لا يغير الاستفهام الكلام عما كان عليه في الواجب، فكذلك ينبغي أن لا يغيره النفي عما كان عليه في الواجب، وأما النصب فهو لغة أهل الحجاز، والأخذ بلغتهم في التنزيل أولى(٤)، ووجهه أن (ما) يدخل على الابتداء والخبر كما أن (ليس) تدخل عليهما، و(ما) تنفي ما في الحال كما أن (ليس) تنفي ما في الحال، وقد رأيت الشبهين إذا قاما في شيء من شيء

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٣٤.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٣٩، و«الإنصاف في مسائل الخلاف» ٢/ ٦٩٤، ولم أجد البيت منسوبًا لقائل، والشاهد في قوله:

وما أنت فرع يا حسيل ولا أصل

فإنه أهمل (ما)، فلم يرفع بها الاسم وينصب الخبر على لغة تميم.

(٣) انظر: «الكشاف» ٤/ ٧١، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٧٩، و«البحر المحيط» ٨/ ٢٣٢، وذكر أبو زرعة وجه قراءة الرفع دون ذكر خلاف في القراءة. انظر: «حجة القراءات»: ٣٧٠.

(٤) انظر: «الكتاب» ١/ ٢٩، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٧٩.

جذباه إلى حكم ما فيه الشبهان منه، فمن ذلك جميع ما لا ينصرف مع كثرته واختلاف قوته لما حصل فيه شبهان من الفعل صار بمنزلة في امتناع الجر والتنوين منه فكذلك (ما) لما حصل فيه الشبهان من ليس وجب على هذا أن يكون في حكمها وتعمل عملها[(١)].

قوله تعالى: ﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ﴾ مضى الكلام في: ﴿ٱلَّٰٓـِٔى﴾ في سورة الأحزاب عند قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى﴾ الآية[(٢)]. والمعنى: ما أمهاتهم إلا الوالدات ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ يعني المظاهرين ﴿لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ قال ابن عباس: فظيعًا[(٣)].

وقال مقاتل: لا يعرف ذلك في الشرع ﴿وَزُورًا﴾ كذبًا[(٤)].

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ عفا عنهم وغفر لهم بجعله الكفارة عليهم.

٣- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾، (الذين) رفع بالابتداء، وخبرهم: فعليهم تحرير رقبة، ولم يذكر عليهم لأن[(٥)] في الكلام دليلًا عليه. قاله الزجاج، وقال: وإن شئت أضمرت فكفارتهم تحرير رقبة[(٦)].

---

(١) انظر: «الحجة» للقراء السبعة ٦/ ٢٧٧، و«معاني الحروف» لأبي الحسن الرماني ص٨٨.

(٢) من الآية (٤) من سورة الأحزاب، حيث قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف (اللائي) بإثبات ياء ساكنة بغير الهمزة. وقرأ الباقون (اللاي) بغير مد ولا همز. انظر: «حجة القراءات» ص٥٧١، و«النشر» ١/ ٤٠٤، و«الإتحاف» ص٤١٢.

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٧٩، ولم ينسبه لقائل. وفي «تنوير المقباس» ٦/ ٦، قال: (قبيحًا).

(٤) «تفسير مقاتل» ١٤٤ ب، و«تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٧٨، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٠٤، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٧٩.

(٥) في (ك): (لأنه) والصواب ما أثبته.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٣٤.

وقوله: ﴿يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ معناه: يمتنعون منهن بهذا اللفظ، أي من جماعهن، وقد ذكرنا أن هذا مأخوذ من لفظ: الظهر(١).

قال صاحب النظم: ليس قول الرجل لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي. مأخوذًا من الظهر الذي هو عضو من الجسد، لأنه لو كان المراد بهذا القول الظهر بعينه لم يكن الظهر أولى من سائر الأعضاء التي هي مواضع المباضعة والتلذذ، والظهر هاهنا مأخوذ من العلو، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: ٩٧]، أي يعلوه، وكل من علا شيئًا فقد ظهره، وبه سمي المركوب ظهرًا، لأن راكبه يعلوه، وكذلك امرأة الرجل ظهره، لأنه يعلوها بذلك البضع وإن لم يكن من ناحية الظهر، وكأن امرأة الرجل للرجل مركب وظهر، ويدل على صحة هذا المعنى أن العرب تقول في الطلاق: نزلت عن امرأتي، أي: طلقتها، وفي قولهم: أنت عليّ كظهر أمي حذف وإضمار، لأن تأويله: ظهرك عليّ، أي: ملكي إياك وعلوي حرام كما علوي أمي وملكها حرام عليّ(٢).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ أكثر الاختلاف في معنى العود المذكور هاهنا، فمذهب الشافعي -رحمه الله- أن معنى العود لما قالوا: السكوت عن الطلاق بعد الظهار زمانًا يمكنه أن يطلق فيه، وذلك أنه إذا ظاهر فقد قصد التحريم، فإن وصل ذلك بالطلاق، فقد جرى على ما ابتدأه من إيقاع التحريم وأتمه، ولا كفارة عليه، وإذا سكت عن الطلاق فذلك للندم منه على ما ابتدأ به من التحريم فهو عود إلى ما كان عليه، فحينئذٍ

---

(١) عند تفسيره الآية (٤) من سورة الأحزاب. وانظر: «المفردات» ص٣١٨ (ظهر)، و«اللسان» ٢/ ٦٥٩ (ظهر).

(٢) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٥١، و«غرائب القرآن» ٢٩/ ٨.

تجب عليه الكفارة[١]، ويدل على هذا أن ابن عباس - رحمه الله- فسر العود في هذه الآية بالندم، فقال في قوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ يريد يندمون فيرجعون إلى الألفة والرجعة[٢].

وقال الفراء: يعودون لما قالوا وإلى ما قالوا وفيما قالوا. معناه: يرجعون عما قالوا، قال: ويجوز في العربية أن تقول: عاد لما فعل، أي: فعله مرة أخري، ويجوز عاد لما فعل. أي: نقض ما فعل[٣].

وهذا الذي قاله الفراء يبين صحة ما ذهب إليه الشافعي، لأن المعنى عنده: ثم يعودون لما قالوا بالنقض، وهو السكوت عن الطلاق، وعلى هذا ﴿مَا قَالُواْ﴾ لفظ الظهار، ويجوز أن يكون معنى ﴿مَا قَالُواْ﴾ المقول فيه. والمقول فيه هو النساء، وما قالوا والمقالة والقول واحد في المعنى. و(ما) هاهنا للمصدر والمفعول يسمى بالمصدر كثيرًا كقولهم: ضرب الأمير، ونسج اليمن. هذا الذي ذكرنا بيان مذهب الشافعي في هذه الآية[٤].

وقال قتادة: فمن حرمها ثم يريد أن يعود لها يطأها ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾[٥] وهذا مذهب أبي حنيفة وأهل العراق. قالوا: معنى العود: هو العزم على الوطء، فإذا عزم على وطئها ونوى أن يغشاها كان عودًا ويلزمه الكفارة[٦].

---

(١) انظر: «الأم» ٥/ ٢٦٥، و«المجموع» ١٧/ ٣٦١، «الفقه على المذاهب الأربعة» ٤/ ٥٠٧، و«نيل الأوطار» ٦/ ٢٢٢.

(٢) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٣٠٥، و«روح المعاني» ٢٨/ ٧.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٣٩.

(٤) انظر: «الأم» ٥/ ٢٦٥، وما بعدها، و«المجموع» ١٧/ ٣٦٢.

(٥) انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٧، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٧٧ أ.

(٦) انظر: «البحر الرائق» ٤/ ٩٧، و«تبيين الحقائق شرح كنوز الدقائق» ٣/ ٣، و«أحكام القرآن» لابن العربي ٤/ ١٧٥٢.

وقال مقاتل: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾ يعني الذي حرموا من الجماع[١]. وهو قول الحسن.

﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾ قال: الغشيان في الفرج، ونحو ذلك قال طاووس، والزهري. قالا: الوطء، وإلى هذا ذهب مالك. فقال: إن وطئها كان عودًا[٢].

قال أصحابنا: العود المذكور ها هنا صالح للجماع كما قال مالك، وللعزم على الجماع كما[٣] قال أهل العراق، ولترك الطلاق كما قال الشافعي[٤]، وهو أول ما ينطلق عليه اسم العود، فيجب تعليق الحكم به، لأنه الظاهر، وما زاد عليه يعرف بدليل آخر[٥].

وقال أبو العالية: إذا كرر اللفظ بالظهار كان عودًا، وإن لم يكرر لم يكن عودًا[٦]، وإلى هذا ذهب أهل الظاهر، فجعلوا العود تكرير لفظ الظهار، واحتجوا بأن ظاهر قوله: ﴿يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾ يدل على إعادة لفظ الظهار مرة أخرى[٧].

---

(١) لم أجده عن مقاتل.

(٢) انظر: «أحكام القرآن» للجصاص ٣/ ٤١٨، و«المغني» ١١/ ٧٣، و«المحلى» ١٠/ ٥١، قال صح ذلك عن طاوس وقتادة، والحسن، والزهري، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٨٠، و«الفروع» لابن مفلح ٥/ ٤٩٤.

(٣) (كما) ساقطة من (ك).

(٤) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٥٧.

(٥) وقال الإمام أحمد: العود الغشيان إذ أراد أن يغشى كفر. «حاشية الدسوقي على الشرح الكبير» ٢/ ٣٩٦، والعود عند مالك هو العزم على الوطء.

(٦) انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٧، و«الكشف» ١٢/ ٧٧ أ، و«الجامع» ١٧/ ٢٨.

(٧) انظر: «المحلى» ١٠/ ٥١- ٥٢، و«المغني» ١١/ ٧٤، و«أحكام القرآن» للجصاص ٣/ ٤١٦

قال أبو علي الفارسي: وليس في هذا ظاهر كما ادعوا، لأن العود على ضربين:

أحدهما: أن يصير إلى شيء قد كان عليه قبل فتركه ثم صار إليه.

والآخر: أن يصير إلى شيء وإن لم يكن على ذلك قبل.

وكأن هذا الوجع غمض عليهم، وهذا عند من خوطب بالقرآن، كالوجه الأول في الظهور. وفي أنهم يعرفونه كما يعرفون ذلك، فمن ذلك قول الهذلي[١]:

وعاد الفتى كالكهل ليس بقائل سوى الحق شيئًا فاستراح العواذل

معناه: وصار، وكذلك قول العجاج:

ويصحبني حتى كاد يعود بعد أعظم أعوادًا

وقال امرئ القيس:

وماء كلون الزيت قد عاد آجنًا قليل به الأصوات ذي كلإ مخلي[٢]

وسميت الآخرة المعاد ولم يكن فيها أحد، ثم صار إليها. وهذا إذا تتبع كثير جدًّا[٣].

قال أبو إسحاق -وذكر هذا المذهب فقال-: قال بعض الناس: لا

---

(١) هو: أبو خراش، واسمه خويلد بن مرة، شاعر مخضرم، أدرك الإسلام شيخًا كبيرًا فأسلم، وحسن إسلامه، ويعد من أبرز شعراء هذيل، ومات في زمن عمر بن الخطاب ؟ متأثرًا بنهشة حية. انظر: «الشعر والشعراء» ٢/ ٦٣٣، و«الأغاني» ٢١/ ٢٠٤، و«الخزانة» ١/ ٢١١، و«الإصابة» ٢/ ٣٦٤، و«معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين» ص١٥٦، والبيت في «ديوان الهذليين» ٢/ ١٥٠، وروايته (العدل) بدلًا من (الحق) «المسائل الحلبيات» ص٢٤.

(٢) انظر: «الديوان»: ٤١٣، و«الخزانة» ٥/ ١٢١، و«تهذيب اللغة» ٧/ ٣١.

(٣) انظر: «مشكل إعراب القرآن» ٢/ ٧٢٢.

تجب الكفارة حتى يقول ثانية: أنت عليّ كظهر أمي، وهذا قول من لا يدري اللغة، وهو خلاف قول أهل العلم أجمعين(١)، هذا الذي ذكرنا مذهب المفسرين والفقهاء.

وأما أهل المعاني فإن أبا الحسن الأخفش قال: تقدير الآية: والذين يظاهرون من نسائهم فتحرير رقبة لما قالوا ثم يعودون إلى نسائهم(٢). أي: فعليهم تحرير رقبة لما قالوا، أي: لما نطقوا به من ذكر التحريم الموجب الامتناع من الوطء إلا بعد التكفير، والجار في قوله: ﴿لِمَا قَالُواْ﴾ متعلق بالمحذوف الذي هو خبر الابتداء وهو عليهم.

وقوله: ﴿يَعُودُونَ﴾ أي: إلى نسائهم، يعني: إلى وطئهن الذي كانوا حرموه على أنفسهم بالظهار منهن، وأما التقديم والتأخير الذي قدره في الآية فهو كثير جدًا كقوله: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا﴾ [النمل: ٢٨] الآية. والمعنى: فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم. هذا قول الأخفش. وشرحه أبو علي(٣).

قال أبو إسحاق: وهذا مذهب حسن(٤)، وقال ابن قتيبة: أجمع الناس على أن الظهار(٥) يقع بلفظ واحد، وتأويل قوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ هو أن أهل الجاهلية كانوا يطلقون بالظهار، فجعل الله حكم الظهار في الإسلام خلاف حكمه عندهم في الجاهلية فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٣٥.
(٢) انظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٧٠٥، وذِكرُ المؤلف له هنا بالمعنى.
(٣) انظر: «شرح الأبيات المشكلة الأعراب» لأبي علي الفارسي ١/ ١٠٠-١٠٢.
(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٣٥.
(٥) في (ك): (الظاهر).

﴿نِسَآئِهِمْ﴾ يريد في الجاهلية ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾ في الإسلام يعودون لما كانوا يقولونه من هذا الكلام[(١)] ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ وهذا القول هو اختيار صاحب النظم، وشرحه فقال: المعنى: والذين كانوا يظاهرون من نسائهم قبل الإسلام ثم يعودون في الإسلام لمثل هذا القول فيظاهرون من نسائهم. ثم ذكر ما أوجب في ذلك في الإسلام من الحكم، والعرب تضمر كان كقوله: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [البقرة: ١٠٢] أي: ما كانت تتلو الشياطين فأضمر كانت[(٢)].

قوله تعالى: ﴿لِمَا قَالُوا۟﴾ قال الأخفش: لما قالوا، وإلى ما قالوا واحد، يقال: عدت إلى ذاك، وعدت لذاك[(٣)]، قال أبو علي: إلى واللام يتعاقبان[(٤)] كقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣] وقال: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣] وقال: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥]. وقال: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ﴾ [هود: ٣٦].

قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ قالوا أراد رقبة مؤمنة، لأنه قيد في كفارة

---

(١) انظر: «تفسير غريب القرآن» ص٤٥٦- ٤٥٧.

(٢) وبه قال الثوري -رحمه الله- ذكره الرازي في «تفسيره» ٢٩/ ٢٥٧، ثم قال: وهذا القول ضعيف، لأنه تعالى ذكر الظهار، وذكر العود بعده بكلمة (ثم) وهذا يقتضي أن يكون المراد من العود شيئًا غير الظهار، فإن قالوا: المراد والذين كانوا يظاهرون من نسائهم قبل الإسلام والعرب تضمر لفظ كان... قلنا: الإضمار خلاف الأصل. وانظر: «غرائب القرآن» ٢٨/ ١٣.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٣٩، و«إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٣٧٣، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٨٢، وليس في «معاني القرآن» للأخفش.

(٤) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٥٦، و«غرائب القرآن» ٢٨/ ١١.

القتل[١] وأطلق هاهنا، والمطلق يحمل على المقيد ويفسر به[٢].

قوله تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ أي: يجامعا، وذكر الكلام في هذا عند قوله: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾[٣] فلا يجوز للمظاهر أن يطأها قبل التكفير، وإنما قيل ﴿قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ بعد قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ﴾ لأن المراد به الزوجان، فعاد الكلام إليهما، لأن الجماع بينهما، والظهار يختص به الرجال، فأخبر عن الرجال أولًا، فلما انتهى الكلام إلى ذكر المسببين عاد إلى الزوجين لما ذكرنا.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ قال أبو إسحاق: المعنى ذلك التغليظ في الكفارة توعظون به[٤]. أي: تؤمرون به من الكفارة ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من التكفير وتركه ﴿خَبِيرٌ﴾.

٤- ثم ذكر حكم العاجز عن الرقبة فقال: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ أي الرقبة ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾ أي فكفارته، أو فعليه صيام شهرين ﴿مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ الصيام فكفارته إطعام ﴿سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾.

وهذه الأنواع من الكفارات كلها قبل المسيس، فإن جامع قبلها أتى محرمًا ويكون قد أخر الكفارة عن وقتها إلى غير وقتها، ثم يأتي بها على وجه

---

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٩٢].

(٢) وبه قال مالك، والشافعي، وأحمد في رواية. انظر: «أحكام القرآن» للجصاص ٣/ ٤٣٥، و«المغني» ١١/ ٨١، و«الأم» ٥/ ٢٦٦.

(٣) عند تفسيره الآية (٢٣٧) من سورة البقرة. وانظر: «المفردات» ص٤٦٧، و«اللسان» ٣/ ٤٨٣ (مس).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٣٥.

القضاء[١]، وفروع هذه المسألة يذكرها الفقهاء[٢]، ولا موضع لذكرها هاهنا.

وذكر الله الكفارة بالعتق، والصيام، فنص فيها على ما قبل الجماع بقوله: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾، ولم يذكر في الإطعام أنه قبل التماس، وذلك أنه لما ذكر في الإعتاق وانه قبل التماس ألحق به الإطعام، لأن زمانهما لا يطول، وأعاد في الكفارة بالصوم أنها قبل التماس، لأنه بخلاف الإعتاق، ولطول مدة الصوم فلم يمكن أن يلحق الصيام بالإعتاق في أنه قبل المسيس لو لم يذكر ذلك لمخالفتهما في طول المدة وقصرها[٣].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ قال أبو إسحاق: ذلك في موضع رفع. المعنى: الفرض ذلك الذي وصفنا ﴿لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، لتصدقوا ما أتى به الرسول، وتصدقوا أن الله أمر به[٤].

وقال صاحب النظم: المعنى فعلنا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله[٥]؛ لأن هذه اللام تقتضي سببًا تكون هي وما بعدها جوابا له.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ يعني ما وصف من الكفارة في الظهار.

قوله تعالى: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال ابن عباس: لمن جحد هذا وكذب به[٦].

---

(١) قال ابن قدامة: هذا قول أكثر أهل العلم، و«المغني» ١١/ ١١.

(٢) راجع تفصيل هذه المسألة في: «الأم» ٥/ ٢٦٥، و«المجموع» ١٧/ ٣٦٦، و«شرح فتح القدير» لابن الهمام ٤/ ٢٤٩.

(٣) انظر: «الانتصاف يما تضمنه الكشاف من الاعتزال» ٤/ ٧٢.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٣٦.

(٥) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٣٧٤.

(٦) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٣٧.

قال المقاتلان: فلما نزلت الآيات على النبي ﷺ بعث إلى زوجها أوس بن الصامت فقال: «**أعندك تحرير رقبة؟**» قال: لا أجد يا رسول الله. قال: «**أفتطيق صوم شهرين متتابعين؟**» قال: يا رسول الله إني إذا لم آكل كل يوم ثلاث مرات كلّ بصري -وكان يشتكي بصره- فقال: «**أعندك طعام ستين مسكينا؟**» قال: لا يا نبي الله إلا بصلة منك وعون، فأعانه النبي ﷺ بخمسة عشر صاعًا[١]. وجاءا بمثلها من قبلهم، فذلك ثلاثون صاعًا لستين لكل مسكين نصف صاع.

وقال عكرمة: لما نزل الوحي على رسول الله ﷺ بهذه الآيات، قال للمرأة التي أتته: «**ابشري فقد أنزل الله فيك وفيه، مريه فليعتق رقبة**». قالت: أنّى يا رسول الله، وما يخدمني غيره، ولا يخدمه غيري. قال: «**فليصم شهرين متتابعين**». قالت: أنى ولولا أنه يأكل في اليوم كذا وكذا لذهب بصره. قال: «**مريه فليطعم ستين مسكينًا**». قالت: أنى يا رسول الله وإنما هي وجبة. فقال النبي ﷺ: «**مريه فليأت فلانة فليأخذ شطر وسيق فليتصدق به**». قالت: فلما رآني أوس مقبلة قال: ما وراءك؟ قلت: خير وأنت ذميم، قد أمرك رسول الله ﷺ أن تأتي فلانة فتأخذ منها شطر وسق فتصدق به[٢]. قالت: فانطلق من عندي وعهدي به لا يحمل خمسة أصوع فأتى بشطر وسق يحمله على ظهره حتى طرحه.

---

(١) أورده الثعلبي في «تفسيره» ١٣/ ٧٥ أ - ب، وأخرج ابن مردويه عن أنس نحوه، و«الدر» ٦/ ١٨٠، وأخرجه الدارقطني من حديث أنس أيضًا، و«الجامع» ١٧/ ٢٧١.

(٢) أخرجه ابن جرير مختصرًا عن ابن عباس من طريق عكرمة، وأخرجه البغوي عن عطاء بألفاظ متقاربة، وابن سعد عن عمران عن أنس. انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٣، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٠٦، و«الدر» ٦/ ١٨١.

٥- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ قال المفسرون: يحادون، يخالفون، ومعنى المحادة المخالفة في الحدود[(١)]، قال أبو إسحاق: معنى يحادون الله أي: هم في غير الحد الذي فيه أولياء الله، وكذلك (يشاقون)[(٢)] وقد مر[(٣)].

وقال المبرد: أصل المحادة الممانعة، ومنه يقال للبواب حداد، وللممنوع الرزق محدود[(٤)]. وتقدم الكلام في هذا عند قوله: ﴿مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ﴾ في سورة التوبة[(٥)].

قوله تعالى: ﴿كُبِتُوا۟﴾ قال عطاء والسدي: لعنوا[(٦)]. وقال المقاتلان: أخزوا كما أُخزي من كان قبلهم من أهل الشرك[(٧)]. قال ابن عباس: يعني المنافقين[(٨)].

---

(١) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٧٨ أ، و«الوسيط» ٤/ ٢٦٣.

(٢) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٣٦، قال: .. وكذلك يشاقون يكونون في الشق الذي فيه أعداء الله.

(٣) عند تفسيره الآية (١١٥) من سورة النساء.

(٤) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٦٢.

(٥) عند تفسيره الآية (٦٣) من سورة التوبة.

(٦) نسبه القرطبي في «جامعه» ١٧/ ٢٨٨ للسدي، وفي كتاب «اللغات في القرآن» ص٤٦، نسبه لابن عباس وقال: هي لغة مذجح.

(٧) أخرجه عبد الرزاق، وابن جرير، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة، وهو اختيار ابن جرير.
انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٤ ب، و«جامع البيان» ٢٨/ ٩، و«فتح الباري» ٨/ ٦٢٨، وزاد نسبه تخريج ابن أبي حاتم له عن مقاتل بن حيان. «الدر» ٦/ ١٨٣.

(٨) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٦٢، و«الجامع» ١٧/ ٢٨٨، ولم ينسب لقائل.

وقال الفراء: غيظوا وأحزنوا يوم الخندق[١]، وعلى هذا يعني المشركين.

وقال الزجاج: أُذِلُّوا وأُخزوا بأن غلبوا[٢].

قال المبرد: يقال كبت الله فلانًا إذا أذله. والمردود بالذل يقال له: مكبوت[٣]، وقد تكلمنا في هذا الحرف عند قوله: ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾[٤].

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ﴾ قال ابن عباس: يريد فرائض قيمة معروفة[٥]. ﴿وَلِلْكَـٰفِرِينَ﴾ قال: يريد لمن لم يعمل بها ولم يصدق بها ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

٦- ثم بين أن ذلك العذاب متى يكون فقال: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾.

وقوله: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ قال مقاتل: حفظ الله أعمالهم ونسوا هم[٦].

٧- قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ قد ذكر أن النجوى مصدر عند قوله: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾[٧]. ويجوز أن يوصف به كما يقال: قوم نجوى، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٣٩.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٣٦.

(٣) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٦٢، ولم أجده في مؤلفات المبرد.

(٤) عند تفسيره الآية (١٢٧) من سورة آل عمران.

(٥) المعنى ظاهر، ولم أجد من عزاه لابن عباس.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٤ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٧.

(٧) عند تفسيره الآية (١١٤) من سورة النساء. وانظر: «معاني الزجاج» ٢/ ١٠٤.

[الإسراء: ٤٧] ، والمعنى هم ذوو نجوى فحذف المضاف وكذلك كل مصدر وصف به.

فأما قوله: ﴿مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ﴾ قال أبو علي: يحتمل جر ﴿ثَلَـٰثَةٍ﴾ أمرين:

أحدهما: أن يكون مجرورًا بإضافة ﴿نَجْوَىٰ﴾ إليه كأنه ما يكون من سرار ثلاثةٍ، ويجوز أن يكون ﴿ثَلَـٰثَةٍ﴾ جرًا على الصفة على قياس قوله: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ﴾[(١)] وهذا معنى قول الفراء: ﴿ثَلَـٰثَةٍ﴾ إن شئت خفضتها على أنها من نعت النجوى، وإن شئت أضفت النجوى إليها[(٢)]، وبيانه أن النجوى إن جعلتها مصدرًا أضفتها إلى ثلاثة، وإن جعلتها بمعنى المتناجين جعلت (ثلاثة) صفة لها.

قال أبو إسحاق: ﴿نَجْوَىٰ﴾ مشتق من النجوة، وهي ما ترتفع وتَنَحَّى[(٣)]. والمتناجيان يتناجيان ويخلوان بسرهما كخلو المرتفع من الأرض عما يتصل به.

ومعنى ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ﴾ أي ما يكون من خلوة ثلاثة يسرون شيئًا ويتناجون به[(٤)]. ومعنى قول المفسرين في النجوى أنها إسرار. قال ابن عباس: ما من شيء تناجي به صاحبك[(٥)].

---

(١) انظر: «الحجة» ٦/ ٢٧٩، و«مشكل إعراب القرآن» ٢/ ٧٢٣، و«الكشاف» ٤/ ٧٤.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٤٠، و«اللسان» ٣/ ٥٩٣ (نجا).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٣٧.

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٩.

(٥) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٣٠٧، ولم ينسبه لقائل. ومن عبارة البغوي يتضح السقط هنا، ولعل العبارة: ما من شيء تناجي به صاحبيك إلا هو رابعهم. والله أعلم.

وقوله: ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ أي: إلا هو عالم به، وعلمه معهم لا يخفى عليه ذلك كما قال: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ﴾ [التوبة: ٧٨]، وكقوله: ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾(١) والمعنى: أن نجواهم معلومة عنده، كما تكون معلومة عند الرابع الذي يكون معهم.

٨- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ قال المفسرون: إن المنافقين واليهود كانوا يتناجون فيما بينهم، ويوهمون المؤمنين أنهم يتناجون فيما يسوءهم فيحزنون لذلك، فلما طال ذلك وكثر، شكوا إلى رسول الله ﷺ فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين ولم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم، فأنزل الله هذه الآية(٢).

قوله تعالى: ﴿وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن الإثم والعدوان مخالفتهم الرسول في النهي عن النجوى، فلما عادوا إلى ما نهاهم عنه لزمهم الإثم والعدوان وصاروا آثمين ظالمين.

والثاني: أن الإثم والعدوان ذلك السر الذي يجري بينهم، لأنه إما مكر وكيد بالمسلمين، أو شيء يسؤهم فهو إثم وعدوان(٣).

---

(١) من آية (٧) من سورة طه. قال ابن كثير - رحمه الله-: (ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علمه تعالى، ولا شك في إرادة ذلك، ولكن سمعه أيضًا مع علمه محيط بهم، وبصره نافذ فيهم، فهو ﷻ مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء)، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٢٢.

(٢) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٧٨ ب، عن ابن عباس، و«أسباب النزول» للواحدي ص٤٧٤ عن ابن عباس، و«الجامع» ١٧/ ٢٩١.

(٣) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٦٦.

وقراءة العامة ﴿وَيَتَنَاجَوْنَ﴾ من التفاعل لقوله: ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ﴾ وقوله: ﴿إِذَا تَنَاجَيْتُمْ﴾، وقرأ حمزة (وينتجون)[١]، وانتجى، وتناجى بمعنى واحد، ويفتعلون ويتفاعلون يجريان مجرى واحدًا نحو اختصموا وتخاصموا، واقتتلوا وتقاتلوا. ولا يكون في قوله: ﴿تَنَاجَيْتُمْ * وَتَنَاجَوْا﴾ ردٌّ لقراءة حمزة، لأن الانتجاء في مساغه وجوازه مثل التناجي[٢].

قوله تعالى: ﴿وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ قال المقاتلان: وذلك أن الرسول ﷺ كان قد نهاهم عن النجوى فعصوه[٣]. وقال أبو إسحاق: يوصي بعضهم بعضًا بمعصية الرسول[٤]. والقولان ها هنا كما ذكرنا في الإثم والعدوان.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾. قال المفسرون: يعني اليهود كانوا يأتون النبي ﷺ فيقولون: السام عليك والسام الموت[٥]. وهم يوهمونه أنهم يقولون: السلام عليكم، فأخبر الله نبيه بذلك في قوله: ﴿حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾[٦] وذكر معنى التحية في سورة النساء[٧].

---

(١) قرأ حمزة، ورويس (ينتجُون) بالنون، وضم الجيم من غير ألف على (يفتعلون). وقرأ الباقون (يتناجون) بتاء ونون مفتوحتين وألف وفتح الجيم. انظر: «حجة القراءات» ص٧٠٤، و«النشر» ٢/ ٣٨٥، و«إتحاف فضلاء البشر» ص٤١٢.

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي ٦/ ٢٧٩-٢٨٠، و«حجة القراءات»: ٧٠٤.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٥ أ، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٧٩ أ، وأخرجه ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان، و«الدر» ٦/ ١٨٤.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٣٧.

(٥) انظر: «اللسان» ٢/ ٢٤٦ (سوم).

(٦) أخرج الإمام أحمد في «المسند» ٢/ ٤٠٥ والبيهقي في «شعب الإيمان» بسند جيد، و«الدر» ٦/ ١٨٤، و«أسباب النزول» للواحدي ص٤٧٤ وأخرجه ابن أبي حاتم عن عائشة، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٢٣.

(٧) عند تفسيره الآية (٨٦) سورة النساء.

قوله: ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ قال المقاتلان: قالت اليهود: إن كان هؤلاء لا يعلمون ما نقول لهم فإن الله يعلم ما نقول فلو كان نبيًا لعذبنا الله بما نقول، فهلا يعذبنا الله بما نقول لمحمد إن كان نبيًّا، فأنزل الله ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[(١)].

٩- ثم نهى المنافقين عن التناجي فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ قال ابن عباس: يريد آمنوا بزعمهم[(٢)].

وقال مقاتل: يعني المنافقين[(٣)].

وقوله: ﴿فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ تقدم تفسيره.

قوله: ﴿وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ قال مقاتل: بالطاعة وترك المعصية[(٤)].

ثم خوفهم فقال: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجزيكم بأعمالكم. وذكر بعض المفسرين أن هذه الآية خطاب للمؤمنين، وأنهم نهوا أن يفعلوا كفعل المنافقين واليهود، وهو اختيار أبي إسحاق. قال: يقول ولا تكونوا كاليهود والمنافقين[(٥)] والأول الوجه.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٥ أ، و«الكشف» ١٢/ ٧٩ أ، ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٠٨.

(٢) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٣٠٨، ونسبه لعطاء، و«الجامع» ١٧/ ٢٩٤، ولم ينسبه لقائل.

(٣) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٣٠٨، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٦٧، قلت: والمعنى الظاهر أن الخطاب للمؤمنين على الحقيقة من الصحابة رضوان الله عليهم، وهذا ما اعتمده ابن جرير، وابن كثير، ولم يذكرا غيره.
انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ١٢، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٢٣.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٥ ب.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٣٨، وهو اختيار ابن جرير، وابن كثير، كما تقدم ذكره، وانظر: «روح المعاني» ٢٨/ ٢٧.

١٠- ثم ذكر أن ما يفعله اليهود والمنافقون من جهة الشيطان، وأن ذلك لا يضر المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ قال مقاتل: من تزيين الشيطان[١] ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: إنما يزين لهم ذلك ليحزن الذين آمنوا، وذلك أن المؤمنين إذا رأوهم متناجين قالوا: ما نراهم إلا وقد بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو موت أو هزيمة، فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنون له[٢].

قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا﴾ أي وليس النجوى بضارهم. قال أبو إسحاق: أي ليس يضر التناجي المؤمنين شيئًا، ويجوز أن يكون المعنى: وليس بضارهم الشيطان شيئًا، ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي إلا ما أراد الله ﷻ[٣].

قال مقاتل: يقول إلا بإذن الله في الضر[٤].

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي يكلون أمورهم إلى الله، ويستعيذون به من الشيطان.

١٢- قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ﴾[٥]

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٣٠٨، و«الجامع» ١٧/ ٢٩٥، ولم أجده في «تفسير مقاتل».

(٢) وهو سبب نزول الآية كما قال قتادة -رحمه الله- وأخرجه الأئمة عنه باختصار. انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٧٩، و«جامع البيان» ٢٨/ ١٢، و«إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٣٧٨، وقال: أصح ما قيل فيه قول قتادة..، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٦٧.

(٣) انظر: «معاني الزجاج» ٥/ ١٣٨.

(٤) «تفسير مقاتل» ١٤٥ ب.

(٥) كذا كتبها المؤلف (المجلس) على الإفراد. وهي قراءة الجمهور. وقرأ عاصم (المجالس) على الجمع. انظر: «حجة القراءات» ص٧٠٤، و«النشر» ٣/ ٣٨٥.

الآية. قال مقاتل بن حيان: كان النبي ﷺ في الصفة وفي المكان ضيق وذلك يوم الجمعة، وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء أناس من أهل بدر وقد سبقوا إلى المجلس فقاموا حيال النبي ﷺ ينتظرون أن يوسع لهم فعرف ما يحملهم على القيام فلم يفسح لهم، وشق ذلك على النبي ﷺ فقال لمن حوله من غير أهل بدر: قم يا فلان، قم يا فلان، وأنت يا فلان. فلم يزل يقيم بعدة النفر الذين هم قيام بين يديه، وشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف الكراهية في وجوههم وطعن في ذلك المنافقون، وقالوا: والله ما عدل على هؤلاء، إن قومًا أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم فأقامهم وأجلس من أبطأ عنه، فأنزلت هذه الآية يوم الجمعة[(١)].

قوله: ﴿تَفَسَّحُوا۟﴾ قال أبو عبيدة: توسعوا[(٢)].

وقال الليث: الرجل يفسح لأخيه في المجلس فسحًا إذا وسع له، والقوم يتفسحون إذا مَكَّنُوا، والفساحة السعة. يقال: بلد فسيح ومفازة فسيحة، ولك فيه فسحة، أي: سعة، هذا كلامه[(٣)].

والمستعمل من هذا الحرف أربعة أوجه. فسح يفسح فسحًا إذا وسع في المجلس. يقال: أفسح لي، أي: وسّع، وفسح يفسح فساحة إذا صار واسعًا، ومكان فسيح وتفسح إذا توسع، ومثله تفاسح[(٤)] وبه قرأ الحسن.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٥ ب، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٨٠ أ، ونسبه للمقاتلين، و«أسباب النزول» للواحدي ٤٧٥.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٢٥.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٢٧ (فسح).

(٤) انظر: «اللسان» ٢/ ١٠٩٤ (فسح). وقد قرأ الحسن، وقتادة، وعيسى وداود بن أبي هند (تَفَاسَحُوا) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٤١، و«الجامع» ١٧/ ٢٩٧، و«البحر المحيط» ٨/ ٢٣٦.

قال الفراء: وهو مثل تعهدته وتعاهدته(١).

ومعنى ﴿تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ﴾ هو أن القوم إذا جلسوا حول النبي ﷺ متضايقين منضمين إليه لم يجد غيرهم ممن يأتي بعدهم مجلسًا عند النبي ﷺ فإذا تنحوا عنه في الجلوس وتوسعوا وجد غيرهم مكانًا يجلس فيه في فلك الحلقة(٢)، فأمر الله تعالى المؤمنين بالتواضع، وأن يفسحوا في المجلس لمن أراد النبي ﷺ ليتساوى الناس في الأخذ بالحظ منه(٣).

وقرئ ﴿فِى ٱلْمَجَٰلِسِ﴾(٤) والوجه التوحيد، لأنه يعني به مجلس النبي ﷺ وغيره فهو على إرادة العموم مثل قولهم: كثر الدرهم والدينار. ووجه الجمع أن تجعل لكل جالس مجلسًا. أي موضع جلوس(٥).

قال المبرد: تفسحوا ينبيء عن أن لكل واحد مجلسًا، لأنه لا يجوز أن يكون اثنان يشغلان مكانًا واحدًا، وإنما معناه ليفسح كل رجل في

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٤١.

(٢) وممن قال بأن المراد بالمجلس مجلس رسول الله ﷺ قتادة، ومجاهد، والضحاك، وابن زيد. انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٦٠، و«تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٧٩، و«جامع البيان» ٢٨/ ١٣، و«إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٣٧٨.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٣٩.

(٤) تقدم تخريجها وهي قراءة عاصم، ومعن السُّلَمي وزِرّ بن حُبيش.

(٥) في (ك): (حلس). وذكر المفسرون في المراد بالمجلس ثلاثة أقوال: مجالس القتال، مجلس رسول الله ﷺ، المجالس والمجامع على عمومها، وقد رجح ابن جرير اطلاقها على مجالس القتال، ومجلس رسول الله ﷺ إذ لم يخصص مجلسًا دون آخر. «جامع البيان» ٢٨/ ١٣.

وقال القرطبي: (الصحيح في الآية أنها عامة في كل مجلس اجتمع المسلمون فيه للخير والأجر، سواء كان مجلس حرب، أو ذكر، أو مجلس يوم الجمعة...) «الجامع» ١٧/ ٢٩٧.

مجلسه[١].

قوله تعالى: ﴿فَٱفۡسَحُواْ﴾ أي: أوسعوا ﴿يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ﴾ يوسع الله لكم الجنة والمجالس فيها.

وذكر في التفسير أنهم أمروا بأن يتوسعوا ويجلسوا متوسعين، ويوسعوا لغيرهم فلم يفعلوا وضن كل واحد بمجلسه فأمروا بالطاعة في التفسح والفسح، ووعدوا على ذلك أن يفسح لهم في الجنة[٢].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ قال ابن عباس، ومقاتل: إذا قيل لكم ارتفعوا فارتفعوا[٣]، ومعناه قوموا، وفيه قراءتان: كسر الشين وضمها وهما لغتان[٤] مثل يعكفون، ويعكفون و(ويعرشون)[٥].

---

(١) لم أجده منسوبًا. وانظر: «اللسان» ٢/ ١٠٩٤ (فسح).

(٢) انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ١٣، عن ابن زيد، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٠٩، و«الدر» ٦/ ١٨٤، عن قتادة.

(٣) وهو قول أكثر المفسرين. انظر: «تنوير المقباس» ٦/ ١٨، و«جامع البيان» ٢٨/ ١٣، و«الكشف» ١٣/ ٨١ أ، قال (إذا قيل لكم قوموا وتحركوا وارتفعوا وتوسعوا لإخوانكم فافعلوا. وقال أكثر المفسرين معناه: وإذا قيل لكم انهضوا إلى الصلاة والجهاد والذكر وعمل الخيرات. أي حق كان فانشزوا ولا تقصروا...). وانظر: «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٢٦، والنشز: هو المتن المرتفع من الأرض، وإنشاز عظام الميت رفعها إلى مواضعها وتركيب بعضها على بعض. «اللسان» ٣/ ٦٣٧ (نشز).

(٤) قرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر وحفص، وأبو بكر من رواية الجمهور (انشُزُوا فانشُزُوا) بضم الشين فيهما. وقرأ الباقون بكسر الشين. انظر: «حجة القراءات» ص٧٠٥، و«النشر» ٢/ ٣٨٥، و«الإتحاف» ص٤١٢.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٤١.

وفي قوله تعالى: ﴿فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ﴾ [الأعراف: ١٣٨] قرأ =

ومعنى القيام ها هنا أنهم أمروا أن يطيعوا النبي ﷺ إذا أمرهم بالقيام من المجلس ولا يكرهوا ذلك، ووعدهم على هذه الطاعة رفع الدرجات فقال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ قال ابن عباس: يعني المهاجرين والأنصار[(١)].

وقال مقاتل: الذين أوتوا العلم، يعني الذين قرأوا القرآن يرفع الله لهم درجات في الجنة على سواهم ممن لم يقرأ القرآن، قال: وإذا انتهى المؤمنون إلى باب الجنة، يقال للمؤمن الذي ليس بعالم: ادخل الجنة، ويقال للعالم: أقم على باب الجنة، فيشفع للناس، هذا الذي ذكرنا في هذه الآية معنى قول قتادة، والكلبي، والمقاتلين[(٢)].

وقال عطاء: هذه الآية نزلت في مجالس الحرب ومقاعد القتال، وذلك أن الناس كانوا يقعدون صفوفًا في القتال فربما قعد الرجل في موضع ليس هو بأهل، ويكون من هو أشجع منه وأنجد خلفه ويستحي رسول الله

= حمزة، والكسائي، والوراق عن خلف، والمطوعي، وابن مقسم، والقطيعي عن إدريس (يعكفون) بكسر الكاف، وقرأ الباقون بضمها. وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

وفي قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨] قرأ ابن عامر، وأبو بكر (يعرُشون) بضم الراء فيهما. وقرأ الباقون بكسرها فيهما. انظر: «حجة القراءات» ص٢٩٤، ٣٩٢، و«النشر» ٢/ ٢٧١، و«الإتحاف» ص٢٢٩.

(١) لم أجده عن ابن عباس، ولا عن غيره، ودخول المهاجرين والأنصار في هذه الآية أولى من غيرهم -رضوان الله عليهم-.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٥ ب، ١٤٦ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٠٩، و«الجامع» ١٧/ ٢٩٩ - ٣٠٠.

ﷺ أن يقيم ذلك ويقعد هذا، فنزلت الآية(١).

وقال الحسن: إنهم تشاحوا على الصف الأول رغبة منهم في الجهاد والشهادة، وكان الرجل منهم يجيء إلى الصف الأول، ويقول: توسعوا لي فلا يوسعون له(٢). وهذا قول أبي العالية، والقرظي، ورواية العوفي عن ابن عباس(٣).

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ قال الحسن: في القتال في الصف(٤).

وقال مجاهد: إلى كل خير، قتال عدو، أو أمر معروف أو حق ما كان(٥).

وقال قتادة: يقول: إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا(٦).

وقال عكرمة، والضحاك: إن رجالًا تثاقلوا عن الصلاة فأمروا بالقيام لها إذا نودي(٧).

وقال ابن زيد: كانوا إذا دخلوا بيت النبي ﷺ لا يقومون، وكان كل واحد يحب أن يكون آخر القوم عهدًا برسول الله ﷺ فقال الله: ﴿وَإِذَا قِيلَ

---

(١) لم أجده عن عطاء، وهو في معنى قول الحسن والقرظي وغيرهما.

(٢) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٨١ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٠٩.

(٣) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٨٠ ب، ٨١ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٠٩، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٦٩.

(٤) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٨٠، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٨١ أ.

(٥) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٦٠، و«جامع البيان» ٢٨/ ١٣.

(٦) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٧٩، و«الدر» ٦/ ١٨٥، وزاد نسبه إخراجه لعبد بن حميد.

(٧) انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ١٣ عن الضحاك، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٨١ أ.

﴿ٱنشُزُوا۟﴾ عن النبي ﷺ أي انهضوا فانهضوا[١]. واختاره الزجاج فقال: أي إذا قيل انهضوا -قوموا-: فانهضوا وهذا كما قال: ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ﷺ[٢].

قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾، أي: إذا عملوا بما أمروا.

١٢- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ قال ابن عباس في رواية الوالبي: إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه، وأراد أن يخفف عن نبيه، فلما نزلت هذه الآية ضن كثير من الناس فكفوا عن المسألة[٣].

وقال مقاتل بن حيان: إن الأغنياء غلبوا الفقراء على مجلس النبي ﷺ وأكثروا مناجاته حتى كره النبي ﷺ طول جلوسهم ومناجاتهم، فأمر الله بالصدقة عند المناجاة، فأما أهل الميسرة فمنع بعضهم ماله وحبس نفسه، وأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئًا، واشتاقوا إلى مجلس النبي ﷺ وحديثه فلم يقدروا على ذلك حتى نسخ هذا[٤].

وقال مقاتل بن سليمان: لما نزلت هذه الآية انتهى الأغنياء وقدرت

---

(١) انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ١٤، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٨١ أ، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٢٩٩.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٣٩.

(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ١٥، و«الدر» ٦/ ١٨٥، وزاد نسبة تخريجه لابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٤) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٨٢ أ، و«أسباب النزول» للواحدي ص٤٧٦، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣١.

الفقراء على كلام النبي ﷺ ومجالسته فلم يقدم أحد من أهل الميسرة بصدقة غير علي بن أبي طالب قدم دينارًا، وكلم النبي ﷺ في عشر كلمات فلم يلبث إلا يسيرًا حتى أنزل الله.

١٣- ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ الآية[١].

وروى ليث عن مجاهد قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي[٢] ولا يعمل بها أحد بعدي: آية النجوى، كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم، فناجيت النبي ﷺ فكنت كلما ناجيت النبي ﷺ قدمت بين يدي نجواي درهمًا، ثم نسخت فلم يعمل بها أحد[٣].

ونحو هذا قال ابن جريج، والكلبي، وعطاء عن ابن عباس أنهم نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناجه أحد إلا علي تصدق بدينار، ثم نزلت الرخصة[٤]، قالوا: وما كانت إلا ساعة من النهار حتى نسخت. وهو قول الكلبي[٥].

وقال مقاتل بن حيان: إنما كان ذلك عشر ليال ثم نسخ[٦]، ولم تقدر

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٦ أ، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٨٢ أ، و«الوسيط» ٤/ ٢٦٦.
(٢) (قبلي) ساقطة من (ك).
(٣) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٦٠، و«تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٨٠، و«جامع البيان» ٢٨/ ١٥، «المستدرك» ٢/ ٤٨٢، و«أسباب النزول» للواحدي ص٤٧٦ .
(٤) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٣١٠، و«نواسخ القرآن» لابن الجوزي ص٢٣٦، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٧١.
(٥) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٨٠ وزاد نسبته لقتادة، و«أحكام القرآن» للجصاص ٣/ ٤٢٨، و«الكشف والبيان» ١٣/ ٨٢ ب.
(٦) انظر: «الكشف والبيان» ١٣/ ٨٢ ب، وفي «جامع القرطبي» ١٧/ ٣٠٣، نسبه لابن عباس وعلي بن أبي طالب، و«نواسخ القرآن» ص٢٣٦، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٧١، و«الدر» ٦/ ١٨٥، ونسب تخريجه لابن أبي حاتم.

هذه الصدقة بشيء. وشاور النبي ﷺ في تقديرها عليًّا ؟ قال: قال لي: كم ترى؟ دينارًا. قلت: لا يطيقونه. قال: كم؟ قلت: حبة أو شعيرة، قال: إنك لزهيد، فنزلت آية النسخ[١].

قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يعني للفقراء، وهذا يدل على أن من لم يجد ما يتصدق به كان معفوًّا عنه.

وأجمعوا على أن هذه الآية منسوخة الحكم بقوله: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ قال ابن عباس: أبخلتم[٢]، وقال مقاتل: أشق عليكم[٣]، والمعنى: أخفتم العيلة أن قدمتم بين يدي نجواكم صدقات، وهذا خطاب للأغنياء، لأن من لم يجد لا يقال له هذا.

ونسخت الزكاة الصدقة التي كانت عند المناجاة، وهو قوله تعالى: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب: التفسير، سورة المجادلة، وحسنه، و«جامع البيان» ٢٨/ ١٥، و«نواسخ القرآن» ص٢٣٥.

(٢) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٣١١، و«الجامع» ١٧/ ٣٣.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٦ أ، و«تفسير مجاهد» ٢/ ٦٦٠، و«جامع البيان» ٢٨/ ١٦، و«إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٣٨٠، ونسبوه لمجاهد.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٦ أ، و«نواسخ القرآن» ص٢٣٦، ونسبه لابن عباس، و«معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٤٢.

قلت: مراد المؤلف -رحمه الله- من نسخ صدقة المناجاة بالزكاة أي أن قوله تعالى: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ الآية بكاملها نسخت الآية السابقة عليها، فعاد المسلمون إلى مناجاة النبي ﷺ من غير تقديم شيء، وهو المُجمع عليه من المفسرين -رحمه الله- والله أعلم.

واحتج قوم من الأصوليين بهذه الآية على جواز النسخ قبل الفعل[(١)]، ولأصحابنا فيه قولان، والصحيح أنه يجوز، ومن احتج بهذه الآية ضعف ما روي أن عليًا عمل بهذا الحكم قبل النسخ، واحتج بقوله: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟﴾ قال: وهذا دليل أن أحدًا منهم لم يتصدق بشيء[(٢)].

١٤- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ قال المفسرون: يعني المنافقين، تولوا اليهود ونقلوا إليهم أسرار المسلمين. واليهود هم المذكورون بالغضب عليهم في مواضع من القرآن.

قوله: ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ أي: ليسوا مؤمنين فليسوا منكم في الدين والولاية، ولا من اليهود، كما قال تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء: ١٤٣] الآية.

قوله تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ وذلك أن النبي ﷺ قال لعبد الله بن نبتل المنافق: «**على ماذا تشتمني أنت وأصحابك؟**» فجاء بهم فحلفوا أنهم لم يفعلوا -ولم يوالوا اليهود- وأنهم له ناصحون، فذلك قوله: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[(٣)] أنهم كذبة.

١٦- قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ يعني أيمانهم الكاذبة جنة يستخفون بها من القتل ﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: فصدوا المؤمنين بأيمانهم عن

---

(١) انظر: «البرهان في علوم القرآن» ٣/ ٣٢٠، و«المستصفى» ص٤٢٥.

(٢) انظر: «نواسخ القرآن» لمكي بن أبي طالب ص٣٢٥.

(٣) قال السدي، ومقاتل: وهو معنى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما.
انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٦ أ، و«جامع البيان» ٢٨/ ١٧، و«الكشف والبيان» ١٣/ ٨٣ أ، و«أسباب النزول» للواحدي ص٤٧٦.

إمضاء حكم الله فيهم من القتل للكافر وأخذ الجزية من أهل الكتاب[١].

وقال مقاتل: فصدوا الناس عن دين الله الإسلام[٢].

١٧- قوله: ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ﴾ الآية. قال مقاتل: إن المنافقين قالوا إن محمدًا يزعم أنه ينصر يوم القيامة فقد شقينا إذًا، فوالله لننصرن يوم القيامة بأنفسنا[٣] وأموالنا وأولادنا إن كانت قيامة فأنزل الله هذه الآية[٤].

١٨- قوله تعالى: ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ قال مقاتل: إذا سئلوا يوم القيامة عن أعمالهم الخبيثة استعانوا بالكذب كعادتهم في الدنيا، ويحلفون لله في الآخرة أنهم كانوا مؤمنين كما يحلفون لكم في الدنيا[٥].

وقال قتادة: إن المنافق يحلف لله[٦] يوم القيامة كما حلف لأوليائه في الدنيا[٧].

قال ابن عباس: أما الأول فكقوله: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، وأما الثاني فهو قوله: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾[٨].

---

(١) انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ١٧، وهو المعتمد عنده، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣١.
(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٦ أ، و«الجامع» ١٧/ ٣٠٤، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٢٨.
(٣) (ك): (أنفسنا).
(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٦ أ، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٧٤، و«الجامع» ١٧/ ٣٠٥.
(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٦ ب.
(٦) (لله) ساقطة من (ك).
(٧) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٨١، و«جامع البيان» ٢٨/ ١٧، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٨٣ أ.
(٨) من الآية (٥٦) من سورة التوبة. وانظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٧٤، و«الجامع» ١٧/ ٣٠٥.

وقال ابن زيد: كان الحلف جنة لهم في الدنيا فظنوا أنها تنفع في الآخرة[١].

قوله تعالى: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ قال مقاتل: على شيء من الدين[٢].

وقال غيره: ويحسبون أنهم على شيء من أيمانهم الكاذبة[٣].

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾ في قولهم وأيمانهم.

١٩- قوله تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ قال المفسرون: غلب واستولى.

قال أبو إسحاق: معنى استحوذ في اللغة استولى، يقال: حذت الإبل وحزتها إذا استوليت عليها وجمعتها[٤].

وقال المبرد: استحوذ على الشيء: حواه وأحاط به[٥]، ومعناه استدار عليهم الشيطان.

٢٠- قوله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ قال ابن عباس: يريد الذل في الدنيا والخزي في الآخرة[٦].

وقال مقاتل: في الهالكين[٧]، وقال الزجاج: أي في المغلوبين[٨].

---

(١) انظر: «الجامع» ١٧/ ٣٠٥.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٦ ب.

(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ١٧، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣١٢.

(٤) انظر: «معاني الزجاج» ٥/ ١٤.

(٥) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٧٥.

(٦) لم أجده.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٦ ب.

(٨) انظر: «معاني الزجاج» ٥/ ١٤١.

قوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ أي قضى الله ذلك قضاءً ثابتًا.

قال أبو إسحاق: ومعنى غلبة الرسل على نوعين: من بعث منهم بالحرب غالب في الحرب، ومن بعث منهم بغير حرب فهو غالب بالحجة[(١)].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أي مانع حزبه من أن يذل.

وقال مقاتل: إن المسلمين قالوا: إنا لنرجو أن يظهرنا الله على فارس والروم، فقال عبد الله بن أُبي: أتظنون أن فارس والروم كبعض القرى التي غلبتموهم؟ كلا والله لهم أكثر جمعًا وعدة، فأنزل الله هذه الآية[(٢)].

٢٢- قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ الأكثرون على أن هذه الآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وإخباره أهل مكة بمسير النبي ﷺ إليهم لما أراد فتح مكة، وتلك القصة معروفة[(٣)]، وهذا قول مقاتل واختيار الفراء[(٤)]، والزجاج. قال: أعلم الله ﷻ أن إيمان المؤمنين يفسد بمودة الكفار، وأن من كان مؤمنًا لا يوالي من كفر، وإن كان أباه أو ابنه أو أحدًا من عشيرته[(٥)].

وروى عطاء عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في أبي عبيدة[(٦)]، قتل

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٤١.

(٢) انظر: «الكشف والبيان» ١٣/ ٨٣ ب، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٧٦، و«الجامع» ١٧/ ٣٠٦.

(٣) انظر: «الكشف والبيان» ١٣/ ٨٤ أ، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٧٧.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٦ ب، و«معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٤٢.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٤١.

(٦) هو أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح، أمين هذه الأمة، وأحد المبشرين =

أباه يوم أحد عبد الله بن الجراح، وعمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر، وأبي بكر -رضي الله عنه- دعا ابنه يوم بدر إلى البراز، فقال رسول الله ﷺ: «**متعنا بنفسك يا أبا بكر**»، ومصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير، وعلي بن أبي طالب، وحمزة، وعبيدة قتلوا عتبة، وشيبة، والوليد بن عتبه يوم بدر، أخبر الله تعالى أن هؤلاء لم يوادوا أقاربهم وعشائرهم غضبًا لله ولدينه(١).

قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ قال الزجاج: يعني الذين لا يوادون من حاد الله(٢).

قوله: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ قال السدي ومقاتل: جعل في قلوبهم التصديق(٣).

وقال الربيع: أثبت(٤).

وقال أبو علي الفارسي: معناه جمع، والكتيبة: الجمع من الجيش. والتقدير: أولئك الذين جمع الله في قلوبهم الإيمان، أي استكملوه واستوعبوه فلم يكونوا ممن يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض(٥).

= بالجنة. مات سنة (١٨هـ) وله ثمان وخمسون سنة. انظر: «طبقات ابن سعد» ٣/ ٤٠٩، و«سير أعلام النبلاء» ١/ ٥، و«العبر» ١/ ١٦، و«الإصابة» ٣/ ٣٧٩.

(١) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٧٦، عن ابن عباس.
وذكره غيره عن مقاتل بن حيان، عن مرة الهمداني، عن ابن مسعود. انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٨٤ أ، و«أسباب النزول» للواحدي ص٤٧٨، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣١٢.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٤٢.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٦ ب.

(٤) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ٨٤ ب، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٣٠٨.

(٥) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٧٧.

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنۡهُۖ﴾ قال ابن عباس: قواهم بنصر منه في الدنيا على عدوهم[١]، وهو قول الحسن، وسمى نصره إياهم روحًا لأن به يحيا أمرهم[٢].

وقال المقاتلان: برحمة منه[٣]، وهذا يعود إلى الأول، لأن رحمته إنعامه عليهم بالنصر في الدنيا.

وقال الربيع، والسدي: يعني بالإيمان والقرآن[٤]. يدل عليه قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ [الشورى: ٥٢] الآية.

ثم أعلم الله -عز وجل- أن ذلك يوصلهم إلى الجنة فقال: ﴿وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ﴾ إلى آخر الآية. والله أعلم بالصواب.



(١) انظر: «غرائب القرآن» ٢٨/ ٢٩.
(٢) انظر: «الكشف والبيان» ١٣/ ٨٤ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣١٣.
(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٦ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٢١٣، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٧/ ٣٠٩.
(٤) انظر: «الكشف والبيان» ١٣/ ٨٤ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣١٣، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٧٧.

سورة الحشر

تفسير سورة الحشر

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ الآية تفسيرها قد تقدم في مواضع.

٢- ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ أجمعوا على أن هذا في بني النضير، وهم قوم من اليهود كانوا بالمدينة، غدروا بالنبي ﷺ بعد أن عاهدوا وصاروا عليه مع المشركين يدًا واحدة، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى رضوا بالجلاء وذلك بعد وقعة بدر بستة أشهر، قاله الزهري(١).

وقال محمد بن إسحاق: كان إجلاء بني النضير مرجع النبي ﷺ من أحد(٢)، وقد ذكر الله ذلك القصة في هذه السورة وهي تأتي على التوالي في تفسير الآيات.

قوله: ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ ذكر المفسرون فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن جلاءهم ذلك كان أول حشر في الدنيا إلى الشام، قاله

---

(١) في (ك): (الأزهري). وانظر: «صحيح البخاري»، كتاب: المغازي، باب: حديث بني النضير ٥/ ١١٢، و«فتح الباري» ٧/ ٣٣٠-٣٣٢، و«أسباب النزول» للواحدي ص٤٧٩، و«البداية والنهاية» ٣/ ٧٤.

(٢) انظر: «تاريخ الأمم والملوك» ٢/ ٨٣، و«البداية والنهاية» ٤/ ٧٤، و«جامع البيان» ٢٨/ ١٩ عن قتادة. وقال ابن حجر عن قول الزهري السابق: فهذا أقوى مما ذكر ابن إسحاق من أن سبب غزوة بني النضير طلبه ﷺ أن يعينوه في دية الرجلين، لكن وافق ابن إسحاق جل أهل المغازي، فالله أعلم. «فتح الباري» ٧/ ٣٣.

الزهري[١]، وعروة، وقال عكرمة: من شك أن المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية، وذلك أن النبي ﷺ قال لهم يومئذ: «**اخرجوا**». فقالوا: إلى أين؟ قال: «**إلى أرض المحشر**»[٢].

والمعنى على هذا القول: أنهم أجلوا إلى الشام فكان ذلك أول حشر حشروا إلى الشام يوم يحشر الخلق يوم القيامة إلى الشام.

القول الثاني: أنهم أول من أجلي من أهل الذمة من جزيرة العرب، ثم أجلى آخرهم عمر بن الخطاب، وكان ذلك أول حشر من المدينة والحشر الثاني كان من خيبر وجزيرة العرب، وهذا قول المقاتلين، ومرة الهمداني، عن ابن عباس[٣].

القول الثالث: ما قال قتادة: كان ذلك أول الحشر، والحشر الثاني نارٌ تحشر الناس من المشرق إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا، وهو قول عبد الله بن عمرو[٤]، وذكر أن تلك النار تُرى

---

(١) هذا القول عن الزهري أخرجه عبد الرزاق، وابن جرير، والحاكم، وأخرجه عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والبيهقي عن عروة مرسلًا. قال البيهقي: وهو المحفوظ. انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٨٢، و«جامع البيان» ٢٨/ ٢٠، و«الدر» ٦/ ١٨٧.

(٢) أخرجه البزار، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في البعث، عن عكرمة، عن ابن عباس، انظر: «الكشف والبيان» ١٣/ ٨٧ أ، وانظر: «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٣٢.

(٣) انظر: «الكشف والبيان» ١٣/ ٨٧ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣١٤، و«زاد المسير» ٨/ ٢٠٥.

(٤) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٨٢، و«الكشف والبيان» ١٣/ ٨٧ أ، و«زاد المسير» ٨/ ٢٠٤، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٧٩، ولم أجده عن غير قتادة.

بالليل ولا ترى بالنهار[١].

قوله: ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟﴾ قال ابن عباس: كان أمرهم في صدور المسلمين عظيمًا[٢]، والمعنى أن المسلمين ظنوا أنهم لعزتهم ومنعتهم لا يحتاجون إلى أن يخرجوا من ديارهم، وظن بنو النضير أن حصونهم تمنعهم من الله، وهو قوله: ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾.

---

(١) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٧٩.

ومراد قتادة رحمه الله بالنار التي تحشر الناس ما أخرجه مسلم في كتاب الفتن، من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري وفيه (.. وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم)، وفي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة (... وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا). انظر: «صحيح البخاري» كتاب: الرقاق، باب: الحشر. انظر: «صحيح مسلم»، كتاب: الجنة، باب: (٥٩)، وعند الحاكم، عن عبد الله بن عمرو رفعه: «**تبعث نار على أهل المشرق فتحشرهم إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا، ويكون لها ما سقط منهم وتخلّف، تسوقهم سوق الجمل الكبير**». قال ابن حجر: وقد أشكل الجمع بين هذه الأخبار. وظهر لي في وجه الجمع أن كونها تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها. والمراد بقوله: «**تحشر الناس من المشرق إلى المغرب**» إرادة تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب، أو أنها بعد الانتشار أول ما تحشر أهل المشرق.. وأما جعل الغاية إلى المغرب فلأن الشام بالنسبة إلى المشرق مغرب. «فتح الباري» ١١/ ٣٧٨- ٣٧٩ وهذه الأقوال ذكرها الآلوسي، ثم ضعف ما روي عن عكرمة، وضعف ما روي عن قتادة أيضًا، واختار أن يكون المراد بأول الحشر أن أول حشرهم إلى الشام، أو على أنهم أول محشورين من أهل الكتاب من جزية العرب إلى الشام. «روح المعاني» ٢٨/ ٣٩.

(٢) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٧٩.

قال ابن عباس: ظنوا أن حصونهم مانعة من سلطان الله، وكانوا أهل حلقة[(١)] وحصون منيعة، فلم يمنعهم شيء منها[(٢)]، وهو قوله تعالى: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ﴾ أي: أمر الله وعذابه، وهو أنه أمر النبي ﷺ بقتالهم ومحاصرتهم، فكانوا لا يظنون أن ذلك يكون ولا يحتسبون ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ﴾ قالوا يعني بقتل سيدهم كعب بن الأشرف.

قوله تعالى: ﴿يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ذكر المفسرون في تخريبهم منازلهم ثلاثة أسباب:

أحدها: لما أيقنوا بالجلاء وحسدوا المسلمين أن يسكنوا منازلهم فجعلوا يخربونها من داخل والمسلمون من خارج، وهذا قول عكرمة، وقتادة[(٣)].

وقال مقاتل[(٤)]: إن المنافقين دسوا إليهم أن لا يخرجوا ودربُوا[(٥)] على الأزقة وحصنُوها، فنقضوا بيوتهم يبنون بها على أفواه الأزقة ليحصنوها، وكان المسلمون إذا ظهروا على درب من دروبهم تأخر اليهود إلى وراء بيوتهم فنقبوها من أدبارها وخرب المسلمون ما ظهر عليهم من ديارهم ليتسع مجالهم للحرب، فذلك قوله: ﴿يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أنهم عَرضوا لذلك.

---

(١) قال أبو عبيد: الحلقة: اسم يجمع السلاح والدروع وما أشبهها. انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٦٤، و«اللسان» ١/ ٧٠١ (حلق) ونسبه لابن سيده.

(٢) لم أجده عن ابن عباس، ولا عن غيره.

(٣) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٨٣، و«جامع البيان» ٢٨/ ٢٠ عن قتادة.

(٤) في (ك): (قتادة).

(٥) ولعلها (وردموا).

وهذا قول مقاتل عن ابن عباس. قال: كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها ليتسع لهم للقتال، وجعل أعداء الله ينقبون دورهم من أدبارها فيخرجون إلى التي بعدها فيتحصنون فيها ويرمون بالتي خرجوا منها أصحاب رسول الله ﷺ[١].

وقال محمد بن إسحاق: ذلك هدمهم عن نجف[٢] أبوابهم، وهو أنهم لما صالحوا على أن يحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل كان منهم من يهدم بيته عن نجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره[٣]. وهذا قول الزهري. قال: كانوا ينظرون إلى الخشبة في منازلهم مما يستحسنونه، أو الباب فيهدمون بيوتهم وينتزعونها ويحملونها على الإبل[٤].

وقراءة العامة ﴿يُخْرِبُونَ﴾ من الإخراب، وقرأ أبو عمرو مشددًا من التخريب[٥]، وكان يقول: الإخراب أن تترك الشيء خرابًا، والتخريب الهدم، وبنو النضير خربوا وما أخربوا[٦]، وقال المبرد: ولا أعلم لهذا

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٧ أ، و«الكشف والبيان» ١٣/ ٨٧ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣١٥، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٨.

(٢) النجف: هو العتبة، وهو الذي يستقبل الباب من أعلى العتبة. انظر: «تهذيب اللغة» ١١/ ١١٤، و«اللسان» ٣/ ٥٨٨ (نجف).

(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٢١، و«البداية والنهاية» ٤/ ٨.

(٤) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٨٢، و«جامع البيان» ٢٨/ ٢١، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣١٥.

(٥) قرأ الجمهور (يُخْربون) بالتخفيف. وقرأ أبو عمرو (يُخَرِّبون) بالتشديد، ووافقه من غير العشرة الحسن، واليزيدي. انظر: «النشر» ٢/ ٣٨٦، و«إتحاف فضلاء البشر» ص٤١٣.

(٦) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٨٣، و«حجة القراءات» ص٧٠٥، و«الكشف والبيان» ١٣/ ٨٧ ب.

وجهًا، يخربون من التخريب، فإنما هوالأصل على خرب المنزل، وأخربه صاحبه كقولك: علم وأعلمه، وقام وأقامه، وإذا قلت يخربون من التخريب فإنما هو تكثير، لأنه ذكر بيوتًا تصلح للقليل والكثير[١]، وزعم سيبويه أنها تتعاقبان في بعض الكلام فيجري كل واحد مجرى الآخر نحو فرحته وأفرحته، وأحسنه الله وحسنه، وقال الأعشى:

وأخـربـت مـن أرض قـومـي ديـارًا[٢]

وقال الفراء: (يخرِّبون) بالتشديد، يهدمون، وبالتخفيف يخرجون منها ويتركونها، ألا ترى أنهم كانوا ينقبون الدار فيعطلونها، فهذا معنى يخربون[٣].

قوله تعالى: ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ قال ابن عباس: يريد يا أهل اللب والعقل والبصائر[٤]، وقال مقاتل: يعني يا أهل البصيرة في أمر الله[٥].

قال الفراء: ويقال يا أولي الأبصار: يا من عاين ذلك بعينه[٦].

ومعنى الاعتبار: النظر في أوائل الأمور وأواخرها وتدبرها ليعرف بالنظر فيها شيئًا آخر من جنسها[٧]، والمعنى: تدبروا وانظروا فيما نزل بهم

---

(١) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٨.

(٢) «ديوان الأعشى» ص٨٤، و«الخزانة» ٥/ ٧٢، وصدره:

أقللْتَ قوْمًا وأعمرتهم

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٤٣.

(٤) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩، ٢٨٢.

(٥) «تفسير مقاتل» ١٤٧ أ.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٤٣.

(٧) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٨٢.

فاتعظوا بذلك. وقد سبق الكلام في أصل معنى الاعتبار فيما تقدم(١).

٣- قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾ معنى الجلاء في اللغة: الخروج من الوطن والتحول منه، يقال منه: جلا القوم عن منازلهم. وتقول: أجليناهم عن بلادهم فجلوا(٢) كما قال الشاعر:

وأجلوا عن مساكن فارقوها ... كما جلت الفراخ من العشاش(٣)

يقول: لولا أن الله قضى عليهم أنهم يخرجون عن أوطانهم بالمدينة إلى الشام وخيبر.

قوله تعالى: ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل والسبي، ولسلطكم عليهم كما فعل بقريظة(٤)، والمعنى: أنه رفع العذاب عنهم في الدنيا بالقتل وجعل عذابهم في الدنيا الجلاء ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ مع ما أحل بهم في الدنيا، وهذا معنى قول عامة المفسرين(٥).

٥- قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ قال أبو عبيدة: اللينة: النخلة، ما لم تكن عجوة أو برنية، وأنشد لذي الرمة:

كأن قُتودي فوقَها عُشُّ طائر ... علي لينةٍ فرواء تهفو جنوبها(٦)

---

(١) انظر: «مفردات الراغب» ص٣٢٠، و«اللسان» ٢/ ٦٦٨ (عبر).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٥٦، و«غريب القرآن» لليزيدي ص٣٧٣، و«تهذيب اللغة» ١/ ٤٨٨، و«اللسان» ١/ ٤٨٨ (جلل).

(٣) انظر: «الخزانة» ٩/ ٢٧١.

(٤) وهي الغزوة التي حكم فيها سعد بن معاذ بأن تقتل مقاتلتهم وأن تسبى ذراريهم، وأن تقسم أموالهم، وكانت بعد غزوة الأحزاب، وذلك لنقضهم العهد الذي بينهم وبين محمد ﷺ، انظر: «تاريخ الطبري» ٢/ ٩٣-٩٨.

(٥) انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٢٢، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٣٢ .

(٦) والبيت في «الديوان» ٢/ ٦٩٩، و«تهذيب اللغة» ٤/ ١٢١، ورواية الديوان: على=

قال: وأصل لينة لِوْنَةَ، فذهب الواو لكسر اللام، وجمعها الألوان وهي النخل كل ما خلا البرني والعجوة[١].

قال المبرد: أصل الياء في لينة الواو، بمنزلة ريح، فإذا قلت ألوان رجعت الواو لذهاب الكسرة كما تقول ريح وأرواح[٢]، قال ذو الرمة:

طراق الخوافي واقع فوق لينة ندى ليله في ريشة يترفرف[٣]

ويجمع اللينة أيضًا ليان، قال امرؤ القيس يصف عنق فرس:

وسالفه كسحوق الليان أضرم فيه الغويَّ السعر[٤]

ونحو هذا قال المفسرون في تفسير اللينة، الزهري، وقتادة، وجماعة قالوا: هي النخل ليس بالعجوة[٥]، والباقون قالوا: هي النخلة من غير استثناء، وهو قول مجاهد، وعطية، وابن زيد[٦].

لينة سوقاء تهفو جنوبها

والقتودي عيدان الرحل: أي أن الناقة طويلة يصغر الرحل عليها، وسوقاء: طويلة الساق، وتهفو: تضطرب.

(١) وهذا القول قول الزجاج. انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٤٤، و«تهذيب اللغة» ١٥/ ٤٧٠، و«اللسان» ٣/ ٤٢٤ (لين). وانظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٥٦.

(٢) «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٨٢.

(٣) «ديوان ذي الرمة» ص ٧٩، و«الكتاب» ٧/ ١١٢، و«الخزانة» ٤/ ٢١ .

(٤) انظر: «الديوان» ص٣١٥.

(٥) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٨٣، و«جامع البيان» ٢٨/ ٢٢، و«إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٣٩١، و«فتح الباري» ٨/ ٦٢٩، وهو قول سعيد بن جبير، ويزيد بن رومان، وعكرمة، وابن عباس.

(٦) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٦٣، و«جامع البيان» ٢٨/ ٢٢، و«الكشف والبيان» ١٣/ ٨٨ ب قال النحاس: وهذه الأقوال صحيحة، لأن الأصمعي حكى مثل القول الأول فيكون لجميع النخل، ويكون ما قطعوا منها مخصوصًا فتتفق الأقوال. «إعراب القرآن» ٣/ ٣٩٢.

وقال المقاتلان: هي ضرب من النخل ثمره أجود الثمر يرى نواه من ظاهره، النخلة منها أحب إليهم من وصيف[١].

قال المفسرون: لما حصر رسول الله ﷺ بني النضير وتحصنوا بحصونهم، أمر بقطع نخيلهم وإحراقها، فشق ذلك على اليهود، وجزعوا، وأكثروا القول، وقالوا: أين وجدت فيما أنزل عليك الفساد في الأرض وأخذ المسلمون من ذلك دمامة[٢]، فأنزل الله هذه الآية[٣].

وروي عن ابن عباس قال: أمروا بقطع النخل فحك في صدورهم، فقال المسلمون: قطعنا بعضًا وتركنا بعضًا ولنسألن رسول الله ﷺ هل لنا فيما قطعناه من أجر؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر، فأنزل الله هذه الآية[٤].

قال أبو إسحاق: فأعلم الله أن ذلك بإذنه، وإليه القطع والترك جميعًا[٥].

وقال قتادة: نزلت الآية لاختلاف كان بين المسلمين في قطعها وتركها.

قال مجاهد: نهى بعض المسلمين بعضًا عن قطع النخل، وقالوا:

---

(١) انظر: «الكشف والبيان» ١٣/ ٨٨ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣١٦، و«زاد المسير» ٨/ ٢٠٨.

(٢) أي: غضب مما فعلوا. «اللسان» ١/ ١٠١٥ (دمم).

(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٢٣، و«أسباب النزول» للواحدي ص٤٨١، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣١٥.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٣٠٣) كتاب: التفسير: تفسير سورة الحشر، وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والنسائي ٦/ ٤٨٣ كتاب: التفسير، و«الدر» ٦/ ١٨٧.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٤٥.

إنما هي مغانم المسلمين فنزل القرآن بتصديق من نهى، وتحليل من قطع[١].

قوله: ﴿وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ يعني اليهود، قال مقاتل: كان قطع النخل ذلًا لهم وهوانًا[٢].

وقال ابن حيان: كان ذلك خزيًا لبني النضير[٣].

وقال الزجاج ﴿وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ أن يريهم بأموالهم يتحكم فيها المؤمنون كيف أحبوا[٤]، والتقدير: وليخزي الفاسقين أذن في ذلك، ودل على المحذوف قوله: ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[٥].

٦- قوله: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ﴾ قال المبرد: يقال فاء يفيء إذا رجع، وأفاءه الله إذا رده[٦].

وقال الأزهري: الفيء ما رد الله على أهل دينه من أموال من خالف أهل دينه بلا قتال، إما بأن يجلوا عن أوطانهم ويخلوها للمسلمين، وإما أن يصالحوا على جزية يؤدونها عن رؤوسهم، أو مال غير الجزية يفتدون به من سفك دمائهم[٧] كما فعله بنو النضير حين صالحوا رسول الله ﷺ على أن لكل ثلاثة منهم ما وسق[٨] بعير مما شاءوا سوى السلاح ويتركوا الباقي.

---

(١) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٦٣، و«جامع البيان» ٢٨/ ٢٣.

(٢) «تفسير مقاتل» ١٤٧ ب.

(٣) لم أجده، في الأصل (يريهم).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٤٥.

(٥) انظر: «زاد المسير» ٨/ ٢٠٨.

(٦) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٨٤.

(٧) انظر: «تهذيب اللغة» ١٥/ ٥٧٨ (فاء).

(٨) الأصل في الوسق: الحمل، وكل شيء وسقته فقد حملته. «اللسان» ٣/ ٩٢٦ (وسق).

فهذا المال هو الفيء، وهذا مما أفاء الله على المسلمين، أي: رده ورجعه من الكفار على المسلمين.

وقوله: ﴿مِنۡهُمۡ﴾ أي من يهود بني النضير.

قوله: ﴿فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ﴾ يقال وجف الفرس والبعير يجف وجفًا ووجيفًا ووجفانًا[١]. قال العجاج:

ناج طواه الأين مما وجفا[٢]

وهو سرعة السير، وأوجفه صاحبه إذا حمله على السير السريع، وهما مثال الإيضاع[٣].

وقوله: ﴿عَلَيۡهِ﴾ أي على ما أفاء الله.

قوله: ﴿وَلَا رِكَابٍ﴾ الركاب الإبل، واحدتها راحلة، ولا واحد لها في لفظها[٤].

قال الفراء: الركاب الإبل التي تحمل القوم، وهي ركاب القوم إذا حملت وأريد الحمل عليها، وهو اسم جماعة لا يفرد[٥].

قال المفسرون: إن بني النضير لما جلوا عن أوطانهم وتركوا رباعهم وأموالهم طلب المسلمون من رسول الله أن يخمسها كما فعل بغنائم بدر،

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ١١/ ٢١٣.

(٢) انظر: «ملحقات «ديوان العجاج» ص٨٤، و«الكتاب مع شواهده» للأعلم ١/ ١٨٠، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٧٨.

(٣) انظر: «اللسان» ٣/ ٨٨٢، و«تفسير غريب القرآن» ص٤٦٠.

(٤) «اللسان» ١/ ١٢١٣ (ركب).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٤٤، و«تهذيب اللغة» ١٠/ ٢١٩ (ركب)، ونسبه لليث.

فأنزل الله هذه الآية والتي بعدها[١] بيّن أن بني النضير فيء لم يوجف المسلمون عليه خيلًا ولا ركابًا، ولم يقطعوا إليها مسافة، وإنماكانوا على ميلين من المدينة فمشوا إليهم مشيًا، ولم يركب إلا رسول الله ﷺ كان راكب جمل[٢]، وكل[٣] مال حصل للمسلمين بهذه الصفة كان فيئًا ولم يكن غنيمة، والفرق بينهما أن الغنيمة ما أخذ بإيجاف خيل وركاب وقتال، والفيء ما أخذ بغيرها[٤].

فإن قيل: أموال النضير أخذت بعد القتال، لأنهم حوصروا أيامًا وقاتلوا وقتلوا ثم صالحوا على الجلاء، قيل: إن الله تعالى خص نبيه بفيء بني النضير وجعل أموالهم له فيئًا فهو مخصوص بهذا[٥]، وأما سائر الأئمة فليس لهم أن يحكموا في مال بحكم الفيئ إلا إذا حصل بلا إيجاف خيل ولا ركاب وبلا قتال.

---

(١) انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٢٤، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٨٩ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣١٦، و«زاد المسير» ٨/ ٢٠٩

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٧ ب، و«جامع البيان» ٢٨/ ٢٤.

(٣) في (ك): (وكان).

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ٨/ ١٤٩ (غنم)، ١٥/ ٥٧٨ (فاء)، و«المغني» ٩/ ٢٨٣.

(٥) قال السهيلي: ولم يختلفوا في أن أموال بني النضير كانت خاصة برسول الله ﷺ وأن المسلمين لم يوجفوا عليهم بخيل ولا ركاب، وأنه لم يقع بينهم قتال أصلًا. «فتح الباري» ٧/ ٣٣. قلت: وتخصيص الرسول ﷺ بأموال بني النضير هو الثابت عن عمر ابن الخطاب؟ وعمن حضر مجلسه من كبار الصحابة رضوان الله عليهم. انظر: «صحيح البخاري»، كتاب: المغازي، باب: حديث بني النضير ٥/ ١١٣، و«فتح الباري» ٧/ ٣٣٤-٣٣٥، و«صحيح مسلم بشرح النووي» ١٢/ ٧١، والحديث مخرج في الكتب الستة، وغيرها.

قال صاحب النظم: قوله: ﴿فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾ ليس بعلة لصرف الفيئ عنهم، وإنما هو تعزية لهم عما صرف عنهم لئلا يأسفوا عليه بما أعلمهم أنهم لم ينفقوا فيه شيئًا، ولا لزمهم نصب ولا تعب كما يكون في الوقائع.

ثم وكد ذلك بقول ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ﴾ فكان في ذلك زيادة شرح لإحراز جميع الفيئ لرسوله دون أصحابه[(١)].

قال المفسرون: فجعل الله أموال بني النضير لرسوله ﷺ خاصة يفعل فيها ما يشاء، فقسمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئًا إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم أبو دجانة[(٢)]، وسهل بن حنيف[(٣)]، والحرث[(٤)] بن الصمة[(٥)].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) أبو دجانة سماك بن أوس، بن خرشة الأنصاري الخزرجي، شهد بدرًا، وأحدًا، واليمامة وقتل بها. وهو قاتل مسيلمة الكذاب مع وحشي بن حرب رضي الله عنهما. انظر: «المعارف» ص٢٧١، و«البداية والنهاية» ٦/ ٣٣٧.

(٣) سهل بن حنيف الأوسي، حضر المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وشهد مع علي بن أبي طالب مشاهده كلها غير الجمل، فإنه كان قد استخلفه على المدينة، توفي سنة (٣٨هـ) بالكوفة، وصلى عليه علي رضي الله عنهما. انظر: «المعارف» ص٢٩١، و«البداية والنهاية» ٧/ ٣١٨.

(٤) الحارث بن الصمة، أبو سعد: آخى رسول الله ﷺ بينه وبين صهيب بن سنان، شهد أحدًا وثبت مع الرسول ﷺ وشهد يوم بئر معونه، وقتل يومئذ شهيدًا في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرًا من الهجرة. انظر: «طبقات ابن سعد» ٣/ ٥٠٨.

(٥) انظر: «الكشف والبيان» ١٣/ ٨٩ ب، ذكره بغير سند، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣١٦، و«زاد المسير» ٨/ ٢٠٩.

وهو المنقول عن السهيلي، واقتصر ابن إسحاق، وابن هشام، وابن سيد الناس، =

٧- ثم ذكر حكم الفيء فقال: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ﴾ أي من أموال كفار أهل القرى كما رد عليه وأفاء من أموال بني النضير وقريظة[١]، وأهل القرى قرى خيبر[٢]، وعرينة، وينبع، وهذه كلها كانت قرى أفاء الله أموال أهلها على رسول الله، ثم بين لمن هي فقال ﴿لِلَّهِ﴾. أي: أن الحكم فيها لله، له أن يأمركم فيه بما أحب ﴿وَلِرَسُولِهِۦ﴾ بتمليك الله إياه.

﴿وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ يعني بني هاشم، وبني المطلب لأنهم قد منعوا الصدقة فجعل لهم حق في الفي.

﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ قال العلماء من أصحابنا في بيان حكم هذه الآية: كان الفيء في زمان رسول الله مقسومًا على خمسة أسهم،

= وغيرهم على ذكر أبي دجانة، وسهيل بن حنيف. انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٨٣، عن الزهري، وأهمل اسم الرجلين، و«تاريخ الأمم والملوك» ٢/ ٨١، ٨٥، و«البداية والنهاية» ٤/ ٧٦، و«روح المعاني» ٢٨/ ٤٥.

ومن هذا ما رواه الحاكم في الإكليل، من حديث أم العلاء، قالت: قال النبي ﷺ للأنصار لما فتح النضير: «**إن أحببتم قسمت بينكم ما أفاء الله علي، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في منازلكم وأموالكم وإن أحببتم أعيكتهم وفرجوا عنكم**»، فاختاروا الثاني. «فتح الباري» ٧/ ٣٣٣.

(١) قريظة: حي من اليهود، كانوا يسكنون المدينة، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد فنقضوه، وحاصرهم ﷺ خمسًا وعشرين ليلة ثم نزلوا على حكمه. «سيرة ابن هشام» ٣/ ٢٤٧.

(٢) خيبر: الموضع المذكور في غزاة النبي ﷺ بينها وبين المدينة المنورة ثمانية برد على طريق الشام، ويطلق هذا الاسم على الولاية، وتشتمل على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير.
انظر: «معجم البلدان» ٢/ ٤٠٩.

أربعة منها لرسول الله ﷺ خاصة، وكان الخمس الباقي يقسم على خمسة أسهم: سهم منها لرسول الله أيضًا[١]، والأسهم الأربعة لذي القربى واليتامى، كما ذكر الله في هذه الآية، وأما بعد وفاته فللشافعي فيما كان من الفيء لرسول الله ﷺ قولان:

أحدهما: أنه للمجاهدين المرصدين[٢] للقتال في الثغور، لأنهم قاموا مقام رسول الله في رباط الثغور.

القول الثاني: أنه يصرف إلى مصالح المسلمين من سد الثغور، وحفر الأنهار، وبناء القناطر يبدأ بالأهم فالأهم، هذا في الأربعة الأخماس التي كانت لرسول الله ﷺ، وأما السهم الذي كان له في خمس الفيء فإنه لمصالح المسلمين بلا خلاف[٣].

قوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ أي ما أفاء الله لهؤلاء الذين ذكرهم كي لا يكون دولة، وهي اسم الشيء يتداوله القوم بينهم يكون لذا مرة ولذا مرة.

والدَّوْلة بالفتح: انتقال حال سارة إلى قوم عن قوم، والدُّولى بالضم:

---

(١) (أيضًا) ساقطة من (ك).

(٢) في (ك): (المترصدين).

(٣) انظر: «المغني» ٩/ ٢٩٩ وقد احتج الجمهور بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الحديث الصحيح: «... فكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ ثم والله ما احتازها دونكم ولا استأثرها عليكم...» الحديث. ولم يوجبوا الخمس في الفيء، بل قالوا: مصرف الفيء كله إلى رسول الله ﷺ.
وقال ابن المنذر: «لا نعلم أحدًا قبل الشافعي قال بالخمس في الفيء، وقد تأول -رحمه الله- قول عمر المذكور بأنه يريد الأخماس الأربعة. انظر: «مسلم بشرح النووي» ١٢/ ٦٩، و«فتح الباري» ٦/ ٢٠٨.

اسم لما يتداول، وبالفتح مصدر من هذا، ويستعمل في الحالة السارة التي تنوب الإنسان فيقول: هذه دولة فلان، أي: قد أديل بالدولة، فالدَّولةَ اسم لما يتداول من المال، فالدُّولة: اسم لما ينتقل من الحال، هذا كلام المبرد، وهو معنى جميع أهل اللغة[١].

قال الفراء: المعنى: كيلا يكون الفيء دولة بين الرؤساء منكم يعمل فيه كما كان يعمل في الجاهلية[٢]، قال مقاتل: يعني يغلب الأغنياء الفقراء فيقسمونه بينهم[٣]، وقال الفراء: ونزل في الرؤساء ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٤].

قال ابن عباس: يقول ما أعطاكم الرسول من الفيء فخذوه فهو لكم حلال، وما نهاكم عنه فانتهوا[٥]، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في أمر الفيء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ على ما نهاكم عنه الرسول، وهذا نازل في أمر الفيء فهو عام في كل ما أمر به، ونهى عنه رسول الله ﷺ. وكثر من الصحابة احتجوا على أن أوامر النبي ﷺ وزواجره كلها من القرآن[٦]، أن الله تعالى قال: ما أعطاكم وأباح لكم فخذوه، وما منعكم عنه فاتركوه، وكل ما يفعله بأمر رسول الله ﷺ فإنما يفعله بأمر الله، وهو أمرنا بذلك أمرًا مطلقًا، وكذلك

---

(١) انظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٧٠٦، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٤٦، و«تهذيب اللغة» ١٤/ ١٧٥(دوبل)، و«اللسان» ١/ ١٠٣٤ (دول)، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٨٥.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٤٥. (٣) «تفسير مقاتل» ١٤٨ أ.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٤٥.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ٦/ ٣٢، و«الكشف والبيان» ١٣/ ٩٣ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣١٨، ولم ينسبوه لقائل.

(٦) في (ك): (القرآن كلها).

فيما ينهى عنه بأمره[١].

قال مقاتل: ثم ذكر أن الفيء للفقراء المهاجرين[٢].

٨- قال أبو إسحاق: بين المساكين الذين لهم الحق بقوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾[٣] يعني أن قوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ بدل من قوله للمساكين في الآية الأولى، وأنه عنى بالمساكين هؤلاء ﴿الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾، يعني أن كفار مكة أحوجوهم[٤] إلى الخروج، فهم الذين أخرجوهم.

قوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ﴾ قال مقاتل: يعني رزقًا في الجنة ﴿وَرِضْوَانًا﴾ رضا ربهم[٥].

قال ابن عباس: ابتغوا فضل الله واختاروا رضوان الله على الدور والأموال فقبل الله ذلك منهم، وشكر سعيهم وسماهم الصادقين في قوله:

---

(١) وممن قال بذلك ابن مسعود، وابن عباس، وعمر بن الخطاب، وأبو هريرة، والشافعي.
انظر: «صحيح البخاري»، كتاب: التفسير، باب: وما آتاكم الرسول فخذوه، ٦/ ١٨٤، و«إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٣٩٦، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٣٦، و«روح المعاني» ٢٨/ ٥٠.
وقال الشوكاني: والحق أن هذه الآية عامة في كل شيء يأتي به رسول الله ﷺ من أمر أو نهي أو ترك أو فعل، وإن كان السبب خاصًا، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وكل شيء أتانا به من الشرع فقد أعطانا إياه وأوصلنا إليه... وما أنفع هذه الآية وأكثر فائدتها. «فتح القدير» ٥/ ٢٧٨.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٨ أ.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٤٥.

(٤) (ك): (أحوجهم).

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٨ أ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[(١)].

٩- قال مقاتل: ثم ذكر الأنصار وأثنى عليهم حين طابت أنفسهم عن الفيء إذ جعله للمهاجرين دونهم فقال: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني المدينة، وهي دار الهجرة تبوأها الأنصار قبل المهاجرين، وتقدير الآية: والذين تبوؤا الدار من قبلهم والإيمان، لأن الأنصار لم يؤمنوا قبل المهاجرين، وهذا قول مقاتل[(٢)]. وعطف الإيمان على الدار، ولا يحسن إعمال الفعل الذي نصب الدار في الإيمان، ولكن المعنى، وآثروا الإيمان، هو من باب علفتها تبنًا وماء باردا، وأكلت الخبز واللبن، وقد مر في مواضع.

وقال أبو علي الفارسي: ومعنى الآية: تبوأوا الدار واعتقدوا الإيمان، لأن الإيمان ليس بمكان فيتبوأ فيكون كقوله: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ [يونس: ٧١] على معنى: وأعدوا شركاءكم، ويجوز أن يكون تبوأوا الإيمان على طريق المثل كما تقول: تبوأ من بني فلان الصميم، وعلى ذلك قول الشاعر:

وبُوِّئت في صميم معشرها فتم في قومها مبوؤها[(٣)]

قال: كل هذه الوجوه ممكن[(٤)].

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ قال

---

(١) لم أجده.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٨ أ.

(٣) البيت لابن هرمة. انظر: «اللسان» ١/ ٢٨٤ (بوأ) ولم ينسبه لقائل، و«مجاز القرآن» ١/ ٢١٨، و«شواهد المعنى» ص٢٧٩.

(٤) انظر: «البحر المحيط» ٨/ ٢٤٧.

المفسرون: حسدًا وحزازة وغيظًا مما أوتي المهاجرون دونهم[(١)]، وكل ما يجده الإنسان في صدره مما يحتاج إلى إزالته وشق عليه وجوده فهو حاجة.

قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ يقال: آثرتك إيثارًا، أي: فضلتك، وآثره بكذا إذا خصه به وفضله من بين الناس[(٢)]، ومفعول الإيثار محذوف والتقدير: ويؤثرونهم على أنفسهم، قال المفسرون: أي بأموالهم ومنازلهم، وذلك أنهم أشركوا المهاجرين في رباعهم وأموالهم وواسوهم بها[(٣)].

وقال الكلبي، عن ابن عباس: هو أن النبي ﷺ قال للأنصار: «**إن شئتم قسمتم لهم من دوركم وأموالكم، وقسمت لكم من الفيء كما قسمت لهم، وإن شئتم كان لهم القسم ولكم دياركم وأموالكم**». فقالوا: لا. بل نقسم لهم من ديارنا وأموالنا ولا نشاركهم في القسم، فأنزل الله ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[(٤)]، فبين أن هذا الإيثار ليس عن غنى من المال، ولكنه عن حاجة وخصاصة، وهي الفقر، وذو الخصاصة ذو الخلة، وأصلها من الخصاص، وهي الفرج، وكل خلل أو خرق يكون في

---

(١) انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٢٨، و«الكشف والبيان» ١٣/ ٩٤ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣١٩، و«زاد المسير» ٨/ ٢١٢.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة»، ١٥/ ١٢٢ (أثر)، و«اللسان» ١/ ٢٠ (أثر) .

(٣) انظر: «الكشف والبيان» ١٣/ ٩٤ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣١٩.

(٤) ذكره الثعلبي بغير سند. انظر: «الكشف والبيان» ١٣/ ٩٥ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٤٢٠، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٨٧، ورواه الواقدي عن معمر، عن الزهري، عن خارجة بن زيج، عن أم العلاء قالت: وذكر نحوه. «تخريجات الكشاف» ص١٦٠، ١٦٧.

منخل أو باب أو سحاب أو برقع فهي خصاصة، الواحد خصاصة، ومنه قول الراجز:

ينظـــرن مـــن خصاص بأعـــين شواصـــي[(١)]

وذكر المفسرون أنواعًا من إيثار الأنصار للضيف بالطعام وتعللهم عنه حتى شبع الضيف، ثم ذكروا أن الآية نزلت في ذلك الإيثار[(٢)]. والصحيح أن الآية نزلت بسبب إيثارهم المهاجرين بالفيء ثم يجوز أن يتضمن قوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ ما رووه من أنواع الإيثار[(٣)].

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ ذكرنا تفسير الشح في قوله: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾[(٤)] قال سعيد بن جبير: هو أخذ الحرام ومنع الزكاة[(٥)].

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ٦/ ٥٥١ (خصص)، و«اللسان» ١/ ٨٤١ (خصصه).
والرجز لحضرمي بن عامر، وكان له تسعة إخوة فماتوا وورثهم. انظر: «اللسان» ٢/ ٣١٣ (مشصا)، و«تهذيب اللغة» ٨/ ٣٦٧ (قرص) ولم ينسبه لقائل.

(٢) انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٢٩، و«الكشف والبيان» ١٣/ ٩٤ أ، ب، و«أسباب النزول» للواحدي ص٤٨٣.

(٣) وهكذا فسر مقاتل هذه الآية بإيثار الأنصار للمهاجرين بالفيء، ولعل الصواب في هذا أن الآية نزلت في رجل من الأنصار وامرأته حين ضيفا ضيف رسول الله ﷺ، ولا يمنع من تضمن الآية لإيثارهم المهاجرين بالفيء وغيره، والله أعلم. انظر: «صحيح البخاري»، كتاب: التفسير، باب: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾، و«فتح الباري» ٨/ ٦٣١.

(٤) عند تفسيره الآية (١٢٨) من سورة النبأ. والشح: بخل مع الحرص، وذلك فيما كان عادة. «اللسان» ٢/ ٢٧٦ (شح)، و«مفردات الراغب» ص٢٥٦ (شح).

(٥) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٣٢٠، و«الدر المنثور» ٦/ ١٩٦، ونسب تخريجه لعبد بن حميد، وابن المنذر.

وقال مقاتل: حرص نفسه(١)، وقال ابن زيد: من لم يأخذ شيئًا نهاه الله عنه ولم يمنع شيئًا أمره الله بأدائه فقد وُقي شح نفسه(٢).

قال المفسرون: يعني أن الأنصار ممن وقي شح نفسه حين طابت أنفسهم عن الفيء(٣).

١٠- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ يعني التابعين وهم الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة.

ثم ذكر أنهم يدعون لأنفسهم بالمغفرة ولمن سبقهم بالإيمان بقوله: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي غشًا وحسدًا وبغضًا(٤)، فكل من لم يترحم على جميع أصحاب محمد ﷺ وكان في قلبه غل على أحد منهم فإنه ليس ممن عناه بهذه الآية، ولهذا قال المتقدمون من العلماء: رتب الله تعالى المؤمنين على ثلاثة منازل: المهاجرين والأنصار والتابعين الموصوفين بما ذكر فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجًا من أقسام المؤمنين.

هذا الذي ذكرناه في هذه الآية من أنها نزلت في التابعين قول جماعة المفسرين(٥).

---

(١) «تفسير مقاتل»: ١٤٨ أ.

(٢) انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٣٠، و«الكشف والبيان» ١٣/ ٩٦ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٤٢.

(٣) وهو المذكور في سبب النزول، عن ابن عباس، وتقدم.

(٤) الغِلُّ والغَليلُ: الغِشُّ والعَداوة والضِّغْنُ والحقْد والحسد. «اللسان» ٢/ ١٠٠٨ (غلل).

(٥) انظر: «الكشف والبيان» ١٣/ ٩٦-٩٧، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٢٠، و«زاد المسير» ٨/ ٢١٦، و«البحر المحيط» ٨/ ٢٤٧، ونسبه للجمهور.

وقال الكلبي: نزلت في المهاجرين.

١٠- قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ أي أتوا المدينة بعد الأنصار، فإنهم نزلوها بعدهم يقولون: ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبل وألف بين قلوبنا ولا تجعل فيها غمرًا[١] للذين آمنوا، أي: حسدًا للأنصار، وذكره الفراء[٢]، والصحيح ما عليه الناس لقوله: ﴿سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ والأنصار لم يسبقوا المهاجرين بالإيمان[٣]. والأكثرون أيضًا على أن قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو﴾ عطف على قوله: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾[٤] ويؤكد هذا ما روى مالك بن أوس بن الحدثان[٥] أن عمر بن الخطاب ذكر الفيء ثم قرأ ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ﴾ حتى بلغ ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾

---

(١) الغِمْرُ والغَمَرُ: الحقد والغل، والجمع غُمور. وقد غَمِرَ صدرهُ عليّ بالكسر يَغْمَر غِمْرًا وغَمَرًا. «اللسان» ٢/ ١٠١٥ (غمر).

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٤٥، و«جامع البيان» ٢٨/ ٣١، ذكراه دون نسبة لقائل.

(٣) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: هؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفيء وهم المهاجرون ثم الأنصار ثم التابعون لهم بإحسان كما قال في آية براءة ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾. «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٣٩.

(٤) قال النحاس: وعلى هذا كلام أهل التفسير والفقهاء، و«إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٣٩٩.

(٥) مالك بن أوس بن الحدثان. قديم أدرك الجاهلية، ولكنه تأخر إسلامه، رأى أبا بكر، وروى عن عمر وعثمان. مات بالمدينة سنة (٧٢هـ).
انظر: «طبقات ابن سعد» ٥/ ٥٦، و«سير أعلام النبلاء» ٤/ ١٧٠، و«المعارف» ص٤٢٧، و«التقريب» ٢/ ٢٢٣.

فقرأها ثم قرأ ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ ثم قال: استوعبت هذه الآية المسلمين عامة، فليس أحد إلا له فيها حق[1].

وروى عن مالك بن أنس أنه قال: من تنقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ، أو كان في قلبه عليه غل فليس له حق في فيء المسلمين، ثم تلا هذه الآيات. قال: وهذا نص في الكتاب بين[2].

وقال المقاتلان: قوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ﴾ ابتدأ كلام في الثناء على الأنصار ثم حين طابت أنفسهم عن الفيء جعل للمهاجرين دونهم، وعلى قولهما: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو﴾ ابتداء، وخبره ﴿يُحِبُّونَ﴾ وكذلك ما بعده[3]. والأكثرون على القول الأول، وهو أن الله تعالي جعل الفيء لجميع أقسام المسلمين الثلاثة، وهو مما ذكرنا أن الفيء بعد زمان رسول الله يصرف إلى مصالح المسلمين عامة.

ثم أنزل فيما دس المنافقون إلى اليهود أنا معكم في النصر والخروج.

١١- قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾[4] قال المقاتلان: يعني عبد الله بن أبي، وعبد الله بن نبتل، ورفاعة بن زيد، كانوا من الأنصار

---

(١) مسلم في كتاب: الجهاد، باب: حكم الفيء، الترمذي رقم (١٦٠٩) والنسائي ٧/ ١٣٦ في قسم الفيء «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٨٣، وانظر: «موسوعة فقه عمر بن الخطاب» لمحمد رواس قلعه جي ص٥٣٢- ٥٣٣.

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٣٩٩، و«الكشف والبيان» ١٣/ ٩٨ ب، ٩٨ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٢١، و«زاد المسير» ٨/ ٢١٦.

(٣) انظر: «البحر المحيط» ٨/ ٢٤٧.

(٤) أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: قد أسلم ناس من أهل قريظة والنضير، وكان فيهم منافقون، وكانوا يقولون لأهل النضير: لئن أخرجتم لنخرجن معكم، فنزلت فيهم هذه الآية... «الدر» ٦/ ١٩٩.

ولكنهم نافقوا وباطنوا اليهود[١] فقالوا لإخوانهم أي في الدين، إنهم كفار مثلهم يعني اليهود ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ أي من المدينة ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ أي في خذلانكم وإسلامكم ﴿أَحَدًا أَبَدًا﴾ ووعدوهم[٢] النصر أيضًا بقولهم[٣]: ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ ثم كذبهم الله تعالى في ذلك فقال ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

ثم ذكر أنهم يخلفونهم ما وعدوهم من الخروج والنصر.

١٢- قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا﴾ الآية، علم الله تعالى ما هو كائن، وما كان، وما ليس بكائن، إذا كان كيف يكون عز ربنا وجل - وقال أبو إسحاق: وقد بَانَ صدق ما قاله الله في أمر بني النضير الذين عاقدهم المنافقون وقوتلوا فلم ينصروهم. فأظهر الله ﷻ كذبهم[٤].

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ بعد قوله: ﴿لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ معناه: وإن قدر وجود نصرهم، لأن ما نفاه الله تعالى لا يجوز وجوده، ولكن يجوز أن يقال لو قدر وجوده.

قال الزجاج: معناه أنهم لو تعاطوا نصرهم، يعني أن المنافقين إن قصدوا نصر اليهود لولوا الأدبار منهزمين[٥] عن محمد ﷺ وأصحابه، ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ يعني بني النضير لايصيرون منصورين على محمد وأصحابه إذا انهزم ناصرهم الذين راموا نصرهم.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٨ ب، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٨٨.

(٢) (ك): (ووعدهم).

(٣) (ك): (بقوله).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٤٧.

(٥) انظر: المرجع السابق ٥/ ١٤٧.

وقوله: ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ بعد قوله: ﴿لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾[(١)] وقد مر.

١٣- ثم ذكر أن المنافقين خوفهم من المؤمنين أشد من خوفهم من الله فقال ﴿لَأَنتُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس: يريد هم منكم من أجل أنهم قوم لا يفقهون عظمة الله[(٢)]، وقال الفراء: هذا من صفة اليهود. يقول إنهم أهيب في صدورهم من عذاب الله عندهم، وذلك أن أهل النضير كانوا ذوي بأس شديد، فقذف الله الرعب في قلوبهم من المسلمين[(٣)].

١٤- ثم أخبر عن اليهود فقال ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ قال أبو إسحاق: أعلم الله ﷻ أنهم إذا اجتمعوا على قتال المؤمنين لم يبرزوا لحربهم، إنما يقاتلون متحصنين بالقرى والجدران[(٤)].

قوله: ﴿أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ﴾ أي لا يصحرون[(٥)] لكم ولا يقاتلون حتى يكون بينكم وبينهم حاجز من حصن أو سور.

وقراءة العامة ﴿جُدُرٍۭ﴾ على الجمع إذ ليس المعنى أنهم يقاتلونكم من وراء حجاب واحد، ولكن من وراء جدر، ولا يقاتلونكم إلا في قرى محصنة، وكما أن القرى جماعة كذلك الجدر ينبغي أن تكون جمعًا، ومن

(١) عند تفسيره الآية رقم (٣٢) من سورة الأنفال.
(٢) لم أجد هذا الأثر.
(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٤٦.
(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٤٨.
(٥) أصحر القوم إذا برزوا إلى فضاء لا يواريهم شيء. انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٢٣٥، و«اللسان» ٢/ ٤١١ (صحر).

قرأ (جدار)[١] فالمراد في الإفراد الجمع أيضًا، لأنه يعلم أنهم لا يقاتلونهم من وراء جدار واحد[٢].

قوله تعالى: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ قال ابن عباس: بعضهم فظ[٣] على بعض، والمعنى أن بعضهم عدو لبعض[٤].

وقال مجاهد ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ قال: بالوعيد، يقولون لنفعلن كذا وكذا[٥]، والمعنى على هذا أنهم يهددون المؤمنين ببأس شديد من وراء الحيطان والحصون، ثم يجبنون عن البروز للقتال، فبأسهم شديد فيما بينهم لا فيما بينهم وبين المؤمنين، فكان القول الأول أظهر.

قال أبو إسحاق: أي أنهم مختلفون لا تستوي قلوبهم ولا يتعاونون بنيات مجتمعة، لأن الله ﷻ ناصر حزبه، خاذل أعدائه[٦]، وهذا معنى قول قتادة: أهل الباطل مختلفة أهوائهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق[٧].

---

(١) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو (جِدَار) بكسر الجيم وفتح الدال وألف بعدها على الأفراد. وقرأ الباقون (جُدُر) بضم الجيم والدال من غير ألف على الجمع.
انظر: «حجة القراءات» ص٧٠٥، و«النشر» ٢/ ٣٨٦، و«الإتحاف» ص٤١٣.

(٢) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٣٨٣-٣٨٤.

(٣) الفظُّ: الخَشِنُ الكلام، وقيل: الفظ الغليظ، والفَظَظُ: خشونة في الكلام. ورجل فَظٌّ: ذو فظاظةٍ جافٍ غليظُ، في مَنطِقِه غِلَظٌ وخشونةٌ. «اللسان» ٢/ ١١١١ (فظظ).

(٤) انظر: «الكشف والبيان» ١٣/ ٩٨ ب، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٩٠، و«غرائب القرآن» ٢٩/ ٤٤.

(٥) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٩ .

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٤٨.

(٧) انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٣٢، و«الكشف والبيان» ١٣/ ٩٨ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٢٢.

وذهب المقاتلان، ومجاهد في رواية خصيف إلى أن هذا من صفة المنافقين واليهود، قالوا في قوله: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ﴾ يعني المنافقين واليهود[1] ﴿جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ﴾ مختلفة.

ثم بين سبب ذلك الاختلاف فقال ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي ذلك التشتت ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ ما فيه الحظ لهم، ثم ضرب لليهود مثلًا:

١٥- قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ والمعنى: مثلهم كمثل الذين من قبلهم، فحذف أحد المثلين، والمراد بالذين من قبلهم كفار مكة الذين قتلوا ببدر[2]، وكان ذلك قبل غزوة بني النضير بستة أشهر[3]. وهو قوله: ﴿قَرِيبًا﴾، والمعنى: تقدموا قريبًا، لأن قوله: ﴿مِن قَبْلِهِم﴾ يدل على التقدم وعلى هذا تم الكلام[4].

ثم قال ﴿ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ قال مقاتل: يعني جزاء ذنبهم، وهو القتل ببدر[5]، ويجوز أن يكون معنى القرب إلى ذوق العذاب فيكون تمام الكلام عند قوله: ﴿وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يعني في الآخرة.

---

(١) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٦٥، و«تفسير مقاتل» ١٤٨ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٢٢.

(٢) قال مجاهد ومقاتل: وقال ابن عباس: هم بنو قينقاع، وقيل: مثل قريظة كمثل بني النضير. انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٦٥، و«تفسير مقاتل» ١٤٥ أ، و«جامع البيان» ٢٨/ ٣٢، و«الكشف والبيان» ١٣/ ٩٨ ب. قال النحاس: اختلف أهل التأويل في الذين من قبلهم، هاهنا، فقال ابن عباس: هم بنو قينقاع، وقال مجاهد: هم أهل بدر، والصواب أن يقال في هذا: إن الآية عامة، وهؤلاء جميعًا ممن كان قبلهم. «إعراب القرآن» ٣/ ٤٠٢.

(٣) وهو قول الزهري رحمه الله.

(٤) وبه قال الأخفش، انظر: «القطع والارتفاق» ص٧١٨، و«المكتفى» ص٥٦٢.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٨ ب.

١٦- ثم ضرب لليهود والمنافقين مثلًا فقال قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ أي مثل المنافقين الذين غروا بني النضير بقولهم: ﴿لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ﴾ الآية، ثم خذلوهم ولم يفوا لهم ما وعدوهم ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ﴾ وهو عابد في بني إسرائيل كان يداوي من الجنون، فداوى امرأة فأعجبته فأغواه الشيطان حتى وقع بها، ثم قتلها، ثم صار آخر أمره أن كفر، فلما كفر تبرأ منه الشيطان[1]، وتلك القصة معروفة سنذكرها في «مسند التفسير» إن شاء الله، فضرب تلك القصة مثلًا للمنافقين حين غروا اليهود ثم تبرؤا منهم عند الشدة وأسلموهم. وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [الأنفال: ٤٨] الآية.

قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ذكرنا تفسيره في سورة الأنفال في قوله: ﴿وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ﴾.

١٧- ثم ذكر أنهما صارا إلى النار بقوله: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ﴾ أي عاقبة الشيطان والإنسان حين صارا إلى النار.

قوله تعالى: ﴿خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ﴾ قال الفراء: نصبه على الحال[2]. ﴿وَذَٰلِكَ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق، وابن جرير، والحاكم، وصححه، عن علي بن أبي طالب، وابن عباس. انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٨٥، و«جامع البيان» ٢٨/ ٣٣، و«المستدرك» ٢/ ٤٨٤، وقال هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي، و«تفسير مقاتل» ١٤٨ ب، ١٤٩ أ.

وقال ابن كثير: وكذا روي عن ابن عباس، وطاووس ومقاتل بن حيان، نحو ذلك، واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصا، فالله أعلم. «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٤١.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٤٦.

﴿جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال ابن عباس: يريد المكذبين[(١)].

ثم رجع إلى موعظة المؤمنين فقال:

١٨- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ قال ابن عباس: يريد الأعمال التي فيها الثواب والعقاب، والمعنى: لينظر أحدكم أي شيء قدم لنفسه[(٢)] أعملًا صالحًا أم سيئًا يوبقه[(٣)].

قال ابن إسحاق ﴿لِغَدٍ﴾ أي ليوم القيامة، وقرب على الناس كأنه يأتي غدًا[(٤)]، ومعنى الكلام في غد[(٥)].

١٩- قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾ قال ابن عباس والمقاتلان، وغيرهم: تركوا أمر الله وذكره ﴿فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ فأنساهم حظوظ أنفسهم حتى لم يعملوا لله بطاعته ولم يقدموا خيرًا، هذا معنى قول جماعة المفسرين[(٦)].

قال ابن عباس: يريد قريظة، والنضير، وبني قينقاع[(٧)] وهو قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

---

(١) لم أجده.

(٢) (ك): (إيش الذي قدم نفسه).

(٣) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٣٢٦، ولم ينسبه لقائل.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٤٩.

(٥) عند تفسيره الآية (١٢) من سورة يونس. والغدْوُ: أصلُ الغَدِ، وهو اليومُ الذي يأتي بعد يومك فحُذفت لامه ولم يستعمل تامًّا إلا في الشعر، .. وربما كُني به عن الزمن الأخير كقوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ وقوله: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾. انظر: «تهذيب اللغة» ٨/ ١٧٠، و«اللسان» ٢/ ٩٦٣ (غدا).

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٩ ب، و«جامع البيان» ٢٨/ ٣٥، و«إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٤٠٤، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٢٦، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٩١.

(٧) انظر: «زاد المسير» ٨/ ٢٢٤.

٢١- قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ الآية. قال أبو إسحاق: أعلم الله ﷻ أن من شأن القرآن وعظمته وبيانه أنه لو جعل في الجبل تمييز كما جعل فيكم وأنزل عليه القرآن لخشع، أي: تطأطأ وخضع وتشقق من خشية الله، هذا كلامه(١).

والمعنى أن الجبل على قساوته وصلابته يتشقق من خشية الله وحذرًا من أن لا يؤدي حق الله في تعظيم القرآن، والكافر مستخف بحقه معرض عما فيه من العبر والذكر كأن لم يسمعها، فهو غافل عما تضمنه القرآن من تمييز الحق من الباطل، والواجب مما لا يجب، والجائز مما لا يجوز، والأولى مما ليس بأولى بأحسن البيان وأوضح البرهان، ومن وقف على هذا أوجب ذلك له الخشوع والخشية.

قال مقاتل: يقول: فالذين هم أضعف من الجبل أولى أن يأخذوا القرآن بالخشية والمخافة(٢)، وهذا كأنه وصف للكافر بالقسوة حيث لم يلن قلبه لمواعظ القرآن الذي لو نزل على جبل لخشع، كما قال في آية أخرى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ﴾ [البقرة: ٧٤] الآية. وهذه الآية تمثيل، لأن الجبل لا يتصور منه الخشوع إلا أن يخلق الله له تمييزًا يدل على أنه تمثيل ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ قال مقاتل: ضرب الله ذلك مثلًا(٣)، وكذلك قال غيره(٤).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٥٠.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٩ ب.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٩ ب.

(٤) وروى نحوه عن ابن عباس، وقتادة. انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٣٥، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٤٣.

ثم أخبر بربوبيته وعظمته فقال:

٢٢- ﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾ وهو ظاهر التفسير ماض فيما سبق[١] إلى قوله: ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾ قال المفسرون: هو الطاهر من كل عيب، المنزه مما لا يليق به[٢]، ومضى الكلام فيه عند قوله: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] وروى عطاء عن ابن عباس في قوله: ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾ الذي منه البركات[٣]، وهو قول قتادة، قال: ويقال أرض مقدسة، أي مباركة[٤]، وقوله: ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ ذكروا فيه قولين:

أحدهما: أنه الذي سلم من النقص والعيب[٥].

والآخر: أنه الذي سلم خلقه من ظلمه[٦].

وكلا القولين قد تقدم بيانه عند قوله: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾[٧]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾[٨].

٢٣- قوله تعالى: ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ ذكره[٩] المفسرون وأهل اللغة فيه قولين:

---

(١) انظر: «تفسير غريب القرآن» ص٦، ١٩، و«الأسماء والصفات» للبيهقي ص ٥٧.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٠أ، و«الكشف والبيان» ١٣/ ١٠٢ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٢٦.

(٣) وفي «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٩٣، قال الحسن: إنه الذي كثرت بركاته.

(٤) انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٣٦، الكشف والبيان» ١٠٢ ب، ولفظه (المبارك).

(٥) انظر: «تفسير غريب القرآن» ص٦، و«الأسماء والصفات» للبيهقي ١/ ١٠١، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٢٦، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٤٣، وهو المعتمد عنده، حيث قال: ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ أي من جميع العيوب، والنقائض لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله.

(٦) قاله قتادة، ومقاتل: انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٠ أ، و«جامع البيان» ٢٨/ ٣٦، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٥٠، و«الأسماء والصفات» للبيهقي ١/ ١٠٢.

(٧) عند تفسيره الآية (١٢٧) من سورة الأنعام.

(٨) عند تفسيره الآية (٢٥) من سورة يونس.

(٩) في (ك): (ذكره).

أحدهما: أن المؤمن في صفة الله تعالى معناه الذي آمن أولياءه عذابه[١]، يقال: آمنه يؤمنه فهو مؤمن، ومنه قوله:

والمؤمنِ العائذاتِ الطَّيرَ يَمْسَحُها رُكْبانُ مكة بين الغيل والسَّنَد[٢]

حلف بالله الذي آمن طير مكة فلا ينفر عن أن يمسحها الركبان، وهذا من الإيمان الذي هو ضد التخويف.

قال الكلبي: المؤمن الذي لا يخاف ظلمه[٣].

وقال مقاتل: هو الذي يؤمن أولياءه[٤].

القول الثاني: أن معنى المؤمن في صفته تعالى: المصدق[٥] على معنى أنه يصدق أنبياءه بإظهار المعجزة لهم، ويصدق المؤمنين إذا وحدوه. وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء[٦]. وذكرنا الإيمان بمعنى التصديق في مواضع.

قال ابن الأنباري: سمعت أحمد بن يحيى يقول: المؤمن عند العرب المصدق[٧]، فذهب إلى أن الله تعالى مصدق عباده المسلمين يوم القيامة،

---

(١) وهو المروي عن ابن عباس، وابن جريج، وزيد بن علي. انظر: «تنوير المقباس» ٦/ ٤٧، و«الكشف والبيان» ١٣/ ١٠٢ ب، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٤٣.

(٢) البيت للنابغة الذبياني. انظر: «ديوانه» ٢٥، و«الخزانة» ٢/ ٣١٥، و«شرح المفصل» ٣/ ١١، ومعنى العائذات: التي عاذت بالحرم، والغيل، الشجر الملتف، ورواية «الديوان» (نسعد) بدل «السند»، و«الأسماء والصفات» للبيهقي ١/ ١٦٥-١٦٦.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٥٠، ذكر نحوه ولم ينسبه.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل»: ١٥٠ أ. (٥) (ك): (المتصدق).

(٦) ذكره المفسرون عن الضحاك، وابن زيد. وانظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٣٦، و«الكشف والبيان» ١٣/ ١٠٢ ب، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٤٣.

(٧) في (ك): (المتصدق). وانظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٤٠٧، و«اللسان» ١/ ١٠٨ (أمن).

وذلك أن المفسرين قالوا: إذا كان يوم القيامة سأل الله تعالى الأمم عن تبليغ الرسل فيقولون[١]: يا ربنا ما جاءنا رسول ولا نذير فيكذبون أنبياءهم، ويؤتى بأمة محمد ﷺ فيسئلون عن ذلك فيصدقون نبيهم والأنبياء الماضين، فيصدقهم الله تعالى عند ذلك[٢]، فالمؤمن المصدق لعباده كما قال تعالى ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١] معناه: يصدق الله ويصدق المؤمنين[٣].

قوله تعالى: ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ قال ابن عباس: الشاهد الذي لا يغيب عنه شيء، وهو قول قتادة، ومجاهد، قالوا: معناه الشهيد على عباده بأعمالهم[٤]، وعلى هذا أصله من قولهم: هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيبًا على الشيء[٥]. وهو قول الخليل، وأبي عبيد.

وذهب كثير من المفسرين وأهل المعاني على أن المهيمن مؤيمن على الأصل من أمن يؤمن، فيكون بمعنى المؤمن[٦]، وقد ذكرنا استقصاء هذا عند قوله: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨] قال ابن الأنباري: المهيمن القائم على خلقه برزقه وأنشد:

---

(١) في (ك): (فيقول).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٤٠٧، و«اللسان» ١/ ١٠٩ (أمن).

(٣) انظر: «اللسان» ١/ ١٠٩ (أمن).

(٤) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٨٥، و«جامع البيان» ٢٨/ ٣٦، و«إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٤٠٧، و«الكشف والبيان» ١٣/ ١٠٣ أ.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ٦/ ٣٣٤ (همن)، و«إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٤٠٧، و«زاد المسير» ٨/ ٢٢٦، و«روح المعاني» ٦/ ١٥٢.

(٦) انظر: تفسير «غريب القرآن» ص١١-١٢، و«معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٥٠، و«إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٤٠٧.

ألا إن خير الناس بعد نبيه مهيمنه التاليه في العرف والنكر

قال معناه: القائم على الناس بعده[١]. وقال ابن كيسان في المهيمن: الله أعلم بتأويله[٢].

قوله تعالى: ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ له معان في صفة الله تعالى، قال ابن عباس: هو العظيم، وجبروت الله عظمته[٣]، وعلى هذا القول: الجبار الملك. والجبابرة الملوك ومنه الحديث «**جلد الكافر في النار كثافته أربعون ذراعًا بذراع الجبار**»، وهذا كما يقال: كذا ذراعًا بذراع الملك، والجبر في كلام العرب الملك ومنه قول الشاعر:

وانعم صباحًا أيها الجبر[٤]

أراد: أيها الملك. والعرب تسمي الجوزاء الجبار، تشبيهًا لها بالملك، لأنها في صورة رجل على كرسي وعليه تاج، ويجوز أن يكون الجبار في صفة الله تعالى من جبر إذا أغنى الفقير، وأصلح الكسير.

قال الأزهري: وهو لعمري جابر[٥] كسير وفقير، وهو جابر دينه

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ٦/ ٣٣٤، و«اللسان» ٣/ ٨٣٣ (همن)، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٩٣.

(٢) انظر: «الكشف والبيان» ١٣/ ١٠٣ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٢٧.

(٣) انظر: «الكشف والبيان» ١٣/ ١٠٣ أ، و«زاد المسير» ٨/ ٢٢٧، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٩٤.

(٤) وصدره:

أَسْلَمْ براووُقٍ حُييتَ به

والبيت لعمرو بن أحمر، وقد ورد منسوبًا في «الخصائص» ٢/ ٢١، «المحتسب» ١/ ٩٧، و«تهذيب اللغة» ١١/ ٥٩، و«اللسان» ١/ ٣٩٥ (جبر).

(٥) (ك): (على).

الذي ارتضاه كما قال العجاج:

قد جبر الدين الإله فجبر[1]

قال اللحياني: يقال جبرت اليتيم والفقير أَجْبُرُه جَبْرًا وجُبُورًا، فَجَبَرَ يَجْبُرُ جُبُورًا، وانْجَبَرَ، واجْتَبَرَ بمعنى واحد[2].

ويجوز أن يكون الجبار من جبره على كذا إذا أكرهه على ما أراد. قال السدي: هو الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما أراد[3]. ونحو ذلك قال مقاتل[4]، وهو من جبرته على الأمر أجبره جبرًا وجبورًا[5].

وكان الشافعي -رحمه الله- يقول: جبره السلطان على كذا بغير ألف[6].

وجعل الفراء الجبار بهذا المعنى من أجبر، وهي اللغة المعروفة في الإكراه، فقال: لم أسمع فعالًا من أفعل إلا في حرفين، وهما جبار من أجبر، ودراك من أدرك[7]. وعلى هذا القول الجبار معناه: القهار الذي يجبر على ما يريد.

قال القرظي: إنما سمي الجبار، لأنه جبر الخلق على ما أراد.

---

(١) «ديوان العجاج» ص١٥، وصدره:

وعور الرحن من ولى العور

و«الخصائص» ٢/ ٢٦٣، و«اللسان» ١/ ٣٩٦ (جبر)، و«شرح الأشموني لألفية ابن مالك» ٤/ ٢٤١.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» ١١/ ٦٠ (جبر).

(٣) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ١٠٣ أ، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٩٣ .

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٠ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٢٧.

(٥) انظر: «اللسان» ١/ ٣٩٦ (جبر).

(٦) انظر: «اللسان» ١/ ٣٩٦، وقال ابن منظور: وهو حجازي وفصيح.

(٧) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٩٣-٢٩٤، و«البحر المحيط» ٨/ ٢٥١ .

والخلق أرق شأنا من أن يعصوا ربهم طرفة عين إلا بما أراد[(١)] وهذا القول هو اختيار الزجاج، لأنه قال: تأويله الذي جبر الخلق على ما أراد[(٢)].

وقال ابن الأنباري: الجبار في صفة الله: الذي لا ينال، ومنه قيل للنخلة التي فاتت يد المتناول: جبارة[(٣)].

هذا الذي ذكرنا معاني الجبار في صفة الله تعالى، وللجبار معان في صفة الخلق:

أحدهما: المسلط كقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥].

والثاني: القوي العظيم الجسم، كقوله: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ [المائدة: ٢٢].

وقوله: ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا﴾ [القصص: ١٩].

والثالث: التكبر على عبادة الله، كقوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢].

والرابع: القتال كقوله: ﴿بَطَشْتُم جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٠].

وقوله: ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾، ذكر ذلك ابن الأنباري[(٤)]. ومضى الكلام على كل واحد في موضعه.

قوله: ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ قال ابن عباس: الذي تكبر بربوبيته فلا شيء مثله[(٥)].

---

(١) انظر: «الكشف والبيان» ١٣/ ١٠٣ أ، و«الدر» ٦/ ٢٠٢.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٥١.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ١١/٥٨ (جبر)، و«اللسان» ١/ ٣٩٥ (جبر)، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٩٤.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ١١/ ٥١، و«اللسان» ١/ ٣٩٥ (جبر)، وقد نسباه للحياني.

(٥) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٩٤.

وقال مقاتل: المتعظم عن كل سوء[١]، وهو قول قتادة: الذي تكبر عن كل سوء[٢].

وقال أبو إسحاق: الذي تكبر عن ظلم عباده[٣].

قال ابن الأنباري: المتكبر ذو الكبرياء، والكبرياء عند العرب: الملك، ومنه قوله: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[٤].

وقال أهل المعاني: المتكبر في صفة الله تعالى معناه الكبرياء فإنه أجل من أن يتكلف كبرًا، والعرب تضع يفعل في موضع فعل، يقولون: تظلم بمعنى ظلم، ومنه قول الجعدي:

وما يشعر الرُّمْحُ الأصم كُعوبُه بثروة رهط الا ثلج المتظلمِ[٥]

ويقولون لشتم الرجل إذا شتم، قال الشاعر:

فقل لزهيرٍ إن شَتَمْتَ سَرَاتَنا فلسنا بشَتَّامين للمُتَشَتِّمِ[٦]



---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٠ أ، ولفظه: (المتعظم على كل شيء).

(٢) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٨٥، و«جامع البيان» ٢٨/ ٣٧.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٥١.

(٤) من آية (٧٨) من سورة يونس. وانظر: «تهذيب اللغة»، و«اللسان» (كبر) عن ابن الأنباري.

(٥) «ديوان النابغة» ص١٤٤، و«كتاب سيبويه في شرح شواهده» للأعلم ١/ ٢٣٧، و«الأغاني» ٤/ ١٣٩، و«السبع الطوال» ص٣٤٧، و«شروح سقط الزند» صس٥٩٢، و«اللسان» (ظلم).

(٦) والبيت لمعبد بن علقمة. انظر: «الحماسة» لأبي تمام ١/ ٣٦٢.

سورة الممتحنة

سورة الامتحان[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ قال جماعة أهل التفسير: نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى مشركي قريش يخبرهم بمسير النبي ﷺ إليهم لما قصد فتح مكة، فأنزل الله ينهاه عن موالاة الكفار[٢].

قوله تعالى: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ قال صاحب النظم: هو وصف للنكرة التي هي أولياء[٣] - وهو قول الفراء. قال: وهو كقولك: لا تتخذنه رجلًا تلقي إليه كل ما عندك -[٤] قال: ويجوز أن تجعله ابتدأ كلام فلا يكون صلة لأولياء[٥].

(١) وبهذه التسمية قال مقاتل، وتسمى سورة المودة أيضًا، والمشهور في تسميتها «سورة الممتحنة» بفتح الحاء، وقد تكسر فعلى الأول هي صفة المرأة، وعلى الثاني صفة السورة. انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٠ب، و«فتح الباري» ٨/ ٦٣٣، و«روح المعاني» ٢٨/ ٦٥.

(٢) أخرجه عامة المفسرين وأصحاب كتب السنة. انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٠ب، و«تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٨٦، و«جامع البيان» ٢٨/ ٣٨، و«أسباب النزول» للواحدي ص٤٨٥، و«فتح الباري» ٨/ ٦٣٣-٦٣٤، «صحيح مسلم»، فضائل الصحابة، «سنن الترمذي»، كتاب التفسير، و«الدر» ٦/ ٣٠٢

(٣) انظر: «مشكل إعراب القرآن» ٢/ ٧٢٨، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٩٧.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٤٩.

(٥) انظر: «الكشاف» ٤/ ٨٦، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٩٧.

قال الفراء، وأبو عبيدة، والكسائي: الباء في ﴿بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ زيادة كهي في قوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾[١] وأنشد أبو عبيدة قوله:

هُنَّ الحرائرُ لا رَبَّاتُ أَخْمِرَةٍ سُودُ المحاجِرِ لا يقرأْنَ بالسُّوَرِ[٢]

قال: الباء فصل، والمعنى: لا يقرأن السور.

وقال الكسائي: يقال: رميت إليه بما في قلبي، وما في نفسي وألقيت إليك ما في نفسي وبما في نفسي كلام عربي[٣].

وقال أبو إسحاق: المعنى يلقون إليهم أخبار النبي ﷺ وسره بالمودة التي بينكم وبينهم، ودليل هذا القول قوله: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾[٤].

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟﴾ الواو[٥] للحال، لأن المعنى: وحالهم أنهم كفروا[٦].

﴿بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ قال مقاتل: يعني القرآن[٧].

---

(١) من الآية (٢٥) من سورة الحج. وانظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٤٧، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٤٢٢ (لحد) ونسبه لبعض أهل اللغة.

(٢) والحرائر: جمع حرة، والربات: رَبّة بمعنى الصاحبة. والأحمرة: جمع حمار، وروى: أخمرة. وسود المحاجر: الإماء السود، والمحاجر: جمع محجر وهو من الوجه حيث يقع عليه النقاب. ولم أجد البيت عند أبي عبيدة. وفي اللسان (لحد) نسبه لحميد الأرقط. وهو في «ديوان الراعي» ص ١٠١ وانظر: «مجالس ثعلب» ص٣٦٥، و«جمهرة اللغة» ٣/ ٤١٤، ونسبه للقتال الكلابي، وهو في «ديوانه» ص ٥٣، وفي «معجم البلدان» ٤/ ٢٣٧، ونسبه للقتال.

(٣) انظر: «إيضاح الشعر» للفارسي ص٤٨١، و«اللسان» ٣/ ٤٢ (قرأ).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٥٥.

(٥) في (ك): (والواو).

(٦) انظر: «الكشاف» ٤/ ٨٦.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥١أ.

﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ يعني من مكة ﴿أَن تُؤْمِنُوا۟﴾ أي لأن تؤمنوا[(١)] كأنه قال: يفعلون ذلك لإيمانكم بالله ربكم.

قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ﴾ قال الزجاج: هو شرط جوابه متقدم، وهو قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾.[(٢)]

قوله: ﴿جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى﴾ منصوبان لأنهما مفعولان لهما[(٣)].

وقوله: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ قال مقاتل: بالنصيحة[(٤)]. والكلام في الباء ها هنا كما ذكرنا[(٥)].

ثم ذكر أنه لا يخفى عليه من أحوالهم شيء، فقال: ﴿وَأَنَا۠ أَعْلَمُ﴾ أي: من كل أحد ﴿بِمَآ أَخْفَيْتُمْ﴾ من المودة للكفار ﴿وَمَآ أَعْلَنتُمْ﴾ أي أظهرتم بألسنتكم منها، ويجوز أن يكون عامًا في كل ما يخفى ويعلن.

﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ﴾ يجوز رجوع الكناية إلى الإسرار وإلى الإلقاء، وإلى اتخاذ الكفار أولياء، لأن هذه الأفعال قد ذكرت وهي تدل على المصادر[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ قال ابن عباس: قصد

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٤٩، و«إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٤١٢.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٥٦.

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٤١٢، و«مشكل إعراب القرآن» ٢/ ٧٢٨.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥١ أ، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٩٨.

(٥) انظر: «تفسير غريب القرآن» ص٤٦١.

(٦) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٤١٢، و«الكشاف» ٤/ ٨٦، و«زاد المسير» ٨/ ٢٣٣، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٩٨.

الإيمان[١]. وقال مقاتل: فقد أخطأ قصد الطريق[٢].

٢- ثم أخبر المؤمنين بعداوة كفار مكة إياهم فقال: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾ قال ابن عباس: إن يظفروا بكم[٣].

وقال مقاتل: إن يظهروا عليكم[٤]، والمعنى إن يصادفوكم ويلقوكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالضرب[٥] ﴿وَأَلْسِنَتَهُم﴾ بالشتم ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ كما كفروا وأن[٦] ترجعوا إلى دينهم. والمعنى: أن أعداء الله لا يخلصون المودة لأولياء الله لما بينهم من الخلاف الذي يوجب المباينة[٧] فلا ينفعكم التقرب إليهم بنقل أخبار النبي ﷺ.

٣- قوله: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ لما عوتب حاطب على ما فعل اعتقد بأن له أرحامًا وأولادًا فيما بينهم وليس له[٨] هناك من يمنع عشيرته، فأراد أن يتخذ عندهم يدًا ليحسنوا إلى من خلفهم بمكة من عشيرته، فقال الله تعالى: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾[٩] التي بمكة، أعلم الله أن أهلهم

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، وانظر: «تنوير المقباس» ٦/ ٥١.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥١ أ.

(٣) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٩٩، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٣٠، ولم ينسبه لقائل.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥١ أ، و«الكشف والبيان» ١٣/ ١٠٦ ب، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٩٩.

(٥) وقال غيره بالقتل والضرب. ولعله الأقرب إلى معني الآية. انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٤٠، و«الكشف والبيان» ١٣/ ١٠٦ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٣٠.

(٦) في (ك): (واس).

(٧) في (ك): (السلفة).

(٨) في (ك): (وأن له).

(٩) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٩٩.

وأولادهم لا ينفعونهم شيئًا، والمعنى على هذا (ذوو أرحامكم) يعني القرابات.

قال المفسرون: يقول لا يدعونكم قراباتكم وأولادكم التي بمكة إلى خيانة رسول الله ﷺ والمؤمنين فلن ينفعكم أولئك الذين عصيتم الله لأجلهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ﴾ الله ﴿بَيْنَكُمْ﴾ فيدخل أهل طاعته والإيمان به الجنة، وأهل معصيته والكفر به النار.

وقوله: ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يجوز أن يكون ظرفًا لقوله: ﴿لَن يَنفَعَكُمْ﴾ ويجوز أن يكون ظرفًا ليفصل في قوله: ﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾[1] أي الله تعالى. ودل على اسم الله قوله: ﴿وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ﴾، وهذه قراءة عاصم. وقرأ ابن كثير (يُفصَل) بضم الياء وفتح الصاد مخففة، والمعنى راجع إلى الله تعالى، لأنه وإن لم يسم فاعله معروف أنه يفصل، وهو خير الفاصلين، كما أن قوله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧] معناه: خلق الله الإنسان وقرئ[2] من التفصيل بالوجهين اللذين ذكرناهما في الفصل وهو يقتضي تكثير هذا الفعل[3].

قوله: ﴿بَيْنَكُمْ﴾ ظرف على معنى الذي بينكم كقوله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٤١٢-٤١٣، و«مشكل إعراب القرآن» ٢/ ٧٢٨

(٢) في (ك): (وقرئ من) والصواب: وقرئ (يُفَصّل).

(٣) قرأ عاصم، ويعقوب (يَفْصِلُ) بفتح الياء وكسر الصاد مخففة مع إسكان الفاء. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر (يُفْصَلُ) بضم الياء وفتح الصاد مع إسكان الفاء وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف (يُفَصِّلُ) بضم الياء وفتح الفاء وكسر الصاد وتشديدها. وقرأ ابن عامر (يُفَصَّلُ) بضم الياء وفتح الصاد مع التشديد. انظر: «حجة القراءات» ص٧٠٦، و«الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٨٥-٢٨٦، «النشر» ٢/ ٣٨٧، «الإتحاف» ص٤١٤.

بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٥٤] في قراءة من نصب، ومن لم يسند الفعل إلى الله وقرأه على غير تسمية الفاعل فقوله: ﴿بَيْنَكُمْ﴾ يجوز أن يكون ظرفًا كما ذكرنا.

قال أبو علي: وكان أبو الحسن يذهب في هذا النحو إلى أن الظرف أقيم مقام الفاعل، وترك على الفتح الذي كان يجري عليه في الكلام يجريه في أكثر الكلام منصوبًا، فاللفظ على هذا القول مفتوح، والموضع رفع كما كان اللفظ في قوله: ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ٥٢] وما جائني من رجل، مجرورًا، والموضع موضع رفع[(١)].

قال ابن عباس في هذه الآية: لا يجمع بين كافر ومؤمن[(٢)].

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يعني بما عمل حاطب من مكاتبة أهل مكة، (بصير) حين أخبر نبيه ﷺ بذلك[(٣)].

٤- ثم ضرب لهم إبراهيم - صلى الله عليه - مثلًا حين تبرأ من قومه ونابذهم وباغضهم وهو قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، والأسوة: ما يؤتسى[(٤)] به مثل القدوة، والقدوة لما يقتدى به. ويقال: ائتسِ به، أي: اقتد به، وكن مثله. ويقال هو أسوتك، أي: أنت مثله وهو مثلك، وتجمع الأسوة والإسوة أسي. فالأسوة اسم لكل ما يقتدى به. ومن يقتدى به أسوة أيضًا. يقال: فلان أسوة في هذا الأمر. وقدوة: أي يؤتسى[(٥)] ويقتدى به

---

(١) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٨٥.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٦/ ٥١، ولفظه (يفرق بينكم وبين المؤمنين يوم القيامة).

(٣) رواه عبد بن حميد، عن مجاهد. «الدر» ٦/ ٢٠٥.

(٤) في (ك): (يأتس).

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ١٣/ ١٣٩ (أسى)، و«اللسان» ١/ ٦٣ (أسا)، و«المفردات» ص١٨ (أسا).

ولك به أسوة. أي: ائتساء، وفي فلان أسوة، أي: يتأسى به[١].

قال المفسرون: أعلم الله ﷻ أن إبراهيم وأصحابه تبرأوا من قومهم وعادوهم وقالوا لهم ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ﴾ وأمر أصحاب رسول الله ﷺ أن يتأسوا بهم وبقولهم. قال الفراء: يقول أفلا تأسيت يا حاطب بإبراهيم فتتبرأ من أهلك كما برئ إبراهيم ﷺ[٢].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ قال ابن عباس: كان لهم أسوة حسنة في صنع إبراهيم كله إلا في استغفاره لأبيه وهو مشرك[٣].

وقال مجاهد: نهوا أن يتأسوا باستغفار إبراهيم لأبيه فيستغفروا للمشركين. وقال قتادة: يقول ائتسوا بأمره[٤] كله إلا في استغفاره لأبيه فلا تأتسوا به في ذلك، لأنه كان عن موعدة منه، فلما تبين له إقامته على الكفر تبرأ منه[٥].

وقال مقاتل: يقول الله: تبرأوا من كفار قومكم، فإن لكم أسوة حسنة في إبراهيم ومن معه من المؤمنين في البراءة من قومهم المشركين، وليس

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٤٩.

(٢) أخرجه ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، وصححه من طريق سعيد بن جبير. «الدر» ٦/ ٢٠٥.

(٣) أخرجه ابن جرير، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والحاكم، وصححه عن ابن عباس. انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٤١، و«الدر» ٦/ ٢٠٥، و«تفسير مجاهد» ٢/ ٦٦٧.

(٤) في (ك): (يإبراهيم).

(٥) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٨٧، و«جامع البيان» ٢٨/ ٤١، و«تفسير غريب القرآن» ص٤٦١، و«البحر المحيط» ١/ ٢٥٤، ونسبه لقتادة، ومجاهد، وعطاء الخراساني.

لكم أسوة في إبراهيم في الاستغفار لأبيه فتقتدوا به في الاستغفار للمشركين[(١)][(٢)]، هذا الذي ذكرنا هو قول جماعة المفسرين.

وقال ابن قتيبة: يريد أن إبراهيم عاداهم وهجرهم في كل شيء إلا في قوله لأبيه لأستغفرن له[(٣)]، قال ابن الأنباري: ليس الأمر على ما ذكره، بل المعنى: قد كان لكم أسوة حسنة في كل شيء فعله إبراهيم إلا في قوله لأبيه ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ فإن هذا مما لا يجب أن تتأسوا به فيه[(٤)].

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ هذا من قول إبراهيم لأبيه، يقول: ما أغني عنك شيئًا وما أدفع عنك عذاب الله إن أشركت به وعصيته، فوعده[(٥)] الاستغفار رجاء إسلامه، وأن ينقله الله بالاستغفار من الكفر إلى الإيمان، وذكر أنه لا يغني عنه شيئًا سوى أن يستغفر له على رجاء أن يسلم. وهذه القصة مشروحة في آخر سورة براءة[(٦)].

٥- قال ابن عباس: وكان من دعاء إبراهيم وأصحابه قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[(٧)] قال مجاهد: لا تعذبنا بأيديهم، ولا بعذاب من عندك فيقولوا[(٨)]: لو كان

---

(١) في (ك): (استغفار المشركين).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٧ ب.

(٣) انظر: «تأويل المشكل» ص٢٧٧.

(٤) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٣٠٠.

(٥) في (ك): (بوعده).

(٦) عند تفسيره الآية (١١٤) من سورة براءة.

(٧) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٣٠١.

(٨) (ك): (فيقولون).

هؤلاء على الحق ما أصابهم هذا[١].

قال أبو إسحاق: معناه لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على حق فيفتتنوا بذلك[٢].

وقال الفراء: يقول لا تظهر علينا الكفار فيروا أنهم على حق وإنا على باطل[٣].

وقال مقاتل: لا تقتر علينا الرزق وتبسط لهم فيكون ذلك فتنة لهم[٤]. ونحو هذا قال الكلبي في أحد قوليه، وقال في القول الثاني: الذين كفروا أهل مكة أي لا تذللنا لمشركين ولا تسلطهم علينا يفتنوننا عن ديننا ويعذبوننا. وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء[٥]، وعلى هذا ليست الآية من قول إبراهيم وأصحابه، وكأنه قيل لأصحاب النبي ﷺ قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فأضمر القول.

٦- ثم أعاد ذكر الأسوة تأكيدًا للكلام فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ﴾ أي في إبراهيم والذين معه من المؤمنين ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ قال ابن عباس: كانوا يبغضون من خالف الله ويبغضون أعمالهم ويحبون من أحب الله[٦].

---

(١) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٦٧، و«جامع البيان» ٢٨/ ٤٢، و«الدر» ٦/ ٢٠٥.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٥٧، وهو قول قتادة كما ذكره الطبري في جامعه ٢٨/ ٤٢.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٥٠.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥١ ب، ولفظه: (لا تقتر علينا بالرزق وتبسط لهم في الرزق فيحتاج إليهم فيكون ذلك فتنة لنا).

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ٦/ ٥٢، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٣٠٢، وصدر هذه الأقوال بقيل دون نسبة لقائل.

(٦) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٣٠٢.

قوله تعالى: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾ بدل من قوله: ﴿لَكُمْ﴾[(١)]، وبيانه أن هذه الأسوة لمن يخاف الله ويخاف عقاب الآخرة، ويخشى اليوم الذي[(٢)] فيه جزاء الأعمال ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ أي: يعرض عن الائتساء بهم ويميل إلى موالاة الكفار ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن خلقه ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ إلى أوليائه وأهل طاعته.

٧- قال مقاتل: فلما أمر الله المؤمنين بعداوة الكفار والبراءة منهم، عادوا أقرباءهم وأرحامهم، وأظهروا لهم العداوة، وعلم الله شدة وجد المؤمنين في ذلك فأنزل قوله: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ أي من كفار مكة مودة، وفعل ذلك بأن أسلم كثير منهم وخالطوا المسلمين وناكحوهم وتزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان فلان لهم أبو سفيان[(٣)].

وقال ابن عباس في قوله: ﴿وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ يريد نفرًا من قريش آمنوا بعد فتح مكة منهم أبو سفيان بن حرب، وأبو سفيان بن الحارث[(٤)]،

---

(١) انظر: «الكشاف» ٤/ ٨٧.

(٢) قوله (الذي) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥١ ب، «الكشف والبيان» ١٣/ ١٠٧ ب، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٣٠٢.

(٤) أبو سفيان بن الحارث، كان أخا رسول الله ﷺ من الرضاعة، وكان يحب الرسول ﷺ قبل البعثة، ثم انقلبت محبته إلى عداوة، وكان شاعرًا يهجو الرسول وأصحابه. أسلم عام الفتح وأبلى في حنين ﷺ مات سنة (٢٠هـ) وقيل: بعد استخلاف عمر بسنة وسبعة أشهر. انظر: «صفة الصفوة» ١/ ٥١٩، و«سير أعلام النبلاء» ١/ ٢٠٢.

والحارث بن هشام[١]، وسهيل بن عمرو[٢]، وحكيم بن حزام.

﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على جعل المودة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بهم إذا تأبوا وأسلموا ورجعوا.

٨- قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ اختلفوا في المراد بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ فالأكثرون على أنهم أهل العهد الذين عاهدوا رسول الله ﷺ على ترك القتال والمظاهرة في العداوة وهم خزاعة. وكانوا عاقدوا النبي ﷺ أن لا يقاتلوه ولا يخرجوه، فأمر النبي ﷺ بالبر والوفاء لهم إلى مدة أجلهم. وهذا قول المقاتلين[٣].

وروى مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير[٤] عن أبيه أنه قال:

---

(١) الحارث بن هشام، أخو أبي جهل، شهد بدرًا مع المشركين فانهزم، وأسلم يوم فتح مكة، وخرج في زمن عمر إلى الشام، ولم يزل مجاهدًا حتى مات في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة. انظر: «المعارف» ٢٨٢، و«سير أعلام النبلاء» ٤/ ٤١٩، و«الإصابة» ١/ ٢٩٣، و«الاستيعاب» ١/ ٣٠٧، و«تهذيب ابن عساكر» ٤/ ٨.

(٢) سهيل بن عمرو، أسلم بالجعرانة، بعد غزوة حنين، وخرج إلى الشام في خلافة عمر فمات بها في طاعون عمواس، وهو نائب قريش في صلح الحديبية مع رسول الله ﷺ انظر: «المعارف» ص٢٨٤، و«سير أعلام النبلاء» ١/ ١٩٢، و«أسد الغابة» ٢/ ٣٧١، و«الإصابة» ٢/ ٩٣، و«الأعلام» ٣/ ١٤٤.

(٣) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٣٠٣، ولم ينسبه لقائل، وانظر: «تفسير مقاتل» ١٥٢أ، الإيضاح لناسخ القرآن لمكي: ٤٣٢، ونسبه للحسن، و«الكشف والبيان» ١٣/ ١٠٨ أ، ونسبه لابن عباس، وكذا البغوي في تفسيره ٤/ ٣٣١، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٣٠٤، ونسبه لابن عباس، والمقاتلين، والكلبي.

(٤) هو مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير. روى عن أبيه، وعطاء، وطائفة، ضعفه ابن معين. وقال ابن حجر: كان لين الحديث عابدًا، توفي سنة (١٥٧هـ). انظر: =

قدمت قتيلة بنت عبد العزى[(١)(٢)] على ابنتها أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنها- على ابنتها أسماء بهدايا وهي كافرة فأبت أسماء أن تقبل منها وتدخلها منزلها، وأرسلت إلى عائشة لتسأل لها رسول الله ﷺ أن تقبل هداياها وتدخلها منزلها فأنزل الله هذه الآية[(٣)]، وعلى هذا القول المراد بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ﴾ النساء والصبيان.

وقال ابن عباس: يريد قومًا من بني هاشم منهم العباس أخرجوا يوم بدر كرهًا، وهذا قول مرة، وعطية[(٤)].

قوله تعالى: ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ قال أبو إسحاق: أن في موضع خفض بدل من الذين، المعنى لا ينهاكم الله عن أن تبروا الذين لم يقاتلوكم في الدين. وهذا يدل على أن المراد لا ينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم[(٥)].

= «تهذيب التهذيب» ١٠/ ١٥٨، «الجرح والتعديل» ٨/ ٣٠٤، و«شذرات الذهب» ١/ ٢٤٣، «سير أعلام النبلاء» ٧/ ٢٩، «تقريب التهذيب» ٢/ ٢٥٠.

(١) هي قتيلة بنت عبد العزى، كانت أمرأة لأبي بكر ﷺ فطلقها في الجاهلية. انظر: «البحر المحيط» ٨/ ٢٥٥.

(٢) في (ك): (قدمت قتيلة بنت أسماء).

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» ٢/ ٤٨٥، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وفي «مجمع الزوائد» ٧/ ١٢٣، من رواية أحمد، والطبراني، والبزار. وقال: وفيه مصعب بن ثابت، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، وبقية رجاله رجال الصحيح. وفي «تخريجات الكشاف» ص١٦٨، قال ابن حجر: (وحديث أسماء في الصحيحين عن عروة بغير هذا السياق). وانظر: «أسباب النزول» للواحدي ص٤٨٨، و«الدر» ٦/ ٢٠٥.

(٤) انظر: «الكشف والبيان» ١٣/ ١٠٨ أ، و«زاد المسير» ٨/ ٢٣٧، و«روح المعاني» ٢٨/ ٧٥.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٥٧

قال أهل التأويل: وهذه الآية تدل على أن[١] جواز البر بين المسلمين والمشركين، وإن كانت المودة منقطعة فإن الله تعالى أباح ذلك في هذه الآية[٢].

قوله تعالى: ﴿وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ﴾ قال ابن عباس: يريد بالصلة وغير ذلك[٣] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ يريد أهل البر والتواصل.

وقال المقاتلان: أن توفوا لهم بعهدهم وتعدلوا[٤].

قال أبو إسحاق: أي وتعدلوا فيما بينكم وبينهم من الوفاء بالعهد[٥].

وقال المبرد: يقال: أقسطت إلى الرجل إذا عاملته بالعدل.

وقال مجاهد: هذه الآية نزلت في الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا[٦] وهذا قول الربيع في الآية.

٩- ثم ذكر من الذين ينهاهم عن صلتهم فقال قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ إلا قوله: ﴿أَن تَوَلَّوْهُمْۚ﴾ أن في موضع

---

(١) في (ك): (على أن) والصواب حذفها.

(٢) والآية محكمة في قول مجاهد، والحسن، وهو المعتمد عند ابن جرير، وغيره. انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٤٣، «الإيضاح لناسخ القرآن لمكي» ص٤٣١، نواسخ القرآن لابن الجوزي: ٢٣٩، وقال النحاس: (وليس لقول من قال إنها منسوخة معنى، لأن البر في اللغة إنما هو لين الكلام والمواساة وليس هذا محظورًا أن ينقله أحد بكافر ...). «إعراب القرآن» ٣/ ٤١٦.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٦/ ٥٤، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٣٠٤.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٢ أ، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٢٠٤.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٥٨.

(٦) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٦٨، و«جامع البيان» ٢٨/ ٤٣، و«الدر» ٦/ ٣٠٥.

خفض على البدل كما ذكرنا في الآية الأولى[١]، والمعنى: إنما ينهاكم الله عن أن تتولوا هؤلاء الذين قاتلوكم. قال أبو إسحاق: أي أن مكاتبتهم بإظهار ما أسره النبي ﷺ موالاة[٢].

١٠- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ الآية. قال جماعة المفسرين لما قاضى رسول الله ﷺ عام الحديبية المشركين على أن يرد إليهم من جاء من المسلمين منهم ولا يردون من جاءهم من المسلمين وكتبوا بذلك العهد جاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية[٣] مؤمنة إلى المسلمين وزوجها مسافر المخزومي -وقال المقاتلان- زوجها صيفى بن الراهب[٤].

وقال الزهري: جاءت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وهي عاتق[٥] فجاء أهلها يسألون رسول الله ﷺ أن يرجعها إليهم. وهذا قول ابن عباس. إلا أنه قال: هربت من زوجها عمرو بن العاص ومعها أخواها

---

(١) انظر: «مشكل إعراب القرآن» ٢/ ٧٢٩.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٥٨.

(٣) سبيعة بنت الحارث الأسلمية، أسلمت بعد صلح الحديبية، ويؤيد هذا أن هبة الله في «الناسخ والمنسوخ» ذكر أن النبي ﷺ لما انصرف من الحديبية لحقت به سبيعة بنت الحارث، امرأة من قريش فبان أنها غير الأسلمية التي تروي عدة المرأة التي مات عنها زوجها، وهذا قول العقيلي، ومنهم من قال بأنها هي، والله أعلم. «الإصابة» ٤/ ٣٢٤ - ٣٢٥. انظر: «تهذيب التهذيب» ١٢/ ٤٢٤، و«الكاشف» ٣/ ٤٧٢.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٢ أ، و«الكشف» ١٣/ ١٠٨ ب، و«أسباب النزول» للواحدي ص٤٨٩، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٣٢.

(٥) العاتق: الشابة أول ما تُدرك، وقيل: هي التي لم تبن من والديها ولم تتزوج، وقد أدركت وشبت. اللسان ٢/ ٦٧٨ (عتق).

عمارة والوليد، فرد رسول الله ﷺ أخويها وحبسها، فقالوا للنبي ﷺ ردها علينا فإن شرطنا عليك أن من أتاك من عندنا أن ترده علينا، فقال النبي ﷺ «**لو كان الشرط في الرجال ولم يكن في النساء**»(١) فأنزل الله هذه الآية ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ﴾(٢) سماهن مؤمنات ولم يعرفن بالإيمان. وقبل أن يصلوا إلى النبي ﷺ لإظهارهن الإيمان وكلمة التصديق.

قوله: ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ قال المفسرون: ذلك أن يستخلف المهاجرة ما هاجرت لبغض زوجها ولا لحدث أحدثته ولا خرجت عشقًا لرجل من المسلمين، وما خرجت إلا رغبة في الإسلام(٣)، فهذا هو معنى الامتحان المأمور به.

---

(١) قال ابن حجر: وهذا لو ثبت كان قاطعًا للنزاع، لكن يؤيد الأول والثالث ما تقدم في أول الشروط وهو حديث أم كلثوم الآتي - وقوله الأول والثالث هو قول من قال بأن حكم النساء نسخ بهذه الآية، أو هو عام أريد به الخصوص وبين ذلك عند نزول الآية. «فتح الباري» ٩/ ٤١٩، وانظر: «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٥.

(٢) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية (٣١) ٥/ ١٦٢، وفيه (فجاء أهلها) وفي حديث عبد الله بن أبي أحمد بن جحش «.. فخرج أخواها الوليد وعمارة ابنا عقبة بن أبي معيط حتى قدما المدينة فكلما رسول الله ﷺ أن يردها إليهم...» الحديث. انظر: «الكشف والبيان» ١٣/ ١٠٨ ب، «فتح الباري» ٧/ ٤٥٤، «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٥٠، «مجمع الزوائد» ٧/ ١٢٣، و«زاد المسير» ٨/ ٢٣٨، قلت: وهم المؤلف - رحمه الله - في قوله (ومعها أخواها عمارة والوليد) لأن الوليد ﷺ لم يسلم إلا عام الفتح، ولما ثبت في الصحيح من أنهما جاءا لطلبها، والله أعلم.

(٣) ذكر المفسرون نحو هذا عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وعكرمة، وغيرهم. انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٢ أ، و«تفسير مجاهد» ٢/ ٦٦٨، و«تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٨٨، و«جامع البيان» ٢٨/ ٤٤، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٥٠.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ أي: إن هذا الامتحان لكم والله عالم بإيمانهن، لأنه يتولى السرائر، وأما أنتم فإنما تعرفون الظواهر وهو قوله: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ أي بما يظهرون من الإيمان.

وقال مقاتل: فإن علمتموهن مؤمنات قبل المحنة(١)، وجملة الكلام في هذا أن المرأة إذا هاجرت الكفار إلى المسلمين وأظهرت الإيمان لم يجز ردها إلى الكفار، وإن كان بيننا وبينهم عهد بأن نرد إليهم من جاءنا من عندهم مسلمًا، والأمر بالامتحان أمر استحباب وهو غير واجب(٢)، فإذا عرفناها مؤمنة لم يجز ردها إليهم بحال، وإنما يعرف ذلك بإقرارها وذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ واختلفوا في أن ذلك العهد الذي جرى بينهم بالحديبية هل يتناول النساء أم لا؟

قال عروة بن الزبير: إن الله نقض العهد في النساء ومنعهن أن يردون وحكم فيهن بالذي حكم، وهذا يدل على أن العهد كان عامًا في الرجال والنساء. ثم أمضى الله ذلك في الرجال ومنع في النساء(٣).

وقال المقاتلان: إن النبي ﷺ كان عالمًا بأن الشرط ممنوع في النساء ولكن أوهم المشركين بإطلاق العهد أنهن مردودات.

القول الثاني: أنه لم يعلم أن الشرط في النساء باطل، حتى أعلمه الله

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٢ أ.

(٢) أخرجه ابن إسحاق، وابن سعد، وابن المنذر، وابن جير، وغيرهم انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٤٥، «السنن الكبرى» للبيهقي ٧/ ١٧٠، و«الدر» ٦/ ٢٠٦.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق مقاتل بن حيان، وهو قول مقاتل بن سليمان أيضًا. انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٢ أ، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٥٠.

أنهن غير مردودات ولا داخلات في العهد.

قوله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ قال ابن عباس: لم يحل الله مؤمنة لكافر، ولا نكاح مؤمن لمشركة[١].

وقوله: ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟﴾ يعني أزواجهن الكفار ما أنفقوا عليهن من المهر. قال أصحابنا: إنما أمرنا أن نغرم مهرهن؛ لأنهن كن داخلات في الشرط الذي شرط رسول الله ﷺ برد من جاءه منهن على أحد القولين، فلزم العزم لأنهن دخلن في العقد ثم منعناهن، وإذا قلنا لم يدخلن في العقد فالعزم إنما كان لإيهام رسول الله ﷺ إياهم أنهن داخلات في الشرط ثم لم يلزم غرم المهر إلا إذا طالب الزوج الكافر بذلك وحضر لطلبه، فإذا حضر وهي باقية عندنا منعناها وغرمنا له صداقها، وإن كانت ماتت قبل حضور الزوج ما[٢] نغرم المهر؛ لأن المنع لم يتحقق، وإنما نغرم الصداق المسمى في أصل العقد لا مهر المثل، لأن الله تعالى قال: ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟﴾ وهذا يتناول المسمى في العقد، فإن كان المسمى خمرًا أو خنزيرًا لم نغرم شيئًا، لأن ذلك ليس بمال، وإن كان المسمى مالًا ولكنه لم يسلمه إليها لم نغرم له شيئًا، لأنه ما أنفق شيئًا. وكذلك لو كانت أبرأته .

وقال مقاتل: يرد المهر الذي يتزوجها من المسلمين، فإن لم يتزوجها من المسلمين أحد فليس لزوجها الكافر شيء[٣].

قوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أباح الله نكاحهن بشرط المهر، لأن الإسلام فرق بينها وبين زوجها الكافر. وهذا

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٦/ ٥٥.

(٢) كذا في (ك)، ولعل صوابها: (لم).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٢ أ.

مختلف بالمرأة فإن إسلامها إن كان قبل المسيس بانت منه بنفس الإسلام ولا عدة لها، ولها أن تنكح مسلمًا في الحال، وإن كان بعد المسيس كان النكاح موقوفًا على انقضاء العدة، فإن أسلم الزوج قبل انقضاء العدة فهما على النكاح الأول، وإن انقضت عدتها قبل إسلام الزوج علمنا أنها بانت منه يوم أسلمت(١).

قوله: ﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾ قراءة أبي عمرو من التمسيك يقال: مسك يمسك، مثل أمسك يمسك، وحجته قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الأعراف: ١٧٠] وقراءة الباقين بالتخفيف من الإمساك(٢). والعصم جمع العصمة وهي كل ما عصمك واعتصمت به. قال أبو عبيدة: أصل العصمة: الحمل والسبب(٣).

قال ابن عباس: العصمة النكاح فيما بيننا(٤).

قال مقاتل: يعني بعقد الكوافر، يقول: لا تعقد بامرأتك الكافرة فإنها ليست لك بامرأة(٥)، وقال المفسرون: من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها فقد انقطعت عصمته منها ولا عصمة بين المشركة والمؤمن فإذا أسلم الزوج وامرأته الوثنية بقيت على الكفر حتى انقطعت عدتها فقد

---

(١) انظر: «زاد المسير» ٨/ ٢٤٢، ونسبه الأوزاعي والليث ومالك والشافعي.

(٢) قرأ أبو عمرو ويعقوب: (ولا تُمسَّكُوا) بالتشديد. وقرأ الباقون: (ولا تُمْسِكوا) بالتخفيف. انظر: «حجة القراءات» ص٧٠٧، و«الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٨٦، «النشر» ٢/ ٣٨٧.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٥٧، و«تهذيب اللغة» ٢/ ٥٣ (عصم).

(٤) كذا في (ك)، ولم أجده.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٢ أ.

انقطعت بينهما بانقضاء العدة وانبت عقدة النكاح[١].

قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ﴾ أي إن لحقت امرأة منكم بأهل العهد من الكفار مرتدة فاسئلوهم ما أنفقتم من المهر، هذا إذا منعوها ولم يدفعوها إلينا فعليهم أن يغرموا لنا صداقها كما يغرم لهم[٢] وهو قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ﴾ يعني ما ذكر في هذه الآية من الحكم، فإن رضوا بهذا الحكم وردوا المهر على المسلم أخذه وإن لم يردوا طائعين أو كانوا أهل حرب ولم يكونوا أهل عهد، فالحكم ما ذكره في قوله: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ﴾ الآية.

قال الزهري: لما نزل قوله: ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾ الآية. أقر المؤمنون بحكم الله وأدوا ما أمروا به من نفقات المشركين وأبى المشركون أن يقروا بحكم الله فيما أمر من أداء نفقات المسلمين، فأنزل الله ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾[٣]

١١- قال الفراء: وفي قراءة عبد الله ﴿وَإِن فَاتَكُمْ أحد مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾ وأحد يصلح في موضع شيء وشيء في موضع أحد في الناس. يقول إن أعجزتك امرأة ذهبت مريدة فلحقت بأهل مكة كافرة[٤]. قال الحسن

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٣٣٣، و«زاد المسير» ٨/ ٢٤٢.

(٢) انظر: «زاد المسير» ٨/ ٢٤٢، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٣٠٦.

(٣) أخرجه ابن جرير، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وعبد الرزاق. انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٨٨، و«جامع البيان» ٢٨/ ٤٨، و«الدر» ٦/ ٢٠٨

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٥١، وفيه: (بأهل مكة كافرة، وليس بينكم وبينهم عهد فعاقبتم، يقول: فغنمتم، فأعطوا زوجها مهرها من الغنيمة قبل الخمس) وعليه فالعبارة قد سقطت عند المؤلف رحمه الله.

ومقاتل: نزلت في أم الحكم بنت أبي سفيان. ارتدت وتركت زوجها عياض ابن غنم القرشي[(١)] -ولم ترتد امرأة من قريش غيرها- ثم عادت إلى الإسلام[(٢)].

قوله: ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ أي فغنمتم[(٣)]. قاله ابن عباس، ومسروق، وإبراهيم.

قال أبو عبيدة: ﴿عَاقَبْتُمْ﴾ أصبتم منهن عقبة[(٤)].

وقال المبرد: ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ فعلتم ما فعل بكم- أي ظفرتم وهو من قولك: العقبى لفلان، أي: العاقبة بعد الأولى، وتأويل العاقبة الكرة الآخرة[(٥)].

وقال ابن قتيبة: ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ أي: أصبتم عقبى، أي: غنيمة من غزوٍ، ومعنى ﴿عَاقَبْتُمْ﴾ غزوتم معاقبين غزوًا بعد غزو[(٦)].

وقال أبو إسحاق: تأويله في اللغة: فكانت العقبى لكم، أي: كانت الغلبة لكم حتى غنمتم. قال: ومعنى ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ أصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم[(٧)]، ومعنى الآية: فغنمتم من العدو شيئًا فإن صارت العاقبة في

---

(١) عياض بن غنم القرشي، أسلم قبل الحديبية، وشهدها مع رسول الله ﷺ ولما حضرت أبا عبيدة الوفاة ولاه على الشام فأقره عمر. مات سنة عشرين وهو ابن ستين سنة ﵁. انظر: «صفة الصفوة» ١/ ٦٦٨، «سير أعلام النبلاء» ٢/ ٣٥٤.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٢ ب، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٣٠٧، و«الدر» ٦/ ٢٠٨، عن الحسن، وفي «تنوير المقباس» ٦/ ٥٧، وعند الثعلبي في تفسيره ١٣/ ١١٠ب، ست نسوة رجعن عن الإسلام ولحقن بالمشركين.

(٣) انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٥٠، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٣٠٧، و«الدر» ٦/ ٢٠٧، عن ابن عباس والنخعي.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٥٧.

(٥) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٣٠٧.

(٦) انظر: «تفسير غريب القرآن» ص٤٦٢.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٦٠.

الظفر لكم فأعطوا الأزواج من رأس الغنيمة ما أنفقوا عليهن من المهر. وهو قوله: ﴿فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ﴾.

١٢- قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَـٰتُ يُبَايِعۡنَكَ﴾ قال الكلبي: لما فتح رسول الله ﷺ مكة غرم من الغنيمة للذين ذهبت أزواجهم إلى الكفار مهور نسائهم، جاءته نساء أهل مكة يبايعنه فأنزل الله هذه الآية[١]. وشرط في مبايعة النساء أن يأخذ عليهن هذا الشرط الذي[٢] ذكره في هذه الآية وهو قوله: ﴿عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَـٰدَهُنَّ﴾ قال المفسرون: يعني بالأولاد الذي كان يفعله الجاهلية، ثم هو عام في كل نوع من قتل الولد[٣].

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَـٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ﴾ قال ابن عباس: يريد لا تلحق بزوجها ولدًا ليس منه[٤]، وقال الكلبي: هو أن تجيء بالصبي من غير زوجها فتقول لزوجها: هو منك وأنا ولدته، وهذا

---

(١) يظهر لي -والله أعلم- أن في العبارة خلطًا واستقامتها: وهو قوله ﴿فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ﴾ فغرم من الغنيمة للذين ذهبت أزواجهم إلى الكفار مهور نسائهم.
قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَـٰتُ يُبَايِعۡنَكَ﴾ قال الكلبي: لما فتح رسول الله ﷺ مكة جاءته نساء)، وانظر: «زاد المسير» ٨/ ٢٤٤، ونسبه للمفسرين.

(٢) في (ك): (التي).

(٣) انظر: «زاد المسير» ٨/ ٢٤٦، و«روح المعاني» ٢٨/ ٨٠.

(٤) أخرجه ابن جرير، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه. انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٥١، و«الدر» ٦/ ٢١٠، و«تنوير المقباس» ٦/ ٥٨، و«تفسير مقاتل» ١٥٣ أ، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٣٠٨، «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٥٤.

قول جماعة المفسرين[١].

قال الفراء: كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها: هذا ولدي منك. فذلك البهتان المفترى[٢].

وقال أبو إسحاق: أي لا يأتين بولد ينسبنه إلى الزوج، فإن ذلك بهتان وفرية[٣].

ومعنى ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ أي مفترينه. أي أنفسهن بأن يقلن: نحن ولدنا، وإنما قيل ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ لأن الولد إذا وضعته الأم سَقَطَ بين يديها ورِجليها، وليس المعنى على هذا[٤] نهيهن من أن يأتين بولد من الزنا فينسبنه إلى الأزواج، لأن النهي عن الزنا[٥] قد تقدم، ولأنها إذا كانت ذات زوج وزنت كان الولد لاحقًا بالزوج بحق الفراش.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ قال الكلبي: في معروف مما تأمرهن به وتنهاهن عنه كالنوح، وتمزيق الثياب، وجز الشعر، وشق الجيب، وأن تخلو بغير ذي محرم، وأن تسافر سفرًا مع[٦] غير ذي محرم. ونحو هذا قال المقاتلان[٧].

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٦/ ٥٨، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٣٥، و«زاد المسير» ٨/ ٢٤٦، ولم ينسب لقائل.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٥٢.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٦٠.

(٤) (هذا) ساقطة من (ك).

(٥) (ك): (لأن الشرط بنهي الزنا).

(٦) (مع) ساقطة من (ك).

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٣ أ، و«الكشف والبيان» ١٣/ ١١١ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٣٥، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٣٠٨.

وهو معنى قول ابن زيد: لا ينشرن شعرًا ولا يخمشن وجهًا، ولا يدعون ويلًا.

وكثير من المفسرين خصوا هذا المعروف بالنهي عن النوح. وهو قول سالم بن أبي الجعد[(١)]، وعكرمة، وجماعة. قالوا: لا تنحن نوح الجاهلية[(٢)].

قالت أم عطية: كان فيما اشترط علينا في البيعة أن لا ننوح[(٣)].

وقالت أم سلمة[(٤)]: قالت امرأة: يا رسول الله: ما هذا المعروف الذي لا ينبغي لنا أن نعصيك فيه؟ قال: لا تنحن[(٥)].

= وأخرج ابن جرير ٢٨/ ٢٥، وعبد الرزاق ٢/ ٢٨٩ عن قتادة بسند صحيح قوله: (هو النوح أخذ عليهن لا ينحن ولا يخلون بحديث الرجال إلا مع ذي محرم. قال فقال عبد الرحمن بن عوف: إنا نغيب ويكون لنا أضياف، قال: ليس أولئك عنيت. «فتح الباري» ٨/ ٦٤٠. وإسناده إلى قتادة صحيح، ولكنه مرسل حيث سقط منه اسم الصحابي الذي رواه. انظر: «تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة» ٢/ ٨٧٦.

(١) (أبي) ساقطة من (ك).

(٢) انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٥١، و«الدر» ٦/ ٢١٠.

(٣) وهو حديث صحيح، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: إذا جاءك المؤمنات يبايعنك ٦/ ١٨٧، ولفظه: قالت: بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ: (أن لا يشركن بالله شيئًا) ونهانا عن النياحة.

(٤) أم سلمة هي هند بنت أمية بن المغيرة المخزومية، آخر أمهات المؤمنين وفاة، توفيت سنة إحدى وستين، وقيل تسع وخمسين، وقبرت بالبقيع، وهي ابنة أربع وثمانين سنة - رضي الله عنها - انظر: «الإصابة» ١٣/ ١٦١، «صفة الصفوة» ٢/ ٤٠، «العبر» ١/ ٤٨، و«البداية والنهاية» ٨/ ٢١٤.

(٥) أخرجه أحمد في «المسند»، وابن ماجه في سننه، والترمذي في سننه.

وروى الربيع عن أبي العالية في قوله: ﴿فِي مَعْرُوفٍ﴾ قال: في كل أمر وافق طاعة الله فلم يرضى الله لنبيه أن يطاع في معصية الله[١]. وقال عطاء عن ابن عباس ﴿فِي مَعْرُوفٍ﴾ في كل بر وتقوى. ويريد فرائض الله[٢]. قال أبو إسحاق: والجملة أن المعنى لا يعصينك في جميع ما تأمرهن[٣] به بالمعروف[٤].

قوله تعالى: ﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ جواب لـ ﴿إِذَا﴾ في أول الآية. أي إذا بايعنك على هذا الشرط فبايعهن. واختلفوا في كيفية بيعة النبي ﷺ مع النساء. فروى سالم بن أبي الجعد، عن أبي فليح قال: كان رسول الله -ﷺ- يبايع النساء على الصفا، وجلس معه عمر فجعل يشترط على النساء للبيعة، وعمر يصافحهن.

وروى الزهري عن عروة، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية وما مست[٥] يد رسول الله ﷺ النساء للبيعة. فقلت: ألا تحسر لنا عن يديك؟ قال: إني لست أصافح النساء ولكن أخذ عليهم[٦].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة انظر: «المصنف» لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، و«الدر» ٦/ ٢١٠

(٢) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٣٣٥، و«التفسير الكبير» ٣٠٨/٢٩، ذكرا نحوه دون نسبة لقائل.

(٣) في (ك): (تأمر).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٦٠، وأخرجه الثعلبي عن الكلبي من غير سند. «الكشف والبيان» ١١١ ب.

(٥) في (ك): (مس).

(٦) مما يظهر من سياق المؤلف رحمه الله خلطه بين حديثين أحدهما حديث عائشة=

وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (أن النبي ﷺ كان إذا بايع النساء دعا بقدح من ماء فغمس يده ثم غمسن أيديهن فيه)(١).

١٣- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ قال ابن عباس: يريد حاطب بن أبي بلتعة يقول: لا تتولوا اليهود والمشركين(٢).

وقال المقاتلان: يقول للمؤمنين: لا تتولوا اليهود، وذلك أن ناسًا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبار المسلمين يتواصلون إليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم، فنهى الله عن ذلك(٣).

= -رضي الله عنها - وفيه (ولا والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة، ما يبايعهن إلا بقوله (قد بايعتك على ذلك) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب: إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات ٦/ ١٨٧، وفي كتاب الطلاق باب إذا أسلمت المشركة أو النصرانية تحت الذمي أو الحربي ٧/ ٦٤، وروى الحديث الآخر هو حديث أميمة بنت رقيقة، وفيه: فقلن: يا رسول الله. ابسط يدك نصافحك ؛ قال: «**أني لا أصافح النساء، ولكن سآخذ عليكن**. .» الحديث. رواه أحمد في المسند، وقال ابن كثير: إسناده صحيح، ورواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، كلهم عن محمد بن المنكدر، عن أميمة.

(١) قال ابن حجر: (أخرجه ابن سعد عن الواقدي، عن أسامة بن زيد، عن عمرو بن شعيب، نحوه. وله شاهد في الطبراني، عن عروة بن مسعود، وآخر في تاريخ أصبهان لأبي نعيم في حرف الحاء من حديث أسماء بنت يزيد) «تخريجات الكشاف» ص١٦٩.

(٢) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٣٠٩.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٣ أ، و«الكشف والبيان» ١٣/ ١١٢ ب، و«أسباب النزول» للواحدي ص٤٩٠، وفي «الدر» ٦/ ٢١١ قال: أخرج أبو إسحاق وأبي المنذر، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان عبد الله بن عمر، وزيد بن الحارث يوادون رجالًا من يهود، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾.

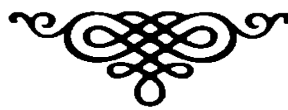
قوله تعالى: ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ يعني أن اليهود كذبت محمدًا ﷺ وهم[1] يعرفون أنه رسول صادق، وأنهم قد أفسدوا عليهم آخرتهم بتكذيبهم إياه فهم آيسون من أن يكون لهم في الآخرة خير.

قوله تعالى: ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ أي: كما يئس الكفار الذين ماتوا وصاروا في القبور وتبينوا أن لا حظ لهم في الآخرة.

وهذا قول الكلبي، والمقاتلان، وعكرمة، وعطاء، عن ابن عباس. قالوا: يعني الكفار الذين ماتوا فيئسوا من الجنة، ومن أن يكون لهم في الآخرة خير[2].

وقال الحسن: يعني الكفار الأحياء يئسوا من الأموات[3].

قال أبو إسحاق: يقول يئس اليهود الذين عاندوا النبي ﷺ من أن يكون لهم في الآخرة حظ، كما يئس الكفار الذين لا يوقنون بالغيب من موتاهم أن يبعثوا[4].



---

(١) (ك): (وهم) ساقطة.

(٢) أخرجه ابن جرير، عن مجاهد، والكلبي، وابن زيد، وعكرمة، ومنصور، وأخرجه ابن المنذر عن سعيد بن جبير، وأخرجه سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة. انظر: «المصنف» لابن أبي شيبة، عن مجاهد، وعكرمة، وأخرجه عبد الرزاق عن الكلبي. وهو قول مقاتل. انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٨٩، و«تفسير مقاتل» ١٥٣ أ، و«جامع البيان» ٢٨/ ٥٤، و«الكشف والبيان» ١٣/ ١١٣ أ.

(٣) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٣٣٦، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٣٠٩.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٦١.

سورة الصف

تفسير سورة الصف

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ٢- ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ قال أكثر المفسرين: إن المؤمنين قالوا: وددنا أن الله يخبرنا بأحب الأعمال إليه حتى نعمله ولو ذهبت فيه أموالنا وأنفسنا؛ فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ الآية. وأنزل قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ﴾ الآية. فكرهوا الموت وأحبوا الحياة، وتولوا يوم أحد، فأنزل الله ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ وهذا قول مقاتل ومجاهد، وعطاء، عن ابن عباس[(١)].

وقال قتادة، والضحاك: كان الرجل يقول: قاتلت ولم يقاتل، وطعنت ولم يطعن، وفعلت، ولم يفعل، فنزلت هذه الآية[(٢)].

قال الحسن: نزلت في المنافقين. كانوا يقولون مالا يعتقدون ويعدون المؤمنين النصر فيكذبون[(٣)]. ثم ذم القول إذا لم يسعفه الفعل فقال:

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٢ ب، و«جامع البيان» ٢٨/ ٥٥، و«الكشف والبيان» ١٣/ ١١٣ ب، و«أسباب النزول» للواحدي ص٤٩١-٤٩٢.

(٢) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٩٠، و«الكشف والبيان» ١٣/ ١١٤ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٣٧، و«الدر» ٦/ ٢١٣.

(٣) انظر: «الكشف والبيان» ١٣/ ١١٤ أ، و«زاد المسير» ٨/ ٢٥٠، وهو المروي عن ابن زيد ايضًا. «معالم التنزيل» ٤/ ٣٣٧.

٣- ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ قال الزجاج: ﴿أَن﴾ في موضع رفع، و﴿مَقْتًا﴾ منصوب على التمييز، المعنى: كبر قولكم أن لا تفعلوا مقتًا عند الله[١]. وهذا كقوله: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾، وقد مر[٢].

٤- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ أي يصفون صفًا. والمعنى: يصفون أنفسهم عند القتال صفًا ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ قال الفراء: مرصوص بالرصاص[٣].

قال المبرد: يقال: رصفت البناء إذا لاءمت[٤] بينه وقاربت حتى يصير كقطعة واحدة[٥].

وقال الليث: رصصت البناء رصًا، إذا ضممت بعضه إلى بعض[٦]، من الرصيص انضمام الأسنان بعضها إلى بعض، والتراص :التلاصق[٧]. ومنه الحديث: «**تراصوا في الصف**»[٨].

قال ابن عباس: يرفع الحجر على الحجر ثم يرص بحجارة صغار،

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٦٣.

(٢) عند تفسيره الآية (٥) من سورة الكهف.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٥٣.

(٤) في (ك): (لامت).

(٥) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٣١١، ٣١٢، و«روح المعاني» ٢٨/ ٨٤.

(٦) (بعضه إلى بعض) ساقطة من (ك).

(٧) انظر تهذيب اللغة ١٢/ ١١١ (رص)، اللسان ١/ ١١٧٣ (رصص).

(٨) هذه رواية بالمعنى، وفي معناه أحاديث صحيحة منها ما رواه أبو داود بإسناد على شرط مسلم، والنسائي بإسناد صحيح والحاكم في «المستدرك» ١/ ٢١٧، ووافقه الذهبي عنه ﷺ: «**رصوا صفوفكم، وقاربوا بينها، وحاذوا بالأعناق، فوالذي نفسي بيده إني لأرى الشيطان يدخل من خلل الصف كأنها الحذف**».

ثم يوضع اللبن عليه، تسميه أهل مكة: المرصوص[(١)].

وقال مقاتل: ملتزق بعضه ببعض[(٢)].

قال أبو إسحاق: أعلم الله أنه يحب من يثبت في الجهاد في سبيله ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص. قال: ويجوز على أن تستوي نياتهم في حرب عدو حتى يكونوا في اجتماع الكلمة وموالاة بعضهم بعضًا كالبنيان المرصوص[(٣)]، فالأول على التشبيه به في رأي العين، والثاني على التشبيه من حيث التظافر كالبنيان يشد بعضه بعضًا.

٥- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ أي: واذكر لقومك هذه القصة، قوله تعالى: ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِى﴾ قال الكلبي، ومقاتل: كان إيذاؤهم له أنهم رموه بالأدرة[(٤)] وقد ذكرنا ذلك في آخر سورة الأحزاب[(٥)].

---

(١) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٣١٢.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٣ ب، وفي «صحيح البخاري»، كتاب: التفسير سورة الصف. قال (وقال ابن عباس: ملصق بعضه إلى بعض) ونسبه ابن الجوزي للأكثرين. «زاد المسير» ١/ ٢٥١، وقال ابن حجر: وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج، عن ابن عباس. . .) «فتح الباري» ٨/ ٦٤١.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٦٤.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٣ ب، و«جامع البيان» ٢٢/ ٣٦.

(٥) عند تفسيره الآية (٦٤) من سورة الأحزاب. والأدْرَة: نفخة في الخصية وقيل: هو الذي يصيبه فتق في إحدى الخصيتين. اللسان: (أدر). وقد رمى موسى -عليه وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام- بالأدرة، وبقتل هارون فأرتهموه الملائكة ميتًا، وبقذفه بالبغي أنه فجر بها، وبأنه ساحر مجنون. واختار ابن جرير ٢٢/ ٣٧، العموم. وقال ابن كثير: يحتمل أن يكون الكل مرادًا، وأن يكون معه غيره والله أعلم)، تفسير القرآن العظيم ٣/ ٥٢١، وقال ابن حجر: بعد ذكره للروايات في رميه بالأدرة، لكن لا مانع أن يكون للشيء سببًا فأكثر. «فتح الباري» ٨/ ٥٣٥.

قوله تعالى: ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ إنكارًا عليهم إيذاؤه بعدما علموا أنه رسول الله، ورسول الله يحترم ويعظم، ولا يؤذى.

قوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ﴾ قال ابن عباس: مالوا إلى غير الحق[١].

وقال مقاتل: عدلوا عن الحق، ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أمالها عن الحق[٢]. والمعنى أنهم لما تركوا الحق بإيذاء نبيهم أمال الله قلوبهم وأظلهم وصرفهم عن الدين جزاء لما ارتكبوا، ويدل عليه قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ قال أبو إسحاق: لا يهدي من سبق في علمه أنه فاسق[٣]، وفي هذا تنبيه على عظم إيذاء الرسول حتى أنه يؤدي إلى الكفر ويزيغ القلب عن الهدى.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ هاتان جملتان في موقع جر، لأنهما صفتان للنكرة التي هي قوله: ﴿بِرَسُولٍ﴾، وفي قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ قراءتان: تحريك الياء بالفتح على الأصل، وهو الاختيار في كل موضع تذهب فيه الياء لالتقاء الساكنين[٤]، فإن كان موضع يظهر فيه التحريك والإسكان حسنًا كقوله: ﴿وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦] ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾[٥] فمن فتح فعلى الأصل، ومن أسكن فجائز، ومن أسكن

---

(١) «تنوير المقباس» ٦/ ٦١.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٣ ب، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٣١٢.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٦٤.

(٤) وهو الاختيار عند الخليل، وسيبويه، وأبي عبيد، قال النحاس: والقول هذا عند أهل العربية أن هذه ياء النفس فمن العرب من يفتحها ومنهم من يسكنها. «إعراب القرآن» ٣/ ٤٢٢.

(٥) من الآية (٢٨) من سورة نوح.

في قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِى ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ حذف الياء من اللفظ لالتقاء الساكنين[(١)]: الياء من ﴿بَعۡدِى﴾ والسين من ﴿ٱسۡمُهُۥٓ﴾ وهمزة الوصل تسقط في الإدراج، وهذا قول المبرد، وأبي علي[(٢)].

قال المبرد: لا معنى لاختيار أبي عبيد الفتح، إذا كان بعد الياء ألف وصل مفتوحًا نحو ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣] و﴿أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ﴾ [الملك: ٢٨]، وترك الفتح إذا كان ألف الوصل مكسورًا نحو ﴿بَعۡدِى ٱسۡمُهُۥٓ﴾ والأصل والاختيار ما ذكرنا، وهذا لا معنى له. قال أبو عبيد: إنك إذا ابتدأت بقولك: (الله)، (الضر). كان بالفتح وإذا ابتدأت بقولك اسمه كان بالكسر، فلهذا آثرنا الإرسال هاهنا. وهذا لا يوجب ما ذكر من الاختيار.

قوله تعالى: ﴿أَحۡمَدُۖ﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يجعله مبالغة من الفاعل، فيكون معناه: إنه أكثر حمدًا لله من غيره.

وثانيهما: أنه يحمد بما فيه[(٣)] من الأخلاق والمحاسن أكثر مما يحمده غيره[(٤)]. وعلى هذا دل كلام الكلبي فإنه قال: أحمد الذي لا يذم[(٥)]، وهو رسول الله ﷺ خاتم النبيين، وأحمد معروف في أسماء نبينا

(١) قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم في رواية أبي بكر، وأبو جعفر، ويعقوب (من بَعْدِيَ اسْمُهُ أَحْمَدُ) بفتح الياء من (بعدي). وقرأ عاصم في رواية حفص، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف (من بعدِيْ اسمُهُ أحمدُ) بتسكين الياء. انظر: «النشر» ٢/ ٣٨٧، و«الإتحاف» ص٤١٥.

(٢) في (ك): (تقسط). انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٨٨.

(٣) (غيره. وثانيهما أنه يحمد بما فيه) ساقطة من (ك).

(٤) انظر: «الكشف والبيان» ١٣/ ١١٥ ب، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٣١٣.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ٦/ ٦٢، و«الكشف والبيان» ١٣/ ١١٥ ب.

صلوات الله عليه[١].

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ قال ابن عباس: يظهر دينه[٢]. والأصل التنوين، لأنه لما لم يقع، ومن أضاف نوى التنوين والانفصال أيضًا[٣] كما ذكرنا في قوله: ﴿عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾[٤] و﴿هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾[٥]، و﴿كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٨] وهذه الآية والتي بعدها مفسرات في سورة براءة[٦].

١٢- قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ قال أبو إسحاق: هذا جواب ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ﴾ لأن معناه معنى الأمر، المعنى: آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم يغفر[٧] لكم، والدليل على ذلك أن في قراءة ابن مسعود .﴿ءَامَنُوا بِٱللَّهِ﴾[٨].

---

(١) أخرج البخاري في كتاب: التفسير، سورة الصف ٦/ ١٨٨، ومسلم في الفضائل باب في أسمائه ﷺ، وغيرها عن جبر بن مطعم. سمى لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماء فقال: «**أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بن الكفر** . .» الحديث.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٦/ ٦٢.

(٣) قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص (متمُ) بغير تنوين (نورِه) بالخفض.
وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر، وأبو جعفر، ويعقوب (مُتِمٌ) بالتنوين (نورَه) بالنصب. انظر: «حجة القراءات» ص٧٠٧، و«النشر» ٢/ ٣٨٧، و«الإتحاف» ص٤١٥.

(٤) من الآية (٢٤) من سورة الأحقاف، وانظر: «الحجة» للقراء ٦/ ٢٨٩.

(٥) قوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ من الآية ٩٥ من سورة المائدة.

(٦) عند تفسيره لآية (٣٢- ٣٣) من سورة براءة.

(٧) (في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم) ساقطة من (ك).

(٨) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٦٦.

وقال الفراء: جزم ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ بهل، وتأويل ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ أمر كقولك: هل أنت ساكت، معناه: اسكت[١].

قال أبو إسحاق: وهذا غلط بين، ليس إذا دلهم النبي ﷺ على ما ينفعهم غفر الله لهم، إنما يغفر الله لهم إذا آمنوا وجاهدوا، وهو جواب ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ و﴿وَتُجَٰهِدُونَ﴾[٢] على ما ذكرنا في سورة براءة.

وإدغام الراء في اللام في ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ وغيره غير جائز عند النحويين لقوة الراء[٣]، والأضعف يدغم في الأقوى لا الأقوى في الأضعف، والدليل على قراءة الراء أنه حرف متكرر، ولذلك غلب المطبق والمستعلي، وهو أنه لا يمال ما في أوله الصاد والضاد والطاء والظاء، نحو صالح، وضابط، وطالب، وظالم، ويمال نحو ضارب وصارم وطارد مكان الراء. وجاز ذلك لأن الكسر كأنه تكرر في الكلمة، وكذلك لا يمال نحو خالد. ويمال نحو خارج وحارب لما ذكرنا[٤].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٥٤.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٦٦، وقد وجُه قول الفراء بأن يحمل على المعنى. قال المهروي: وهو أن يكون (تؤمنون) و(تجاهدون) عطف بيان على قوله (هل أدلكم) كأن التجارة لم يدر ما هي فبينت بالإيمان والجهاد، فهي هما في المعنى، فكأنه قال: هل تؤمنون وتجاهدون، قال: فإن لم تقدر هذا التقدير لم يصح. لأنه يصير إن دللتم يغفر لكم، والغفران إنما يجب بالقبول والإيمان لا بالدلالة. انظر: «البحر المحيط» ٨/ ٢٦٣، وبنحوه قال الزمخشري و«الكشاف» ٤/ ٩٤، قال الألوسي: والإنصاف أن تخريج الفراء لا يخلو عن بعد. «روح المعاني» ٢٨/ ٨٩.

(٣) قرأ أبو عمرو (يغفر لكم) بإدغام الراء في اللام. «النشر» ٢/ ١٢، ١٣.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٦٧، ومما قال عن أبي عمرو، وهو إمام =

١٣- قوله تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ يجوز عند الزجاج أن يكون المعنى: وتجارة أخرى عطفًا على قوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ﴾[1] ثم قال: وتجارة أخرى، ويجوز أن يكون المعنى: ولكم تجارة أخرى وهي نصر من الله[2].

وعند الفراء معنى الآية وخصلة أخرى تحبونها في العاجل مع ثواب الآخرة، ثم ذكرها فقال: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، وهو مفسر للأخرى[3]. وهذا هو القول[4]، لأنه لا يحسن أن يكون نصر من الله تفسيرًا للتجارة إذ ليس نصر الله تجارة لنا كما يكون الإيمان والجهاد، بل هو ربح للتجارة[5]، والله تعالى ذكر ثواب الآخرة جزاء لما دل عليه من التجارة وهو قوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ إلى آخر الآية.

ثم ذكر ما يعطينا أيضًا في العاجل مما نحبه جزاء أيضًا لتلك التجارة، وهو النصر والفتح.

= عظيم، ولا أحسبه قرأها إلا وقد سمعها من العرب. قلت: بل إمامته -رحمه الله- في العلم والقراءة تستلزم أنه لم يقرأ بهذه القراءة إلا وقد سمعها ممن نقلها عن النبي ﷺ بسند صحيح، ولا عبرة بقول المخالف إذا ثبتت عن المصطفى ﷺ مهما بلغ علمه وجلالة قدره، والله أعلم.

(١) وهو قول الأخفش، انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٧٠٨.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٦٦.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٥٤.

(٤) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٤٢٤.

(٥) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٣١٨.

قال ابن عباس: يريد فتح فارس والروم[١].

وقال الكلبي: يعني النصر على كفار قريش وفتح مكة[٢].

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال مقاتل: وبشر يا محمد المؤمنين بالنصر في الدنيا، والجنة في الآخرة[٣]. وقد ذكرهما في قوله: ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى﴾ وقوله: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾.

ثم خص المؤمنين على نصرة دينه، فقال:

١٤- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ بهذا أمر إدامة النصرة والثبات عليه. أي: دوموا على ما أنتم عليه من النصرة، يدل على هذا أن في حرف عبد الله (يا أيها الذين آمنوا أنتم أنصار الله)[٤] بغير تنوين[٥] كقوله: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ ولم يقل أنصار لله، والمعني في ﴿أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ أنصار دين

---

(١) لم أجده عن ابن عباس. وفي «معالم التنزيل» ٤/ ٣٣٨، و«زاد المسير» ٨/ ٢٥٥، نسب لعطاء ونسبه الزمخشري، والرازي للحسن، و«الكشاف» ٤/ ٩٥، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٣١٨.

(٢) وهو المنسوب لابن عباس. انظر: «تنوير المقباس» ٦/ ٦٤، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٣٨، و«زاد المسير» ٨/ ٢٥٥.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٤ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٣٨.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٥٥، و«الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٩٠، و«الكشاف» ٤/ ٩٥.

(٥) في قوله (أنصار الله) قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو (أنصارًا لله) منونًا وحجتهم في ذلك إجماع الجميع على الإضافة في قوله (فمن أنصار الله) وقرأ ابن عامر، ويعقوب، وحمزة، والكسائي، وعاصم (أنصار الله) غير منون مضافًا إلى لفظ الجلالة. انظر: «حجة القراءات» ص٧٠٨، و«النشر» ٢/ ٣٨٧، و«الإتحاف» ص٤١٦، وقال ابن جرير: والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان صحيحتان المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. «جامع البيان» ٢٨/ ٥٩.

الله[١]. فترك ذكر الدين لتشريف النصر لدين الله.

﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ﴾ أي: انصروا دين الله مثل نصرة الحواريين لما قال لهم عيسى ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ قال مقاتل: يعني من يمنعني مع الله[٢].

وقال عطاء: يريد من ينصرني وينصر دين الله[٣].

وقال مقاتل: أمر الله المؤمنين أن ينصروا محمدًا كما نصر الحواريون عيسى[٤].

وكان الله قد أوحى إلى عيسى: إذا أنت دخلت القرية فأت النهر الذي عليه القصارون فسلهم النصر، فأتاهم عيسى فقال لهم ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ يقول: من ينصرني مع الله، فقالوا: نحن ننصرك. فاتبعوه وصدقوه ونصروه.

قال مقاتل: مرَ بهم ببيت المقدس وهم يقصرون الثيات فقال لهم هذا[٥].

ومضى الكلام في ﴿إِلَىٰٓ﴾ بمعنى مع عند قوله: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ﴾[٦].

قوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ﴾ قال سعيد بن

---

(١) انظر: «التفسير الكبير» ٢٩/ ٣١٨.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٤ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٣٨.

(٣) لم أجده.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٤ أ.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٤ أ.

(٦) عند تفسيره الآية (٢) من سورة النساء. وانظر: «معاني الحروف» للرماني ص١١٥.

جبير عن ابن عباس: يعني الطائفة التي كفرت في زمن عيسى، والتي آمنت في زمان عيسي، وذلك أن عيسى عليه السلام لما رفع إلى السماء تفرقوا ثلاث فرق:

فرقة قالوا: كان الله فارتفع.

وفرقة قالوا: كان ابن الله فرفعه الله إليه.

وفرقة قالوا: كان عبد الله ورسوله فرفعه إليه، وهو المسلمون.

واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس، واجتمعت الطائفتان الكافرتان على الطائفة المسلمة فقتلوهم وطردوهم وظهر أمرهم فلم يزالوا كذلك حتى بعث الله محمدا ﷺ فاقتتلوا، فظهرت المؤمنة على الكافرة، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾[(١)].

قال مجاهد: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ يعني من اتبع عيسى[(٢)]. ونحو هذا قال المقاتلان[(٣)].

وعلى هذا القول معنى الآية أن من آمن بعيسى ظهروا على من كفر به، وأصبحوا عالين على أهل الأديان.

وقال إبراهيم: أصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد ﷺ عيسى كلمة الله وروحه[(٤)].

---

(١) أخرجه ابن جرير ٢٨/ ٦٠، ولم يذكر قتالهم بعد بعثة محمد ﷺ بل قال: فأصبحوا ظاهرين في إظهار محمد دينهم على دين الكفار.. وانظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٣٣٩، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٣١٩، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٦٢.

(٢) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٧٢، و«جامع البيان» ٢٨/ ٦٠، و«الدر» ٦/ ٢١٤.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٤ ب، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٣١٩.

(٤) انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٦٠، و«زاد المسير» ٨/ ٢٥٦.

وهذا قول الكلبي: ظاهرين بالحجة[١].



(١) انظر: «تنوير المقباس» ٦/ ٦٥، و«التفسير الكبير» ٢٩/ ٣١٩، وهو قول زيد بن علي، و«الكشاف» ٤/ ٩٥.

سورة الجمعة

تفسير سورة الجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ قال أهل المعاني: إنما أعيد ذكر التسبيح في هذه السورة لاستفتاح السورة بتعظيم الله من جهة ما سبح له كما يستفتح ببسم الله الرحمن الرحيم، وإذا جل المعنى في تعظيم الله حسن الاستفتاح به. والفائدة فيه تعظيم ما ينبغي أن يستفتح به على جهة التعظيم لله والتيمن بذكره. ومضى تفسير القدوس في آخر سورة الحشر.

٢- قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ يعني العرب، قال المفسرون: كانت العرب أمة لا كتاب لهم، ولا يقرأون كتابًا ولا يكتبون(١).

قال ابن عباس: يريد الذين ليس لهم كتاب ولا بعث فيهم نبي(٢).

قال أبو إسحاق: الأميون الذين هم على ما خلقت عليه الأمة قبل تعلم الكتاب(٣)، وهذا مما سبق تفسيره(٤).

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٤ ب، و«تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٩١، و«جامع البيان» ٢٨/ ٦١.

(٢) انظر: «التفسير الكبير» ٣٠/ ٣.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٦٩.

(٤) عند تفسيره الآية (٧٨) من سورة البقرة. وانظر «تهذيب اللغة» ١٥/ ٦٣٦ (أم)، و«اللسان» ١/ ١٠١ (أمم).

وقوله: ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ قال ابن عباس: يريد محمد ﷺ نسبه نسبهم وهو من جنسهم[1] كما قال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨].

قال أهل المعاني: وكان هو ﷺ أميًا مثل أولئك الأمة الذين بعث فيهم، وكانت البشارة به قد تقدمت بأنه النبي الأمي، وكونه بهذه الصفة أبعد من توهم الاستعانة على ما أتى به من الحكمة بالكتابة، وكانت حاله مشاكلة لحال الذين بعث فيهم، وذلك أقرب إلى صدقه[2].

قوله تعالى: ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ مفسر في سورة البقرة[3].

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: ما كانوا من قبل بعثه فيهم إلا في ضلال بيِّن، وهو الشرك، كانوا يعبدون الأوثان من الحجارة.

٣- قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ نسق على قوله: ﴿فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ﴾ المعنى: وبعث في آخرين منهم ﴿لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ قال المفسرون: يعني الأعاجم، وكل من دخل في الإسلام وصدق النبي من العجم. هذا قول ابن عباس، ومجاهد[4].

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٦/ ٦٨، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ٣.

(٢) انظر: «التفسير الكبير» ٣/ ٣٠.

(٣) عند تفسيره الآية (١٢٩) من سورة البقرة.

(٤) أخرجه ابن جرير، وعبد بن حميد، وسعيد بن منصور، وغيرهم عن مجاهد. انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٦٢، و«الدر» ٦/ ٢١٥، وفي «صحيح البخاري» وغيره عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة =

وقال مقاتل: يعني التابعين من هذه الأمة الذين لم يلحقوا بأوائلهم[١]، وجميع الأقوال في هذا معناها أن المراد بالآخرين كل من دخل في الإسلام بعد النبي ﷺ إلى يوم القيامة.

وقول المفسرين: هم الأعاجم، يعنون بالأعاجم من ليس من العرب، والعرب تسمي من لا يتكلم بلغتهم عجميًا، من أي جنس كان، ومنه قول الشاعر:

سَلُّومُ لو أصبحتِ وسط الأعجمِ   بالروم أو بالترك أو بالديلم[٢]

فعبر عن الأعجم بهؤلاء الأجناس فالأميين هم العرب، ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ سواهم من الأمم غير العرب، فالنبي ﷺ مبعوث إلى من شاهده وإلى كل من كان بعدهم من العجم والعرب.

وقوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ أي من الأميين، وجعلهم منهم؛ لأنهم إذا أسلموا ودانوا بدينهم صاروا منهم، فالمسلمون كلهم يد واحدة وأمة واحدة وإن اختلفت أجناسهم، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾

= ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ قالوا من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعهم حتى سئل ثلاثًا، وفينا سلمان الفارسي فوضع رسول الله ﷺ يده على سلمان الفارسي ثم قال: «**لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال أو رجل من هؤلاء**». «صحيح البخاري»، كتاب: التفسير، باب: قوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ ٦/ ١٨٨، قال ابن كثير: نفى هذا الحديث دليل على أن هذه السورة مدنية وعلى عموم بعثه ﷺ إلى جميع الناس لأنه فسر قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ بفارسي، ولهذا كتب كتبه إلى فارس، والروم، وغيرهم من الأمم يدعوهم إلى الله ﷻ، وإلى اتباع ما جاء به. «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٦٣.

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٤ ب، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ٤.

(٢) ورد غير منسوب في اللسان (عجم)، وعجزه:

في الروم أو فارس أو في الديلم

[التوبة: ٧١]، وقال أيضًا في صفة المؤمنين ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥] فأما من لم يؤمن بالنبي ﷺ ولم يدخل في دينه فإنهم ليسوا ممن عناهم الله بقوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ وإن كان ﷺ مبعوثًا إليهم بالدعوة، لأن الله تعالى قال في الآية الأولى: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ ومن لم يؤمن فليس ممن زكاه النبي ﷺ من الكفر وعلمه القرآن والسنة.

وذكر أبو إسحاق وجهًا آخر في إعراب ﴿ءَاخَرِينَ﴾ وهو النصب بالعطف على الضمير في ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾ على معنى: ويعلم[1] آخرين منهم[2]. وهذا كالسعيد[3]، لأن الذين لم يلحقوا من شاهد النبي ﷺ كيف يعلمهم النبي ﷺ ولم يدركوه، إلا أن يحمل على أنهم إذا تعلموا ما أتى به فهو علمهم وإن لم يشاهدوه، وكل ما نعلمه من الدين فهو مما علمنا نبينا ﷺ.[4]

٤- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ قال ابن عباس: يريد حيث ألحق العجم وأبناءهم بقريش والعرب[5]. يعني أنهم إذا آمنوا ألحقوا

---

(١) في (ك): (ويعلمهم).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٧٠، وانظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٥٥، و«إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٤١٧.

(٣) كذا في (ك)، ولعل صوابها: (وهذا بعيد).

(٤) ذكر العلماء هذا الوجه للدلالة على جوازه مع تقديمهم لغيره وتعليلهم للجواز بنحو ما ذكر المؤلف. قال الزمخشري: ويجوز أن ينتصب عطفًا على المنصوب في ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾ أي: يعلمهم ويعلم آخرين، أن التعليم إذا تناسق إلى آخر الزمان كان كله مستندًا إلى أوله فكأنه هو الذي تولى كل ما وجد منه). «الكشاف» ٤/ ٩٦.

(٥) انظر: «التفسير الكبير» ٣٠/ ٤.

في درجة الفضل بمن[١] شاهد رسول الله ﷺ وشاركوهم في ذلك الفضل.

وقال مقاتل: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ يعني الإسلام[٢] ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾.

وقال مقاتل بن حيان[٣]: يعني النبوة فضل الله يؤتيه من يشاء. فاختص بها محمدًا ﷺ[٤].

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ذو المن العظيم على جميع خلقه.

ثم ضرب لليهود الذين تركوا العمل بالتوراة والإيمان بالنبي ﷺ مثلًا.

5- فقال قوله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ قال المفسرون: حملوا العمل بما فيها وكلفوا القيام بها[٥].

وقال صاحب النظم: ليس هو من الحمل على الظهور، وإنما من الحمالة بمعنى الكفالة والضمان، ومنه قيل للكفيل الحميل. والمعنى: ضمنوا أحكام التوراة ثم لم يضمنوها ولم يعملوا بما فيها[٦]. قال الأصمعي: الحميل الكفيل، وقال الكسائي: حملت به حمالة: كلفت به[٧].

قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ جمع سفر، وهو الكتاب

(١) في (ك): (من).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٤ ب.

(٣) في (ك): (وقال مقاتل).

(٤) انظر: «التفسير الكبير» ٣٠/ ٤.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٤ ب، و«جامع البيان» ٢٨/ ٦٣، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٦٤.

(٦) انظر: «التفسير الكبير» ٣/ ٥.

(٧) انظر: «تهذيب اللغة» ٥/ ٩٢، و«اللسان» ١/ ٧٢٤ (حمل).

الكبير، لأنه سفر عن المعنى إذا قرئ، ومثله شبر وأشبار[١]. شبه اليهود إذا لم ينتفعوا بما في التوراة وهي دالة على الإيمان بمحمد ﷺ بالحمار يحمل كتب العلم ولا يدري ما فيها.

قال ميمون بن مهران: الحمار لا يدري أسفر على ظهره أم زبل.

وقال أهل المعاني: وهذا المثل يلحق من لم يفهم معاني القرآن ولم يعمل به وأعرض عنه إعراض من لا يحتاج إليه، ولهذا قال ميمون بن مهران: يا أهل القرآن: اتبعوا القرآن قبل أن يتبعكم. ثم تلا هذه الآية[٢].

﴿لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ﴾ لم يؤدوا حقها ولم يحملوها حق حملها على ما فسرنا فشبههم والتوراة في أيديهم وهم لا يعملون[٣] بها بالحمار يحمل كتبًا وليس له من ذلك إلا نقل الحمل من غير انتفاع بمعاني ما حمل، كذلك اليهود ليس لهم من كتابهم إلا وبال الحجة عليهم. ثم ذم هذا المثل والمراد به ذمهم فقال قوله تعالى: ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا كما قال: ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ [الأعراف: ١٧٧] أي: مثل القوم الذين، فيكون المضاف محذوفًا، ويكون موضع ﴿ٱلَّذِينَ﴾ رفعًا، ويجوز أن يكون موضع ﴿ٱلَّذِينَ﴾ جرًا والمقصود بالذم محذوف[٤] كما كان محذوفًا من قوله تعالى: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤] ولم يذكر أيوب لتقدم ذكره،

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (سفر)، و«اللسان» (سفر).

(٢) انظر: «التفسير الكبير» ٣٠/ ٥.

(٣) في (ك): (يعلمون).

(٤) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٤٢٨، و«الكشاف» ٤/ ٩٦، و«البحر المحيط» ٨/ ٢٦٧.

وذكر الوجهين أبو علي في كتاب «الإيضاح»[١].

والمراد بآيات الله ها هنا قال ابن عباس، ومقاتل: بمحمد وما أتى به من القرآن[٢]، ويحتمل أن يكون المراد بالآيات التوراة؛ لأنهم كذبوا بها حين تركوا الإيمان بمحمد ﷺ[٣] وهذا القول أشبه هنا[٤].

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال عطاء: يريد الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب الأنبياء[٥].

قال أبو إسحاق: معناه لا يهدي من سبق في علمه أنه يكون ظالمًا[٦].

٦- قوله: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ﴾ الآية. والتي بعدها سبق تفسيرهما في سورة البقرة عند قوله: ﴿قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ﴾ الآيتان[٧].

٨- قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ﴾ قال أبو إسحاق: دخلت الفاء في خبر إن، ولا يجوز إن زيدًا فمنطلق، لأن ﴿ٱلَّذِى﴾ فيه معنى الشرط والجزاء[٨].

وقال الفراء: العرب تدخل الفاء في كل خبر كان اسمه مما يوصل، مثل من والذي وإلقاؤها جائز وهي في قراءة عبد الله (تفرون منه ملاقيكم)

---

(١) انظر: «إيضاح الشعر».

(٢) انظر: «تفسير ابن عباس» ٦/ ٩٦، و«تفسير مقاتل» ١٥٤ ب، ولفظه: (يعني القرآن).

(٣) انظر: «التفسير الكبير» ٣٠ / ٥. (٤) (ك): (ها هنا).

(٥) انظر: «التفسير الكبير» ٣٠/ ٥.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٧٠.

(٧) عند تفسيره الآية (٩٤، ٩٥) من سورة البقرة.

(٨) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٧١.

بغير فاء[١]. وهذه المسألة شرحناها في مواضع من هذا الكتاب عند قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم﴾ ثم قال: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾[٢] وفي آي سواها، قال عثمان بن جني: ليست الفاء في (فإنه) زائدة، ولكنها لما دخلت لما في الكلام، معنى الشرط كأنه والله أعلم، قال: إن فررتم منه لاقاكم- فإن قال قائل: الموت ملاقيكم على كل حال فروا منه أو لم يفروا فما معنى الشرط والجواب هنا؟ وهل يصح الجواب بما هو واقع لا محالة؟ قيل: إن هذا على وجه الرد عليهم إذ ظنوا أن الفرار ينجيهم. وقد صرح هذا وأفصح عنه بالشرط الحقيقي زهير[٣] في قوله:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو رام أسباب السماء بسلم[٤]

٩- قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ قال مقاتل: يعني النداء إذا جلس الإمام على المنبر يوم الجمعة، وهو كما قال، لأنه لم يكن على عهد رسول الله ﷺ نداء سواه كان إذا جلس على المنبر أذن بلال على باب المسجد، وكذا كان على عهد أبي بكر، وعمر رضي الله عنهما[٥].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ١٥٦.

(٢) عند تفسيره الآية (٢٧٤) من سورة البقرة.

(٣) انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ٢٦٧، والبيت لزهير بن أبي سلمى، وهو في «ديوانه» بشرح ثعلب ص٣٠، و«شرح القصائد العشر» ص ١٩٤، و«الخصائص» ٣/ ٣٢٤.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٥ أ، وهو قول مجاهد، والضحاك، والسائب بن يزيد. انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٩١، و«جامع البيان» ٢٨/ ٦٦، و«زاد المسير» ٨/ ٢٦١.

(٥) روى البخاري في كتاب: الجمعة، باب: المؤذن الواحد يوم الجمعة ٢/ ١٠،=

وقوله: ﴿ٱلْجُمُعَةِ﴾ يعني لوقت الصلاة[١]. يدل عليه قوله: ﴿مِن يَوْمِ﴾ والصلاة لا تكون من اليوم وإما يكون وقتها من اليوم، وأما الجمعة فقال الليث: الجمعة يوم خُصَّ به لاجتماع الناس في ذلك اليوم ويجمع على الجُمعان والجُمَع، والفعل جمَّع الناسُ: أي شهدوا الجمعة[٢].

وروي عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: «**سميت الجمعة لأن آدم** عليه السلام **جمع خلقه**»[٣].

وقال بعضهم: سميت بهذا الاسم؛ لأن الله تعالى فرغ فيه من خلق الأشياء فاجتمعت فيه المخلوقات[٤].

قال الفراء: وفيها ثلاث لغات[٥]، التخفيف، وهي قراءة الأعمش،

= عن السائب بن يزيد: كان النداء إذا صعد الإمام على المنبر على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر، وعمر، فلما كان عثمان كثر الناس فزاد النداء الثالث على الزوراء.

(١) انظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٧٠٨.

(٢) «تهذيب اللغة» ١/ ٣٩٨.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور، وأحمد، والنسائي، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، عن سلمان. قال: قال رسول الله ﷺ أتدري ما يوم الجمعة؟ قال الله ورسوله أعلم، قالها ثلاث مرات. ثم قال في الثالثة: هو اليوم الذي جُمع فيه أبوكم آدم.. الحديث. ولم يحلل تسميتها الجمعة بهذه العلة التي ذكرها المؤلف. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢/ ١٧٤، رواه الطبراني في «الكبير»، وإسناده حسن، قال: وروى النسائي بعضه.

(٤) قال ابن كثير: إنما سميت الجمعة جمعة لأنها مشتقة من الجمع فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مرة بالمعابد الكبار، وفيه كمل جميع الخلائق، فإنه اليوم السادس من السنة التي خلق الله فيها السموات والأرض وفيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة. «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٦٥، وانظر: «اللسان» ١/ ٥٠٠ (جمع).

(٥) (لغات) ساقطة من (ك).

والتثقيل قراءة العامة[١]، ولغة لبني عقيل[٢] يقولون: الجمعة[٣] كأنهم ذهبوا بها إلى صفة اليوم أنه يجمع الناس كما يقال ضحكة للذي يكثر الضحك[٤].

قوله تعالى: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس: فامضوا[٥].

وقال مقاتل: فامشوا[٦]. وعلى هذا معنى السعي والذهاب في معنى واحد، لأنك تقول: فلان يسعى في الأرض يبتغي الرزق وليس هذا باشتداد، ويدل على هذا قراءة عمر، وابن مسعود (فامضوا إلى ذكر الله)[٧].

وقال ابن جريج: قلت لعطاء ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ قال: الذهاب والمشي[٨]، يقال: سعى إلى بني فلان وإنما هي مشي.

---

(١) قرأ الجمهور (الجمعة) بضم الجيم والميم، وقرأ الأعمش، والسلمي، والزهري، وغيرهم (الجمعة) بضم الجيم وإسكان الميم. انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٥٦، و«إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٤٢٩، و«البحر المحيط» ٨/ ٢٦٧.

(٢) بنو عقيل.

(٣) لغة بني عقيل: (الجُمَعة) بفتح الميم. انظر: معاني الفراء ٣/ ١٥٦، و«إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ١٥٦، و«الكشف» ١٣/ ١١٨ ب، ١١٩ أ.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٥٦، و«الكشاف» ٤/ ٩٧.

(٥) «تنوير المقباس» ٦/ ٧١.

(٦) لم أجده عن مقاتل، وإنما ذكره المفسرون لبيان المعنى دون نسبة لقائل، والذي في «تفسير مقاتل» ١٥٥ أ، قال: (يقول فامضوا إلى الصلاة). وانظر: «التفسير الكبير» ٣/ ٨.

(٧) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٩١، و«جامع البيان» ٢٨/ ٦٥، و«مجمع الزوائد» ٧/ ١٢٤، و«أحكام القرآن» للجصاص ٣/ ٤٤٢، قال أبو حيان: وقرأ كبراء من الصحابة والتابعين (فامضوا) بدل ﴿فَٱسْعَوْاْ﴾ وينبغي أن يحمل على التفسير من حيث أنه لا يراد بالسعي هنا الإسراع في المشي، ففسروه بالمضي، ولا يكون قرآنًا لمخالفته سواد ما أجمع عليه المسلمون. «البحر المحيط» ٨/ ٢٦٨.

(٨) أخرجه عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر. «الدر» ٦/ ٢١٩.

وقال الزجاج: معناه: فاقصدوا، وليس معناه العدو[١]، وهذا معنى قول الحسن. قال: والله ما هو سعي على الأقدام، ولكنه سعي بالقلوب، وسعي بالنية، وسعي بالرغبة[٢]، ونحو هذا، قال قتادة: السعي أن تسعى بقلبك وعملك، وهو المشي إليها[٣].

وحمل قوم السعي ها هنا على العمل، قال محمد بن كعب: السعي العمل[٤] وهو مذهب مالك والشافعي، قال مالك: السعي في كتاب الله العمل والفعل، واحتج بقوله: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، وقوله: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: ٤] قال: فليس السعي الذي ذكر الله في كتابه بالسعي على الأقدام ولا بالاشتداد وإنما ذلك الفعل والعمل.

أخبرنا أحمد بن الحسن الحرشي[٥]، حدثنا محمد بن يعقوب[٦] أخبرنا الربيع قال: قال الشافعي: السعي في هذا الموضع هو العمل، وتلا قوله: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩]. ويكون

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٧١.

(٢) انظر: «الكشف والبيان» ١٣/ ١٢١ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٤١، و«الدر» ٦/ ٢١٩.

(٣) أخرجه عبد بن حميد، والبيهقي في شعب الإيمان. «الدر» ٦/ ٢١٩، وانظر: «الكشف والبيان» ١٣/ ١٢١ ب.

(٤) انظر: «الدر» ٦/ ٢١٩، ونسب تخريجه لابن المنذر وابن أبي شيبة. انظر: «المصنف» لابن أبي شيبة.

(٥) هو أحمد بن الحسن الحرشي. كان رئيسًا محتشمًا. انتهى إليه علم الإسناد، فروى عن أبي الميداني، والأصم وطبقتهما، وولي قضاء نيسابور، وقد صم بآخره، حتى بقي لا يسمع شيئًا، ووافق شيخه الأصم في الأصول والحديث. توفي سنة (٤٢١هـ) وله ست وتسعون سنة. انظر: «شذرات الذهب» ٣/ ٢١٧، و«الكامل في التاريخ» ٧/ ٣٥٢، و«العبر» ٢/ ٢٤٣.

(٦) هو أبو العباس الأصم.

المعنى على هذا: فاعملوا على المضي إلى ذكر الله من التفرغ له، والاشتغال بأسبابه من الطهارة والغسل والتوجه إليه بالقصد والنية. وذهب قوم إلى السعي الذي هو سرعة المشي، وروي ذلك عن عبد الله بن الصامت[١] أنه بينما هو يمشي إلى الجمعة سمع المؤذن يؤذن فرفع في مشيه لقول الله ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٢].

وروى عمران بن الخياط[٣] أن إبراهيم كان يسعى يوم الجمعة، وهذا كأنه ليس بالوجه لما روي أن النبي ﷺ قال: «**إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، ولكن آتوها وعليكم السكينة**»[٤] فنهى عن السعي في الإتيان إلى الصلاة، فدل أن السعي المأمور به في الآية غير هذا الذي نهى عنه النبي ﷺ. غير أنه يحتمل أن يقال: صلاة الجمعة مخصوصة بجواز السعي إليها للآية، وغيرها من الصلاة تؤتى بالسكينة[٥]، والوجه الأقوال

---

(١) هو عبد الله بن الصامت الغفاري البصري، ثقة. وهو ابن أخي أبي ذر، ويكنى أبا نصر. انظر: «المعارف» ص٢٥٣، و«التقريب» ١/ ٤٢٣.

(٢) أخرجه البيهقي في «سننه» وفيه: (خرجت إلى المسجد يوم الجمعة فلقيت أبا ذر ... فجذبني جذبة فقال: أولسنا في سعي) «الدر» ٦/ ٢١٩، واقتصر المؤلف -رحمه الله- على ما ذكر لبيان من فسر السعي بالسرعة وإن عارضه غيره. والله أعلم.

(٣) هو عمران بن حطان بن ظبيان، يكنى أبا شهاب، تابعي مشهور، وكان من رؤوس الخوارج من الصفرية، ولما طال عمره وضعف عن الحرب اقتصر على التحريض والدعوة بشعره وبيانه، وكان شاعرًا مغلقًا مكثرًا. مات سنة (٨٤هـ). انظر: «الإصابة» ٣/ ١٧٨، و«ميزان الاعتدال» ٣/ ٢٣٥، و«الأعلام» ٥/ ٧٠.

(٤) الحديث رواه البخاري في الأذان، باب لا يسعى إلى الصلاة وليأت بالسكينة والوقار ١/ ١٦٤، ومسلم في المساجد، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة ١/ ٢٣٩ (٦٠٣)، وأحمد ٢/ ٥٣٢.

(٥) انظر: «روح المعاني» ٢٨/ ١٠٢.

المتقدمة[١].

وروى أبو العباس عن ابن الأعرابي: سعى إذا مشى، وسعى إذا غدا، وسعى إذا عمل، وسعى إذا قصد. قال: وقول الله تعالى: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي اقصدوا[٢].

ومعنى ﴿ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ هاهنا الصلاة المفروضة في قول أكثر المفسرين[٣].

قوله تعالى: ﴿وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ قال الحسن: إذا أذن المؤذن يوم الجمعة لم يحل البيع والشراء[٤].

قال أصحابنا: إذا جلس الإمام على المنبر يترك البيع لقوله: ﴿وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ فمن باع في تلك الساعة فقد خالف الأمر وبيعه منعقد، لأن النهي عن البيع تنزيه لقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فدل ذلك على الترغيب في ترك البيع في ذلك الوقت[٥]، ولا يحتاج إلى ذكر الشراء، لأنه بيع أيضًا، ولأنه

---

(١) انظر: «أحكام القرآن» للجصاص ٣/ ٤٤٥، وقال بعد ذكره للحديث المتقدم: (ولم يفرق بين الجمعة وغيرها، واتفق فقهاء الأمصار على أنه يمشي إلى الجمعة على هينته).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٩١ (سعى).

(٣) ومراد المؤلف - رحمه الله- أن الذكر يشمل الصلاة والخطبة معًا، إذ خص بعض العلماء الذكر بالصلاة، والأكثرون فسروه بالخطبة فقط فجمع المؤلف بين القولين. انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٦٥، و«الكشف والبيان» ١٣/ ١٢١ ب، و«زاد المسير» ٨/ ٢٦٥، و«المغني» ٣/ ١٧١/ ١٧٥، و«أحكام القرآن» للجصاص ٣/ ٤٤٦.

(٤) انظر: «التفسير الكبير» ٣٠/ ٨، وهذا هو قول مجاهد، والزهري، وأحمد. انظر: «المغني» ٣/ ١٦٣، و«أحكام القرآن» للجصاص ٣/ ٤٤٨.

(٥) انظر: «الأم» ١/ ١٧٣، و«زاد المحتاج بشرح المنهاج» ١/ ٣٣٧-٣٣٨، و«المجموع» ٤/ ٥٠٠، ويرى مالك أن يفسخ البيع، و«المدونة» ١/ ١٤٣ .

لا يوجد شراء من غير بيع، فإذا منع البيع فقد منع الشراء، قوله: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي ما هو خير لكم وأصلح.

١٠- قوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: إذا صليتم الفريضة[١].

وقال مقاتل: فرغتم من الصلاة يوم الجمعة فانتشروا في الأرض- هذا أمر إباحته للانتشار بعد الأمر بالاجتماع للصلاة بالسعي إليها[٢].

قال ابن عباس: فإن شئت فاخرج وإن شئت فصل العصر، وإن شئت فاقعد[٣] يعني إن هذا ليس بأمر حتم، كذلك قوله: ﴿وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ إباحة لطلب الرزق بالتجارة بعد المنع بقوله: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾.

قال مقاتل: أحل لهم ابتغاء الرزق بعد الصلاة فمن شاء خرج إلى تجارته ومن شاء لم يفعل[٤].

وقال مجاهد: إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل[٥].

وقال الضحاك: هو إذن من الله إذا فرغ إن شاء خرج وإن شاء قعد في المسجد[٦].

والأحسن في الابتغاء من فضل الله أنه طلب الرزق وذكر أوجه من طلب الولد، وطلب العلم، وعيادة المريض وحضور الجنازة، والظاهر هو

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٦/ ٧٤، بلفظ: (إذا فرغ الإمام من صلاة الجمعة).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٥ أ.

(٣) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٣٤٥، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ٩.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٥/أ، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ٩.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٢/ ١٥٧ عن مجاهد وعطاء. وانظر: «الدر المنثور» ٦/ ٢٢.

(٦) انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٦٦، و«الدر» ٦/ ٢٢.

الأول، لأن إباحة ما منع هو البيع[١].

وروى أن عراك بن مالك[٢] كان إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال: «**اللهم إني[٣] أجبت دعوتك، وصليت فريضتك، وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين**»[٤].

وأجمع المفسرون على أن الأمر بالانتشار والابتغاء أمر إباحة كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾ [المائدة: ٢] وليس على كل من حل من إحرامه أن يصطاد، قال أبو إسحاق: هذا مثل قولك في الكلام: إذا حضرتني فلا تنطق[٥]، وإذا غبت عني فتكلم بما شئت، إنما معناه الإباحة[٦].

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ قال مقاتل: باللسان[٧]، وقال سعيد: واذكروا الله كثيرًا بالطاعة[٨].

وقال مجاهد: لا يكون من الذاكرين كثيرًا حتى يذكره قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا[٩].

---

(١) قال النحاس: وظاهر الآية يدل على إباحة الانتشار في الأرض لطلب رزق في الدنيا أو ثواب في الآخرة. «إعراب القرآن» ٣/ ٤٣٠.

(٢) هو عِرَاكُ بن مالك الغفاري، الكناني، المدني، ثقة فاضل. مات في خلافة يزيد بن عبد الملك بعد المائة. انظر: «العبر»١/ ٩٢، و«التقريب» ٢/ ١٧.

(٣) (إني) ساقطة من (ك).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم عنه، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٦٧.

(٥) في (ك): (تنطلق).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٧٢.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٥ أ، و«التفسير الكبير» ٣/ ٩.

(٨) انظر: «التفسير الكبير» ٣/ ٩.

(٩) انظر: «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٦٧.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً﴾ الآية. قال مقاتل: إن دحية الكلبي أقبل بتجارة من الشام قبل أن يسلم وكان يحمل معه من أنواع التجارة، وكان يتلقاه أهل المدينة بالطبل والصفق، ووافق قدومه يوم الجمعة، والنبي ﷺ قائم على المنبر يخطب فخرج إليه الناس وتركوا النبي ﷺ ولم يبق إلا اثنا عشر رجلًا. فقال النبي ﷺ: «**لولا هؤلاء لقد سومت لهم الحجارة**». وأنزل الله هذه الآية[١]، وهذا قول جماعة في سبب نزول هذه الآية. قال جابر بن عبد الله: وكان في الاثنى عشر رجلًا الذين بقوا معه أبو بكر وعمر[٢].

وقال الحسن: أصاب أهل المدينة جوع، وغلا سعرهم، فقدمت عير ورسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة، فسمعوا بها وخرجوا إليها، والنبي ﷺ قائم كما هو فقال: «**لو اتبع آخرهم أولهم لالتهب عليهم الوادي نارًا**»[٣].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٥ ب، وفيه: (اثنا عشر رجلًا وامرأة. .).

(٢) أخرجه مسلم في رواية هشيم. «فتح الباري» ٢/ ٤٢٤، والإمام أحمد في «المسند»، وروى العقيلي: أن منهم الخلفاء الأربعة وابن مسعود، وأناسًا من الأنصار، وعنده بسند متصل أن الاثني عشر هم العشرة المبشرة، وبلال، وابن مسعود. «فتح الباري» ٢/ ٤٢٤ .

(٣) انظر: «أسباب النزول» للواحدي ص٤٩٤، ونسبه للمفسرين، و«تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٩٢، عن الحسن، و«جامع البيان» ٢٨/ ٦٧، عن الحسن. وقوله: (**لو اتبع آخرهم أولهم لالتهب عليهم الوادي نارًا**) قال ابن حجر - رحمه الله- (فائدة: ذكر الحميد في الجمع أن أبا مسعود الدمشقي ذكر في آخر هذا الحديث أنه ﷺ قال: (...)، ولم أر هذه الزيادة في الأطراف لابن مسعود، ولا هي في شيء من طرق حديث جابر المذكورة، وإنما وقعت في مرسلي الحسن وقتادة). «فتح الباري» ٢/ ٤٢٤-٤٢٥.

وقال قتادة: فعلوا ذلك ثلاث مرات لعير تقدم[١].

قوله تعالى: ﴿أَوۡ لَهۡوًا﴾ المفسرون على أنه الطبل الذي كان يضرب لقدوم الغير. وقال جابر: كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة قائمًا على المنبر، وكانوا إذا نكحوا الجواري يضربون المزامير والكبر[٢]، فتركوا رسول الله ﷺ قائمًا على المنبر[٣].

قوله تعالى: ﴿ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ أي تفرقوا عنك، كقوله: ﴿لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩] قال المبرد: انفضوا إليها، الضمير للتجارة[٤].

وقال الزجاج، والمبرد: ولو كان انفضوا إليه وإليهما جاز كما جاز انفضوا إليها[٥]، لأن الشيئين إذا عطف أحدهما على الآخر ومعناهما واحد فاردد الخبر إليهما أو إلى أحدهما، أيهما شئت فإن الآخر داخل معه[٦].

---

(١) انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٦٧، و«الكشف والبيان» ١٣/ ١٢٧ أ.

(٢) الكَبَر: طبل له وجه واحد. «تهذيب اللغة» ١٠/ ٢١٣، و«اللسان» ٣/ ٢١٢ (كبر).

(٣) وقع عند الشافعي من طريق جعفر بن محمد، عن أبيه مرسلًا، ووصله أبو عوانه في «صحيحه»، والطبري. وانظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٦٨، و«إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٤٣. . قلت: ما صح عن جابر رضي الله عنه في سبب النزول وما ذكره المفسرون في المراد باللهو لا تعارض بينهما إذ تفسير جابر للمراد باللهو بأنه ضرب الطبل في النكاح لم يصرح فيه على ما رواه ابن جرير وغيره بأن ذلك كان في يوم الجمعة فلعله كان أثناء خطبته ﷺ في غير الجمعة فحملت الآية على العموم، وربما تكررت الحادثة كما ذكر قتادة، والله أعلم. «فتح الباري» ٢/ ٤٢٤، وقال: ولا بعد في أن تنزل في الأمرين معًا وأكثر ٢/ ٤٢٤

(٤) انظر: «التفسير الكبير» ٣٠/ ١١.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٧٢.

(٦) انظر: «الكشاف» ٤/ ٩٩.

وهذا من كلام العرب المستقيم أن يذكروا الشيئين اللذين يرجعان إلى معنى مما يطلب فيهما فيردوا الخبر إلى أحدهما استغناء واختصارًا، كقوله: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ [البقرة: ٤٥]، ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ [التوبة: ٣٤]. ونحو هذا قال الفراء، وزاد فقال: وأجود من[١] ذلك أن تجعل الراجع من الذكر للآخر من الاسمين وإنما اختير ها هنا الرجوع إلى التجارة لأنها كانت أهم إليهم، وهم بها أسر منهم بضرب الطبل، لأن الطبل إنما دل عليها، فالمعنى كله لها[٢].

قوله تعالى: ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ أجمعوا على أن هذا القيام كان في الخطبة، وهذا دليل على أن من[٣] أجاز القعود في الخطبة للجمعة.

قال جابر بن سمرة: ما رأيت رسول الله ﷺ خطب إلا وهو قائم فمن حدثك أنه خطب وهو جالس فكذبه[٤]، وسئل عبد الله: أكان النبي ﷺ يخطب قائمًا أو قاعدًا؟ فقرأ (وتركوك قائمًا)[٥]، ولذلك سئل ابن سيرين، وعلقمة، فقرأ هذه الآية[٦].

---

(١) (من) ساقطة من (ك).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٥٧.

(٣) لعل الصواب: (وهذا دليل على من) بدون (أن).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب: الجمعة، باب: ذكر الخطبتين قبل الصلاة، وما فيهما من الجلسة، وأبو داود في باب: الخطبة قائمًا، من كتاب: الصلاة، وأحمد في «المسند» ٥/ ٨٧، والنسائي في باب: السكوت في القعدة بين الخطبتين، كتاب: الجمعة.

(٥) أخرجه ابن مردويه، وابن أبي شيبة، انظر: «المصنف» لابن أبي شيبة، وابن ماجه، والطبراني. «الدر» ٦/ ٢٢١، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٣/ ١٢٧ ب.

(٦) انظر: «المصنف» لابن أبي شيبة، عن ابن سيرين. «الدر» ٦/ ٢٢٢، وذكره البغوي فقال: (وقال علقمة: سئل عبد الله بن عمر..)، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٤٦.

وروي أن كعب بن عجرة دخل المسجد وعبد الرحمن[(١)] يخطب قاعدًا فقال: انظروا إلى هذا الخبيث يخطب قاعدًا، وقال الله: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا﴾ وتلا الآية[(٢)].

وقال الشعبي: أول من خطب قاعدًا معاوية[(٣)].

قوله: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ﴾ قال مقاتل: يعني من الطبل والصفق ﴿ومن التجارة﴾ التي جاء بها دحية[(٤)].

قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ المخلوق مرزوق فإذا غضب قطع رزقه، والله ﷻ يسخط ولا يقطع وهو أحكم الحاكمين.



---

(١) هو عبد الرحمن بن أبي الحكم.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة ٢/ ٥٩٠، وابن أبي شيبة ٢/ ١١٢ .

(٣) رواه ابن أبي شيبة ٢/ ١١٢ من طريق الشعبي، أن معاوية إنما خطب قاعدًا لما كثر شحم بطنه ولحمه. وأخرج عن طاووس.. وأول من جلس على المنبر معاوية.
وروى سعيد بن منصور عن الحسن: . . وأول من خطب جالسًا معاوية.
وانظر: «فتح الباري» ٢/ ٤٠١، و«الدر» ٦/ ٢٢٢

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٥ ب.

(٦٣) تفسير سورة المنافقون

تفسير سورة المنافقون

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ﴾ يعني عبد الله بن أبي وأصحابه ﴿قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ وتم الخبر عنهم، ثم ابتدأ فقال ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ أي أنه أرسلك فهو يعلم أنك رسوله، ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ﴾[(١)].

قال الفراء: جعلهم كاذبين لأنهم أضمروا غير ما أظهروا[(٢)]. يعني أنهم لما أضمروا خلاف ما شهدوا به سماهم كاذبين، فدل هذا على أن حقيقة الإيمان بالقلب وكذلك حقيقة كل كلام. ومن قال شيئًا واعتقد خلافه فهو كاذب، ألا ترى أنهم كانوا يقولون بألسنتهم ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ وسماهم الله كاذبين، لأنه قلوبهم كانت تخالف ألسنتهم فيما يقولون. وقال قوم: لم يكذبهم الله في قوله: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ وإنما أكذبهم بغير هذا مما وجد منهم من الكذب الذي أخبر الله عنهم عنهم في قوله: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ﴾ [التوبة: ٧٤] الآية، وقوله: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾[(٣)] والقول هو الأول.

---

(١) انظر: «التفسير الكبير» ٣٠/ ١٢.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٥٨.

(٣) من آية (٥٦) من سورة التوبة. وهذا هو رأي الزجاج حيث قال: (أكذبهم فيما تعتقده قلوبهم وفي أنهم يحلفون بالله إنهم لمنكم، ويحلفون بالله ما قالوا، ولقد قالوا كلمة الكفر). «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٧٥. قلت: ولعل هذا هو الصواب لأن حمل الآية على العموم أولى، وشهادتهم تدخل ضمن هذا المعنى، والله أعلم.

وجواب (إذا) قوله: (نشهد) أي أنهم إذا أتوك شهدوا لك بالرسالة وهو كاذبون في تلك الشهادة، لأنهم يقولونها عن غير اعتقاد ومواطأة قلب مع اللسان - وكل قول خالف اللسان فيه القلب فهو كذب، ألا ترى أن شاهدًا لو شهد على حق من غير علم كان كاذبًا، لأنه شهد ولم يعلم، كذلك المنافقون شهدوا ولم تكن شهادتهم مستندة إلى عقيدة وعلم بالقلب فكانوا كاذبين.

قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ مذهب أهل العراق أن[1] من قال أشهد بالله لقد كان كذا، أو قال أشهد، ولم يقل بالله ونوى يمينًا كان ذلك يمينًا بالنية، واحتجوا بهذه الآية وهو أن الله تعالى لم يذكر منهم إلا الشهادة، ثم قال ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً﴾ فسمى شهاداتهم أيمانًا[2]، وعند الشافعي لا يكون أشهد بالله يمينًا وإن نوى ذلك[3].

ومعنى ﴿أيمانَهم﴾ ما أخبر الله عن حلفهم الباطل في آيات من سورة الحشر[4].

قال الضحاك (أيمانهم) حلفهم إنهم لمنكم[5]، وتفسير هذه الآية قد تقدم في سورة المجادلة.

---

(١) (أن) ساقطة من (ك).

(٢) انظر: «شرح فتح القدير» لابن الهمام ٤/ ١٢ .

(٣) انظر: «المجموع» للنووي ١٨/ ٣٦، و«فتح الباري» ١١/ ٥٤٤، وفي «الأم» ٧/ ٥٦، قال: وإذا قال: أشهد بالله فإن نوى اليمين فهو يمين، وإن لم ينو يمينا فليس بيمين؛ لأن قوله أشهد بالله يحتمل أشهد بأمر الله، وإذا قال: أشهد، لم يكن يمينا، وإن نوى يمينا فلا شيء عليه.

(٤) وذلك عند قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ الآيات.

(٥) انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٦٩.

قوله: ﴿ذلك﴾ قال مقاتل: ذلك الكذب بأنهم آمنوا باللسان، ثم كفروا في السر، وجحدوا بقلوبهم[١] وهذا تأكيد لما فسرناه في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾.

قوله: ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ قال ابن عباس: ختم الله على قلوبهم[٢].

وقال مقاتل: طبع على قلوبهم بالكفر[٣] ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ لا يفهمون الإيمان والقرآن وصدق محمد ﷺ، والمعنى أن الله جازاهم بصنعهم الطبع على قلوبهم.

٤- قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ قال الكلبي: يعني عبد الله بن أبي ومعتب بن قشير كانت لهم أجسام ومنظر[٤].

قال زيد بن أرقم: كانوا رجالًا أجمل شيء[٥].

وقال ابن عباس: يريد أن لهم أجسامًا ومناظر[٦].

وقال مقاتل: كان عبد الله بن أبي جسيمًا صحيحًا فصيحًا ذلق اللسان، فإذا قال سمع النبي ﷺ قوله[٧] وذلك قوله ﷻ: ﴿وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾.

وقال الكلبي: وإن يقولوا إنك لرسول الله تسمع لقولهم فتحسب أنه

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٥ ب، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ١٣.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٦/ ٧٦، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ١٣.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٥ ب، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ١٣.

(٤) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٣٤٨، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ١٤، ولم ينسباه لأحد.

(٥) «صحيح البخاري»، كتاب: التفسير، باب: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ ٦/ ١٩١، و«فتح الباري» ٨/ ٦٤٧.

(٦) انظر: «تنوير المقباس» ٦/ ٧٦، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٤٨.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٥ ب،، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٤٨، و«زاد المسير» ٨/ ٢٧٤.

حق وصدق منهم[١].

ثم شبههم فقال ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ﴾ والاختيار في ﴿خُشُبٌ﴾ التخفيف[٢] نحو بَدَنةٍ وبُدْنٍ، وفي المذكر أَسَدٌ وأُسْدٌ، وَوَثَنٌ وَوُثْنٌ.

قال الأخفش: ولغة أهل الحجاز التثقيل في ﴿خُشُبٌ﴾ وذلك نحو ثمرَ وثُمرُ، وقالوا: أسَدٌ بالتثقيل فيجمع أُسُدٌ. أنشد المبرد:

يقدم أقداما عليل كالأسد[٣]

قال المفسرون: الخشب لا أرواح فيها فلا تعقل ولا تفهم، كذلك المنافقون لا يسمعون الإيمان ولا يعقلون وليس في أجوافهم إيمان لذلك شبههم بالخشب.[٤]

---

(١) انظر: «زاد المسير» ٨/ ٢٧٥.

(٢) قرأ أبو عمرو، والكسائي، وقنبل في رواية ابن مجاهد: (خُشْب) بضم الخاء وإسكان الشين، وقرأ الباقون ﴿خُشُبٌ﴾ بضم الخاء والشين. انظر: «حجة القراءات» ص٧٠٩، و«النشر» ٢/ ٢١٦، و«الإتحاف» ص٤١٦.
وقال ابن جرير - رحمه الله- بعد تصويب القراءتين: وتسكين الأوسط فيما جاء من الجامع لأحكام القرآن فعلة على فعل في الأسماء على ألسن العرب أكثر وذلك كجمعهم البدنة بدنا، والآجمة أجما. «جامع البيان» ٢٨/ ٧٠، قلت: إذا كان العرب في كلامهم على ما ذكر ابن جرير وأكثر القراء على خلاف ذلك فهذا مما يقوي قراءة الجمهور ويؤكد على صحتها عن رسول الله ﷺ وإذا كان للترجيح مجال هنا فترجيح ما تعددت طرقه عن الرسول ﷺ أولى. والله أعلم.

(٣) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٩١- ٢٩٢، و«اللسان» ١/ ٨٣٢ (خشب). ولم أجد البيت منسوبًا لقائل.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٥ سب، و«جامع البيان» ٢٨/ ٦٩، و«روح المعاني» ٢٨/ ١١١.

قال أبو إسحاق: وصفهم بتمام الصور وحسن الإبانة، ثم أعلم[(١)] أنهم في تركهم[(٢)] التفهم والاستبصار بمنزلة الخشب[(٣)].

قوله: ﴿مُّسَنَّدَةٌ﴾ يقال: أسندت الشيء. أي: أملته فاستند كالخشب يسند إلى الجدار، و﴿مُّسَنَّدَةٌ﴾ للتكثير[(٤)]، لأنها صفة خشب وهي جمع أشجار[(٥)]، وصفها بالتسنيد إرادة أنها ليست بأشجار قائمة تنمو وتزيد وتنبت الورق والثمر ويحسن منظرها، بل هي خشب ملقاة بعضها على بعض مسندة إلى حائط، كذلك هم لا يسمعون النداء ولا يقبلون، فشبههم بالخشب في أخس أحوالها ليست بأشجار فتثمر، ولا منحوته عمل منها شيء فينتفع به. وهذا معنى قول الكلبي[(٦)].

ثم عابهم بالجبن فقال ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ قال المفسرون: من الفرق والجبن لا يسمعون صوتًا إلا ظنوا أن قد أوتوا.

قال مقاتل: إن نادى مناد في العسكر أو انفلتت دابة أو نشدت ضالة ظنوا أنهم يرادون بذلك مما في قلوبهم من الرعب[(٧)]، قالوا: وسبب ذلك أنهم على وجل من أن يهتك الله أستارهم ويكشف أسرارهم فهم يتوقعون

---

(١) في (ك): (أعلمهم).

(٢) في (ك): (ترك).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٧٦.

(٤) انظر: «اللسان» ٢/ ٢١٥ (سند).

(٥) في (ك): (أثمار).

(٦) انظر: «التفسير الكبير» ٣٠/ ١٥، ولم ينسبه لقائل.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٥/ب، و«الكشف والبيان» ١٣/ ١٢٨/أ، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ١٥، و«البحر المحيط» ٨/ ٢٧٢.

الإيقاع بهم ساعة فساعة[١].

وقال أبو إسحاق: ويجوز أن يكون المعنى: يحسبون أن كل من خاطب النبي ﷺ فإنما يخاطبه في أمرهم بكشف نفاقهم[٢].

ثم أعلم رسوله بعداوتهم فقال: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ أي هم وإن كانوا معك يظهرون تصديقك أعداء لك فاحذرهم أن تأمنهم على سرك، لأنهم عيون لأعدائك من الكفار يلقون[٣] إليهم أسرارك.

قوله: ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ مفسر في سورة براءة[٤].

٥- قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ قال الكلبي: لما نزل القرآن على رسول الله بصفة المنافقين مشى إليه عشائرهم من المؤمنين وقالوا لهم: ويلكم افتضحتم بالنفاق وأهلكتم أنفسكم فأتوا رسول الله ﷺ، وتوبوا إليه من النفاق، وسلوه أن يستغفر لكم، فأبوا ذلك وزهدوا في الاستغفار فأنزل الله فيهم هذه الآية[٥].

قال عطاء عن ابن عباس: لما رجع عبد الله بن أبيّ من أحد بكثير من الناس مقته المسلمون وعنفوه، فقال له بنو أبيه: لو أتيت رسول الله ﷺ حتى يستغفر لك ويرضى عنك. قال: لا أذهب إليه، ولا أريد أن يستغفر لي[٦].

---

(١) في (ك): (ساعة). وانظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٦٩، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ١٥.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٧٦.

(٣) في (ك): (يتلقون).

(٤) عند «تفسيره» لآية (٣٠) من سورة التوبة.

(٥) انظر: «التفسير الكبير» ٣٠/ ١٥.

(٦) أخرجه البيهقي في «الدلائل» عن الزهري، نحو هذا بسياق أطول. «الدر» ٦/ ٢٢٤. وذكره الرازي عن ابن عباس من غير سند. «التفسير الكبير» ٣٠/ ١٥.

قال قتادة: قال قوم عبد الله بن أبي: لو أتيت رسول الله ﷺ فاستغفر لك. فجعل يلوي رأسه، فنزلت هذه الآية[١].

وقال أكثر المفسرين: إنما دعي إلى الاستغفار؛ لأنه كان قد قال: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾، وقال: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾، فقيل له: تعال يستغفر لكم رسول الله فلوى رأسه وقال: ماذا قلت ؟. فذلك قوله: ﴿لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ﴾[٢] قال مقاتل: عطفوا رؤسهم رغبة عن الاستغفار[٣].

وقرئ (لووا) بالتخفيف من الليّ، وهو يصلح للقليل والكثير، ويشهد لهذه القراءة قوله: ﴿لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾[٤] و(لَوَوْا) من الليّ. وقُرئ بالتشديد[٥]، وهو يختص بالكثرة، والفعل ها هنا لجماعة فهو كقوله: ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [ص: ٥٠] على أنه قد جاء:

---

(١) أخرجه ابن جرير، وابن المنذر، وعبد الرزاق في «التفسير»، وعبد بن حميد. انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٩٤، و«جامع البيان» ٢٨/ ٧١، و«الدر» ٦/ ٢٢٤، وقال ابن حجر: ووقع في مرسل الحسن، وأخرجه عبد بن حميد من طريق قتادة، ومن طريق مجاهد، ومن طريق عكرمة. «فتح الباري» ٨/ ٦٤٨.

(٢) وهو المروي عن أكثر أهل التفسير والسير. انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٩٤، و«جامع البيان» ٢٨/ ٧٠، و«الكشف والبيان» ١٣/ ١٢٨/ أ، و«أسباب النزول» ٤٩٦.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٦/ أ، و«زاد المسير» ٨/ ٢٧٦.

(٤) قال تعالى ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾ [النساء: ٤٦].

(٥) قرأ نافع، ويعقوب من طريق روح، والمفضل، عن عاصم: ﴿لَوَوْا﴾ بالتخفيف. وقرأ الباقون: ﴿لَوَّوْا﴾ بالتشديد. انظر: «حجة القراءات» ٧٠٩، و«النشر» ٢/ ٣٨٨، و«الإتحاف» ٤١٦، و«معاني الأخفش» ٢/ ٧٠٩.

تَـلْـوِيَـة الـخـاتِـنِ زُبَّ الـمُـعْـذَرِ[(١)]

واختار أبو عبيد بالتشديد. قال: لأنهم كثير[(٢)].

قال المبرد: لا أعلم الرواية اختلفت في أن هذه الآية نزلت في عبد الله بن أبي وهو القائل: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ الآية[(٣)]، فالعرب قد تكنى فتجعل الكناية جمعًا، والمفعول واحد. قال جرير:

لا بارك الله فيمن كان يحسبكم　　إلا على العهد حتى كان ما كانا[(٤)]

وإنما يخاطب بهذه امرأة، وهذا كثير في أشعارهم وكلامهم، يقول الرجل الواحد: نحن فعلنا، يعني نفسه، ويقول لرجل الواحد يخاطبه: أنتم فعلتم، يعني المخاطب وحده.

وقوله: ﴿ورَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ أي عن الاستغفار ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ عن استغفار رسول الله ﷺ.

ثم ذكر أن استغفاره لا ينفعهم فقال ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ قال قتادة، ومقاتل: نزلت هذه الآية بعد قوله: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] الآية، وذلك أنها لما نزلت قال نبي الله ﷺ خيرني ربي

---

(١) أنشده أبو زيد، وورد في «اللسان» غير منسوب لقائل. انظر: «الحجة» للقراء السبعة ٦/ ٢٩٣، و«اللسان» ٢/ ٧١٩ (عذر).

(٢) انظر: «زاد المسر» ٨/ ٢٧٦، وهو اختيار ابن جرير أيضًا. «جامع البيان» ٢٨/ ٧٠. قلت: واختيارهم هذا لا يعني الطعن في قراءة التخفيف لثبوتها عن النبي ﷺ.

(٣) قلت: الروايات تظافرت على هذا، وإنما وقع الخلاف في الغزوة التي نزلت فيها هذه الآيات، والصواب أنها نزلت في غزوة بني المصطلق، كما ذكر ابن كثير رحمه الله. انظر: «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٦٨، و«فتح الباري» ٨/ ٦٤٨-٦٤٩.

(٤) «ديوان جرير» ١/ ١٦٢.

فلأزيدنهم على السبعين فأنزل الله هذه الآية[١].

﴿لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ قال ابن عباس: يريد المنافقين[٢]، والمعنى لا يجعل جزاءهم على النفاق أن يهديهم، أو لا يهدي من سبق في علمه وقضائه أنه فاسق منافق.

ثم أخبر بشنيع مقالتهم فقال: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ۗ﴾ قال المفسرون: اقتتل أجير لعمر مع أجير لعبد الله بن أبي في بعض الغزوات، وأسمع أجير عمر لعبد عبد الله بن أبي المكروه، واشتد عليه لسانه فغضب عبد الله وعنده رهط من قومه فقال: أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل - يعني بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله ﷺ- ثم أقبل على قومه فقال: لو أمسكتم النفقة عن هؤلاء -يعني المهاجرين- لأوشكوا أن يتحولوا عن بلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد، فأنزل الله فيه هذه الآية[٣].

---

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن عمر، وفيه (فقال رسول الله ﷺ: «**إنما خيرني الله فقال: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة﴾. وسأزيده على السبعين**») «صحيح البخاري». كتاب: التفسير، باب: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾، وباب: ولا تصل على أحد منهم مات أبدًا ولا تقم على قبره. وانظر: «التفسير الكبير» ٣٠/ ١٥، قال ابن حجر: وروى عبد الرزاق عن معمر، عن قتادة قال: لما نزلت ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْۚ﴾ قال النبي ﷺ: «**لأزيدن على السبعين**»، فأنزل الله تعالى ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْۚ﴾ ورجاله ثقات مع إرساله، ويحتمل أن تكون الآيتان معًا نزلتا في ذلك. «فتح الباري» ٨/ ٣٣٦.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٦/ ٧٧، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ١٥.

(٣) انظر: «أسباب النزول» للواحدي ٤٩٦، و«زاد المسير» ٨/ ٢٧١، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ١٧.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال مقاتل: يعني مفاتيح الرزق والمطر والنبات[١]. والمعنى أن الله هو الرزاق للخلق كلهم، ولهؤلاء المهاجرين لا هم، لأن خزائن الرزق من السموات والأرض لله تعالى كما قال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٣١].

وقال أهل المعاني: خزائن الله مقدوراته، لأن فيها كل ما شاء مما يريد إخراجه[٢].

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ قال ابن عباس: لا يفقهون أن أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون[٣].

قوله: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ من تلك الغزوة التي كانوا فيها - وهي غزوة بني المصطلق - إلى المدينة ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ﴾ يعني عبد الله بن أبي بالأعز نفسه وبالأذل[٤] رسول الله، فرد عليه فقال ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾ قال ابن عباس: المنعة[٥] ﴿وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بإعزاز الله ونصره إياهم وإظهار دينهم على سائر الأديان.

وقال أبو إسحاق: أعلم الله أنه مظهر[٦] دينه على الدين كله ومعز رسوله ومن معه من المؤمنين[٧].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٦ ب، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ١٧.

(٢) انظر: «مفردات الراغب» (خزن)، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ١٧.

(٣) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٣٥٠، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ١٧، ولم ينسباه لقائل.

(٤) (ك): (بالأذل) بدون الواو.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ٦/ ٧٨.

(٦) (ك): (يظهر).

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٧٧.

قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ذلك، ولو علموا ما قالوا مقالتهم هذه.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ قال عطاء: عن فرائض الله الحج والزكاة[(١)].

وقال الضحاك: الصلوات الخمس[(٢)].

وقال مقاتل: عن الصلاة المكتوبة. وعنده أن هذه الآية والتي بعدها خطاب للمنافقين الذين أقروا بالإيمان[(٣)].

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ أي من ألهاه ماله وولده عن ذكر الله، فعبر عن هذا بفعله، لأنه ما لم يله بماله لم يلهه المال، ومن لم يغتر بشيء لم يغره، وهذا معنى قول صاحب النظم[(٤)].

﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾ قال ابن عباس: يريد زكاة الأموال[(٥)].

﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ فيسأل الرجعة إلى الدنيا، وهو قوله: ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ﴾ قال أبو إسحاق: حضهم على إدامة الذكر، وأن لا يضنوا بالأموال من قبل أن يعاين ما يعلم معه أنه ميت[(٦)]، فيقول: ﴿رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ﴾ هلا أمهلتني وأخرت أجلي إلى أجل قريب، يعني استزاده في أجله حتى يتصدق ويزكي، وهو قوله تعالى:

---

(١) لم أجده، منسوبًا لقائل. وقد ذكره الرازي في «تفسيره» ٣٠/ ١٨.
(٢) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وغيرهما. «جامع البيان» ٢٨/ ٧٦، و«الدر» ٦/ ٢٢٦.
(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٧/أ، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ١٨.
(٤) انظر: «التفسير الكبير» ٣٠/ ١٨.
(٥) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٣٥١، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ١٨.
(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٧٧.

﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ قال عطاء، عن ابن عباس: هذا دليل على أن القوم لم يكونوا مؤمنين، وذلك أن المؤمن لا يسأل الرجعة، إنما يسأل الكافر[١].

وقال الضحاك: لم ينزل بأحد الموت لم يحج ولم يؤد الزكاة إلا سأل الرجعة. وقرأ[٢] هذه الآية.

وقال في قوله: ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ يعني الحج[٣]، ونحو هذا روي عن ابن عباس أنه قال ذلك، فقيل له: اتق الله فإن الكافر يسأل الرجعة. فقال: أنا أقرأ عليكم به قرآنا، ثم قرأ هذه الآية إلى قوله: ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ قال: أحج[٤].

قال أبو إسحاق: معناه: هلا أخرتني.

وجزم ﴿وَأَكُن﴾ على موضع ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ لأنه على معنى: إن أخرتني أصدق وأكن من الصالحين، ومن قرأ (وأكونَ): فهو على لفظ فأصدق وأكون[٥]. قال المبرد: من قرأ (وأكون) فعلة ما قبله لأن ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾

---

(١) انظر: «التفسير الكبير» ٣٠/ ١٩.

(٢) في (ك): (وقال).

(٣) أخرجه ابن جرير عنه. «جامع البيان» ٢٨/ ٧٧، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ١٩.

(٤) أخرجه ابن جرير، والترمذي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، من طريق أبي حناب، وهو ضعيف، وفيه انقطاع بين الضحاك وابن عباس. انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٧٦، و«سنن الترمذي» كتاب تفسير القرآن ٥/ ٣٩٠، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٧٣.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٧٨، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَكُن﴾ قرأ الجمهور: (وأكن) بجزم النون من غير واو، وقرأ أبو عمرو (وأكونَ) بالواو ونصب النون. انظر: «حجة القراءات» ٧١٠، و«النشر» ٢/ ٣٨٨، و«الإتحاف» ٤١٧.

جواب للاستفهام الذي فيه التمني، وهو قوله: ﴿لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ﴾ أي: هلا أخرتني، والجزم على موضع الفاء لأن الفاء دخلت على شيء لو لم يكن فيه لكان مجزومًا ولم يتغير المعنى فكأنه لولا أخرتني إلى أجل قريب أصدق وأكن. وأنشد سيبويه أبياتًا كثيرة في الحمل على الموضع منها قوله:

فلسنا بالجبال ولا الحديدا(١).

ومنه قول لبيد:

فإن لم نجد من دون عدنان والدًا ودون معدا فلترعك العوازل(٢)

فنصب دون معد على الموضع، لأن من زائدة، وزاد أبو علي شرحًا وبيانًا فقال: ﴿أَكُن﴾ عطفًا على موضع قوله: ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ لأنه في موضع فعل مجزوم، ألا ترى أنك إذا قلت: أخرني أصدق، كان جزمًا بأنه جواب الجزاء، وقد أغنى السؤال عن ذكر الشرط، والتقدير: أخرني فإن تؤخرني أصدق، فلما كان الفعل المنتصب بعد الفاء في موضع فعل مجزوم بأنه جزاء الشرط حمل قوله: ﴿وَأَكُن﴾ عليه، وأنشد الأئمة في وجه هذه القراءة قول الشاعر:

فَأَبْلُونِي بَلِيَّتَكُمْ لَعَلِّي أصالِحُكُمْ وأستدرِجْ نَوَيَّا(٣)

---

(١) انظر: «التفسير الكبير» ٣٠/ ١٩ .
والبيت لعقيبة بن هبيرة الأسدي. انظر: «شرح الشواهد» ١/ ٣٤، و«الخزانة» ١/ ٣٤٣، و«شرح المفصل» ٢/ ١٠٩، وينسب أيضًا لعبد الله ابن الزبير الأسدي.

(٢) «ديوان لبيد» ص٢٥٥، و«الكتاب» ١/ ٣٤ ، و«الخزانة» ٢/ ٢٥٢، و«سر صناعة الإعراب» ١/ ١٣٠.

(٣) البيت لأبي دؤاد، كما في «ديوانه» ص٣٥٠، و«الخصائص» ١/ ١٧٦، و«شواهد شرح أبيات المغني» ٦/ ٢٩٢، و«اللسان» (علل)، أمالي ابن الشجري ١/ ٢٨٠، و«مغني اللبيب» ص٤٢٣، و«النقائض» ص٤٠٨، والنوى الوجه الذي يقصد،=

حمل وأستدرج على موضع الفاء المحذوفة وما بعدها من لعلّي[١].

وأما قراءة أبي عمرو (وأكونَ) فإنه حمله على اللفظ دون المعنى، وكان الحمل على اللفظ أولى لظهوره في اللفظ وقربه[٢].

ثم أخبر الله تعالى أنه لا يؤخر من انقضت مدته وحضر أجله فقال: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ أي عند الموت ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ قال عطاء: أي لو رد إلى الدنيا ما زكى ولا حج[٣]، ويكون هذا كقوله: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾[٤] والمفسرون على أن هذا خطاب شائع لكل عامل عمل خيرًا أو شرًّا.

وروي عن عاصم أنه قرأ (يعملون) بالياء[٥] على قوله: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ لأن النفس وإن كان واحدًا في اللفظ فالمراد به الكثرة، فحمل على المعنى[٦]، والله تعالى أعلم.



= وأستدرج أرجع أدراجي.

(١) في (ك): (على موضع لعلّي وما بعدها) والتصحيح من «الحجة».

(٢) انظر: «الحجة» للقراء السبعة ٦/ ٢٩٣ - ٢٩٤.

(٣) «التفسير الكبير» ٣٠/ ١٩، ولم ينسبه لقائل.

(٤) قال تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُۖ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨].

(٥) قرأ أبو بكر، عن عاصم ﴿يَعْمَلُونَ﴾ خبر غائبين، وقرأ الباقون (تعملون) بالتاء على الخطاب. انظر: «حجة القراءات»: ٧١١، و«النشر» ٢/ ٣٨٨.

(٦) «الحجة» للقراء السبعة ٦/ ٢٩٤.

(٦٤) تفسير سورة التغابن

تفسير سورة التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿يُسَبِّحُ﴾ هذه الآية قد تقدم تفسيرها(١).

٢- قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ قال الوالبي عن ابن عباس: إن الله خلق بني آدم مؤمنًا وكافرًا، ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم(٢) مؤمنًا وكافرا(٣)، وقال عطية عنه: يريد فمنكم مصدق ومنكم جاحد(٤).

وقال أبو إسحاق: خلقكم في بطون أمهاتكم كفارًا ومؤمنين(٥).

وجاء في التفسير أن يحيى بن زكريا خلق في بطن أمه مؤمنًا، وخلق فرعون في بطن أمه كافرًا(٦). ودليل صحة هذا قوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ

---

(١) في أول سورة الحشر، والجمعة.

(٢) في (ك): (خلقكم).

(٣) انظر: «الكشف والبيان» ١٣/ ١٣٣ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٥٢، و«زاد المسير» ٨/ ٢٧٩، وقال: (والأحاديث تعضد هذا القول ..).

(٤) «التفسير الكبير» ٣٠/ ٢١، ونسبه لعطية.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٧٩.

(٦) قال ﷺ: «خلق الله يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمنًا، وخلق فرعون في بطن أمه كافرًا». انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٨٣١)، و«صحيح الجامع» ٣/ ١١٣.

﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٩]. فأعلم أنه مخلوق كذلك.

وروى أبو سعيد الخدري خطبنا رسول الله ﷺ عشية فذكر شيئًا مما يكون، ثم قال في خطبته: «**يُولد الناسُ على أطباقٍ شتى، يولد الرجل مؤمنًا ويعيش مؤمنًا ويموت مؤمنًا، ويولد الرجل كافرًا ويعيش كافرًا ويموت كافرًا، ويولد الرجل مؤمنًا ويعيش مؤمنًا ويموت كافرا، ويولد الرجل كافرًا ويعيش كافرًا ويموت مؤمنا**»(١).

٥- قوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ يخاطب أهل مكة ﴿نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ يعني الأمم الكافرة.

٦- قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾ أي عن إيمانهم وعبادتهم.

٩- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ﴾ قال الزجاج: ﴿يَوْمَ﴾ منصوب بقوله: ﴿لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ﴾(٢).

قوله: ﴿لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ قال ابن عباس، ومقاتل: يريد يوم القيامة يجمع فيه أهل السموات وأهل الأرض(٣).

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ التغابن تفاعل من الغبن، والغبن في الشراء والبيع، يقال: غبنه يغبنه إذا أخذ الشيء عنه بدون قيمته(٤).

قال ابن عباس: إن قومًا في النار يعذبون وقومًا في الجنة يتنعمون(٥).

---

(١) ذكر الثعلبي نحو عن أبي سعيد الخدري بدون سند، ودون رفع للنبي ﷺ وكذا البغوي. انظر: «الكشف والبيان» ١٣/ ١٣٤ أ- ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٥٢.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٨٠

(٣) «تفسير مقاتل» ١٥٧ ب، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٥٣، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ٢٤.

(٤) «تهذيب اللغة» ١/ ١٤٨ (غبن)، و«مفردات الراغب» (غبن).

(٥) «التفسير الكبير» ٣٠/ ٢٤.

وقال المقاتلان: هو يوم يغبن فيه أهل الحق أهل الباطل، وأهل الهدى أهل الضلالة، وأهل الإيمان أهل الكفر، فلا غبن أبين منه، هؤلاء يدخلون الجنة، وهؤلاء يدخلون النار(١)، وهذا معنى قول جماعة المفسرين(٢).

قال: ويرى الكافر مقعده وأزواجه من الجنة لو آمن ليزداد حسرة، وإذا لم يؤمن ويرثه المؤمنون، فالمغبون من غبن أهله ومنازله في الجنة(٣).

وحقيقة المعنى أنا قد ذكرنا أن أهل الغبن والتغابن في البيع والشراء، وقد ذكر الله تعالى أن الكافرين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة(٤)، واشتروا الضلالة بالهدى، ثم ذكر أنهم ما ربحوا في هذه التجارة، فقال ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾(٥) ودل المؤمنين على تجارة رابحة بقوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ﴾

---

(١) «تفسير مقاتل» ١٥٧ ب، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ٢٤، و«تفسير ابن كثير» ٤/ ٣٧٥.

(٢) وروى نحوه عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة.
انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٧٩، و«جامع البيان» ٢٨/ ٧٩، و«زاد المسير» ٨/ ٢٨٢

(٣) ويشهد لهذا المعنى الحديث الصحيح عن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ: «**لا يدخل أحد الجنة إلا أُري مقعده من النار لو أساء، ليزداد شكرًا، ولا يدخل النار أحد إلا أُري مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة**» «صحيح البخاري»، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار ٨/ ١٤٦.
قال ابن حجر: ووقع عند ابن ماجه أيضًا، وأحمد بسند صحيح عن أبي هريرة بلفظ «**ما منكم من أحد إلا وله منزلان، منزل في الجنة، ومنزل في النار ٠ فإذا مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله**» وذلك قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ «فتح الباري» ١١/ ٤٤٢.

(٤) وذلك في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ سورة البقرة، آية: ٨٦.

(٥) قال تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة، آية: ١٦].

[الصف: ١٠] الآية[١]. فكل من آمن وجاهد بنفسه وماله فقد ربحت تجارته، وذكر أنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ﴾ [التوبة: ١١١] الآية فخسرت صفقة الكفار وربحت صفقة المؤمنين، غير أن هذا التغابن إنما يظهر في القيامة إذا صار المؤمنون إلى الجنة فربحوا الجنة ومنازلها بتجارتهم، وخسرها الكفار وصارت عاقبتهم النار، فذلك اليوم يوم التغابن على معنى يوم ظهور التغابن.

١١- قوله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾. قال ابن عباس: بعلمه وقضائه[٢].

﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ قال مقاتل: يهد قلبه عند المصيبة فيعلم أنها من الله فيسلم لقضاء الله ويستريح، فذلك قوله: ﴿يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ أي للتسليم والاسترجاع عند المصيبة، وذلك معنى قوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ﴾ إلى قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾[٣] قال أهل المعاني: يهد قلبه للشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء[٤].

١٤- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ﴾ قال عكرمة: سأل رجل عن هذه الآية ابن عباس فقال: هؤلاء رجال من أهل مكة أسلموا وأرادوا أن يأتوا المدينة فلم يدعهم أزواجهم وأولادهم، فهو

---

(١) قوله: (على تجارة رابحة بقوله ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ﴾) مكررة.

(٢) «تنوير المقباس» ٦/ ٨٥، و«زاد المسير» ٨/ ٢٨٣، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٧٥.

(٣) سورة البقرة: ١٥٦ - ١٥٧، وانظر: «تفسير مقاتل» ١٥٧ ب.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٦١، و«الكشف والبيان» ١٣/ ١٣٦ أ، ذكرها عن أبي بكر الوراق، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٧٥، وقد استشهد لهذا القول بقول الرسول ﷺ: «عجبًا للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرًا له..» الحديث.

قوله: ﴿عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ أن تطيعوا وتقبلوا منهم وتدعوا الهجرة.

﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا﴾ قال: إن الرجل من هؤلاء إذا هاجر ورأى الناس قد سبقوه بالهجرة وفقهوا في الدين هم أن يعاقب زوجه وولده الذين ثبطوه عن الهجرة، وإن لحقوا به في دار الهجرة لم ينفق عليهم، ولم يصبهم بخير، فأنزل الله ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(١)].

قال قتادة: قوله: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ قال: ينهون عن الإسلام ويبطئون عنه وهم من الكفار[(٢)].

﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾ فظهر أن هذه العداوة إنما هي للكفر والنهي عن الإيمان، وهذا لا يكون بين المؤمنين فأزواجهم[(٣)] وأولادهم المؤمنون لا يكونون عدوا لكم.

١٥- وفي هؤلاء الأولاد والأزواج الذين ثبطوا عن الهجرة نزل قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ قال ابن عباس: أي لا تطيعوهم في معصية الله[(٤)].

قال مقاتل: ﴿فِتْنَةٌ﴾ أي بلاء وشغل عن الآخرة[(٥)].

وقال أبو إسحاق: أعلم الله أن الأموال والأولاد مما يفتنون به.[(٦)]

---

(١) «أسباب النزول» للواحدي ص٥٠٠، و«سنن الترمذي» ٥/ ٣٩١، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، و«المستدرك» ٢/ ٤٩٠، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، و«جامع البيان» ٢٨/ ٨٠.

(٢) «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٩٥، و«جامع البيان» ٢٨/ ٨١.

(٣) في (ك): (وأزواجهم، ولا يكونون، في هؤلاء)، والتصويب من «التفسير الكبير»، وبه تستقيم العبارة.

(٤) «التفسير الكبير» ٣٠/ ٢٧.

(٥) «تفسير مقاتل» ١٥٨ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٥٤.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج، ٥/ ٢٨٢.

وهذا عام في جميع الأولاد، فإن الإنسان مفتون بولده، لأنه ربما عصى الله بسببه وتناول الحرام لأجله، ووقع في العظائم إلا من عصمه الله، ويشهد لهذا ما روي أن النبي ﷺ كان يخطب فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يعثران فنزل النبي ﷺ إليهما، فأخذهما فوضعهما في حجره على المنبر وقال: **«صدق الله ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ رأيت هذين الصبيين فلم أصبر عنهما»**. ثم أخذ في خطبته.[١]

وروى المسعودي عن القاسم قال: لا يقولن أحدكم: اللهم إني أعوذ بك من الفتنة، فإنه ليس منكم أحد إلا وهو مشتمل على فتنة، فأيكم استعاذ فليستعذ بالله من مضلات الفتن[٢].

قوله: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ قال ابن عباس: ثواب جزيل وهو الجنة[٣]. والمعنى لا تعصوه بسبب أولادكم ولا تؤثرونهم على ما عند الله من الأجر العظيم.

١٦- قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ قال مقاتل: ما أطقتم[٤]. وقال ابن حيان: هو أن يجتهد المؤمن في تقوى الله ما استطاع[٥].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» ٥/ ٣٥٤، وقال ابن حجر: أخرجه أصحاب السنن، وابن حبان، والحاكم، وأحمد، وإسحاق، وابن أبي شيبة، وأبو يعلي، والبزار، من رواية حسين بن واقد، عن ابن بريدة، عن أبيه. قال البزار: لا نعلم له طريقًا إلا هذا. «تخريجات الكشاف» ص١٧٣، والحسين بن واقد ثقة، له أوهام. «التقريب» ١/ ١٨٠.

(٢) ذكره الثعلبي، والبغوي من كلام عبد الله بن مسعود. «الكشف والبيان» ١٣/ ١٣٧أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٥٤.

(٣) «زاد المسير» ٨/ ٢٨٥

(٤) «تفسير مقاتل» ١٥٨ أ.

(٥) «التفسير الكبير» ٣٠/ ٢٧، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٧٧، ولم ينسباه لقائل.

قال قتادة: نسخت هذه الآية ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[١] وقد تقدم الكلام في تلك الآية.

قوله: ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ أي لله ولرسوله ولكتابه ﴿وَأَطِيعُوا۟﴾ الله فيما يأمركم ﴿وَأَنفِقُوا۟﴾ من أموالكم في حق الله ﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ منصوب بما دل عليه ﴿وَأَنفِقُوا۟﴾ كأنه قيل: وقدموا خيرًا لأنفسكم وهو كقوله: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾[٢] وقد مر ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ حتى يعطي حق الله.

قوله تعالى: ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ وقد مر هذا في سورة الحشر[٣] وباقي السورة مفسر فيما سبق.

والله تعالى أعلم.

---

(١) قوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. وانظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٩٥، و«جامع البيان» ٢٨/ ٨٢، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٧٧، ذكره عن سعيد بن جبير، ومما قال: (وروي عن أبي العالية، وزيد بن اسلم، وقتادة، والربيع بن أنس، والسدي، ومقاتل بن حيان نحو ذلك). وقال مكي بن أبي طالب: (وأكثر العلماء على أنه محكم لا نسخ فيه، لأن الأمر بتقوى الله لا ينسخ، والآيتان ترجعان إلى معنى واحد. وهذا القول حسن، لأن معنى ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ اتقوه بغاية الطاقة، فهو قوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ إذ لا جائز أن يكلف الله أحدًا ما لا يطيق..) «الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه»، ص ٢٠٣-٢٠٤.

(٢) من آية (١٧٠) من سورة النساء. وانظر: «الكتاب» ١/ ١٤٣، و«إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٤٤٨، و«مشكل إعراب القرآن» ٢/ ٧٣٨.

(٣) آية رقم (٩) من سورة الحشر.

سورة الطلاق

تفسير سورة الطلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ الآية. روى قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ طلق حفصة فأتت أهلها، فأنزل الله هذه الآية. وقيل له راجعها فإنها صوامة قوامة(١).

وعلى هذا إنما نزلت بسبب خروجها إلى أهلها لما طلقها النبي ﷺ فأنزل الله في هذه الآية: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾، ونحو هذا ذكر الكلبي في سبب نزول هذه الآية، قال: غضب رسول الله ﷺ على حفصة لما أسر إليها حديثًا فأظهرته(٢) لعائشة، فطلقها تطليقة، فنزلت هذه الآية(٣).

قال السدي: نزلت في عبد الله بن عمر لما طلق امرأته حائضًا(٤).

والقصة في ذلك مشهورة(٥)، وذكر المقاتلان أن رجالًا فعلوا مثل ما

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم، وابن جرير، انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٨٥، و«أسباب النزول» للواحدي ص٥٠١، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٧٧، وفي «مجمع الزوائد» ٩/ ٢٤٥، قال: أخرجه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٢) في (س): (فأظهرت).

(٣) انظر: «التفسير الكبير» ٣٠/ ٢٩.

(٤) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ١٣٨ ب، و«أسباب النزول» للواحدي ص٥٠١.

(٥) قصة تطليق ابن عمر رضي الله عنهما لامرأته وهي حائض مشهورة، رواها البخاري في «صحيحه»، كتاب: الطلاق ٧/ ٥٢، ومسلم في كتاب: الطلاق، باب: تحريم طلاق الحائض بغير رضاها ٢/ ١٠٩٣، وأبو داود في «سننه»، كتاب: الطلاق، باب: في طلاق السنة ٢/ ٤١١، وغيرهم.

فعل ابن عمر، منهم عبد الله بن عمرو، وعمرو بن سعيد بن العاص[١]، وعتبة بن غزوان[٢] فنزلت الآية فيهم[٣].

وفي قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ وجهان:

أحدهما: أنه نادى النبي ﷺ ثم خاطب أمته، لأنه السيد المقدم، فإذا نودي وخوطب خطاب الجمع كانت أمته داخلة في ذلك الخطاب.

قال أبو إسحاق: هذا خطاب النبي ﷺ، والمؤمنون داخلون معه في الخطاب[٤].

الوجه الثاني: أن المعنى يا أيها النبي قل لهم: إذا طلقتم النساء. فأضمر القول[٥]، وإضمار القول كثير في القرآن.

---

(١) عمرو بن سعيد بن العاص، المعروف بالأشدق، تابعي، ولي إمرة المدينة لمعاوية، ولابنه، قتله عبد الملك سنة سبعين صبرًا.
انظر: «العبر» ١/ ٥٧، و«تقريب التهذيب» ٢/ ٧٠، و«طبقات ابن سعد» ٥/ ٢٣٧، و«تاريخ الإسلام» ٤/ ٢٠٢، و«سير أعلام النبلاء» ٣/ ٤٤٩.

(٢) عتبة بن غزوان المازني، أحد السابقين الأولين، يقال أسلم سابع سبعة، وهو الذي اختط البصرة، توفي سنة سبع عشرة في طريقه إلى البصرة، وهو ابن سبع وخمسين رضي الله عنه.
انظر: «صفة الصفوة» ١/ ٣٨٧، و«سير أعلام النبلاء» ١/ ٣٠٤، و«طبقات ابن سعد» ٣/ ٩٨، و«الإصابة» ٦/ ٣٧٩، و«تاريخ الإسلام» ٢/ ١٥٢.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٨ أ، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ٢٩، و«روح المعاني» ٢٨/ ١٣٢.
قال ابن العربي: والأصح فيه أنه بيان لشرع مبتدأ. انظر: «أحكام القرآن» ٤/ ١٨١١، و«البحر المحيط» ٨/ ٢٨١. وقال القرطبي: إن الأصح أنها نزلت ابتداء لبيان حكم شرعي، وكل ما ذكر من أسباب النزول لها لم يصح، و«الجامع» ١٨/ ١٤٨.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٨٣.

(٥) انظر: «التفسير الكبير» ٣٠/ ٢٩، و«فتح الباري» ٩/ ٣٤٦.

وقوله: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ معناه: إذا أردتم التطليق، كقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٦] و﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الإسراء: ٤٥]، وقد مر.

قوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ قال عبد الله: إذا أراد الرجل أن يطلق امرأته فليطلقها طاهرًا من غير جماع[١]. وهذا قول مجاهد، وعكرمة، والضحاك، والحسن، وابن سيرين، ومقاتل، والجميع[٢]. قالوا: أمر الله تعالى الزوج أن يطلق امرأته إذا شاء الطلاق في طهر لم يجامعها فيه[٣]، وهو قوله: ﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾ أي: لزمان عدتهن وهو الطهر بإجماع من الأمة[٤]، وذلك أن الطلاق سني وبدعي، فالسني أن يقع في طهر لم يجامع فيه فذلك هو الطلاق للعدة؛ لأنها تعتد بذلك الطهر من عدتها ويحصل في العدة عقيب الطلاق، فلا يطول عليها زمان العدة. فالآية دلت على إيقاع الطلاق[٥] في الطهر، ودلت السنة على أن ذلك الطهر يجب أن يكون غير مجامع فيه حتى يكون الطلاق سنيًّا. وهو ما روي في

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامعه» ٢٨/ ٨٣، والنسائي في «سننه» كتاب: الطلاق، باب: طلاق السنة ٢/ ٧١٥، وابن ماجه في الطلاق، باب طلاق السنة ١/ ٦٥١.

(٢) (س): قوله (والضحاك) و(ابن سيرين، ومقاتل، والجميع) زيادة.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٨ أ، و«جامع البيان» ٢٨/ ٨٤، و«تفسير ابن كثير» ٤/ ٣٧٨.

(٤) انظر: «أحكام القرآن» للجصاص ٣/ ٤٥٢، و«المغني» ١٠/ ٣٢٥، حيث قال: ولا خلاف في أنه إذا طلقها في طهر لم يصبها فيه، ثم تركها حتى تنقي عدتها أنه مصيب للسنة.

(٥) قوله: (فالآية دلت على إيقاع الطلاق) في (س) بدلًا منها (دلت على ذلك الآيتين) والصواب ما أثبته.

حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال لعمر: «**مره فليراجعها، ثم ليطلقها طاهرًا من غير جماع**»(١).

وذكرنا أيضًا عن جماعة المفسرين أنهم قالوا: الطلاق للعدة أن يطلقها طاهرًا من غير جماع.

وروي عن الشعبي أنه قال: إذا طلقها وهي طاهرة فقد طلقها للسنة، وإن كان قد جامعها(٢)، والقول هو الأول، وهو مذهب الفقهاء(٣).

والمعنى فيه أنه إذا جامعها لم يؤمن أن تكون قد حملت من هذا الجماع، فإذا طلقها وبانت حاملًا ربما يندم الزوج على الطلاق لمكان الولد. وهذا كله إنما يتصور في البالغة المدخول بها غير الآيسة ولا الحامل، فأما الصغيرة، وغير(٤) المدخول بها، والآيسة، والحامل، فلا سنة في(٥) طلاقهن ولا بدعة، ولا عدة على غير المدخول بها، والآيسة

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة الطلاق ٦/ ١٩٣، ومسلم في كتاب: الطلاق، باب: تحريم طلاق الحائض ٢/ ١٠٩٥، وأبو داود في باب: طلاق السنة ٢/ ٤١٠، وأحمد في «المسند» ٢/ ٤٦، ٥٨.

(٢) قال الجصاص: وهذا القول خلاف السنة الثابتة عن النبي ﷺ وخلاف إجماع الأمة، إلا أنه قد روي عنه ما يدل على أنه أراد الحامل، وهو ما رواه يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح عن بيان عن الشعبي قال: إذا طلقها حاملًا فقد طلقها للسنة، وإن كان قد جامعها، فيشبه أن يكون هذا أصل الحديث، وأغفل بعض الرواة ذكر الحامل. «أحكام القرآن» ٣/ ٤٥٢.

(٣) انظر: «المغني» ١٠/ ٣٢٦، و«الحاوي الكبير» ١٠/ ١١٤.

(٤) (غير) ساقطة من (ك).

(٥) قوله: (ولا الحامل، فأما الصغيرة وغير المدخول بها والآيسة والحامل فلا سنة في) ساقطة من (س) وذكر بدلًا منها قوله: (والآيسة كالصغيرة وغير المدخول بها، والآيسة وغيرها في ذلك).

والصغيرة الحامل لا يعتدون بالأقراء[1]، وأما الطلاق البدعي فهو أن يقع[2] في حال الحيض، وفي طهر قد جومع فيه، فهذا طلاق على غير السنة، وهو واقع وصاحبه آثم[3].

وروي عن علي ﷺ أنه قال: «**لا يطلق رجل طلاق السنة فيندم**»[4].

هذا الذي ذكرنا في وقت الطلاق، وليس في عدد الطلاق سنة وبدعة على مذهب الشافعي ﷺ، حتى أنه لو[5] طلقها ثلاثًا في طهر صحيح لم يكن قد ابتدع[6]، بخلاف ما ذهب إليه أهل العراق، فإنهم قالوا: السنة في عدد الطلاق أن يواقع كل طلقة في طهر صحيح، فلو طلق ثلاثًا في طهر واحد

---

(١) انظر: «المغني» ١١/ ١٩٤، و«المحلى» ١٠/ ٢٥٦، و«مجموع الفتاوى» ٣٣/ ٧، و«المجموع شرح المهذب» ١٧/ ١٥٤، ١٥٦.

(٢) في (ك): (فهو أربع).

(٣) وهو قول عامة أهل العلم. قال ابن المنذر، وابن عبد البر: لم يخالف في ذلك إلا أهل البدع والضلال. «المغني» ١٠/ ٣٢٧.

قلت: وما ذكراه وهم منهما رحمهما الله، فقد خالف في ذلك طاوس، وعكرمة، وخلاس وعمر، ومحمد بن إسحاق، وحجاج بن أرطأة، وأهل الظاهر، كداود، وأصحابه، وطائفة من أصحاب أبي حنيفة، ومالك، وأحمد. وهو المرجح عند ابن تيمية.

انظر: «مجموع الفتاوى» ٣٣/ ٧٢، ١٠١، و«المحلى» ١٠/ ١٦١.

(٤) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» كتاب الخلع والطلاق، باب ما جاء في طلاق السنة وطلاق البدعة ٧/ ٣٢٣، وابن أبي شيبة في «المصنف»، كتاب: الطلاق، باب: ما قالوا في طلاق السنة ومتى يطلق ٥/ ٢.

(٥) في (س): قوله (لو) زيادة.

(٦) في (س): (ابدع)، وانظر: «الأم» ٥/ ١٦٢، و«الحاوي الكبير» ١٠/ ١١٧، و«المغني» ١٠/ ٣٣٠.

كان مبتدعًا[(١)]، والآية تدل على مذهب الشافعي، وهو قوله: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ﴾ وهذا اللفظ للأمر[(٢)] بالواحدة فما زاد.

قال صاحب النظم: قوله: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ صفة للطلاق كيف يكون، وهذه اللام تجيء لمعانٍ مختلفة:

للإضافة وهي أصلها، ولبيان السبب والعلة كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩]، وكقوله: قمت لأضرب زيدًا. ثبتت اللام بسبب الإطعام والضرب. وإذا كانت اللام بهذا المعنى سميت لام أجل.

وتكون بمنزلة عند مثل قوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨] أي: عنده، وتكون بمنزلة في مثل قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢] أي: في أول الحشر. وهي في هذه الآية بهذا المعنى؛ لأن المعنى ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[(٣)] أي: في الزمان الذي يصلح لعدتهن[(٤)]، ومنه قول الشاعر[(٥)]:

وهم كتموني سرهم حين أزمعوا   وقالوا أتعدنا للرواح وبكروا

والمعنى: أتعدنا للسير في الرواح، قال: وفي قوله: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ وفي إجماع الناس في[(٦)] الطلاق في الحيض مكروه ممنوع منه،

---

(١) انظر: «شرح فتح القدير» ٣/٤٦٦- ٤٦٧، و«الحاوي الكبير» ١٠/١١٨، و«المغني» ١١/٣٢٦.

(٢) في (س): (للأمر) زيادة.

(٣) في (س): (في عدتهن).

(٤) انظر: «التفسير الكبير» ٣٠/ ٣٠.

(٥) لم أجده.

(٦) قال ابن قدامة: (أجمع العلماء في جميع الأمصار وكل الأعصار على تحريمه، ويسمى طلاق البدعة...) «المغني» ١٠/ ٣٢٤.

وفي الطهر مأذون فيه، وفي تسميته ﷻ الوقت الذي أذن فيه في الطلاق عدة وهي الطهر دليل على أن القرء هو الطهر إذ سمى العدة أقراء في سورة البقرة[(١)]، ثم جعلها طهرًا في هذه السورة[(٢)]، فإن قيل: على هذا قوله: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ معناه لقُبُل عدتهن وهي[(٣)] قراءة النبي ﷺ وابن عباس[(٤)].

(١) في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٨].

(٢) وهو قول أهل الحجاز، وعائشة، وابن عمر، زيد بن ثابت، والزهري، والشافعي، وقال أهل الكوفة وعمر، وعلي، وابن مسعود وغيرهم، الأقراء: الحيض.
انظر: «المغني» ١١/ ١٩٩- ٢٠٠، و«أحكام القرآن» للجصاص ١/ ٣٦٤، و«أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ١٨٤، و«الجامع لأحكام القرآن» ٣/ ١١٣.

(٣) في (س): (وهو).

(٤) ذكر هذه القراءة ابن جرير، وعبد الرزاق، ونسبت لابن عباس، ونسبها الزمخشري للنبي ﷺ ونسبها أبو حيان لجماعة من الصحابة والتابعين.
انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٣٣٦، و«جامع البيان» ٢٨/ ٨٤، و«الكشاف» ٤/ ١٠٧، و«البحر المحيط» ٨/ ٢٨١، وقال أبو حيان: هو على سبيل التفسير لا على أنه قرآن، لخلافه لسواد المصحف الذي أجمع عليه المسلمون شرقًا وغربًا.
وقال النووي: هذه قراءة ابن عباس، وابن عمر. وهي شاذة لا تثبت قرآنًا بالإجماع ولا يكون لها حكم خبر الواحد عندنا، وعند محققي الأصوليين، والله أعلم. «شرح النووي على صحيح مسلم» ١٠/ ٦٩.
قلت: ونسبة هذه القراءة للنبي ﷺ كما ذكر المؤلف والزمخشري تجاوز وعدم تحقيق، إذ القراءات جميعها لا تثبت إلا عن طريقه ﷺ فنسبتها إليه يخرج غيرها وهذا مخالف للعقل والنقل، فنسبتها إلى غيره من الصحابة والتابعين هو الصواب، ثم ينظر في ثبوتها من عدمه، والله أعلم.
وقال ابن حزم: وهذا مما قرئ ثم رفعت لفظة (في قُبُلِ) وأنزل الله تعالى: ﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾ وهكذا رويناه من طريق الدبري... وهذا إسناد في غاية الصحة لا يحتمل التوجيهات. «المحلى» ١٠/ ١٦٦.

وقبل عدتهن آخر الطهر، إقبال الحيض الذي هو زمان العدة، قيل: هذا لا يصح، لأنه لو كان الأمر على هذا لزم أن يقال: إن من طلق في أول الطهر لا يكون مطلقًا للعدة ولا لقبل العدة؛ لأن الحيض لم يقبل بعد لإقبال الطهر في هذا الوقت، و يستحيل أن يكون الطهر والحيض مقبلين معًا في وقت واحد، لأن الشيء إذا كان له إقبال وإدبار وإذا انقضى إقباله ودخل إدباره لا يكون ضده مقبلًا في إدباره إلا بعد انقضاء آخر إدباره، ولو جاز أن يكون إقبال شيء في إدبار غيره الذي هو ضده لكان الصائم مفطرًا قبل مغيب الشمس، إذ الليل عنده مقبل في إدبار النهار وقبل انقضاء إدبار النهار. وهذا ما لا يقوله أحد، وقوله ﷺ: «**إذا أقبل الليل من هاهنا وأدبر النهار من هاهنا..**»[١] يريد إدبار النهار بتمامه، وإقبال الليل بعد تمام إدبار النهار، وليس قوله ﷻ فطلقوهن لقبل عدتهن تحديًا، لئلا يكون الطلاق إلا فيه دون ما بعده من الوقت؛ لأن أول الطهر وآخره كله وقت الطلاق إذ لم يذكر في الكتاب منع الطلاق في شيء منه. وقد قال النبي ﷺ: «**صوموا لرؤيته..**»[٢]، يعني الهلال، والصوم لا يكون بعده إلا بساعات مديدة.

---

(١) حديث متفق عليه، رواه البخاري في كتاب: الصوم، باب: يفطر بما تيسر من الماء أو غيره ٣/ ٤٧ ومسلم في كتاب: الصيام، باب: وقت انقضاء الصوم وخروج النهار ٢/ ٧٧٢.

(٢) متفق عليه، رواه البخاري في كتاب: الصوم، باب: قول النبي ﷺ: «**إذا رأيتم الهلال فصوموا**» ٣/ ٣٤، ومسلم في كتاب: الصوم، باب: وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال ٢/ ٧٥٩، وأخرجه الترمذي في أبواب الصوم، باب ما جاء: لا تقدموا الشهر بصوم ٣/ ٦٨، والنسائي في كتاب: الصيام، باب: ذكر الاختلاف على الزهري في هذا الحديث ٢/ ٤٥٩.

فإن قيل: إذا طلق في آخره[١] واعتد بذلك الطهر قرءًا واحدًا وربما كان يومًا أو ساعة فقد جعلتم العدة دون ثلاثة أقراء إذ لم يكن الطهر فيه قرءًا تامًا. قيل: يجوز أن يسمي بعض الطهر قرءًا تامًا لقوله ﷻ: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧] يعني شوالًا وذا القعدة وبعض ذي الحجة، وكذلك قوله: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٠٣] وهو ينفر في بعض اليوم[٢] الثاني، فسمى الله ﷻ يومًا واحدًا وبعض آخر يومين[٣].

قوله تعالى: ﴿وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾، قال أصحابنا إنما أمرنا بإحصاء العدة لفوائد منها: أن يوزع الطلاق على الأقراء إذا أراد أن يطلق ثلاثًا وهو أحسن من جمعها في قرء واحد، لأنه ربما يندم، وإذا فرق أمكنه المراجعة قبل إيقاع الثلاث، ومنها أيضًا مراعاة النفقة والسكنى والعلم ببقاء زمان المراجعة وانقضائه وغير ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾. قال مقاتل: اخشوا الله فلا تعصوه فيما أمركم[٤].

قوله تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ لا يجوز للزوج أن يخرج المطلقة المعتدة من مسكنه الذي يساكنها فيه قبل الطلاق، إن كان ملكًا له أو بكراء في يديه، وإن كان عارية فارتجعت كان على الزوج أن يكتري لها

---

(١) في (س): (آخر النهار) والصواب ما أثبته.

(٢) في (س): (اليوم) زيادة.

(٣) انتهى كلام الجرجاني، ولم أجد من ذكره بكامله عنه غير المؤلف وهو كلام نفيس ظاهر الدلالة والمعنى. انظر: «التفسير الكبير» ٣٠/ ٣٠.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٨ أ، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ٣٢.

منزلًا، وعلى المرأة حق لله ألا تخرج[١] في عدتها إلا لضرورة ظاهرة، فإن خرجت أثمت سواء خرجت ليلًا أو نهارًا، ولا تنقطع العدة[٢].

قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: هو أن تزني فتخرج لإقامة الحد عليها[٣]، وهو قول الضحاك، وسعيد بن المسيب، وعكرمة، والشعبي، ومجاهد[٤] والأكثرين، فالفاحشة على هذا القول الزنا.

وقال ابن عمر: الفاحشة خروجها قبل انقضاء العدة[٥]، وهو قول السدي، والكلبي، وروي ذلك عن الشعبي[٦].

وقال مقاتل: الفاحشة المبينة هي العصيان البين، وهو النشوز[٧]. وهو قول الضحاك، وقتادة، ورواية عكرمة عن ابن عباس قال إلا أن تبذو

---

(١) قوله: (المرأة حق الله ألا تخرج) في (س): (المرأة أيضًا لحق الله أن لا تخرج).

(٢) انظر: «المجموع» ١٨/ ١٧٥.

(٣) أخرج عبد الرزاق، وابن المنذر، عن عطاء الخراساني قال: كان ذلك قبل أن تنزل الحدود، وكانت المرأة إذا أتت بفاحشة أخرجت ولم يذكرا ابن عباس في هذا الأثر. انظر: «الدر» ٦/ ٢٣١.

(٤) في (س): (وعكرمة والشعبي ومجاهد) زيادة.
وانظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ١٣٩ ب، و«زاد المسير» ٨/ ٢٨٩، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٧٨.

(٥) انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٨٧، و«الكشف والبيان» ١٢/ ١٣٩ ب، و«المستدرك» ٢/ ٤٩١.

(٦) في (س): (وروى ذلك عن الشعبي) زيادة. وانظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٣٥٧، و«زاد المسير» ٨/ ٢٨٩، وهو مروي عن ابن عباس أيضًا. والمراد بأهلها، أي: أهل زوجها؛ لأنها أصبحت منهم. وانظر: «تنوير المقباس» ٦/ ٨٨.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٨ أ، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ٣٢.

على أهلها[١]. ونحو ذلك روي عن جابر بن زيد قال: هي النشوز وسوء الخلق إذا نشزت وساء خلقها أخرجها[٢].

وقال مقسم: أي إذا عصتك أو آذتك، فهي إذا زنت أو نشزت أو خرجت في عدتها كان للزوج إخراجها من البيت وانقطعت سكناها[٣].

قوله: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ يعني ما ذكر من طلاق السنة وما بعده من الأحكام[٤].

قال مقاتل والضحاك: وتلك طاعة الله وسنته وأمره[٥].

---

(١) انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٨٦، و«الكشف والبيان» ١٢/ ١٤٠ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٥٧.

قال ابن قدامة: وهي أن تطيل لسانها على أحمائها وتؤذيهم بالسب ونحوه. روى ذلك عن ابن عباس، وهو قول الأكثرين.

قلت: نسب الثعلبي والواحدي القول بأن الفاحشة المبينة هي الزنا للأكثرين، ونسب ابن قدامة القول بأنها إيذاء القرابة ب«اللسان» للأكثرين أيضًا، ونسب القول الأول لابن مسعود، والحسن، قم قال: ولنا أن الآية تقتضي الإخراج عن السكنى، وهذا لا يتحقق فيما قالاه. انظر: «المغني» ١١/ ٢٩٣.

قلت: ولعل مراده بالأكثرين من الفقهاء، ومراد غيره الأكثرين من المفسرين، والله أعلم.

وذكر ابن كثير: شمول الآية للمعنيين، وهو الظاهر، إلا أن خروجها للزنا الذي صدر عنها إنما هو إخراج لإقامة الحد، ولا تنقضي به العدة فحسب، بل تنقضي به الحياة. انظر: «تفسير ابن كثير» ٤/ ٣٧٨.

(٢) لم أجده، وهو داخل في الأقوال السابقة.

(٣) لم أجده، ولعله لا يخرج عن الأقوال السابقة.

(٤) وهو اختيار ابن جرير والجصاص وغيرهما. انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٨٧، و«أحكام القرآن» للجصاص ٣/ ٤٥٤.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٨ أ، و«جامع البيان» ٢٨/ ٨٧.

﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ قال أبو إسحاق: هذا تشديد فيمن تعدى طلاق السنة[(١)]، وقال مقاتل: ومن يطلق لغير العدة[(٢)].

﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾. قال ابن عباس: أثم[(٣)].

وقوله: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ قال ابن عباس: يريد الندم على طلاقها والمحبة لرجعتها[(٤)].

وقال مقاتل: ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بعد التطليقة والتطليقتين[(٥)]، ﴿أَمْرًا﴾ يعني: المراجعة. وقال الشعبي: لا تدري لعلك تندم فيكون لك سبيل إلى المراجعة[(٦)].

وقال الضحاك: لعله أن يراجعها في العدة[(٧)]، وهذا دليل على أن المستحب في التطليق أن يوقع متفرقًا ولا يجمع بين الثلاث لقوله: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ وهو الندم على الطلاق، وإرادة المراجعة، وذلك إنما ينفع إذا لم يجمع الطلقات.

قال أبو إسحاق: وإذا طلقها ثلاثًا[(٨)] في وقت واحد فلا معنى في

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٨٤.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٨ أ، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ٣٣.

(٣) والذي ذكر عنه قوله (ضر نفسه). انظر: «تنوير المقباس» ٦/ ٨٩، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ٣٣.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ٦/ ٨٩، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٥٧.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٨ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٥٧.

(٦) انظر: «الدر» ٦/ ٢٣٢، وزاد نسبة إخراجه لعبد بن حميد عن الضحاك والشعبي.

(٧) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٤٩٨، و«جامع البيان» ٢٨/ ٨٧، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٧٨، وهو المروي عن عطاء، وقتادة، ومقاتل بن حيان، والثوري.

(٨) في (س): (ثلاثًا) زيادة.

قوله: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾[١].

٢- وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾، قال: أي قارين انقضاء العدة، وليس يريد انقضاء أجلهن، فالمراد ببلوغ الأجل هاهنا مقاربة البلوغ، وهذا كقوله: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣١] يريد مقاربة البلوغ هناك وهاهنا لقوله: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ وهذا مفسر في الآية التي ذكرناها في سورة البقرة[٢].

قوله: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ قال المفسرون: أمروا أن يشهدوا عند الطلاق وعند الرجعة ذوي عدل[٣].

وللشافعي -رحمه الله- في الإشهاد على الرجعة قولان:

أحدهما: أنها لا تصح إلا بالإشهاد للآية.

والآخر: أنها تصح من غير إشهاد كما تصح من غير ولي ومن غير رضاها[٤]، وهو مذهب مالك وأبي حنيفة[٥]، ولأنها في حكم الزوجات

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٨٣.

(٢) وذلك عند تفسيره الآية (٢٣١) من سورة البقرة.

والإمساك بالمعروف هو ما تعارف عليه الناس بينهم مما تقبله النفوس، ولا تنكره العقول، وهو القيام بما يجب لها من حق على زوجها من نفقة وغير ذلك. وقيل: هو أن يحسن في أمرها إذا طلقها، ولم يبق من العدة إلا اليسير فإما أن يشهد على الرجعة، وينوي حسن العشرة، وإما أن يتركها من غير شقاق ولا مخاصمة.

وانظر: «جامع البيان» ٢/ ٢٩٣، و«الجامع لأحكام القرآن» ٣/ ١٥٦.

(٣) وبه قال ابن عباس، وعمران بن حصين، وابن جريج، والسدي.

انظر: «تنوير المقباس» ٦/ ٩٠، و«جامع البيان» ٢٨/ ٨٨، و«ابن كثير» ٤/ ٣٧٩.

(٤) انظر: «الأم» ٥/ ٢٢٦- ٢٢٧، و«المجموع» ١٧/ ٢٦٩.

(٥) انظر: «بدائع الصنائع» ٤/ ١٩٧٥.

بدليل ثبوت التوارث ولحوق الطلاق والظهار[١]، والإيلاء والانتقال إلى عدة الوفاة إذا مات الزوج، والإشهاد إنما أمر به للاحتياط مخافة أن تنكر المرأة الرجعة فتنقضي العدة فتنكح زوجًا آخر[٢].

ثم خاطب الشهداء فقال: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ﴾ وهو مفسر في سورة البقرة[٣] إلى قوله[٤]: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾، قال الشعبي: من يطلق للعدة يجعل الله له سبيلًا إلى الرجعة[٥].

وقال الربيع بن خيثم: يجعل له مخرجًا من كل أمر ضاق على الناس[٦]، وهو معنى قول ابن عباس: ومن يخف الله يجعل له مخرجًا من كل ضيق[٧].

وقال الكلبي: ومن يصبر على المصيبة، يجعل الله له مخرجًا من النار

---

(١) في (س): (والظهار) زيادة.

(٢) انظر: «المغني» ١٠/ ٥٥٩.

(٣) عند تفسيره الآية (٢٨٢) من سورة البقرة. ومما قال: وقد ذكر الله الكتاب لأن الكتاب يذكر الشهود فتكون الشهادة أقوم من أن لو شهدوا على ظن ومخيلة. ومعنى أقوم أبلغ في الاستقامة التي هي ضد الاعوجاج، وذلك أن المنتصب القائم يكون ضد المنحني المعوج.

(٤) في (ك): (إلى قوله قوله).

(٥) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ١٤١ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٥٧، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ٣٤، وزادوا نسبته لعكرمة والضحاك.

(٦) انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٨٩، و«الكشف والبيان» ١٢/ ١٤١ ب، و«الدر» ٦/ ٢٣٢.

(٧) انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٨٩، و«الدر» ٦/ ٢٣٢، ولفظه (ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة).

إلى الجنة(١).

وقال أكثر المفسرين: نزل هذا وما بعده في عوف بن مالك الأشجعي، أسر العدو ابنًا له فأتى النبي ﷺ فذكر له ذلك وشكا إليه الفاقة، فقال له: اتق الله واصبر وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله(٢): ففعل ذلك. فبينا هو في بيته إذا أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فأصاب إبلًا وجاء بها إلى أبيه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ وهو قول المقاتلين، وسالم ابن أبي الجعد والكلبي(٣).

قال أبو إسحاق: وجائز أن يكون المعنى أنه اتقى وآثر الحلال والصبر على أهله ففتح الله عليه إن كان ذا ضيقة، ورزقه من حيث لا يحتسب، قال: وجائز أن يكون إذا اتقى الله في طلاقه وجرى في ذلك على السنة يرزقه الله أهلًا بدل أهله(٤).

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٦/ ٩٠، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ٣٤.

(٢) في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**أكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها من كنوز الجنة**». وانظر: «صحيح الجامع» ١/ ٣٨٨ (١٢٢٥)، و«سلسلة الأحاديث الصحيحة» ٤/ ٣٣ (١٥٢٨).

(٣) في (س): (والكلبي) زيادة.
وانظر: «تفسير مقاتل» ١٥٨ ب، و«تنوير المقباس» ٦/ ٩١، و«جامع البيان» ٢٨٧/ ٨٩، و«أسباب النزول» للواحدي ٥٠٢.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٨٤.
وقال النحاس: أهل التفسير على أن المعنى أنه إن اتقى الله جل وعز وطلق واحدة فله مخرج إن أراد أن يتزوج تزوج وإن لم يتق الله جل وعز وطلق ثلاثًا فلا مخرج له. وهذا قول صحيح عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وابن عباس بالأسانيد التي لا تدفع. «إعراب القرآن» ٣/ ٤٥٢.
قلت: حمل الآية على العموم أولى، وما ورد عن السلف رحمهم الله هو من باب=

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ أي: ومن وثق به فيما نابه كفاه الله ما أهمه، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله**»(١).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦٓ﴾ قال ابن عباس: يريد في جميع خلقه(٢)، والمعنى: سيبلغ الله أمره فيما يريد منكم، ومن أضاف حذف التنوين استخفافًا(٣) وهو مراد كما ذكرنا، في قوله: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾(٤) [القمر: ٢٧]، و﴿هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥].

قال مسروق: إن الله واقع قدره على من يتوكل أو لم يتوكل، إلا أن(٥) من يتوكل عليه يجعل له من أمره مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب(٦).

﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ قال الكلبي ومقاتل: لكل شيء من الشدة والرخاء أجلًا ينتهي إليه قدر الله، ذلك كله لا يقدم ولا يؤخر(٧).

= التمثيل لا الحصر، وليس بين تلك الأقوال تعارض، والله أعلم.

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: «التفسير الكبير» ٣٠/ ٣٤.

(٣) قرأ حفص ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦٓ﴾ مضافًا. وقرأ الباقون ﴿بَٰلِغٌ أَمْرَهُۥ﴾ بالتنوين. انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٣٠٠، و«حجة القراءات» ص٧١٢، و«النشر» ٢/ ٣٨٨، و«الإتحاف» ص٤١٨.

(٤) تقدم بيان القراءة فيها.

(٥) (س): (أن) زيادة.

(٦) انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٩٠، و«الكشف والبيان» ١٢/ ١٤٢/ب، و«معالم التنزيل» ٣/ ٣٥٨.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٨ أ، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ٣٤.

وقال ابن عباس: يريد قدرت ما خلقت بمشيئتي[(١)].

٤- قوله تعالى: ﴿وَالَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾ ذكر الله تعالى في سورة البقرة عدة ذات الأقراء، والمتوفى عنها زوجها[(٢)]، وذكر عدة سائر النسوة اللائي لم يذكرن هناك في هذه السورة[(٣)].

ويروى أن معاذ بن جبل قال: يا رسول الله: قد عرفنا عدة التي تحيض، فما عدة الكبيرة التي يئست فنزل قوله: ﴿وَالَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾[(٤)] يعني القواعد من النساء اللاتي قعدن من المحيض.

قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ إن شككتم، فلم تدروا ما عدتها. وهذا قول الأكثرين واختيار الفراء[(٥)].

وقال أبو إسحاق: معناه إن ارتبتم في حيضتها وقد انقطع عنها الحيض وكانت ممن يحيض مثلها فعدتهن ثلاثة أشهر[(٦)].

---

(١) انظر: «التفسير الكبير» ٣٠/ ٣٤.

(٢) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ﴾ [البقرة: ٢٢٨].
وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗا﴾ [٢٣٤].

(٣) وهن الكبيرات اللاتي انقطع عنهن الحيض، والصغيرات اللاتي يحضن، وأولات الأحمال.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ٦/ ٩١، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ٣٥.
وذكره أكثر المفسرين عن أبي بن كعب. انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٩٣، و«الكشف والبيان» ١٢/ ٢٤٣ أ، و«أسباب النزول» للواحدي ص٥٠٣.

(٥) في (س): (واختيار الفراء) زيادة. وانظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٦٣، و«جامع البيان» ٢٨/ ٩١، و«فتح الباري» ٩/ ٤٧٠.
قال ابن كثير: وهذا مروي عن سعيد بن جبير، وهو اختيار ابن جرير، وهو أظهر في المعنى. «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٨١.

(٦) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٨٥.

وللشافعي رحمه الله في كيفية اعتبار اليأس قولان:

أحدهما: أن[١] يعتبر غالب عادة نسائها ومن في مثل حالها، فإذا مضت عليها تلك المدة ولم تحض علمنا أنها يئست[٢].

فمعنى الارتياب على القول الأول: الجهالة بحكم العدة. أي إن جهلتم عدة الكبيرة وشككتم في عدتها فلم تدروا كم هي ثلاثة أشهر. وعلى القول الثاني معنى الارتياب الشك في حالة المرأة أهي آيسة أم ذات حيض ويستأنى بها إحدى العادتين اللتين ذكرناهما. فلما نزل قوله: ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾ قام رجل فقال: يا رسول الله: فما عدة الصغيرة التي لم تحض؟ فنزل: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾ -أي: هن بمنزلة الكبيرة التي قد يئست عدتها ثلاثة أشهر. فقام آخر فقال: فالحامل[٣] يا رسول الله ما عدتهن؟ فنزل: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[٤]. معناه: أجلهن في انقطاع ما بينهن وبين

(١) في (س): (أن) زيادة.

(٢) في (س): (آيسة). وانظر: «المجموع» ١٨/ ١٤٤، و«المغني» ١١/ ٢١١.

(٣) في (س): (فالحوامل).

(٤) ذكر مقاتل نحوه وذكر اسم السائل وهو خلاد بن النعمان بن قيس الأنصاري، ونقله الثعلبي عن مقاتل. انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٨/ب، و«الكشف والبيان» ١٢/ ١٤٣ أ- ب، و«أسباب النزول» للواحدي ص٥٠٣.

قلت: ذكر الثعلبي عند سبب النزول أن الآية نزلت بكاملها، ثم أورد قول مقاتل. وهذه دلالة على ترجيحه لغير ما قاله مقاتل. وهو الصواب إن شاء الله إذ القرآن لا يليق به غير هذا، وتقطيع الآية بهذه الصورة يفكك النظم بين مفردات الآية الواحدة. ويشهد لهذا ما أخرجه ابن جرير وإسحاق بن راهوية والحاكم وغيرهم لما نزلت عدة النساء في سورة البقرة.. قال أبي بن كعب: يا رسول الله إن ناسًا يقولون: قد بقي من النساء من لم يذكر فيهن الصغار وذوات الحمل. فنزلت: =

الأزواج وضع الحمل. وهذا عام في كل حامل، قال عبد الله: من شاء قاسمته لنزلت: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ﴾ بعد: ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًاۖ﴾ وكان عبد الله يقول: أجل كل حامل أن تضع ما في بطنها(١)، وكان علي يقول آخر الأجلين(٢)، والمأخوذ به قول عبد الله حتى إن المتوفى عنها زوجها(٣) لو وضعت حملها قبل دفن الميت حلت للأزواج(٤).

= ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ﴾ الآية. قال السيوطي في «اللباب»: صحيح الإسناد. وقال الحاكم في «المستدرك» ٢/ ٤٩٣: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(١) أخرج البخاري في التفسير، باب ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ﴾ ٦/ ١٩٤ عن ابن مسعود وفيه: لنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ﴾.
وانظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٩٢، و«تفسير ابن كثير» ٤/ ٣٨٢، و«فتح الباري» ٨/ ٦٥٦.

(٢) أخرجه ابن جرير وعبد الرزاق وغيرهما، وأخرجه عبد بن حميد، وسعيد بن منصور، عنه بسند صحيح، وأخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب: التفسير، سورة الطلاق ٦/ ١٩٣ عن ابن عباس، ومسلم في كتاب: الطلاق، باب: انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها ٢/ ١١٢٢ عن ابن عباس.
وانظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٩٣، و«فتح الباري» ٩/ ٤٧٤.
قلت: ما ورد في «الصحيح، وما رواه ابن جرير في «تفسيره» ٢/ ٥١٢ عن ابن عباس بإسناد حسن من طريق علي بن أبي طلحة يدل على رجوعه عن القول السابق بعد أن بلغه حديث سبيعة الأسلمية.
انظر: «تفسير ابن عباس ومروياته» للحميدي ٢/ ٨٩٤.

(٣) (زوجها) ساقطة من (س).

(٤) قال ابن حجر: (وقد قال جمهور العلماء من السلف وأئمة الفتوى في الأمصار: إن الحامل إذا مات عنها زوجها تحل بوضع الحمل وتنقضي عدة الوفاة). «فتح الباري» ٩/ ٤٧٤.
ونقل ابن قدامة الإجماع على ذلك ورجوع ابن عباس عن قوله. «المغني» ١١/ ٢٢٧.

يدل على ذلك حديث سبيعة بنت الحارث وهي أنها وضعت حملها قبل أربعة أشهر وعشر من وفاة زوجها فقال النبي ﷺ: «**قد حللت حين وضعت حملك**» وأمرها أن تتزوج[١].

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في جميع ما أمره بطاعته فيه ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ ييسر الله عليه في أمره ويوفقه للعمل الصالح. قال ذلك المقاتلان[٢].

وقال عطاء: يسهل الله عليه أمر الدنيا والآخرة[٣].

﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني الذي ذكر من الأحكام ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ بطاعته فيعمل بما جاء به محمد ﷺ.

﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ من الصلاة إلى الصلاة، ومن الجمعة إلى الجمعة ﴿وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ قاله ابن عباس[٤].

٦- قوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾ قال الكسائي: ﴿مِّن﴾ صلة، والمعنى: أسكنوهن حيث[٥] سكنتم من وجدكم[٦].

قال أبو عبيدة: من سعتكم من الجدة[٧].

---

(١) حديث متفق عليه، رواه البخاري في كتاب: المغازي، باب حدثني عبد الله بن محمد الجعفي ٥/ ١٠٢ ومسلم في كتاب: الطلاق، باب: انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل ٢/ ١١٢٢.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٨ ب.

(٣) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٣٥٨، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ٣٦.

(٤) انظر: «التفسير الكبير» ٣٠/ ٣٦.

(٥) في (س): (من حيث).

(٦) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ١٤٤ أ، وعند الزمخشري أنها للتبعيض، والمعنى: أي بعض مكان سكناكم، و«الكشاف» ٤/ ١١٠.

(٧) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٦٠.

وقال الفراء: يقول: على قدر طاقتكم، على قدر[١] ما يجد، فإن كان موسعًا وسع عليها في المسكن والنفقة، وإن كان فقيرًا مقترًا[٢] فعلى قدر ذلك[٣].

وقال أبو إسحاق: يقال: وجدت في المال وجدًا -أي صرت ذا مال- ووجدًا وجدةً[٤]. وقال الأخفش: الوجدُ المقدرة، أي: من حيث سكنتم مما تقدرون عليه[٥].

قال المقاتلان: يعني من سعتكم في المسكن والنفقة[٦].

وقال الضحاك: أنفقوا عليهن بقدر ما عندكم من السعة. وقال السدي: ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ أي من ملككم[٧].

قال قتادة: إن لم تجد إلا ناحية بيتك فأسكنها فيه[٨].

قال أصحابنا[٩]: السكنى تكون في مسكن النكاح، ولا يجوز للزوج أن يخرجها منه، ولا لها أن تخرج.

---

(١) في (س): (قدر) زيادة.

(٢) في (س): (مقترًا) زيادة.

(٣) انظر: «معاني القرآن» ٣/ ١٦٣.

(٤) في (ك): (ووجدة). وانظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٨٦.

(٥) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٧١٠.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٩ أ، و«معالم التنزيل» ٤/ ٣٥٩.

(٧) لم أجدها. وعند ابن جرير عن السدي: (المرأة يطلقها فعليه أن يسكنها وينفق عليها)، و«جامع البيان» ٢٨/ ٩٤، وما ذكره المؤلف عنهما لا يخرج عن أقوال المفسرين المذكورة.

(٨) انظر: «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٨٣، و«الدر» ٦/ ٢٣٧.

(٩) أي الشافعية. وانظر: «المجموع» ١٨/ ١٦٢، و«الحاوي الكبير» ١١/ ٢٤٩.

جاء رجل إلى ابن مسعود فقال: يا أبا عبد الرحمن: ما ترى في امرأة طلقت ثم أصبحت غادية إلى أهلها؟ فقال عبد الله: ما أحب أن لي دينها بتمرة.

فإن كان للزوج المطلق مسكن واحد ودار واحدة؛ لم يجز للمرأة أن تساكنه فبها ساعة إلا مع محرم بالغ من محارمها، ولكن على الزوج أن يخرج منها لتخلو الدار لها، وإن كانت الدار واسعة مشتملة على مرافق فإن أمكنها أن تنفرد في بعض مرافق الدار جاز أن تساكنه(١)، وكل مطلقة مستحقة للسكنى(٢).

وفي المتوفى عنها قولان:

أحدهما: أنها تستحق السكنى.

والثاني: أنها لا تستحق وليس لها نفقة العدة بحال(٣).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ﴾ نهى الله عن مضارتهن

---

(١) في (س): من قوله (فيها ساعة) إلى (تساكنه) زيادة. وانظر: «المجموع» ١٨/ ١٦٢، و«المغني» ١١/ ٣٠٢.

(٢) وهو قول ابن مسعود، وابن عمر، وعائشة، وسعيد بن المسيب، والشافعي، وأصحاب الرأي، وغيرهم.
انظر: «أحكام القرآن» للجصاص ٣/ ٤٥٩، و«المغني» ١١/ ٣٠٠.

(٣) في (س): (بحال) زيادة.
وانظر: «المغني» ١١/ ٢٩٢، وقال: (قال أصحابنا: ولا سكنى للمتوفى عنها إذا كانت حائلًا، رواية واحدة، وإن كانت حاملًا فعلى روايتين، وللشافعي في سكنى المتوفى عنها قولان...).
وقال الجصاص: قد اتفق الجميع على أن لا نفقة للمتوفى عنها زوجها غير الحامل. «أحكام القرآن» ٣/ ٤٦٢.

بالتضييق عليهن في المسكن والنفقة.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنَّ أُولَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ وهذا بيان حكم المطلقة البائنة، لأن الرجعية تستحق النفقة وإن لم تكن حاملًا، وإن كانت مطلقة ثلاثًا، أو مختلعة فلا نفقة لها إلا أن تكون حاملًا فتستحق النفقة(١).

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ يعني حق الرضاع وأجرته، وللزوج أن يستأجر امرأته لإرضاع الولد كما يستأجر أجنبية، وبيان هذا قد تقدم في سورة البقرة(٢).

قوله تعالى: ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ قال عطاء: يريد بفضل معروف منك(٣).

وقال مقاتل بن حيان: يتراضى الأب والأم على أجل مسمى(٤).

وقال السدي: يعني اصنعوا المعروف فيما بينكم(٥).

وقال المبرد: ليأمر بعضكم بعضًا بالمعروف. والخطاب للأزواج من

---

(١) انظر: «الأم» ٥/ ٩٧، و«أحكام القرآن» للجصاص ٣/ ٤٥٩، و«المغني» ١١/ ٣٠١، و«شرح النووي على مسلم» ١٠/ ٩٥، و«المحلى» ١٠/ ٢٨٨، و«فتح الباري» ٩/ ٤٨٠، وهو قول الجمهور. وقال الأحناف والثوري والحسن بن صالح: لكل مطلقة السكنى والنفقة ما دامت في العدة حاملًا كانت أو غير حامل.
انظر: «بدائع الصنائع» ٤/ ٢٠٣٨، و«شرح فتح القدر» ٣/ ٣٣٩، و«الحاوي الكبير» ١١/ ٢٤٦.

(٢) عند تفسيره الآية (٢٣٣) من سورة البقرة.

(٣) انظر: «التفسير الكبير» ٣٠/ ٣٧.

(٤) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٣٦٠.

(٥) انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٩٦.

الرجال والنساء يأمرهم أن يأتوا المعروف وما هو الأحسن ولا يقصدوا التعاسر والضرر[(١)].

قال أبو إسحاق: المعروف هاهنا -والله أعلم- أن لا يقصر الرجل في نفقة المرأة التي ترضع ولده إذا كانت هي والدته؛ لأن الوالدة أرأف بولدها من غيرها، ولا تقصر هي في إرضاع ولدها، والقيام بشأنه، فحق على كل واحد منهما أن يأتمر في الولد بمعروف[(٢)]. وذكرنا تفسير الائتمار عند قوله: ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾[(٣)] [القصص: ٢٠].

﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ أي[(٤)] في الأجرة ولم يتفق بين الوالدة والولد ما يتراضيان به ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ معناه: فليسترضع له[(٥)] الوالد غير[(٦)] والدة الصبي.

ومعنى ﴿تَعَاسَرْتُمْ﴾ لم تتفقوا على أمر.

ثم بين قدر الإنفاق فقال: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ أمر أهل التوسعة أن يوسعوا على نسائهم المرضعات أولادهن على قدر سعتهن ومن

---

(١) انظر: «التفسير الكبير» ٣٠/ ٣٧.

(٢) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٨٦.

(٣) قال: الائتمار: المشاروة، وهو أن يأمر بعضهم بعضًا.
قال شمر: يقول ائتمرت فلانًا في ذلك الأمر إذا شاورته، وائتمر القوم إذا شاوروا ثم الائتمار يكون مرة مع ذوي العقل والرأي من الناس وهو المحمود المسنون ومرة يكون مع النفس والهوى، وهو المذموم.

(٤) في (س): (أي) زيادة.

(٥) (له) ساقطة من (س).

(٦) في (ك): (غيره).

كان رزقه بمقدار القوت فلينفق على قدر ذلك. وهذا كقوله[١]: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ أي: ما أعطاها من الرزق، قال السدي: لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغني[٢]. وذلك أنه لو كلف الفقير أن يوسع فقد كلفه ما لم يؤته، وإذا كلف الغني ذلك لم يكلفه إلا ما آتاه.

قوله: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ أي من بعد ضيق وشدة غنى وسعة ورخاء.

قال أبو إسحاق: كان الغالب على أكثرهم في ذلك الوقت الفقر والفاقة فأعلمهم الله ﷻ أنه سيوسر المسلمون، ففتح عليهم بعد ذلك وجعل يسرًا بعد عسر[٣]، والمؤمنون وإن كانوا في حال ضيقة فهم على رجاء اليسر من الله تعالى.

٨- قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ الكلام في كأين والاختلاف فيها قد تقدم ذكره في سورة آل عمران[٤].

---

(١) في (ك): (كله).

(٢) انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٩٧، و«إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٤٥٦.

(٣) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٨٧.

(٤) عند تفسيره الآية (١٤٦) من سورة آل عمران.
قال أبو الهيثم: كأيّ بمعنى كم، وكم بمعنى الكثرة. والكاف في (كأين) كاف التشبيه دخلت على (أيٍّ)، التي هي الاستفهام كما دخلت على (ذا) في (كذا) و(أن في (كأن) ولا معنى للتشبيه فيه... وكثر استعمال هذه الكلمة فصارت ككلمة واحدة موضوعة للتكثير، وفي كأين ثلاث لغات: كأين بوزن كعين، وكائن بوزن كاعِن، وكاين بوزن ماين. وانظر: «اللسان» ٣/ ٣٢٣ (كين).
=

﴿وَكَأَيِّن﴾ في هذه الآية مبتدأة في اللفظ فاعل في المعنى كما أن كم رجل قد قام كذلك[١]. وقد تكون مفعولة كقوله: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ [الحج: ٤٥] فهذه مفعولة بها في المعنى ومبتدأة في اللفظ، وأنث على المعنى كما جعل على المعنى في قوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ﴾ [النجم: ٢٦] والكلام خرج على لفظ القرية في قوله: ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ والمراد أهلها. قال ابن عباس: عتوا على الله وعلى أنبيائهم[٢].

وقال مقاتل: خالفت أمر ربها وخالفت رسله[٣].

وقال الضحاك: يعني من أهلك من الأمم بتكذيبهم رسل الله وجحودهم بآياته.

قوله تعالى: ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ قال مقاتل: فحاسبها الله بعملها في الدنيا فجازاها بالعذاب[٤] وهو قوله: ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾[٥]. ففسر المحاسبة بالتعذيب، ونحو هذا قال الضحاك: ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾[٦]

= وفي قوله تعالى (وكأين) خلاف بين القراء، حيث قرأ ابن كثير وأبو جعفر بألف ممدودة بعد الكاف وبعدها همزة مكسورة. وقرأ الباقون بهمزة مفتوحة بعد الكاف وبعدها ياء مكسورة مشددة.

انظر: «حجة القراءات» ص١٧٤، و«النشر» ٢/ ٢٤٢، و«الإتحاف» ص٤١٨.

(١) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٦/ ٢٩٧.

(٢) لم أجده، والآية ظاهرة المعنى.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٩ أ، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ٣٨.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٩/ أ، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ٣٨.

(٥) في (س): (شديدا).

(٦) من قوله (قال مقاتل) إلى (شديدا) ساقطة من (ك).

يقول في الدنيا وهو أن الله تعالى لم يتجاوز عنهم وأخذناهم بالعذاب جزاء لما فعلوا من التكذيب[١]، فجعل المجازاة بالعذاب محاسبة؛ وذلك لأنهم لما[٢] استحقوا العذاب بالتكذيب صار كأنه حاسبهم فعذبهم.

وقال الكلبي: هذا على التقديم والتأخير، والمعنى: فعذبناها في الدنيا وحسابناها في الآخرة حسابًا شديدًا[٣].

٩- ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ أي: ثقل عاقبة أمرها، قال ابن عباس: يريد عاقبة كفرها[٤] ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ يقول: كان عاقبة أمرها[٥] الخسران في الدنيا والآخرة.

١٠- وهو قوله: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ قال يخوف كفار مكة أن لا يكذبوا محمدًا فينزل بهم ما نزل بالأمم قبلهم.

ثم قال للذين آمنوا ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

ثم نعتهم فقال قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَّسُولًا﴾ قال أبو إسحاق: رسولًا منصوب على ثلاثة أوجه، أجودها أن يكون قوله: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ دليلًا[٦] على إضمار أرسل رسولًا[٧]، والمعنى

---

(١) لم أجده.

(٢) (لما) ساقطة من (ك).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٦٤، و«الكشف والبيان» ١٢/ ١٤٥ أ، و«زاد المسير» ٨/ ٢٩٨ ونسبه لابن عباس، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ٣٨.

(٤) انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٩٢، و«التفسير الكبير» ٣٠/ ٣٨.

(٥) في (ك): (عاقبته).

(٦) في (س): (دليل).

(٧) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٨٨.

على هذا: أنزل عليكم[١] قرآنًا- والذكر هو القرآن- وأرسل رسولًا، وإنزال الذكر يدل على إرسال الرسول؛ لأن الذكر ينزل على الرسول، وهذا الوجه هو قول الكسائي[٢].

١١- قال أبو إسحاق: ويكون ﴿رَسُولًا﴾ منصوبًا بقول: ﴿ذِكْرًا﴾ ويكون المعنى: قد أنزل إليكم أن ذكر رسولًا يعني به النبي ﷺ.

قال أبو علي: هذا الوجه ﴿رَسُولًا﴾[٣] معمول المصدر والتقدير أن ذكر رسولًا[٤] لأن يتبعوه فيهتدوا بالاقتداء به، ومثل ذلك من إعمال المصدر قوله: ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٣] فشيء مفعول المصدر[٥].

الوجه الثالث: قال أبو إسحاق: ويكون المعنى قد أنزل الله إليكم ذكرًا رسولًا. بدلًا من: ﴿ذِكْرًا﴾[٦]، قال أبو علي: هذا يكون على تقدير حذف المضاف إلى الذكر، والذكر على هذا القول يحتمل تأويلين:

أحدهما: ذا شرف وصيت[٧] كما قال: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤].

---

(١) في (س): (إليكم).

(٢) قال أبو حيان: ونحا إلى هذا السدي، واختاره ابن عطيه.
انظر: «البحر المحيط» ٨/ ٢٨٦.

(٣) في (س): (رسولًا) زيادة.

(٤) في (ك): (يكون رسول).

(٥) في (س): (المصدر) زيادة.

(٦) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٨٨.

(٧) في (ك): (وصلب).

الآخر: ذا قرآن كقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ [النحل: ٤٤] والإنزال على هذا القول يكون بمعنى الإنشاء والإحداث، كما ذكرنا في قوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر: ٦]. وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ [الحديد: ٢٥].

قال أبو إسحاق: ويكون يعني به جبريل يريد أن المعنى في قوله: فأنزل الله إليكم ذا ذكر رسولًا، وهو جبريل[1]، لأنه أنزل مع القرآن رسولًا إلى النبي ﷺ، وهذا محتمل وأن يكون النبي ﷺ أولى لقوله بعده: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾.

وذكر أبو جعفر[2] النحاس وجهين آخرين في نصب ﴿رَّسُولًا﴾[3] لا يصح واحد منهما.

أحدهما: أنه قال: ﴿رَّسُولًا﴾ بدل من ﴿ذِكْرًا﴾ بمعنى رسالة[4]. وهذا لا يجوز لقوله: ﴿يتلو عليكم...﴾ إلى آخر الآية. وهو من صفة الرسول لا الرسالة[5].

الثاني: أنه قال: ﴿رَّسُولًا﴾ أي مع رسول فيكون مفعولًا معه[6]. وهذا أيضًا غير جائز؛ لأن المفعول معه لا يكون إلا مع الواو كما تقول: استوى الماء والخشبة، ولا يجوز بغير الواو[7].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٨٨.

(٢) في (س): (أبو جعفر) زيادة.

(٣) انظر: «القطع والائتناف» ص٧٣١.

(٤) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٤٥٨.

(٥) انظر: «البحر المحيط» ٨/ ٢٨٦، و«روح المعاني» ٢٨/ ١٤١.

(٦) انظر: «الكشف والبيان» ١٢/ ١٤٥ ب.

(٧) انظر: «النحو الوافي» لعباس حسن ٢/ ٣١٠.

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ قال الزجاج[١]: أي رزقه الجنة التي لا ينقطع نعيمها ولا يزول[٢].

ثم ذكر ﷻ ما يدل على توحيده فقال:

١٢- قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ قال الكلبي: بعضها فوق بعض مثل القبة[٣].

﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ قال مقاتل: وخلق من الأرض مثل عدد السموات[٤] ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ قال عطاء: يريد الوحي بينهن إلى خلقه في كل أرض وفي كل سماء[٥].

وقال الكلبي: يعني الوحي، وفي كل أرض منهن خلق وماء[٦].

وقال مقاتل: يعني الوحي[٧] من السماء العليا إلى الأرض السفلى[٨].

---

(١) (ك): (الزجال).

(٢) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٨٨.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٩ ب، وهو قول الجمهور.
انظر: «البداية والنهاية» ١/ ٢١، و«تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٨٥، و«روح المعاني» ٢٨/ ١٤٢.
وقال ابن حجر عند شرحه لحديث البخاري في كتاب: المظالم، باب: إثم من ظلم شيئًا من الأرض ٣/ ١٧٠: وفيه أن الأرضين السبع طباق كالسموات، وهو ظاهر قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ خلافًا لمن قال: إن المراد بقوله سبع أرضين سبعة أقاليم، لأنه لو كان كذلك لم يطوق الغاصب شبرًا من إقليم آخر. «فتح الباري» ٥/ ١٠٥.

(٤) انظر: «التفسير الكبير» ٣٠/ ٤٠.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ٦/ ٩٥، ولفظه: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ سبعًا ولكنها منبسطة.

(٦) في (ك): (ومرض).

(٧) من قوله (وفي كل أرض) إلى (يعني الوحي) ساقطة من (ك).

(٨) انظر: «تفسير مقاتل» ١٥٩ ب.

وقال مجاهد: يتنزل الأمر بينهن بحياة بعض وموت[١] بعض، وغنى واحد[٢] وفقر آخر، وسلامة هذا وهلاك ذاك[٣]. قال: وهذه الأرض إلى التي تحتها مثل فسطاط بأرض فلاة، وهذه السماء إلى التي فوقها مثل حلقة في فلاة[٤].

وقال قتادة: في كل سماء من سمائه، وأرض من أرضه خلق من خلقه وأمر من أمره، وقضاء من قضائه[٥].

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ قال: بين الأرض السابعة إلى السماء السابعة[٦].

وروى مجاهد عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال: لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم، وكفركم تكذيبكم بها[٧].

وروى أبو الضحى[٨] عنه قال: في كل أرض نبي كنبيكم، وآدم كآدم، ونوح كنوح، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسى كعيسى، ونحو ما على الأرض من الخلق)[٩].

---

(١) في (ك): (ومرض).

(٢) في (ك): (بعض واحد).

(٣) انظر: «التفسير الكبير» ٣٠/ ٤٠.

(٤) انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٩٩.

(٥) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٢٩٩، و«جامع البيان» ٢٨/ ٩٩، و«الدر» ٦/ ٢٣٨.

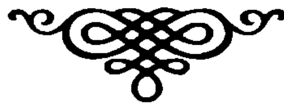
(٦) انظر: «تفسير مجاهد» ٢/ ٦٨٢، و«جامع البيان» ٢٨/ ١٠٠.

(٧) أخرجه ابن جرير، وعبد بن حميد، وابن الضريس. انظر: «جامع البيان» ٢٨/ ٩٩، و«الدر» ٦/ ٢٣٨.

(٨) هو مسلم بن صبيح الهمداني، العطار، ثقة، فاضل، مشهور بكنيته. وقد تقدم.

(٩) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» ٢٨/ ٩٩، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٤٩٣، =

قوله تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟﴾ قال الزجاج: معناه أعلمكم ذلك لتعلموا قدرته على كل شيء وعلمه وهو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ وهو منصوب على المصدر، لأن قوله: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ معناه: علم كل شيء[1] والله تعالى أعلم.



= وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٢/ ٢٦٧، وقال: إسناد هذا عن ابن عباس صحيح، وهو شاذ بمرة لا أعلم لأبي الضحى عليه متابعًا، والله أعلم.
وقال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» ١/ ٢١، وهو محمول إن صح نقله عنه على أنه أخذه ابن عباس- رضي الله عنه- عن الإسرائيليات، والله أعلم.
وانظر: «تفسير القرآن العظيم» ٤/ ٣٨٥.
وقال أبو حيان: وعن ابن عباس من رواية الواقدي الكذاب.. ثم ذكر الحديث وقال: وهذا حديث لا شك في وضعه. انظر: «البحر المحيط» ٨/ ٢٨٧.

(١) انظر: «معاني القرآن» ٥/ ١٨٩.